

مانلي هول

# التعاليم السرية لكل العصور

ترجمة وإعداد

د. أنور الحمادي



التعاليم السرية لكل العصور

هذا العمل هو ترجمة لكتاب المؤلف

**Manly Palmer Hall**

**The Secret Teachings of All Ages**

المنشور في كاليفورنيا عام 1928

ترجمة وإعداد

د. أنور الحمادي

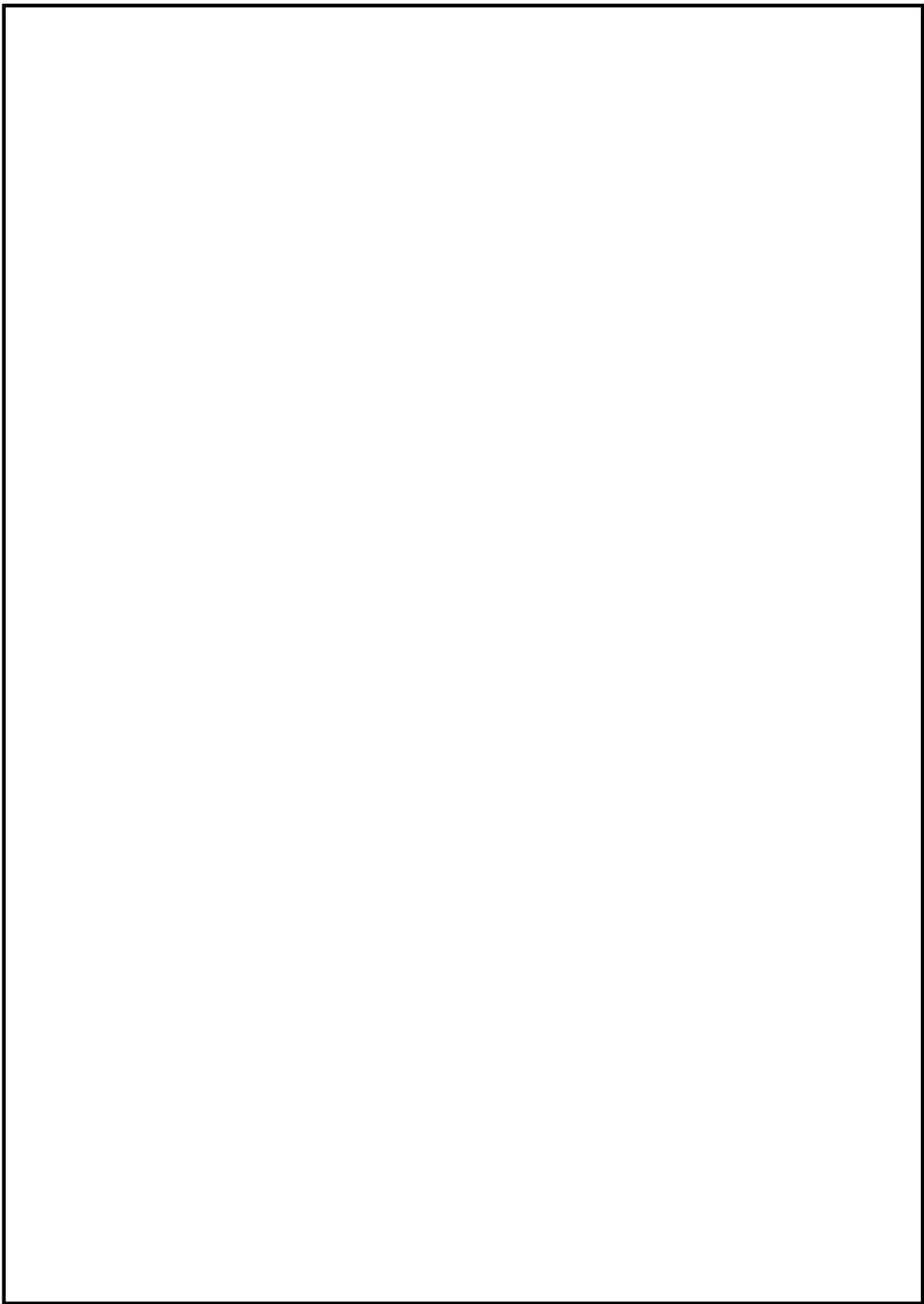


## جدول المحتويات

3.....	جدول المحتويات
7.....	مقدمة المغرب
13.....	تمهيد
19.....	مقدمة
94.....	الأسرار القديمة والجمعيات السرية التي أثرت على رمزية الماسونية الحديثة 1
102.....	الاسرار الدرودية لبريطانيا والغال
113.....	الطقوس الميثرائية
122.....	الأسرار القديمة والجمعيات السرية 2
133.....	أسرار أسار - هابي
145.....	الأسرار الأودينية
151.....	الأسرار القديمة والجمعيات السرية 3
164.....	الأسرار الأورفية
167.....	طقوس باخوس وديونيسوس
174.....	أطلنطس والآلهة القديمة
186.....	أسطورة الإله الميت

196	..... حياة وتعاليم تحوت هيرمس مثلث العظمة
198	..... المقترحات المتعلقة بهوية هيرمس
202	..... متون هيرمس المشوهة
205	..... كتاب تحوت
209	..... بويماندريس، تجلي هيرمس
224	..... أسرار الأهرامات
230	..... مشاكل الهرم
237	..... أبو الهول
242	..... أسرار الهرم
248	..... إيزيس عذراء العالم
273	..... تحنيط الموتى في مصر
276	..... الشمس، الإله الكوني
280	..... الثالوث الشمسي
285	..... المسيحية والشمس
287	..... مولد الشمس
291	..... الشموس الثلاثة
299	..... مخلوقات الشمس السماوية
302	..... الشمس في الرموز الخيمائية
304	..... شمس منتصف الليل
306	..... الألوان الشمسية
311	..... دائرة البروج وأبراجها

340	لوح بيمبو لإيزيس
352	رمزية لوح بيمبو
368	عجائب العصور القديمة
375	عرافات الإغريق
392	عجائب الدنيا السبع
397	حياة وفلسفة فيثاغورث
405	أساسيات فيثاغورث
416	رموز أقوال فيثاغورث
419	الفلك الفيثاغورثي
425	الجسم البشري في الرمزية
449	أسطورة هرمس



## مقدمة المعرب

أهلاً وسهلاً بالقارئ الكريم الذي أوصله تعطشه للمعرفة " السرية " ها هنا، متمنياً أن يجد بين ثنايا هذا الكتاب ما يلبي رغبته؛ ولعل خير ما نستهل به هو التعريف بصاحب هذا العمل الضخم وهو مانلي بالمر هول، الذي ولد في كندا – أونتاريو في 18 مارس 1901، وأبوه لويس هول، الذي عمل طبيب أسنان، وقد قال مانلي هول أنه لم يقابله ابداً، أما والدته فهي لويز هول والتي اشتغلت معالجة " شعبية " كما يمكن أن نقول، بالإضافة إلى انتمائها لجماعة الصليب الوردى، وقد انفصل والداه وهو لا يزال جنيناً في بطن أمه.

انتقل الطفل مانلي برفقة جدته لأمه إلى داكوتا حيث عاش بضع سنين، لينتقل لاحقاً إلى كاليفورنيا – حيث قضى حياته فيما بعد – ليلتم شمله مع والدته التي كانت تقيم في سانتا مونيكا، وهناك انجذب إلى العالم الذي انتمت والدته إليه، وهو عالم الباطنيات والأسرار والروحانيات، ومن ثم تعمق في دراسة الآلهة والأديان والعقائد والفلسفات القديمة ومعرفة تفاصيلها، حتى صار لا يُبارى في كل شأن يمت بصلة لأي من هذه المواضيع.

قضى مانلي الطفل جل طفولته برفقة البالغين، فنال تعليماً مدرسياً متواضعاً، وفي مراهقته التحق بمدرسة عسكرية، لكن ما فاته من المدرسة عوضه بنهم لا ينضب للقراءة، كما أن جدته شعرت بشرارة النباهة في حفيدها، فعملت على تعزيزها بكل ما استطاعته من زيارات لمتاحف في شيكاغو ونيويورك، وجمعه بمن استطاعت من أهل الفكر والفن.

ووقع في شبابه، وبحكم انتماء والدته لجماعة الصليب الوردى، تحت تأثير هذه الجماعة، ولكن إيمانه بالتزام هذه المنظمة بالعقائد القديمة قد اعتراه الوهن، وبينما كان يعبر شارباً ذات مرة، استرعى انتباهه إعلان عن علم فراسة الدماغ، وهو استقراء نفسيات الرجال بوحى

من شكل الجمجمة، وسرعان ما أصبح المحاضر سيدني براونسون، هو " غورو " هول - مُرشد، معلم روحي وهي من السنسكريتية - في كل ما يتعلق بالميتافيزيقيا و العقائد و الأديان القديمة، وأثبت هول أنه تلميذ نبيه يملك ذاكرة استثنائية، وموهبة في الكلام أمام الجمهور، فدعاه مرشده ليكون المحاضر بعد سنة فقط، فارتدى عباءة سوداء - نصف شامان ونصف رجل استعراض - وجلس متحدثاً دون كلل أو تردد لساعة ونصف تماماً، وكانت تلك أول محاضرة ناجحة له.

وسرعان ما تولى وهو شاب يبلغ من العمر ثماني عشرة سنة، منصب واعظ في كنيسة الشعب، ومحاضر في قاعة ترينيتي في وسط مدينة لوس أنجلوس. ثم رُسم قساً في كنيسة الشعب بعد ذلك بعدة سنين، وبعدها ببضعة أيام، انتخب راعياً دائماً للكنيسة، وقد نال القس بالمر عطف وعناية محسنة ثرية وابنتها، والتي كانت قد ورثت نصيباً في أكبر حقول نفط في العالم آنذاك، فمنحت بالمر النفقة اللازمة ليقوم برحلات حول أوروبا والشرق ليكتسب المعرفة اللازمة، وليقتني نوادر الكتب والمخطوطات المتعلقة بالخيمياء والمعارف الباطنية، التي اشتراها بثمن بخس في مزادات لندن - كان العالم يعيش ركوداً شاملاً حينها - وبعد وفاة هذه المحسنة تركت له نصيباً لا يستهان به، ساعده على استمرار بحوثه دون أن يحمل هم تكاليف معاشه.

لم ينضم هول لأي من الجمعيات الثيوصوفية التي كانت منتشرة في أمريكا في النصف الأول من القرن العشرين، ولكنه كان شخصية مشهورة بين رواد هذه الجمعيات، حيث ألقى المحاضرات في محافل هذه الجمعيات، وأصبحت كتبه من المواضيع المهمة للنقاش بين أعضائها، ويروى أنه كان مفتوناً بكل ما يتعلق ببلافاتسكي والتي ستذكر كثيراً في هذا الكتاب وغيره من مؤلفات هول، حيث اعتقد أن مؤلفاتها تقف فريدة بين كل الإنتاج الباطني في ذلك الزمان.

ولم يفعل هول مثل غيره من المحاضرين " الروحانيين "، حيث أبدى أقل الاهتمام بهوليوود وصناعة الأفلام، فظهر في افتتاحية فلم واحد ( متى وُلدت 1938 ) وهو بوليسي الطابع، وتدخل الأبراج في صميم حبكة الفيلم، الذي كان من تأليفه وتحريره أساساً، كما أن الكثير من نجوم هوليوود آنذاك كانوا من المتابعين له، ومنهم: سد غرومان وسيسل ديمل وصامول

غولدين وألفيس بريسلي، ومن العلماء تبعه لوثر بوربانك، ومن السياسيين ترومان وريغان والذي يقال أنه قد اقتبس شيئاً منه في العديد من خطابه.

تزوج هول مرتين، الأولى كانت من سكرتيرته فاي رافين عام 1930، وكان اقتراناً تعساً جلب الحزن لكلا الزوجين، لينتهي عام 1941 عندما قتلت الزوجة نفسها، ولم يأت الزوج الأرملة على ذكرها ثانية، ثم تزوج ثانية عام 1950 من ماريا باور عقب طلاقها من زوجها وكانت أما لطفلين، وقد ماتت عام 2005.

كان هول فارساً متطوعاً في الجمعية الماسونية للأبحاث في سان فرانسيسكو، وانضم للماسونية رسمياً سنة 1954، وحصل على الدرجة 33 عام 1973 (وهي أعلى تكريم يمنحه المجلس الأعلى للطقوس الاسكتلندية).

انزعج هول لأن التعاليم الباطنية لا مكان لها في الجامعات الأمريكية، فقرر إنشاء مركز روحي في لوس أنجلوس من تصميمه الخاص، يكون الغرض منه مهمة تعليم " المثالية العملية " المحفوظة في أكثر من مئة ألف من المخطوطات العجيبة من العصور القديمة، ووضع برامج لصالح المجتمع، لإثارة رغبة تلاميذه في استخدامها في الحياة اليومية. فأنشأ عام 1935 جمعية البحوث الفلسفية، والتي جعلها مكاناً محكماً قضى فيه بقية حياته في التدريس والكتابة وتجميع عدد هائل من المخطوطات القديمة والأشياء التعبدية. نما حرمة الجامعي الصغير في نهاية المطاف ليشمل مكتبة من خمسين ألف مجلد، وقاعة بثلاثمائة مقعد مع كرسي يشبه العرش للمعلم الرئيسي، ومكتبة، ومستودعاً، ومكتباً، وأصبحت واحدة من أكثر الوجهات الشعبية لتلبية الفضول الروحي في لوس أنجلوس حتى اليوم.

على مدى حياته ألقى هول حوالي 8000 محاضرة داخل وخارج الولايات المتحدة ( ورغم عدم حيازته أية درجة علمية فلم يكن يمانع أن ينادى بلقب دكتور )، وألف 150 كتاباً، وكتب عدداً لا يحصى من المقالات، ومن أشهر محاضراته تلك التي ألقاها في قاعة كارنيجي 1942 حول القدر السري لأمريكا، والتي نشرها ككتاب لاحقاً، حيث ادعى أن مجموعة سرية

من الفلاسفة هم الذين أوجدوا فكرة أمريكا لتكون أرضاً تملؤها الحرية في العقائد والسياسة، كما ادعى أن ملاكاً قد ظلل توقيع إعلان الاستقلال، ملهماً الحاضرين كلمات الرب.

في أواخر أيامه أصبح الرجل صاحب الشخصية الجذابة بديناً، تتناهش بدنه الأمراض، كما اختل حكمه على الأمور، فوقع تحت تأثير مدحِ أفاق حتى وفاته سنة 1990.

### التعاليم السرية لكل العصور

يعد كتاب التعاليم السرية لكل العصور خلاصة متقنة للتعاليم الباطنية عبر العصور. ولنا أن نعتبره وجيزاً للمعرفة الخفية، وقد تعلمت أنا نفسي شيئاً حول هذا الموضوع من العمل على هذا السفر الضخم، فوصلت لأربع أفكار رئيسية:

- أولاً، لا يمكن لأي فلسفة أو أسطورة أو دين أن يدعي أنه نتاج فريد، فلم يأت أيٌّ منها من العدم أو من تلقاء نفسه، لكنها جميعاً نسخ متغايرة الأشكال عن سابقتها، جميعها أخذت من غيرها أو تأثرت بها.

- ثانياً، لا يمكن لأي شخص أن يدعي الخصوصية في التفوق. أي محاولة للقيام بذلك يمكن أن تؤدي فقط إلى التناقض والارتباك، فالحكمة هي نسيج، جميع خيوطه محبوكة معاً بشكل لا ينفصم.

- ثالثاً، وجدت تأكيداً لقناعتي بما قاله ول ديورانت في صرح الفلسفة " أن كل ما يمكننا فعله هو أن نفخر بأنفسنا بعد أن اكتشفنا عمق الهوة التي يغرقنا فيها جهلنا. كلما تعلمنا أكثر، قلت معرفتنا؛ كل تقدم يكشف عن أسرار جديدة وشكوك جديدة ". وإنه لمن الحماقة أن ندعي كمال الفهم، هناك دوماً ما يقع وراء حدود الجهل.

- رابعاً وأخيراً، توصلت إلى فهم أكبر للقول المأثور، " أولئك الذين يقولون، لا يعرفون؛ والذين يعرفون، لا يقولون "، وأن الفهم له علاقة بالوجدان كما علاقته بالمنطق، والحكمة تختفي حتى تصل لمن يبحث عنها، أو يكون محظوظاً بمعرفة من بحث عنها ووجدها. وهنا



أخالف قناعة البعض بأن من امتلك الحكمة، فلن يحتاج لتفسيرها؛ أما من لا يملكها، فلا توجد طريقة لشرحها له.

لقد أوصلتني مهنتي - طبيب نفسي - لهذا الكتاب، فقد واجهت لدى أغلب مرضاي قناعات وتوهمات بالسحر والحسد والخرافات، فعقدت العزم أن أبحث في هذا الشأن لعلّي أجد قولاً يقيناً، فأوصلتني بحثي إلى بالمر هول وهذا الكتاب، ولكن لا بد من القول أنني قد عدت خاوي الوفاض، فالعلم الحديث ينكر كل هذه (الخرعبلات)، وكل هذا الحديث عن المعارف السرية لم يرو ظمئي للمعرفة أو يقدم لي الجواب الشاف.

ولا مناص من القول بأنني وجدت الكتاب ممتعاً، والمعلومات شيقة، والشرح لطيفاً، ولكنني ما كنت لأصف الكتاب بأنه مرجع موثوق. وإنني أحترم الكاتب الذي نشر هذا العمل ولمّا يزل في منتصف العشرينات من عمره، حيث نرى هنا سعة اطلاعه، وجزيل صياغته، لكن وعكس ما ذكر في المقدمة - وفي ظل عدم وجود أي عقيدة تخصني وأقوم على ترويجها، فلم أحاول تحريف الكتابات الأصلية لإثبات المفاهيم المسبقة لدي - لن يسعك إلا الشعور بالميل البين لهواه الماسوني، حيث يسوق كل شروحه على هدي من قناعاته ومعارفه الماسونية ليقدمها على أنها حقائق لا يمكن الشك بها، وإن كانت بلا أساس. فالنصيحة للقارئ الكريم ألا يعتمد كثيراً على ما يقوله ويكون متعلقاً بتفسيراتٍ تخصه للأحداث أو الأشخاص.

كما أود القول بأن عدد الأشخاص والأماكن والأحداث المذكورة هائل، فأليت على نفسي أن أحاول البحث - ما وسعني ذلك - عن كل واحد منها، والحق يقال أن المنفعة التي تحصلت لي في البحث، كانت أكبر بما لا يقاس من الكتاب نفسه. وأرجو من القارئ الكريم أن يلتمس لي العذر إن وجد خطأً في التعليقات المرجعية أو الصياغة، وإن وجدت أيها القارئ الكريم حاجة

في نفسك فأتمنى أن تراسلني على البريد الإلكتروني: [arabic.dsm.5@gmail.com](mailto:arabic.dsm.5@gmail.com)

نسأل الله الرشيد

د. أنور الحمادي

غرة شعبان، 1442 عام بعد الهجرة



## تمهيد

لقد كُتبت مجلدات لا تعد ولا تحصى، تعليقاً على أنظمة الفلسفة السرية التي وجدت في العالم القديم، لكن حقائق الحياة الأبدية، مثلها مثل العديد من أعظم مفكري العالم، لطالما ألبست ثياباً رثة. إن هذا العمل ليس إلا محاولة لبناء مرجع جدير بهؤلاء العرافين والحكماء الذين تشكل أفكارهم جوهر صفحاته. ولقد ثبت أن تحقيق هذا الجمع بين الجمال والحقيقة صعبٌ للغاية، لكنني متيقن أن النتيجة ستترك أثراً على ذهن القارئ مما يبرر كل هذا الجهد.

بدأ العمل على نص هذا الكتاب في اليوم الأول من شهر يناير عام 1926، واستمر دون انقطاع لأكثر من عامين تقريباً. أما الجزء الأكبر من العمل البحثي، فقد تم قبل كتابة المخطوطة؛ حيث كنت قد بدأت بجمع المواد المرجعية عام 1921، وبعد ثلاث سنوات، أخذ الكتاب شكلاً محدداً. من أجل الوضوح، فقد حذفت جميع الحواشي السفلية، أما الاقتباسات المختلفة والإشارات إلى مؤلفين آخرين فجرى تضمينها في النص بترتيبها المنطقي. ألحقت المراجع بشكل أساسي لمساعدة المهتمين على اختيار العناصر الأكثر موثوقية وأهمية والتي تتناول الفلسفة والرموز للدراسة المستقبلية. ولإتاحة الوصول بسهولة إلى المعلومات المهمة الموجودة في الكتاب، تم تضمين فهرس موضوعي مفصل.

لا أدعي العصمة عن الوقوع في الخطأ ولا أصالة أي محتوى موجود هنا. لقد درست كتابات القدماء المجزأة بالقدر الكافي لإدراك أن التعبير الدوغمائي عن عقائدهم مجازفة لا يقوم بها

إلا أحمق. فالتقليدية هي لعنة الفلسفة الحديثة، خاصة تلك التي تسود في المدارس الأوروبية. وعلى حين أن العديد من العبارات الواردة في هذا البحث قد تبدو غريبة للغاية في البداية، إلا أنني سعت بصدق إلى الامتناع عن الحديث الميتافيزيقي العشوائي، حيث قدمت روح الفكرة قدر الإمكان، بدلاً من النصوص الحرفية للمؤلفين الأصليين. من خلال تحديد مسؤوليتي فقط عن الأخطاء التي قد تظهر هنا، أمل أن أتملص من تهمة الانتحال التي توجه ضد كل كاتب تقريباً حول موضوع الفلسفة الصوفية.

وفي ظل عدم وجود أي عقيدة تخصني وأقوم على ترويجها، فلم أحاول تحريف الكتابات الأصلية لإثبات المفاهيم المسبقة لدي، كما لم أشوه العقائد بأي شكل، وذلك كمحاولة للتوفيق بين الاختلافات التي لا يمكن التوفيق بينها في مختلف أنظمة الفكر الديني - الفلسفي. تتعارض نظرية الكتاب بأكملها مع الأسلوب المعاصر للتفكير، لأنه يهتم بالمواضيع التي سخر منها علناً سفسطائيو القرن العشرين. ولنعلم بأن الغرض الحقيقي منه هو تقديم عقل القارئ إلى فرضية تحيا بعيداً تماماً عن نطاق التفكير المادي الشاحب في اللاهوت والفلسفة والعلوم. إن كم المواد المهمة بين غلافه، لا يمكن أن تنتظم بشكل مثالي، ولكن بقدر ما فقد جمعت الموضوعات ذات الصلة معاً.

ورغم غنى اللغة الإنجليزية بوسائل التعبير، فهي تفتقر إلى كثير من المصطلحات المناسبة لنقل المعاني الفلسفية المجردة؛ لذلك لا بد أن نأخذ بعين الاعتبار أن إدراك بعض المعاني البديهية لمعانٍ خفية ضمن مجموعات من الكلمات غير الكافية للتعبير، أمر ضروري لفهم غموض التعاليم القديمة.

ولا بد من التنويه، أنه وعلى الرغم من أن معظم العناصر الموجودة في المراجع موجودة في مكتبي الخاصة، إلا أنني أود أن أعرب عن امتناني للمساعدة التي قدمتها المكتبات العامة في سان فرانسيسكو ولوس أنجلوس، ومكتبي الطقوس الأسكتلندية في سان فرانسيسكو ولوس أنجلوس، ومكتبي جامعة كاليفورنيا في بيركلي ولوس أنجلوس، ومكتبة كروتونا الفلسفية في أوجاي كاليفورنيا. كما أتقدم بالشكر الخاص أيضاً إلى الأشخاص التالية أسماؤهم

لمساعدتهم: السيدة ماكس هيندل، والسيدة أليس بالمر هندرسون، والسيد إرنست داوسون، والسيد جون هاوول والسيد بول إلدر والسيد فيليب واتسون هاكيت، والسيد جون روكستيل.

كانت مسألة الترجمة أكبر مهمة فردية خلال العمل البحثي لإعداد هذا المجلد؛ وقام بالترجمات الألمانية اللازمة، والتي تطلبت ما يقرب من ثلاث سنوات، السيد ألفريد بيرى، والذي رفض أي أجر على عمله. وقام الأستاذ هومر بترجمة النصوص اللاتينية والإيطالية والفرنسية والإسبانية. تم تحرير النص العبري بواسطة الحاخام يعقوب ألكو. وبالنسبة للترجمات القصيرة المتنوعة جرى التحقق منها من قبل عدد من الأفراد. كان العمل التحريري تحت إشراف الدكتور سي. ب. رولينجسون، والذي كان ومن خلال جهوده الأدبية وفي كثير من الأحيان يقدم مساعدة جمة.

كما يرجع التقدير الخاص أيضاً إلى الخدمات التي قدمها السيد روبرت توموندس، من موظفي شركة كروكر. الذين تم تكليفهم بالخدمات الفنية لتحرير النصوص. أما بالنسبة لكثير من الصياغة الأدبية للعمل، فإنني مدين أيضاً للسيد م. م. ساكستون، الذي أملى المخطوطة بأكملها لأول مرة وأنيط به أيضاً إعداد الفهرس. كما أدت الجهود الرائعة التي قام بها السيد أوغسطس ناب، الرسام، إلى إضافة سلسلة من اللوحات التي جعلت من الممكن اكتمال جمال العمل.

جرت طباعة الكتاب على يد السيد فريدريك كيست، من شركة كروكر، والذي تجلى اهتمامه الشخصي الكبير بالمجلد من خلال بذل جهد لا يفتأ لتحسين جودة الطباعة. وننوه إلى التعاون الكريم من الدكتور جون هنري ناش، المصمم الرئيسي للطبعة في القارة الأمريكية، مما جعل الكتاب يظهر في شكل فريد ومناسب، وهو بحق يجسد جهد أفضل العاملين في حرفة الطباعة. كما أصبح من الممكن زيادة عدد اللوحات وتحقيق جودة أفضل للعمل أيضاً، بمساعدة كريمة من قبل السيد سبنسون، من شركة لوس أنجلس للطباعة، والذي عمل بقلبه وروحه لإنتاج هذا المجلد.

بيعت نسخ ما قبل النشر لهذا الكتاب بشكلٍ لم يسبق له مثيل في تاريخ الطباعة، حيث أُغلقت قائمة الاشتراك للطبعة الأولى المكونة من 550 نسخة بالكامل قبل عام من إرسال المخطوطة للطباعة. وبيع الإصدار الثاني الذي يتكون من 550 نسخة، والنسخة الثالثة المؤلفة من 200 نسخة، قبل استلام المجلد النهائي من قبل شركة الطباعة. وهذا الإنجاز الفريد يعود الفضل فيه لبرنامج المبيعات الاستثنائي الذي باشرته السيدة غاليغر، والتي كانت مثالية بعدم بيع الكتاب بالمعنى التجاري للكلمة، ولكن لوضعه في أيدي المهتمين بشكل خاص في الموضوع الذي يعنى به. كما ننوه بالمساعدة القيمة في هذا الصدد أيضاً من قبل أصدقاء عديدين، حضروا محاضراتي والذين عملوا دون مقابل وقاموا بتوزيع الكتاب بنجاح.

في الختام، يرغب المؤلف في أن يعرب عن امتنانه لكل واحد من مئات المشتركين، الذين ومن خلال دفعاتهم المقدمة نشر هذا البحث. إن القيام بالمصروفات الهائلة التي ينطوي عليها الأمر كان خارج نطاق إمكانياتي الفردية تماماً، ولم يكن أولئك الذين استثمروا في المجلد يضمنون إنتاجه، فكان كل أملهم معقود على نزاهة الكاتب.

أمل مخلصاً أن يستفيد كل قارئ لهذا الكتاب، فأنا نفسي تحققت لي فائدة كبيرة من كتابته، كما أن سنوات العمل والفكر التي أنفقتها عليه تعني لي الكثير. وكشف لي العمل البحثي الكثير من الحقائق العظيمة؛ اكتشفت في كتابته قوانين النظام والصبر؛ اكتشفت عجائب جديدة للفنون والطباعة؛ وقد كشفت العملية برمتها لي عن عدد كبير من الأصدقاء الذين ربما لم أكن لأعرفهم أبداً.

وهكذا، على حد تعبير جون بنيان<sup>(1)</sup>:

(1) جون بنيان (28 نوفمبر 1628 - 31 أغسطس 1688) هو كاتب وواعظ إنجليزي، اشتهر بتأليفه لكتاب «رحلة الحاج» والذي يعد كتاباً رمزياً دينياً، فضلاً عن كتابته للعديد من المواعظ الدينية. ولد بنيان في قرية إلستو والتي تقع بالقرب من مدينة بيدفورد شرقي إنجلترا. وقد شارك بنيان في المرحلة الأولى من الحرب الأهلية الإنجليزية. ولكنه عاد إلى إلستو بعد قضاء ثلاث سنوات في الجيش ليصبح سمكياً، وهي الحرفة التي تعلمها عن والده. ويعد كتابه «رحلة الحاج» من أنجح الكتب الصادرة بالإنجليزية، وصدر عنه 1300 طبعة خلال عام 1938، أي بعد وفاته بـ (250) عاماً.

لقد انحنيت عليه حتى تحقق أخيراً، بالطول والعرض، بالحجم الذي تراه.

مانلي بي هول.

لوس أنجلوس، كاليفورنيا 28 مايو 1928





## مقدمة

الفلسفة هي علم تقدير القيم. حيث يتم تحديد تفوق أي حالة أو مادة على أخرى من خلال الفلسفة؛ وذلك من خلال تحديد مواضع الأمور ذات الأهمية الأساسية، وتنحية ما تبقى جانباً، فتصبح الفلسفة بالتالي المؤشر الحقيقي للأولوية أو التركيز في مجال الفكر التأملي. تتمثل مهمة الفلسفة أولاً في إقامة علاقة بين الأشياء الظاهرة مع السبب النهائي أو الطبيعة غير المرئية.

لقد عُرفت الفلسفة كما يلي:

- السير ويليام هاملتون<sup>(1)</sup>: علم الأشياء الإلهية والإنسانية
- شيشرون<sup>(2)</sup>: الأسباب ومضمونها
- هوبز<sup>(3)</sup>: علم التأثيرات من خلال أسبابها

(1) السير وليم بارت هاملتون ( 1788 - 1856 م ) هو فيلسوف ومنطقي اسكتلندي.

(2) شيشرون: سياسي وكاتب وخطيب روما المميز، ولد سنة 106 ق.م وقتل صبراً عام 43 ق.م.

(3) توماس هوبز ( 1588 - 1679 ) عالم رياضيات وفيلسوف إنجليزي. ويعد أحد أكبر فلاسفة القرن السابع عشر بإنجلترا وأكثرهم شهرة خصوصاً في المجال القانوني، حيث كان بالإضافة إلى اشتغاله بالفلسفة والأخلاق والتاريخ، فقهياً قانونياً ساهم بشكل كبير في بلورة كثير من الأطروحات التي تميز بها هذا القرن على المستوى السياسي والحقوق. كما عرف

- لايبنتز<sup>(1)</sup>: علم الأسباب الكافية
- فولف<sup>(2)</sup>: علم الأشياء الممكنة، بقدر ما هي ممكنة
- ديكارت<sup>(3)</sup>: علم استنتاج الأشياء بوضوح من المبادئ الأولى

بمساهمته في التأسيس لكثير من المفاهيم التي لعبت دوراً كبيراً ليس فقط على مستوى النظرية السياسية بل كذلك على مستوى الفعل والتطبيق في كثير من البلدان وعلى رأسها مفهوم العقد الاجتماعي. كذلك يعتبر هوبز من الفلاسفة الذين وظفوا مفهوم الحق الطبيعي في تفسيرهم لكثير من القضايا المطروحة في عصرهم. كان هوبز مناصراً للملكية المطلقة، ولكنه قام أيضاً بتطوير بعض أساسيات الفكر الليبرالي الأوروبي: حق الفرد، والمساواة الطبيعية بين جميع البشر، والشخصية الاعتبارية للنظام السياسي (التي أدت لاحقاً إلى التمييز بين المجتمع المدني والدولة)؛ وهو أيضاً صاحب رأي أن جميع القوى السياسية الشرعية يجب أن تكون "ممثلة" وقائمة على قبول الشعب؛ والتفسير الحر للقانون الذي يمنح الناس حرية فعل ما لم ينص القانون على تجريمه صراحةً.

<sup>(1)</sup> غوتفريد فيلهيلم لايبنتز (1646 - 1716). فيلسوف وعالم طبيعة وعالم رياضيات ودبلوماسي ومحام ألماني. يشغل لايبنتز موقعاً هاماً في تاريخ الرياضيات وتاريخ الفلسفة. أسس لايبنتز علم التفاضل والتكامل الرياضي بشكل مستقل عن إسحق نيوتن، كما أن رموزه الرياضية ما زالت تُستخدم بشكل شائع منذ أن تم نشرها والتعريف بها. أما ما يخص الفلسفة، فقد عُرف عن لايبنتز "تفاؤله" كاستنتاجه بأن هذا الكون هو أكمل خلق لله بحيث لا يمكن أن يوجد أكمل منه. كما أنه كان، بالإضافة إلى ربنه ديكارت وباروخ سبينوزا، أحد أعمدة الفلسفة العقلانية خلال القرن السابع عشر الميلادي. مهد عمله الفلسفي الطريق للمنطق الحديث والفلسفة التحليلية، ولكنه كان أيضاً متعلقاً بآراء الفلسفة المدرسية من القرون الوسطى، والتي يقوم الاستنتاج - أو الاستنباط - فيها من خلال استعمال العقل والعمل به على المبادئ الأولية والبدهييات وليس على الدليل التجريبي.

<sup>(2)</sup> كرستيان فرايهر فون فولف فيلسوف ألماني نمساوي ولد سنة 1679 في مدينة فروتسواف في هابسبورغ سيليزيا في بولندا حالياً، عمل أستاذاً بجامعة هال، تأثر به إيمانويل كانط واشتهر بفلسفته التنويرية العقلانية، واختص في الرياضيات متأثراً بأستاذه غوتفريد لايبنتز، كما عرف عنه بحثه في مجال اللغة الألمانية، توفي عام 1754 في هاله في بروسيا.

<sup>(3)</sup> ربنه ديكارت (1596 - 1650)، فيلسوف، رياضي، وفيزيائي فرنسي، يلقب "أبو الفلسفة الحديثة"، وكثير من الأطروحات الفلسفية الغربية التي جاءت بعده، هي انعكاسات لأطروحاته والتي ما زالت تدرس حتى اليوم، خصوصاً كتاب (تأملات في الفلسفة الأولى - 1641) الذي ما زال يشكل النص القياسي لمعظم كليات الفلسفة. كما أن لديكارت تأثير واضح في علم الرياضيات، فقد اخترع نظاماً رياضياً سُمي باسمه وهو (نظام الإحداثيات الديكارتية)، الذي شكل النواة

- دي كوندياك<sup>(1)</sup>: علم الحقائق، والأحاسيس والتجريد
- تينيمان<sup>(2)</sup>: تطبيق العقل على أغراضه المشروعة
- كانط<sup>(3)</sup>: علم علاقات كل المعرفة بالغايات الضرورية للعقل البشري
- كروغ<sup>(4)</sup>: علم الشكل الأصلي للأنس أو الذات العقلية
- فخته<sup>(5)</sup>: علم العلوم

---

الأولى للهندسة التحليلية، فكان بذلك من الشخصيات الرئيسية في تاريخ الثورة العلمية. وديكارت هو الشخصية الرئيسية لمذهب العقلانية في القرن السابع عشر وهو صاحب المقولة الشهيرة: "أنا أفكر، إذاً أنا موجود".

(1) إيتن بونوت دي كوندياك (توفي عام 1780) فيلسوف فرنسي مشهور من فلاسفة عصر التنوير.

(2) فيلهم تينيمان: مؤرخ ألماني اختص بتاريخ الفلسفة، توفي عام 1811.

(3) إيمانويل كانط فيلسوف ألماني من القرن الثامن عشر (1724 - 1804). كان آخر الفلاسفة المؤثرين في الثقافة الأوروبية الحديثة. وأحد أهم الفلاسفة الذين كتبوا في نظرية المعرفة الكلاسيكية. كان إيمانويل كانط آخر فلاسفة عصر التنوير الذي بدأ بالمفكرين البريطانيين جون لوك وجورج بيركلي وديفيد هيوم. طرح إيمانويل كانط منظوراً جديداً في الفلسفة أثر ولا زال يؤثر في الفلسفة الأوروبية حتى الآن. نشر أعمالاً هامة وأساسية عن نظرية المعرفة وأعمالاً أخرى متعلقة بالدين وأخرى عن القانون والتاريخ.

(4) فيلهم كروغ: كاتب وفيلسوف ألماني، توفي 1842.

(5) يوهان غوتليب فخته (1762-1814) واحد من أبرز مؤسسي الحركة الفلسفية المعروفة بالمثالية الألمانية، وهي الحركة التي تطورت من الكتابات النظرية والأخلاقية لإيمانويل كانط. كثيراً ما يقدم على أنه الشخص الذي كانت نماذج فلسفته جسراً بين أفكار كانط والمثالي الألماني هيغل. بدأ الفلاسفة والدارسون حديثاً تقديره كفيلسوف هام في حد ذاته لأجل رؤاه المختلفة في طبيعة الوعي الذاتي والإدراك الذاتي. مثل ديكارت وكانط قبله كانت مشكلة الذاتية والوعي دافعاً لتأمله الفلسفي. كتب أيضاً في الفلسفة السياسية وينظر إليه كثر كأب للقومية الألمانية.

• فون شيلنغ<sup>(1)</sup>: علم المطلق، علم اللامبالاة المطلق للتفريق بين المثالي والحقيقي

• هيغل<sup>(2)</sup>: هوية الهوية وعدم الهوية

(انظر المحاضرات حول الميتافيزيقيا والمنطق).

أما العناوين الستة التي تصنف تحتها تخصصات الفلسفة عادة فهي:

1. الميتافيزيقيا: والتي تتعامل مع الموضوعات المجردة مثل علم الكونيات، اللاهوت، ودارسة طبيعة الوجود.

2. المنطق: الذي يتعامل مع القوانين التي تحكم التفكير العقلاني أو، كما يطلق عليه "عقيدة المغالطات".

3. الأخلاق: والتي هي علم المثل والقيم والمسؤولية الفردية والشخصية - المعنية بشكل رئيسي بمحاولة تحديد طبيعة الخير.

4. علم النفس: المكرس للتحقق ولتصنيف تلك الأشكال من الظواهر التي يمكن إرجاعها إلى أصل عقلي.

5. نظرية المعرفة الأبستمولوجيا: وهي العلم المعني في المقام الأول بطبيعة المعرفة نفسها، ومسألة ما إذا كان يمكن أن توجد في شكل مطلق.

(1) ولد فريدريك شيلنغ عام 1775 وتوفي في عام 1854 ويعد أحد الكبار الذين صاغوا النظرة الديالكتيكية لتطوير المجتمع. وفي عام 1798 أصبح استاذاً للفلسفة في جامعة جينا، جعل فلسفة الطبيعة هي أحد اهتماماته لينتقل بعد ذلك لفلسفة الروح.

(2) جورج فيلهلم فريدريك هيغل ( 1770 — 1831 ) يعتبر هيغل أحد أهم الفلاسفة الألمان، حيث يعتبر أهم مؤسسي المثالية الألمانية في الفلسفة في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي. طور المنهج الجدلي الذي أثبت من خلاله أن سير التاريخ والأفكار يتم بوجود الأطروحة ثم نقيضها ثم التوليف بينهما. كان هيغل آخر بناء "المشاريع الفلسفية الكبرى" في العصر الحديث. كان لفلسفته أثر عميق على معظم الفلسفات المعاصرة.

6. علم الجمال: وهو علم طبيعة وردود الفعل التي يوقظها الجميل، المتناغم، الأنيق، والنبيل.

اعتبر أفلاطون أن الفلسفة أعظم خير منحتة الآلهة للرجل. ومع ذلك ففي القرن العشرين، غدت هيكلاً هائلاً ومعقداً للمفاهيم المملة التي لا يمكن التوفيق بينها - ومع ذلك فإن كل منها يدعمه المنطق الذي لا جدال فيه تقريباً. إن النظريات النبيلة للأكاديمية القديمة التي شهها امبليخوس<sup>(1)</sup> برحيق الآلهة قد جرى غشها بالرأي - وهو ما أعلن هيراقليطس<sup>(2)</sup> أنه بمثابة صرغ للعقل، بحيث يستعصي اليوم على هذا الأفلاطوني الجديد العظيم التعرف على تلك الخمرة الإلهية.

---

(1) امبليخوس (245م - 325م) هو فيلسوف عربي من ولاية سوريا الرومانية عاش في الإمبراطورية الرومانية؛ وهو من رواد الأفلاطونية المحدثة، كان فيلسوفاً ورياضياً ومن المؤسسين لمذهب الأفلاطونية المحدثة، كما أنه كاتب ترجمة فيثاغورث.

(2) هيراقليطس فيلسوف يوناني في عصر ما قبل سقراط. كتب بأسلوب غامض، ويغلب طابع الحزن على كتاباته، ولذا عُرف بالفيلسوف الباكي. تأثر بأفكاره كل من سقراط وأفلاطون وأرسطو. قال بأن النار هي الجوهر الأول، ومنها نشأ الكون. وقال أيضاً بالتغير الدائم. يصعب تحديد تاريخ حياته بدقة، وقد وضع كتاباً وحيداً، لم يصلنا منه غير شذرات. ولا يعرف المؤرخون عن حياته إلا القليل. ولا يكاد يُعرف عنه غير أنه كان من الأسرة المالكة في مدينة أفسس بمنطقة آسيا الصغرى. اشتهر هيراقليطس بالغموض، فقليل عنه "الفيلسوف الغامض". وشاع هذا القول في كل العصر اليوناني والروماني، والسبب في ذلك أنه كان يطيب له المفارقات والأقوال الشاذة، وكان يعبر عنها بلغة مجازية رمزية. ومن هنا لقبه تيمون الفليوسي (300 ق. م) بلقب "صاحب الألغاز". ويقول عنه أفلوطين: "كان يتكلم بالتشبهات، ولا يعنى بإيضاح مقصوده".

ولندرك بأن الدليل المقنع على السطحية المتزايدة للفكر العلمي والفلسفي الحديث هو انجرافه المستمر نحو المادية. فعندما سأل نابليون<sup>(1)</sup> عالم الفلك الكبير لابلاس<sup>(2)</sup> لماذا لم يذكر الله في كتابه ميكانيكا الأجرام السماوية؟ أجاب عالم الرياضيات بسذاجة: "سيدي، لم أكن بحاجة إلى هذه الفرضية!"

ويلخص بيكون<sup>(3)</sup> الموقف في رسالته عن الإلحاد على النحو التالي: "قليل من الفلسفة تميل بعقل الرجل إلى الإلحاد؛ لكن الغوص في أعماق الفلسفة يميل بعقول الرجال إلى الدين".

<sup>(1)</sup> نابليون بونابرت ( 1769 – 1821 ) واحد من أكثر الزعماء شهرة وإثارة للجدل في تاريخ البشرية. رجل دولة فرنسي وزعيم عسكري برز خلال الثورة الفرنسية وقاد العديد من الحملات الناجحة خلال الحروب الثورية الفرنسية. كان إمبراطوراً للفرنسيين من 1804 حتى 1814 ومرة أخرى عام 1815 لمائة يوم. سيطر نابليون على الشؤون الأوروبية والعالمية لأكثر من عقد من الزمان بينما كان يقود فرنسا ضد سلسلة من التحالفات في الحروب النابليونية. لقد فاز بمعظم هذه الحروب والغالبية العظمى من معاركه، وبني إمبراطورية كبيرة حكمت القارة الأوروبية قبل انهيارها النهائي في عام 1815. ويعتبر أحد أعظم القادة في التاريخ، ويتم دراسة حروبه وحملاته العسكرية في جميع أنحاء العالم. يعد تراث نابليون السياسي والثقافي غنياً ومتنوعاً.

<sup>(2)</sup> بيير سيمون لابلاس ( 1749 - 1827 ) رياضي وفلكي فرنسي، لأعماله حول تطوّر الرياضيات الفلكيّة فضل يستحقّ الثناء. لخصّ ووسّع أعمال سابقه في هذا المجال في مؤلفه المكوّن من خمسة مجلّدات ( ميكانيكا الأجرام السماوية )، هذا العمل الجوهري حول دراسة الهندسة من الطريقة التقليديّة إلى طريقة تعتمد على التفاضل والتكامل. أنشأ معادلة لابلاس، وابتكر تحويل لابلاس والذي يُستخدم الآن في كثير من مجالات الرياضيات والفيزياء والهندسة. بدأ بتطوير الفرضية السديمية في نشأة النظام الشمسي وكان أحد الأوائل الذي افترض وجود الثقوب السوداء وفكرة الانهيار الجاذبي. يُطلق عليه أحياناً نيوتن فرنسا، وذلك لامتلاكه لحسن رياضي عظيم لم يجاره فيه أحد من معاصريه. حصل على لقب الـ ( كونت ) للإمبراطورية الفرنسية الأولى عام 1806، وتمّ منحه لقب ( مركيز ) عام 1817.

<sup>(3)</sup> فرانسيس بيكون ( 1561 - 1626 ) فيلسوف ورجل دولة وكاتب إنجليزي، معروف بقيادته للثورة العلمية عن طريق فلسفته الجديدة القائمة على " الملاحظة والتجريب ". من الرواد الذين انتبهوا إلى غياب جدوى المنطق الأرسطي الذي يعتمد على القياس.

يبدأ كتاب الميتافيزيقيا<sup>(1)</sup> لأرسطو<sup>(2)</sup> بهذه الكلمات: "جميع الرجال يتوقون إلى المعرفة بالفطرة". ولإرضاء هذه الرغبة المشتركة، استكشف الفكر الإنساني حدود الفضاء الذي يمكن تخيله خارج ذاته وداخل نفسه، ساعياً لتقدير العلاقة بين الواحد والكل؛ التأثير والسبب، الطبيعة وأساس الطبيعة؛ العقل ومصدر العقل؛ الروح وجوهر الروح؛ الوهم والحق.

قال فيلسوف قديم ذات مرة: "من لم يكن لديه معرفة بالأشياء الشائعة فهو حيوان بين الرجال، أما من كانت لديه معرفة دقيقة بمخاوف الرجال فقط، فهو رجل بين حيوانات بهائم، لكن من يعرف كل ما يمكن معرفته عن طريق الطاقة الفكرية، فهو إله بين البشر". إن مكانة الإنسان في العالم الطبيعي تتحدد بالتالي، بجودة تفكيره.

فذاك الذي تستعبد عقله غرائزه الحيوانية، لا يعد فلسفياً أعلى من مرتبة الحيوان، أما من يستخدم عقله للبحث في الشؤون الإنسانية فهو الرجل. أما ذاك الذي يسمو بعقله للنظر في الحقائق الإلهية، فهو بالفعل نصف إله، كونه شارك في النور الذي قاده العقل إليه. في ثناءه على "علم العلوم"، هتف شيشرون: "أيتها الفلسفة، يا دليل الحياة! أيتها الباحثة — عن الفضيلة والطاردة للذائل! كيف كنا سنصبح دونك نحن وكل البشر على مر العصور؟ بفضلك صار لدينا مدن، بفضلك ننعم بمسرات الحياة الاجتماعية".

في هذا العصر، ليس لكلمة الفلسفة معنى يذكر إلا إذا كانت مصحوبة ببعض المصطلحات المؤهلة الأخرى. لقد قُسمت إلى عدد من المذاهب المعادية لبعضها البعض، والتي أصبح هم

---

(1) الميتافيزيقيا: أو ما وراء الطبيعة هو فرع من الفلسفة والذي يدرس جوهر الأشياء. يشمل ذلك أسئلة الوجود والضرورة والكيونة والواقع. تشير كلمة الطبيعة هنا إلى طبيعة الأشياء مثل سببها والغرض منها. بعد ذلك تدرس ما وراء الطبيعة أسئلة عن الأشياء بالإضافة إلى طبيعتها، خاصة جوهر الأشياء وجودة كينونتها. تسعى ما وراء الطبيعة - في صورة مجردة عامة - إلى الإجابة على هذه الأسئلة: ماذا هنالك؟ ما صورته؟ تشمل المواضيع التي تبحث ما وراء الطبيعة فيها كلا من الوجود، والأشياء وخواصها، المكان والزمان، والسبب والنتيجة، والاحتمالية.

(2) أرسطو (384 ق.م - 322 ق.م) أو أرسطوطاليس وهو فيلسوف يوناني، تلميذ أفلاطون ومعلم الإسكندر الأكبر، وواحد من عظماء المفكرين، تغطي كتاباته مجالات عدة، منها الفيزياء والميتافيزيقيا والشعر والمسرح والموسيقى والمنطق والبلاغة واللغويات والسياسة والحكومة والأخلاقيات وعلم الأحياء وعلم الحيوان، وهو واحد من أهم مؤسسي الفلسفة الغربية.

كل منها مغالطة الأخرى، حتى أن القضايا الأسمى للنظام الإلهي والمصير الإنساني عانت من إهمال مؤسف. إن الوظيفة المثالية للفلسفة هي أن تكون بمثابة التأثير الموازن للفكر الإنساني. فبحكم جوهر طبيعتها يجب أن تمنع الإنسان من إنشاء قوانين غير معقولة للحياة. ومع ذلك فقد أحبط الفلاسفة أنفسهم غايات الفلسفة بتجاوزهم الحد في استخدام العقول غير المدربة، التي يفترض أنهم يقودونها في المسار المستقيم والضيق للتفكير العقلاني.

إن إدراج وتصنيف أي من المدارس الفلسفية المعترف بها الآن شيء مهم، لكنه يتخطى الغاية من هذا المؤلف، لكن سنغطي شيئاً من مساحة التفكير الذي تعمل عليه الفلسفة، من خلال دراسة موجزة لعدد قليل من أبرز الأنظمة الفلسفية التي أثرت على عالم الفكر خلال القرون الستة والعشرين الماضية.



نشأت مدرسة الفلسفة اليونانية مع المفكرين السبعة الذين خُلدوا بمنح كلٍ منهم ولأول مرة لقب الحكيم وفقاً لديوجينيس<sup>(1)</sup>، وهؤلاء كانوا تاليس<sup>(2)</sup>، سولون<sup>(3)</sup>، خيلون<sup>(4)</sup>، بيتاكوس<sup>(5)</sup>،

(1) ديوجينيس اللايرتي عاش في النصف الأول من القرن الثالث الميلادي هو كاتب اغريقي، مصنف «سير مشاهير الفلاسفة ومذاهبهم وأقوالهم».

(2) تاليس الملطي ( نحو 624 - نحو 546 ق.م ) رياضي وعالم فلك وفيلسوف يوناني من المدرسة الأيونية، وهو أحد «الحكماء السبعة» عند اليونان. وهو من قال بأن الماء أصل الأشياء كلها، واكتشف عدداً من النظريات الهندسية. رفض الأخذ بالخرافات والأساطير، كما أنه قد حقق الثراء عن طريق توقعه للطقس، ويروى انه قد اشترى كل معاصر الزيتون في منطقته بعد توقع الطقس وحصاد جيد لسنة معينة. وتوضح نسخة أخرى من القصة أن أرسطو شرح أن تاليس قد حجز كل المعاصر مسبقاً بسعر منخفض، وقام بتأجيرها بسعر مرتفع عندما وصل الطلب إلى ذروته، بعد تنبؤه بمحصول جيد بشكل خاص. يشرح أرسطو أن هدف تاليس في القيام بذلك لم يكن لإثراء نفسه بل ليثبت لزملائه أن الفلسفة يمكن أن تكون مفيدة، خلافاً لما كانوا يعتقدون، أو ليوافجه التحدي الذي واجهه من قبل شخص كان قد سأل لماذا، إذا كان تاليس فيلسوفاً ذكياً، فإنه لم يحقق بعد ثروة؟

(3) سولون أو صولون ( 640 - 560 ق.م ) مشرع وشاعر ورجل قانون أثيني، قام بسن مجموعة من القوانين الإصلاحية والتي تعارضت مع نظام الدولة المتبع آنذاك ورغم أن إصلاحاته فشلت فيما بعد إلا أنه يعتبر الممهد لقيام ما سمي لاحقاً بالنظام الأثيني الديمقراطي. عُرف سولون بلقب مؤسس الديمقراطية.

(4) خيلون الإسبرطي هو أحد الفلاسفة الإغريق من القرن السادس قبل الميلاد. يعد من حكماء الإغريق السبعة. انتُخب مراقباً من خمسة مراقبين على ملكي إسبرطة في 556 ق.م. قرض الشعر ووصلت أبياته إلى المئتين. وكان أول من أدخل تقليد مرافقة المراقبين للملوك كمستشارين. ويقال أنه أدخل تعديلات على السياسات الإسبرطية أدت إلى اتحاد البلوبونيز فيما بعد.

(5) بيتاكوس هو سياسي وحكيم إغريقي وهو أحد حكماء الإغريق السبعة. ولد في ميتيليني وعاش بين عامي 650 – 570 قبل الميلاد وتحالف مع إخوة الشاعر ألكايون في الإطاحة بالطاغية ميلانغروس، وأظهر نفسه كقائد حرب ضد أثينا ففي عام 606 ق م حاربوا للسيطرة على سيفيوم على الدردنيل، حيث قتل القائد الأثيني فريون بيد واحدة وانتخب حاكماً من قبل أهل ميتيليني عام 590 ق.م لحمايتهم من النبلاء المنفيين وعلى رأسهم ألكايوس وأخوه أنتيمينيدس، استقال من منصبه بعد عشر سنوات ومات بعدها بعشر سنوات أخرى، ونسب ديوجينيس اللايرتي إليه مجموعة أقوال أغلبها سياسية أو أخلاقية وأبيات ورسالة مزورة إلى كرويسوس، من هذه الأقوال التي أخذت عنه ( من الصعب أن تكون صالحاً )، ( اعلم متى تتصرف )،

بياس<sup>(1)</sup>، كليوبولوس<sup>(2)</sup>، وبيراندر<sup>(3)</sup>.

جعل تاليس المياه المبدأ أو العنصر البدئي، الذي طفت عليه الأرض مثل السفينة، وكانت الزلازل نتيجة لاضطرابات في هذا البحر العالمي. وبما أن تاليس كان أيونياً، أصبحت المدرسة التي تحيي مبادئه معروفة باسم الأيونية. بعد وفاته خلفه أناكسيمندر<sup>(4)</sup>، والذي تبعه

(1) بياس من برييني فيلسوف إغريقي وأحد حكماء الإغريق السبعة، يعود لهم الفضل في سن قوانين اجتماعية متقدمة وذلك بعد حرب أهلية خاضها الفقراء ضد طبقة الملاك، وسمي قانونهم قانون أتيكا. ويتضمن حق الملكية الفردية المحدودة، وحق الشعب في الإشراف على مؤسسات الدولة، وحق الجماعة في تشكيل وحدة لها قوانينها الخاصة التي تحكمها وتخضع لقانون الدولة العام.

(2) كليوبولوس هو أحد الفلاسفة الإغريق من القرن السادس قبل الميلاد يعد من حكماء الإغريق السبعة. حكم إسبرطة في اليونان القديم.

(3) بيراندر هو ثاني ملوك كورينث (627 ق م - 586 ق م) وأبوه هو كيبسيلوس، وقد طوّر مدينته تجارياً واجتماعياً وهو أحد حكماء الإغريق السبعة وتنسب إليه حكم وأقوال قد تصل إلى الألفين، أما الرسائل التي نسبها إليه ديوجينيس اللايرتي فهي زائفة دون أي شك، وهو يوصف كطاغية قاس، على عكس أبيه مؤسس السلالة كما أنه استخدم كل الوسائل لإبقاء مدينته تحت سيطرته الكاملة، وقد أتت هذه الأوصاف على الأغلب من النبلاء الكورنثيين الذين تعامل معهم بقسوة. وتظهر الحكايات العديدة والمتضاربة عنه أنها لا تحمل تلك القيمة التاريخية. والتمحيص الدقيق للدلائل المتوفرة قد يظهر بيراندر بأنه كان حاكماً ذا استقامة وبصيرة استثنائيتين، ورسوخ وفعالية حكومته تتجاوز الشك. من الحكايات المروية أن ثراسيبولوس حاكم ميليتوس سألته عن أفضل نصيحة لكي يحافظ على سلطته، فأجاب بإرسال رسوله عبر حقل قمح وقطع هناك أطول سبلة وأفضلها نمواً (وتكلم عنها ليفي بتفاصيل رومانية).

(4) أناكسيمندر (610 ق.م - 546 ق.م). كان من فلاسفة ما قبل سقراط وعاش في ميليتوس. انتهى إلى المدرسة الميليئية وتلقى تعاليم أستاذه تاليس. وخلفه فأصبح الأستاذ الثاني لهذه المدرسة، حيث جعل أناكسيمنس وفيثاغورث من تلامذته. القليل من كتاباته وحياته معروف اليوم. ووفقاً للوثائق التاريخية المتاحة، فإنه أول فيلسوف يدون فلسفته، بالرغم من أن مسودة واحدة فقط من أعماله هي التي نجت. أناكسيمندر كان من أوائل الفلاسفة الإغريق الذين ظهروا في بداية العصر المحوري، الفترة من 700 ق.م إلى 200 ق.م. حين ظهر كذلك مفكرون ثوريون في الصين، الهند، إيران، الشرق الأدنى واليونان القديمة. كان نصيراً مبكراً للعلم وحاول ملاحظة وشرح جوانب الكون المختلفة، مع اهتمام خاص بأصولها، حيث قال أن الطبيعة تحكمها القوانين، تماماً مثل المجتمعات البشرية. وأن أي شيء يهدد توازنها لا يدوم طويلاً. في مجال الفلك، حاول وصف علاقات الأجرام السماوية بالأرض. في الفيزياء، أقر بأن اللاهائي هو أصل كل الأشياء؛ ومعرفته بالهندسة أتاحت له أن يقدم المزولة لأول مرة إلى العالم الإغريقي. وصنع خريطة للعالم تتفق إلى حد كبير مع

أناكسيمنس<sup>(1)</sup> ثم أناكسوغوراس<sup>(2)</sup> والذي بموته أفلت شمس المدرسة الأيونية. أعلن أناكسيمندر مخالفاً معلمه تاليس، أن اللانهاية التي لا يمكن قياسها والتي لا يمكن تحديدها هي المبدأ الذي تم إنشاء كل الأشياء منه. أكد أناكسيمنس أن الهواء هو العنصر الأول في الكون، وأن كل النفوس وحتى الإله نفسه يتألف منها. جعل أناكسوغوراس (الذي تذوق مذاهبه من الذرية) الإله ليكون العقل الذي لا حد له والذي يعمل ذاتياً، وأن هذا العقل الإلهي لانهائي، الذي لا يحويه جسد، هو العلة الفعالة لجميع الأشياء؛ من المادة اللانهائية التي تتألف من أجزاء متشابهة، والذي يصنعها وفقاً لرغباته الإلهية، وأن هذا العقل الإلهي، والذي عندما اختلط كل شيء في البداية معاً، قام بتنظيم جميع الأشياء.

---

المقاييس الجغرافية المتقدمة. كما كان منخرطاً في الميدان السياسي لمدينة ميليتوس وأرسل كحاكم إلى أحد مستعمراتها، وبإعلانه أن القوى الفيزيائية وليست القوى الخارقة هي التي تصنع النظام في الطبيعة. يعتبر أناكسيمندر من ضمن أوائل العلماء. كما يعتبر ضمن أول من استخدم التجريب العلمي.

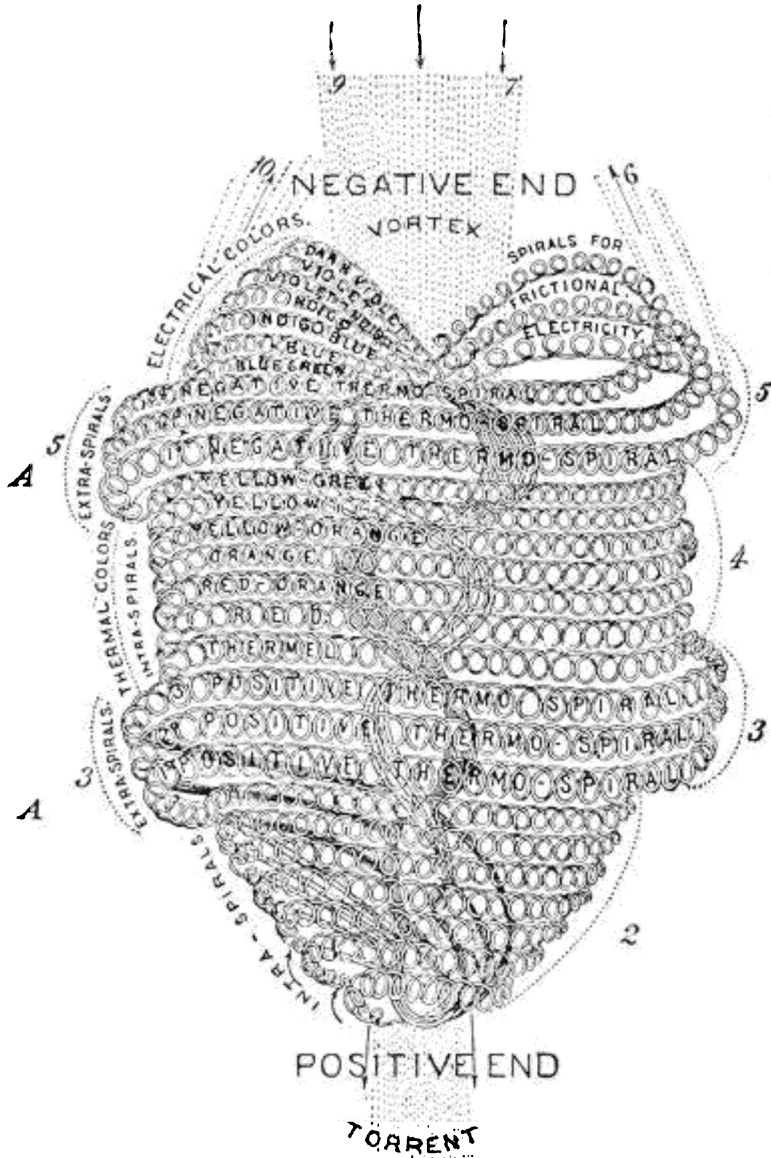
(1) أناكسيمنس الملطي ( نحو 588 - 525 ق.م ) هو فيلسوف يوناني، ويعتبر من أواخر من يمثل المدرسة الملطية أو الإيونية. قيل بأنه تلميذ أناكسيمندر. عاد إلى فكرة طاليس التي ترجع الكون إلى مادة أصلية ولكنه قال ان هذه المادة الأولية ليست هي الماء (كما قال طاليس) بل الهواء.

(2) أناكسوغوراس فيلسوف يوناني ( 500 - 428 ق.م ) قام بعرض فكرة نيوس باليونانية، " العقل " على أنها فلسفة الأصل؛ الفلاسفة السابقين درسوا العناصر ( التراب والهواء والنار والماء ) بأنها الحقيقة النهائية. من تلاميذه بريكليرس ويوربيديس، وربما سقراط. كان قد رأى أن كل المواد كانت موجودة أصلاً كذرات أو جزيئات؛ وأن هذه الذرات، لا نهائية العدد، لامتناهية في الصغر، كانت موجودة منذ الأزل، وهذا النظام كان أول خروج له من هذه الفوضى من خلال تأثير العقل الأبدي ( نيوس ). وهو يعتقد أيضاً أن جميع الأجسام هي مجرد تجمعات من ذرات، على سبيل المثال، أن شريطاً من الذهب أو الحديد أو النحاس يتكون من جسيمات دقيقة من نفس المادة. يمثل أناكسوغوراس نقطة تحول كبيرة في تاريخ الفلسفة اليونانية، مذهبه حول العقل ( نيوس ) اعتمد من قبل أرسطو، ومذهبه حول الذرات مهدت الطريق للنظرية الذرية عند ديموقريطس.

أعلن أرخيلوس<sup>(1)</sup> مبدأ كل الأشياء ليكون ذا شقين: العقل (الذي كان غير متجسد) والهواء (الذي كان جسدياً) وإن تنافر وتكاثف الأخير أدى إلى نشوب حريق وماء على التوالي، وكانت النجوم له أماكن تحترق بالحديد. أكد هيراقليطس (الذي عاش 536 - 470 قبل الميلاد، والذي يدرج في بعض الأحيان كفرّد من المدرسة الأيونية) عقيدة التغيير والتدفق الأبدي وأن النار هي العنصر الأول وأنها أيضاً الحالة التي سيتم فيها استيعاب العالم في النهاية؛ كما اعتبر أن روح العالم ليست سوى زفير من أجزائها الرطبة، وأعلن أن المد والجزر يحصلان بسبب الشمس.

---

(1) أرخيلوس الأثيني ( القرن الخامس ق. م. ) فيلسوف يوناني من المدرسة الأيونية. تتلمذ على أناكسوغوراس، ومعلم سقراط.



1 ذرة بابيت

من كتاب  
بابيت<sup>(1)</sup> مبادئ  
الضوء واللون؛  
منذ أن ظهرت  
النظرية الذرية  
على يد  
ديموقريطس،  
بذلت جهود  
جمة لتحديد  
بنية الذرات  
والطريقة التي  
تتوحد بها  
لتشكل  
عناصر

مختلفة، حتى أن العلم لم يمتنع عن دخول مجال الخلاف هذا، ووضع تفاصيل هذه الهياكل الدقيقة. إن المفهوم الأكثر بروزاً للذرة التي تطورت خلال القرن الماضي هو تلك التي أنتجتها عبقرية الدكتور إدوين بابيت والتي نراها هنا. فالرسم التخطيطي واضح؛ ويجب أن يؤخذ في الاعتبار أن هذا الهيكل الضخم على ما يبدو هو في الواقع محاولة لتحدي التحليل. لم يقتصر الأمر

(1) كان إدوين دوايت بابيت (1828 - 1905) طبيباً أمريكياً وروحياً ومروجاً مبكراً للعلاج باللون.

على قيام الدكتور بابيت بإنشاء هذا الشكل للنزرة، بل إنه قام أيضاً بطرح طريقة يمكن من خلالها تجميع هذه الجسيمات معاً بطريقة منظمة وبالتالي ينتج عنها تكوين جزيئات مادية.

بعد فيثاغورث<sup>(1)</sup> من ساموا، مؤسس المدرسة الفيثاغورية، توسعت هذه الحركة لتضم عدداً من الفلاسفة البارزين أمثال أمبادوقليس<sup>(2)</sup>، إبيكارموس<sup>(3)</sup>، أرخيتاس<sup>(4)</sup>، ألكمايون<sup>(5)</sup>، هيبياس<sup>(1)</sup>، فيلولوس<sup>(2)</sup>، إيودوكسوس<sup>(3)</sup>.

(1) فيثاغورث (570 - 495 ق.م) هو فيلسوف وعالم رياضيات يوناني، مؤسس الحركة الفيثاغورية كما يُعرف بمعادلته الشهيرة (نظرية فيثاغورث). أتتنا معلومات حوله من كتب كتبت قرون بعد وفاته، لذلك لا يوجد معلومات موثقة حول أفكاره وأعماله. ولد في جزيرة ساموس وسافر إلى بلاد عديدة منها اليونان ومصر وربما الهند. أقام في مستعمرة كرتون اليونانية في إيطاليا حوالي سنة 530 ق.م. حيث أنشأ مدرسة لمناقشة موضوعات فلسفية مختلفة من مثل ماذا يحدث للروح عندما يموت الجسد. واهتم فيثاغورث كثيراً بعدد من المواضيع العلمية والرياضية والموسيقية مثلاً، قد يَبين العلاقة بين شد ورخاوة السلك والنغمة الموسيقية التي يبعثها عندما يُنقر عليه في فترات منتظمة، وتكون النتيجة سلباً موسيقياً متجانساً.

(2) أمبادوقليس (من 490 ق.م إلى 430 ق.م) كان فيلسوفاً يونانياً في فترة ما قبل سقراط، مواطن بمدينة أغريغنتوم، وهي مدينة يونانية بصقلية، وفلسفة أمبادوقليس كانت المنشأ لنظرية العناصر الأربعة، كما اقترح وجود قوى أطلق عليها الحب والبغض كسبب لتمازج العناصر أو انفصالها عن بعضها، ونتيجة لتأثره بالفلسفة الفيثاغورية، آمن أمبادوقليس بتناسخ الأرواح، ويُعتبر آخر فيلسوف أغريقي يدون أفكاره وفلسفته كأبيات شعرية، وحادثه موته، حيث ألقى بنفسه في فوهة بركان، كانت مادة ثرية للأساطير والكثير من المعالجات الأدبية.

(3) إبيكارموس يعتقد بأنه عاش في فترة المائة عام بين 540 - 450 ق.م تقريباً. كان كاتباً مسرحياً وفيلسوفاً يونانياً. يعود له الفضل في كثير من الأحيان باعتباره الكاتب الهزلي الأول، بعد أن أنشأ الكوميديا الدورية أو الصقلية.

(4) أرخيتاس (428 - 347 ق.م) كان فيلسوفاً إغريقياً قديماً، رياضياً وفلكياً ورجل دولة واستراتيجي. وعالمًا انتهى إلى المدرسة الفيثاغورية واشتهر بأنه مؤسس الميكانيكا الرياضية، كما كان صديقاً لأفلاطون.

(5) ألكمايون من كروتوني وهو أحد أهم فلاسفة الطبيعة البارزين والمنظرين الطبيين في العصور القديمة. قال البعض أنه كان تلميذاً لفيثاغورث، ويعتقد بأنه ولد عام 510 قبل الميلاد. على الرغم من أنه كتب مواضيع طبية في المقام الأول، ثمة آراء تقول بأنه كان فيلسوف علم، وليس طبيباً. كما أنه مارس علم التنجيم وعلم الأرصاد الجوية. ولا يعرف عن حياته أي شيء آخر.

فيثاغورث (580 - 500 ق.م) تصور أن الرياضيات هي الأكثر قداسة ودقة من بين جميع العلوم، وطلب من جميع الذين جاءوا إليه للدراسة أن يكونوا ذوي ألفة مع الحساب، والموسيقى، وعلم الفلك، والهندسة. لقد ركز بشكل خاص على الحياة الفلسفية كشرط أساسي للحكمة. كان فيثاغورث واحداً من أوائل المعلمين الذين أسسوا مجتمعاً حيث كان جميع الأعضاء يتعاونون مع بعضهم البعض في التحصيل المشترك للعلوم العليا؛ كما قدم فكرة التذكر للأحداث الخالية باعتباره ضرورة لتطوير العقل الروحي. يمكن تلخيص الفيثاغورثية كنظام للتأملات الميتافيزيقية فيما يتعلق بالعلاقات بين الأعداد والعلل السببية للوجود. كما أوضحت هذه المدرسة أولاً نظرية التناغم السماوي أو "موسيقى الأجرام". قال جون روشلين<sup>(4)</sup> عن فيثاغورث إنه لم يعلم تلاميذه شيئاً قبل انضباط الصمت، حيث كان الصمت أول مبدأ للتأمل.

في كتابه السفسطائي: ينسب أرسطو إلى أمبادوقليس اكتشاف البلاغة؛ وقد قبل كلاهما نظرية التناسخ حيث قال الأخير: "صبي كنت، ثم أصبحت خادمة؛ نبات، طير، سمكة سبحت

(1) هيبياس الأثيني حكيم وفيلسوف في الرياضيات ولد في إليس وكان شاعراً معروفاً وكان له تأثير من بعده على الشعراء الآخرين. اهتم باللغة والتاريخ والسياسة والاقتصاد والفلك وتتضمن أعماله الأدبية مرثي شعري وتراجيديا وقام بعمل كبير حول هوميروس وجمع الشعر اليوناني ولم يبق من كتبه إلا شذرات في كتب لكتّاب آخرين.

(2) فيلولاوس فيلسوف يوناني، قبل سقراط من أتباع مدرسة فيثاغورث في القرن الخامس قبل الميلاد. فيلولاوس كان أول من طرح فكرة حركة الأرض، فقال بأنها تتبع مساراً دائرياً كل يوم وتبقى دوماً الوجه نفسه نحو المركز، ولم يضع الأرض في مركز الكون! ولا حتى الشمس! بل وضع ناراً مركزية تدور حولها الأرض والشمس والقمر والكواكب الخمسة وقبة النجوم، وبما أن الفيثاغوريين كانوا يبجلون الرقم 10 فقد أضاف فيلولاوس جسماً متحركاً عاشراً كان هذا الجسم هو الأرض المواجهة والتي تتحرك دوماً لتبقى بين النار المركزية وأرضنا الدوارة فتحملها من التعرض المباشر للنار.

(3) إبودوكسوس من كنيديوس (408 - 355 ق.م) هو فلكي ورياضياتي وطبيب يوناني، كما أنه تلميذ لأفلاطون، أكثر ما عُرف عنه هو أنه من أوائل من حاولوا وضع نظرية حول حركة الكواكب. لم يبق الكثير من كتاباته، أما المعلومات المتوفرة عنه حالياً فقد تم استقائها من مصادر ثانوية

(4) جون روشلين: فيلسوف ألماني توفي عام 1492. اهتم بالإنسانيات والتاريخ اليوناني والعبري.



في البحر الشاسع." يُنسب إلى أرخيتاس اختراع البرغي والرافعة. كما أنه أعلن أن السعادة من الآفات لأنها كانت تعارض هدوء العقل؛ وظن أن وجود رجلٍ لا يخادع نادراً مثل سمكة بلا عظام.

تأسست الطائفة الأيلية على يد كزينوفانيس<sup>(1)</sup> (570 - 480 قبل الميلاد) والذي كان يلفت الانتباه لهجماته على الأساطير الكونية لهومر وهيسود. أعلن أن الإله كان " واحداً غير متجسد، لا في الشكل ولا في الجوهر، ولا يشبه بأي حال من الأحوال الرجل، انه كلي البصر وكلي السمع ولا يتنفس. إنه جميع الأشياء، العقل والحكمة، لا يولد بل أبدي، لا يمكن أذيته، ثابت غير قابل للتغيير، وعقلاني ". كما اعتقد أن كل الأشياء الموجودة كانت أبدية، وأن العالم كان بلا بداية أو نهاية، وأن كل شيء جرى توليده كان عرضة للفساد. عاش عمراً طويلاً وقيل إنه قد دفن أبناءه بأيديه.

درس بارمنيدس<sup>(2)</sup> على كزينوفانيس لكنه لم يشترك أبداً في مذهبه. أعلن بارمنيدس بأن الحواس غير مؤكدة وأن العقل هو المعيار الوحيد للحقيقة. وقد أكد أولاً على أن الأرض مستديرة وقسم سطحها أيضاً إلى مناطق حارة وباردة.

<sup>(1)</sup> كزينوفانيس ( 570 - 480 ق.م ) فيلسوف يوناني، شاعر، وناقد اجتماعي وديني. رفض تعدد الآلهة وتجسيمها وتأنيسها، وانتقد اشعار هوميروس وكتابات هيسود التي ساهمت بشدة في ترسيخ تلك المعتقدات، ورفض ما كان ينسب للآلهة من صفات وأفعال مثل الغيرة والتصارع مع بعضهم ومع البشر والكره والشهوة والتحايل والتآمر والتزاوج والتناسل ورأى ان هذا يتنافى مع الكمال الإلهي وما هو إلا نتاج الخيال البشري، وأن الإله الحقيقي هو إله واحد غير متعدد ولا يجوز تطبيق صفات المخلوقات عليه وأضاف جانب تنزيه الكمال في الفكر والسمع والبصر.

<sup>(2)</sup> بارمنيدس ( ( 540 ق.م - 480 ق.م ) فيلسوف يوناني كان يرى أن كل ما هو موجود قد وجد منذ الأبد. فلا يولد شيء من لا شيء، وما ليس موجوداً لا يمكن أن يُصبح شيئاً. وزُعم أن حواسه تلحظ تحول الأشياء إلا أن عقله لا يُصدقها. وتركز عمله كفيلسوف في تأكيد خيانة الحواس، بكل أشكالها. وقد كان يؤمن بالعقلانية وهو الإيمان الوطيد بعقل الإنسان، ويؤمن بأن العقل هو مصدر كل معرفة بالعالم.

كان ميليسوس<sup>(1)</sup>، المدرج في المدرسة الأيلية، يحمل العديد من الآراء المشتركة مع بارمنيدس. فأعلن أن الكون لا يمكن تحريكه لأنه، يحتل كل المساحة، ولم يكن هناك مكان يمكن نقله إليه؛ ورفض كذلك نظرية الفراغ في الفضاء. زينون<sup>(2)</sup> الإيلي أكد أيضاً أنه لا يمكن وجود فراغ. رفضاً لنظرية الحركة، وأكد أنه لا يوجد إلا إله واحد، والذي كان كائناً أبدياً خالداً. ومثل كزينوفانيس تصور الإله كروي الشكل. وقد ظن ليوكيبوس<sup>(3)</sup> بأن الكون يتألف من جزأين: واحد ممتلئ والآخر فارغ. وأنه من اللاهية انحدرت مجموعة من الأجسام الدقيقة إلى الفراغ حيث ومن خلال الإثارة المستمرة، قامت بتنظيم نفسها في مجالات مادية.

<sup>(1)</sup> ميليسوس من ساموس (القرن الخامس ق.م) كان ثالث وآخر عضو في المدرسة الأيلية الفلسفية القديمة، لا نعرف الكثير عن حياته، سوى أنه قاد أسطول مدينة ساموس قبل حرب البلوونيز بقليل، وكانت مساهمته الفلسفية عبارة عن محاورات تدعم فكر المدرسة الأيلية، وبالرغم من أنه اتبع بارمنيدس في آرائه، إلا أن ميليسوس كانت له إضافات أصيلة في الفلسفة، وقد زعم أن الحقيقة هي شيء أصيل، غير قابل للتدمير، أو التجزئة، لا يتغير ولا يتحرك. وقد أراد أن يثبت أن الحقيقة غير محدودة، وأنها تتمدد في كل الاتجاهات على الدوام، وبما أن الوجود ليس له حدود، إذن لابد وأن يكون واحداً.

<sup>(2)</sup> زينون من إيليا (زينون الإيلي) عاش في القرن الخامس قبل الميلاد، أحد فلاسفة ما قبل سقراط، من إيليا وهي مدينة يونانية على الساحل الجنوبي لإيطاليا. وهو من أنصار بارمنيدس في أن عالم الحس وهم باطل. طرح زينو الفكرة بشكل منطقي قائم على نفي الكثرة التي ترى الكون كله شيء واحد لا يقبل التجزئة، وله نظريات عديدة منها نفيه للحركة. يمكن اعتبار زينون كمخترع للجدل الفلسفي الذي برع فيه أفلاطون، وكانط، وهيغل. فزينون وجد في بداية عصر السفسطائيين، وكانت للفلسفة في زمانه منزلة عظيمة، فقد كان حكام أثينا وأصحاب الرأي فيها يستقدمون الفلاسفة ويستضيفونهم في بيوتهم ويغدقون عليهم الأموال ويستمعون إليهم ويتعلمون على أيديهم، وقد قال أرسطو عن زينون أنه مؤسس علم الجدل، من حيث أنه كان يسلم بإحدى قضايا خصومه ويستنتج منها نتيجتين متناقضتين ويثبت بذلك بطلانها.

<sup>(3)</sup> ليوكيبوس فيلسوف يوناني، ولد في ميليتوس، وهو مؤسس النظرية الذرية، وكان معاصراً لزينون وإيمبادوقليس وأناكسوغوراس. وغطت شهرة تلميذه ديموقريطس على شهرته، الذي طور النظرية بعد ذلك إلى نظام، حتى أن أبيقور أنكر وجوده، لكن أبيقور ميّز ليوكيبوس عن ديموقريطس بأن نسب له اختراع المذهب الذري. لذا فلا يظهر أن هناك سبب للشك بوجوده، رغم أنه لا يوجد شيء معروف عن حياته. وقد افترض التعدد (الذرات) والحركة، وحقيقة عدم الوجود (الفراغ) والتي تتحرك فيها الذرات.

اتكأ ديموقريطس العظيم إلى حد ما على النظرية الذرية ليوكيبوس، كما جهر بأن مبدئ كل الأشياء شقين: الذرات والفراغ. وأكد أن كلاهما لا حصر له - الذرات في العدد، والفراغ في الحجم. وبالتالي يجب أن تتألف جميع المواد من ذرات أو فراغ. تمتلك الذرات خاصيتان، الشكل والحجم، كلاهما يتميز بالتنوع اللانهائي. وتصور الروح أيضاً أن تكون ذرية في الشكل وبأنها ستخضع للانحلال مع الجسد؛ على حين اعتقد أن العقل يتكون من ذرات روحية.

يلمح أرسطو إلى أن ديموقريطس خلص إلى نظريته الذرية انطلاقاً من مذهب فيثاغورث للموناد<sup>(1)</sup>. وبين رواد المدرسة الأيلية يوجد أيضاً بروتاغوراس<sup>(2)</sup> واناكسوغوراس.

لم يفرض سقراط<sup>(3)</sup>، مؤسس المذهب السقراطي، كونه متشككاً في الأساس، آرائه على الآخرين، ولكن من خلال التساؤل والاستجواب جعل كل رجل يعبر عن فلسفته. وفقاً

(1) الموناد من اليونانية ويشير إلى "التفرد" و "وحده" في نشأة الكون وإلى الكائن الأسى، والألوهية أو مجمل الأشياء. حسب ما ورد عن تصوّر الفيثاغوريين عن هذا المفهوم وقد يشيرون بشكل مختلف إلى مصدر واحد يتصرف بمفرده أو إلى أصل غير قابل للتجزئة أو كليهما. تم تبني هذا المفهوم في وقت لاحق من قبل فلاسفة آخرين مثل لايبنتز، الذي أشار إلى الموناد كجسيم أولي. أما عند المسلمين فالجوهر الفرد عبارة عن جوهر لا يقبل التجزئة لا بالفعل ولا بالقوة.

(2) بروتاغوراس ( 487 ق.م - 420 ق.م ) هو زعيم الفكر السفسطائي في القرن الخامس قبل الميلاد. وتُعتبر أفكار بروتاغوراس أساس أفكار السفسطائيين. كان يعتقد أن الإنسان هو مقياس كل شيء، أي أن الخير والشر الصح والخطأ، كلها يجب أن تُحدد بحسب حاجات الكائن البشري.

(3) سقراط فيلسوف وحكيم يوناني ( 469 ق.م - 399 ق.م ) يعتبر أحد مؤسسي الفلسفة الغربية، لم يترك سقراط كتابات، وجل ما نعرفه عنه مستقى من خلال روايات تلامذته عنه. ومن بين ما تبقى لنا من العصور القديمة، تعتبر حوارات " أفلاطون " من أكثر الروايات شموليةً وإماماً بشخصية " سقراط "، كما أنه أصبح مشهوراً بإسهاماته في مجال علم الأخلاق. وإليه تنسب مفاهيم السخرية السقراطية والمنهج السقراطي ( أو المعروف باسم Elenchus ). إن " سقراط " الذي وصفه أفلاطون هو من قام بإسهامات مهمة وخالدة لمجالات المعرفة والمنطق وقد ظل تأثير أفكاره وأسلوبه قوياً حيث صارت أساساً للكثير من أعمال الفلسفة الغربية التي جاءت بعد ذلك.

لبلوتارخ<sup>(1)</sup>، تصور سقراط أن كل مكان كان مناسباً للوصول إلى الحق، أي أن العالم كله كان مدرسة للفضيلة. لقد ظن بأن الروح كانت موجودة قبل الجسد، وأنها تغمر الجسد، كما كانت تتمتع بكل المعرفة؛ وأنه عندما دخلت الروح الشكل المادي، أصبحت مخدرة بالغباء، لكن الأسئلة عن أشياء حساسة ومبدئية، كان السبب في إيقاظها واستعادة معرفتها الأصلية. واستند إلى هذا الافتراض في محاولته لتحفيز قوة الروح من خلال التفكير التهكمي والاستقرائي. لقد قيل عن سقراط أن الموضوع الوحيد لفلسفته هو الإنسان. وهو نفسه أعلن أن الفلسفة هي طريق السعادة الحقيقية وغرضها مؤلف من شقين:

(1) للتأمل في الله، و

(2) لاستخلاص الروح من المعنى الجسدي.

مبادئ كل الأشياء التي تصورها هي ثلاثة عدداً: الإله، المادة، والأفكار. قال عن الإله: "لا أعلم ما يكون، وأعلم ما لا يكون." عرّف المادة بأنها موضوع التوالد والفساد. أما الفكرة، فجوهر غير قابل للفساد - عقل الإله. أما الحكمة فكان يعتبرها جِماع الفضائل. كان من بين الأعضاء

---

(1) فلوطرخس كما يُعرف باسم بلوتارخُس أو بلوتارخ (نحو 45 - نحو 125 م) هو فيلسوف ومؤرخ يوناني. ولد في مدينة خيرونيا وتلقى تعليمه في أثينا حيث أخذ عن الفيلسوف الأفلاطوني أمونيوس. مؤلفاته في التاريخ وفيرة ومشهورة، لعل أهمها كتاب «السير المقارنة لعظماء اليونان والرومان»، وكتاب «الأخلاق» أو «موراليا».

البارزين في المذهب السقراطي زينوفون<sup>(1)</sup>، إيسخينيس<sup>(2)</sup>، كريتو<sup>(3)</sup>، سيمون<sup>(4)</sup>، غلوكو<sup>(5)</sup>، سيمياس<sup>(6)</sup>، وسيباس<sup>(7)</sup>.

<sup>(1)</sup> زينوفون (430 – 354 ق.م) هو فيلسوف يوناني قديم ومؤرخ وجندي ومرترق وكان أحد طلاب سقراط. عرف بتاريخه لزمانه المعاصر، حيث يروي عمله " هيلينكا " السنوات السبع الأخيرة للحرب البيلوبونيسية وآثارها. وكان أحد المرتزقة اليونانيين " العشرة آلاف " الذين شاركوا أيضاً في حملة قورش الأصغر الفاشلة للمطالبة بعرش الدولة الأخمينية من أخيه أردشير الثاني، وسرد هذه الأحداث في كتاب. وهو مصدر مهم عن سقراط مثل زميله أفلاطون، وكتب عنه العديد من كتب الحوارات ودفاع سقراط أمام هيئة المحلفين، الذي يروي محاكمته.

<sup>(2)</sup> إيسخينيس (نحو 389 - 314 ق.م) خطيب أثيني. عُرف بدعوته إلى مهادنة الملك فيليب الثاني المقدوني في حين دعا عدوه ديموستين إلى مناصبته العداء.

<sup>(3)</sup> كريتو هو حوار للفيلسوف الإغريقي أفلاطون. وهو محادثة بين سقراط وصديقه الثري كريتو بشأن العدالة والظلم والرد المناسب على الظلم. يعتقد سقراط أن الظلم لا ينبغي أن يجابه بالظلم، ويرفض عرض كريتو لتمويل هروبه من السجن. يحتوي هذا الحوار على بيان قديم لنظرية العقد الاجتماعي للحكومة.

<sup>(4)</sup> سيمون صانع الأذن: عاش في أواخر القرن الخامس قبل الميلاد، وكان زميلاً لسقراط، و " فيلسوفاً عاملاً ". عرف في الغالب من كتابات ديوجينيس وبلوتارخ؛ تلميذ سقراط فايدو كتب حواراً يدعى سيمون.

<sup>(5)</sup> غلوكو: ابن أريستون، شقيق الفيلسوف أفلاطون الأكبر. يُعرف في المقام الأول بأنه أحد كبار المتحدثين مع سقراط في الجمهورية، والمحاور في كهف أفلاطون.

<sup>(6)</sup> سيمياس الأثيني: فيلسوف يوناني قديم، تلميذ سقراط، وصديق سيبس. قام زينوفون بإدخاله في الدائرة الداخلية لاتباع سقراط. ظهر كشريك رئيسي في النقاش مع سقراط.

<sup>(7)</sup> سيباس فيلسوف يوناني ولد في طيبة اليونانية في نهاية القرن الخامس قبل الميلاد، كان من رواد مدرسة فيلولاوس الفيثاغورية التي كانت آنذاك قائمة في طيبة، أصبح تلميذاً وصديقاً لسقراط وأحد الذين كانوا شهوداً للحظاته الأخيرة وأحاديث وداعه، أدخله أفلاطون في عداد المتكلمين في محاورة فيدون.

وقد أعلن مؤخراً البروفيسور زيلر<sup>(1)</sup>، المتبحر في الفلسفات القديمة، أن كتابات زينوفون المتعلقة بسقراط منسوبة زوراً إليه. عندما عُرضت لأول مرة مسرحية (السحب) للكاتب الإغريقي أريستوفان<sup>(2)</sup>، وهي مسرحية كوميدية كتبت للسخرية من نظريات سقراط، شاهد المتشكك العظيم المسرحية بنفسه؛ وأثناء العرض، الذي كان يصوره بطريقة ساخرة وهو يجلس في سلة مرتفعة في الهواء يدرس الشمس، نهض سقراط يهدوء فوق مقعده، فقد كان ذلك أفضل لتمكين المتفرجين الأثينيين من مقارنة ملامحه العادية غير الجذابة مع القناع البشع الذي يرتديه الممثل المنتحل شخصيته.

تأسست الطائفة الإليانية على يد فايدو<sup>(3)</sup> الإيلي وهو شاب من عائلة نبيلة، أعتق من العبودية بتحرير من سقراط وأصبح فيما بعد تلميذه المخلص. كان أفلاطون معجباً للغاية بعقلية فايدو حتى أنه أطلق على واحدة من أشهر حواراته فايدو والتي (كانت تصوّر موت سقراط). لقد تبع فايدو في مدرسته البلايستينيين<sup>(4)</sup>، ثم تبعهم الفيلسوف اليوناني

---

(1) إدوارد زيلر ( 1814 – 1908 ) كاتب، وفيلسوف، وثنولوجي، وأستاذ جامعي ألماني، كان عضواً في الأكاديمية الملكية السويدية للعلوم، والأكاديمية البروسية للعلوم، والأكاديمية الهنغارية للعلوم، توفي في شتوتغارت، عن عمر يناهز 94 عاماً.

(2) أريستوفان: مؤلف مسرحي كوميدي يعتبر من رواد المسرح الساخر في اليونان القديمة. لم يبق من أعماله سوى إحدى عشرة مسرحية، وفيها يسخر من كل أنواع البشر بما فيهم الشخصيات المعروفة أمثال سقراط الذي كان يعدّه صديقاً، كانت مسرحياته تغص بالنكات والمبالغات والنقد السياسي اللاذع على الرغم من إلباسها بمهارة فائقة ثوب العبارات الهزلية.

(3) كان فايدو فيلسوفاً يونانياً. من مواطني إيلي، تم القبض عليه في الحرب عندما كان صبياً وبيع عبداً. وبعد ذلك اتصل بسقراط في أثينا الذي استقبله بحرارة وأطلق سراحه. حضر وفاة سقراط، وأطلق أفلاطون على واحدة من حواراته اسم فايدو. عاد إلى إيلي، وأسس المدرسة الأيلية للفلسفة. لا يُعرف أي شيء تقريباً عن مذهبه، لكن مدرسته نجت ونُقلت بعد ذلك إلى إريتريا ( مدينة يونانية ) من قبل تلميذه منديموس، حيث أصبحت المدرسة الإريترية.

(4) مسمى يطلق على عدة أشخاص مختلفين ينحدرون من تانتالوس

مينيديموس<sup>(1)</sup>. لم يُعرف عن مبادئ الطائفة الإليانية سوى القليل؛ حيث زُعم بأن مينيديموس قد مال نحو تعاليم ستلبو<sup>(2)</sup> والطائفة الميغارية. عندما طُلب من مينيديموس أن يبدي آرائه، أجاب بأنه حرّ، وهو بذلك يلمّح إلى أن معظم الرجال مستعبدون لآرائهم. كان مينيديموس على ما يبدو ذا طبع عدواني بعض الشيء وغالباً ما كان يرجع من دروسه وهو يعاني من كدمات شديدة. وقد ورد في أكثر أطروحاته شهرة التالي: التشابه بين شيئين لا يعني أنهما قد يختلفان. بعدما تم الإقرار بهذه النقطة، واصل مينيديموس القول: حصول الفائدة لا يشبه حصولك على خير، وبالتالي فالخير لا يعتبر فائدة. بعد رحيل زمن مينيديموس أصبحت الطائفة الإليانية تعرف باسم الإريترية (إريتريا هي مدينة في اليونان). وقد استنكر دعائها جميع الأطروحات السلبية وجميع النظريات المعقدة والمهمة، معلنين بذلك أن المبادئ الإيجابية والبسيطة فقط يمكن أن تكون صحيحة.

---

(1) كان مينيديموس فيلسوفاً يونانياً وهو مؤسس المدرسة الإريترية. لقد تعلم الفلسفة أولاً في أثينا، وبعد ذلك مع صديقه أسكليبيديس، درس لاحقاً عند فيدو. لم يبق الكثير من آرائه الفلسفية بصرف النظر عن بعض الملاحظات المبعثرة التي سجلها كتاب لاحقون.

(2) كان ستلبو فيلسوفاً يونانياً من المدرسة الميغارية، وكان معاصراً لثيوفراستوس وكرونوس، اهتم بالمنطق والجدلية، حيث جادل بأن الكل ينفصل بشكل أساسي عن الفرد والملموس. اقترنت تعاليمه الأخلاقية من الرواقيين. كان من أهم أتباعه ييرو، مؤسس البيرونية، وزينو، مؤسس الرواقية.

تأسست الطائفة الميغارية على يد إقليدس<sup>(1)</sup> (ليس المقصود إقليدس عالم الرياضيات الشهير)، وكان شديد الإعجاب بسقراط. عندما أقرّ الأثينيّون قانوناً يأمر بقتل أيّ مواطن من ميغارا يتم العثور عليه في أثينا، لم يُرهب ذلك إقليدس أو يثبط همته بل قام بارتداء ملابس امرأة وذهب للدراسة عند سقراط ليلاً. بعد موت سقراط بطريقة وحشية، فرّ تلاميذه إلى ميغارا خوفاً من مصير مماثل لما حصل لمعلمهم، حيث تمتعوا بصحبة إقليدس التي اعتبروها شرفاً كبيراً. قبلت المدرسة الميغارية المذهب السقراطي القائل بأن الفضيلة هي الحكمة، وأضافوا إلى ذلك المفهوم الإيلي القائل بأن الخير هو الوحدة المطلقة وكل تغيير يعتبر ضرباً من أوهام عالم الحس. زعم إقليدس بأن الخير لا نقيض له وبالتالي لا وجود للشر. وعندما سئل عن طبيعة الآلهة، صرّح بأنه يجهل سجاياهم عدا أنهم يكرهون الأشخاص الفضوليين.

---

<sup>(1)</sup> إقليدس الميغاري: فيلسوف إغريقي سقراطي والذي أسس مدرسة الفلسفة الميغارية. كان تلميذاً لسقراط في أواخر القرن الخامس قبل الميلاد، وكان حاضراً عند وفاته. لقد اعتقد بأن الخير الأسوى واحد أبدي غير قابل للتغيير، ونفى وجود أي شيء يتعارض معه. غالباً ما خلطه المحررين والمترجمين في العصور الوسطى مع إقليدس الإسكندرية عند مناقشة عناصر الأخير.





أفلاطون

كان اسم أفلاطون الحقيقي أرسطو. وعندما أحضره والده للدراسة عند سقراط، أعلن كبير المتشككين أنه في الليلة السابقة حلم ببجعة بيضاء، والتي كانت فألاً بأن تلميذه الجديد سيصبح واحداً من أهم المتنورين في العالم. هناك تقليد بأن أفلاطون الخالد بيع كعبد من قبل ملك صقلية.

لقد تم إدراج الميغاريين أحياناً ضمن الفلاسفة الجدليين. وقد خلف إقليدس (الذي توفي 374 ق.م) في مدرسته الفيلسوف أبوليدس<sup>(1)</sup>، وكان من بين تلاميذه ألكساينس<sup>(2)</sup> وأبولونيوس كرونوس. كان من بين أبرز أتباع أبوليدس الفيلسوف يوفانتوس الذي عاش عمراً طويلاً وكتب العديد من التراجميات. عادة ما ألحق ديودوروس بالمدرسة الميغارية، بعد سماعه لمحاضرات أبوليدس. ووفقاً للأسطورة، فقد توفي ديودوروس بسبب الحزن لأنه لم يستطع الإجابة فوراً على أسئلة معينة سألها إياها الفيلسوف ستبلو، الذي كان في وقت ما سيد المدرسة الميغارية. لقد تصوّر ديودوروس بأنه لا يوجد شيء يمكن نقله أو تحريكه، حيث لأجل تحريكه وجب أخذه من المكان الذي هو فيه ووضعه في مكان ليس فيه، وهو أمر مستحيل لأن كل الأشياء يجب أن تكون دائماً في الأماكن التي توجد فيها.

كان الكليون عبارة عن طائفة تأسست على يد الفيلسوف أنتيستينيس الأثيني (عاش بين الفترة 444 - 365 ق.م)، وهو أحد تلاميذ سقراط. يمكن وصف مذهبهم على أنه فردية متطرفة تعتبر الإنسان قائماً على نفسه فقط وأنه محاط بحياة تتصف بالمعاناة والفقر المريع مما يدفعه نتيجة لذلك إلى الاعتزال كلياً إلى نفسه. لقد نبذ الكليون جميع ممتلكاتهم الدنيوية، وعاشوا في مساكن بدائية جداً واقتاتوا على أبسط أنواع الطعام. وعلى افتراض أن الآلهة لم تكن بحاجة إلى شيء، أكد الكليون بأن أولئك الذين حاجاتهم قليلة، يقتربون أكثر

(1) أبوليدس الملطي (نحو 384 - 322 ق. م) هو فيلسوف يوناني من المدرسة الميغارية. عاصر أرسطو وكان خصمه اللدود، ووضع عدة مؤلفات ضد مؤسس اللقيون، بالإضافة إلى سيرة حياة ديوجينيس السيوني. إليه تعزى عدد من الحجج الجدالية ومن أشهرها حجة الكاذب وحجة إلكترا وحجة المقتنع وحجة الأصلع وحجة الأقرن والقياس المتسلسل، ودحض أرسطو لهذه الحجج لعب دوراً مهماً في إنشاء المنطق.

(2) ألكساينس فيلسوف في مدرسة ميغريا وتلميذ لأبوليدس. بسبب طبيعته المجادلة سمي بالمخاصم، ثم ذهب إلى أولبيا، على أمل أن يجد طائفة كانت تسمى الأوليمبية، ولكن سرعان ما أصبح تلاميذه يشعرون بالاشمئزاز بسبب عدم مناسبة المكان للعيش وسوء الظروف الحياتية، مما تركه مع تلميذ واحد. وقد توفي غرقاً.

إلى الآلهة. وعندما سئل أنتيستينيس عمّا استفاده من حياة الفلسفة، أجاب بأنه تعلم كيفية التحدث مع نفسه.

عُرف ديوجين السينوبي في الغالب بحوضه (شبيه بالبرميل) الذي عدّه منزلاً له، وقضى فيه سنوات عديدة في ميثروم (معبد في أولمبيا). لقد أحب شعب أثينا الفيلسوف المتسوّل، وعندما قام أحد الشبان من باب المزاح بثقب بعض الحفر في حوضه، قامت المدينة بتقديم واحدٍ جديد لـ ديوجين وعاقبت الشاب. كان ديوجين يعتقد بأن لا شيء في الحياة يمكن أن يتحقق على نحو ملائم من دون تدريب. وأصرّ على أن كل شيء في العالم هو ملك للإنسان الحكيم، كان ذلك تصريحاً أثبتته من خلال المنطق التالي: "كل الأشياء ملكٌ للآلهة؛ والآلهة أصدقاء للحكماء؛ والأصدقاء يتشاركون كل شيء؛ وبالتالي يمتلك الحكماء كل شيء". كان من بين الكلبين: مونيموس وأونيزيكريتوس وقراط وميتروكلّيس وهيبارشيا (التي تزوجت سقراط)، ومنيبوس، ومينيديموس.

تأسست الطائفة القورينائية على يد الفيلسوف إريستبوس القورينائي<sup>(1)</sup> (عاش في الفترة 435 - 356 ق.م)، ويعد الفيلسوف الذي روجّ مذهب المتعة أو مذهب اللذة. عندما اكتشف شهرة سقراط، ارتحل إريستبوس إلى أثينا وبذل جهده لدراسة تعاليم المتشكك الكبير. لقد عانى سقراط من ميول إريستبوس الجشعة والشهوانية، وجاهد عبثاً لإصلاح الشاب. وتميز إريستبوس بأن مبدأه وافق ممارسته، حيث عاش في وئام تام مع فلسفته القائلة بأن السعي نحو المتعة هو الغرض الرئيسي من الحياة. يمكن تلخيص مبادئ القورينائيين على النحو التالي: كل ما يُعرف فيما يتعلق بأيّ شيء أو أيّ ظرف هو في الواقع الشعور الذي يوقظ طبيعة الإنسان. وفي مجال الأخلاق التي بدورها توقظ معظم مشاعر اللذة فقد تم تعظيمها بناءً على ذلك باعتبارها أعظم خير على الإطلاق. وصنّفت ردود الفعل العاطفية بأنها ممتعة أو رقيقة، قاسية، ودنيئة. غاية كل عاطفة ممتعة تكون البهجة، وغاية كل انفعال قاسٍ تكون الحزن، ونهاية كل إحساس دنيء تكون لا شيء.

<sup>(1)</sup> نسبت هذه التسمية إلى قرية قورينا، في إقليم برقة في ليبيا، وتسمّى في الوقت الحاضر (شحات)، ومازالت آثارهم إلى الآن تشهد على إقامتهم فيها.

بعض الرجال لا يتوقون للمتعة بسبب تشوّه تفكيرهم. ومع ذلك ففي الواقع، أخذت تعتبر المتعة (خاصة ذات الطابع المادي) هي الغاية الحقيقية للوجود وتتجاوز شتى مناحي المتع العقلية والروحية. ضُفّ إلى ذلك أن المتعة تقتصر كلياً على اللحظة الآنيّة؛ والزمن الحاضر هو الزمن الوحيد. لا يمكن النظر إلى الماضي دون حسرة أو ندم ولا مواجهة المستقبل دون تخوّف أو ريبة؛ وبالتالي كلاهما لا يفضيان إلى المتعة. لا ينبغي على الإنسان أن يحزن، فالحزن هو أخطر من كل الأمراض. لقد سمحت الطبيعة للإنسان بفعل كل ما يرغب؛ غير أنه محدود بسبب القوانين والأعراف التي سَنّها بنفسه. الفيلسوف يخلو من الحسد والحب والخرافات، وأيامه ليست سوى شوط طويل من المتعة. وهكذا ارتقت صفة الانغماس في الملذات على يد إريستبوس لتصبح ذات مكانة عالية بين الفضائل. وزيادة على ذلك أقرّ بأن الفلاسفة فقط يختلفون عن بقية الناس بأنهم لن يغيروا طريقة حياتهم لو ألغيت كل قوانين البشر. كان من بين أبرز الفلاسفة الذين تأثروا بالمبادئ القورينية: هجسياس، أنيقارس، ثيودوروس، بيون.

تم تقسيم طائفة الفلاسفة الأكاديميين التي أسسها أفلاطون (427 - 347 قبل الميلاد) إلى ثلاثة أجزاء رئيسية - الأكاديمية القديمة والوسطى والأكاديمية الجديدة. من بين الأكاديميين

القدامى كان إسبوزيبوس وزينزكراتس وبوليمان وكرانتور. أسس أركسيلاوس<sup>(1)</sup> الأكاديمية المتوسطة وأسس كارنياديس<sup>(2)</sup> الجديد. وكان سقراط أهم معلم لأفلاطون.

سافر أفلاطون كثيراً وخاض على يد المصريين في أعماق الفلسفة الهرمسية. كما انه استمد الكثير من مذهب فيثاغورث. يصف شيشرون الدستور الثلاثي للفلسفة الأفلاطونية بأنه يشمل الأخلاق والفيزياء، والجدل. عرّف أفلاطون الخير بأنه ثلاثي الصفات: الجيد في الروح، معبراً عن الفضائل؛ الجيد في الجسد، يعبر عنه من خلال التماثل والتناسق بين الأجزاء؛ والجيد في العالم الخارجي، معبراً عنه بالمكانة الاجتماعية والرفقة.

<sup>(1)</sup> ولد أركسيلاوس في بيتاني في أيوليس، ودرّبه أوطولوقس الرياضياتي، ودرّبه في أثينا لاحقاً ثيوفراستوس وكرانتور، الذي قاده لكي يلتحق بالأكاديمية. ولاحقاً أصبح صديقاً حميماً لبوليمون وأقراطس، الذي خلفه على رأس المدرسة. ويقول ديوجينيس أنه مات بسبب إفراطه بالشرب، ولكن شهادة آخرين ومنهم كليانثس وكذلك مبادئه تنفي هذه القصة، وكان من المعروف أنه حظي بالكثير من الاحترام بين الأثينيين. بالنسبة لفكره فقد وصلنا من كتابات آخرين مثل شيشرون ويظهر فيها أنه شن هجوماً على الرواقيين وبنى هجومه على عنصر تشكيكي، والذي كان كامناً في كتابات أفلاطون الأخيرة. وهو يعتبر أن قوة الإقناع الفكري لا يجب أن تعتبر ملزمة، بقدر ما هي من خصائص الإقناع المتناقض. والشك في بيانات محسوسة تنطبق بالمثل على تفسيرات المنطق، ولهذا فالإنسان يجب أن يكون راضياً عن الاحتمالية التي تكون كافية كدليل عملي. ويقول "نحن لا نعرف شيئاً، ولا حتى جهلنا"، ولهذا فإن الحكيم عليه أن يكون راضياً عن الموقف اللاأدري. وقد استعمل المنهج السقراطي في التعليم ولم يترك أي كتابات. وكانت تميز مناقشاته الفكاهة الحادة وخصوصية الأفكار.

<sup>(2)</sup> كارنياديس "من قورينا"، (214 – 129 ق.م.) فيلسوف ليبي قورينائي أسس وتزعم مدرسة تسمى الأكاديمية الجديدة أو الثالثة من عام 155 ق.م وحتى وفاته. كان يعتقد بعدم وجود معيار مطلق للحقيقة. وتقبل المبدأ القائل بأن أي عمل هو صحيح إذا كان بالإمكان الدفاع عنه بالمنطق. شمل هذا الجرائم البشعة التي ترتكب لدوافع منطقية، ففوّض كارنياديس مبدأ (الرواقيين) القائل بأن العقل هو أكبر هبة منحها الله للجنس البشري. وتشبه آراء كارنياديس حول اختبار الانطباعات الحسية للتحقق من صحتها ومصداقيتها كموجهات للعمل لمعتقدات البراجماتية الحديثة. وكان الموضوع الرئيسي في دراسته هو أعمال خريسيبوس، وكان العامل الأكبر فيها هو معارضته لفلسفة خريسيبوس. ويرى أنه قال "لو لم يكن خريسيبوس، فلن أكون أنا أيضاً". وفي عام 155 ق.م أرسل مع ديوجين الرواقى وكريبتولوس المشائي في سفارة إلى روما ليرروا عمليات سلب معينة قام بها الأثينيون في مقاطعة أوروبوس. وفي هذه المناسبة ألقى خطابين في يومين متتاليين، أحدهما ألقاه لصالح العدالة والآخر ضدها. وحججه القوية أثارت حماسة الشباب الروماني للتأمل الفلسفي، وأصر كاتو الأكبر على أن يتم طرد كارنياديس ورفاقه من المدينة.

في كتاب إسبوزيوس<sup>(1)</sup> حول التعريفات الأفلاطونية، يعرف ذلك الأفلاطوني العظيم الإله: "كائن يعيش إلى الأبد عن طريق نفسه وحده، الجوهر الأبدي، علة صلاحه الخاص". وفقاً لأفلاطون، فإن الواحد هو المصطلح الأنسب لتعريف المطلق، لأن الكل يسبق الأجزاء والتنوع يعتمد على الوحدة، ولكن الوحدة لا تعتمد على التنوع. علاوة على ذلك، فإن الواحد هو قبل الوجود، فالوجود ليس إلا مشاركة من الواحد.

تعتمد الفلسفة الأفلاطونية على افتراض وجود ثلاثة علل للوجود: العلة الأولى أو المُسَبِّب الأول وهو المحرك الذي لا يتحرك، والذي يتحرك ذاتياً، والذي يتحرك. إن ما هو ثابت ولكنه يحرك يسبق ما هو متحرك ذاتياً، وهذا بالمثل يسبق ما يتحرك. أي أن الحركة ذاتها لا يمكن فصلها عن قوتها الدافعة؛ وبالتالي فإنها غير فانية. من هذه الطبيعة ينشأ الخالدون. ما يمكن نقل الحركة إليه من الغير يمكن فصله عن مصدره؛ وهذا مبدأ الاستثارة، لذلك يخضع للفناء. من هذه الطبيعة الكائنات البشرية. متفوقاً على كل من البشر والخالدين هو هذا الذي يتحرك باستمرار لكنه ثابت. قوة هذا الالتزام متأصلة في هذا الدستور؛ فهو إنه إذن الدوام الإلهي الذي تقوم عليه كل الأشياء. كونه أكثر نبلاً مما يتحرك ذاتياً، فإن المحرك الذي لا يتحرك هو الأول من بين أجل الأشياء.

تأسس النظام الأفلاطوني على نظرية أن التعلم هو بالفعل ذكريات الماضي، أو إدخال المعرفة التي اكتسبتها الروح في السابق في حالة وجود سابقة على الموضوعية. عند مدخل المدرسة الأفلاطونية في الأكاديمية، كُتبت الكلمات: "لن يدخل أحد يجهل الهندسة هنا". بعد وفاة أفلاطون، انقسم تلاميذه إلى مجموعتين. الأولى: الأكاديميون الذين واصلوا الاجتماع في الأكاديمية حيث كان يرأسهم أفلاطون سابقاً؛ الثانية هي المشاؤون<sup>(2)</sup>، والتي انتقلت إلى

(1) إسبوزيوس (393 - 339 ق. م) هو فيلسوف يوناني، وابن اخت أفلاطون.

(2) المدرسة المشائية (تسمى أحياناً: الحكمة المشائية) هي مدرسة فلسفية في اليونان القديمة، استمدوا أفكارهم من مؤسس تلك المدرسة الفيلسوف اليوناني أرسطو، الذي سماه تلاميذه المشاء. استمدت المدرسة اسمها من كلمة Peripatos، والتي تعني أروقة مدرج الألعاب الرياضية في أثينا، حيث كان أعضاء تلك المدرسة يجتمعون.

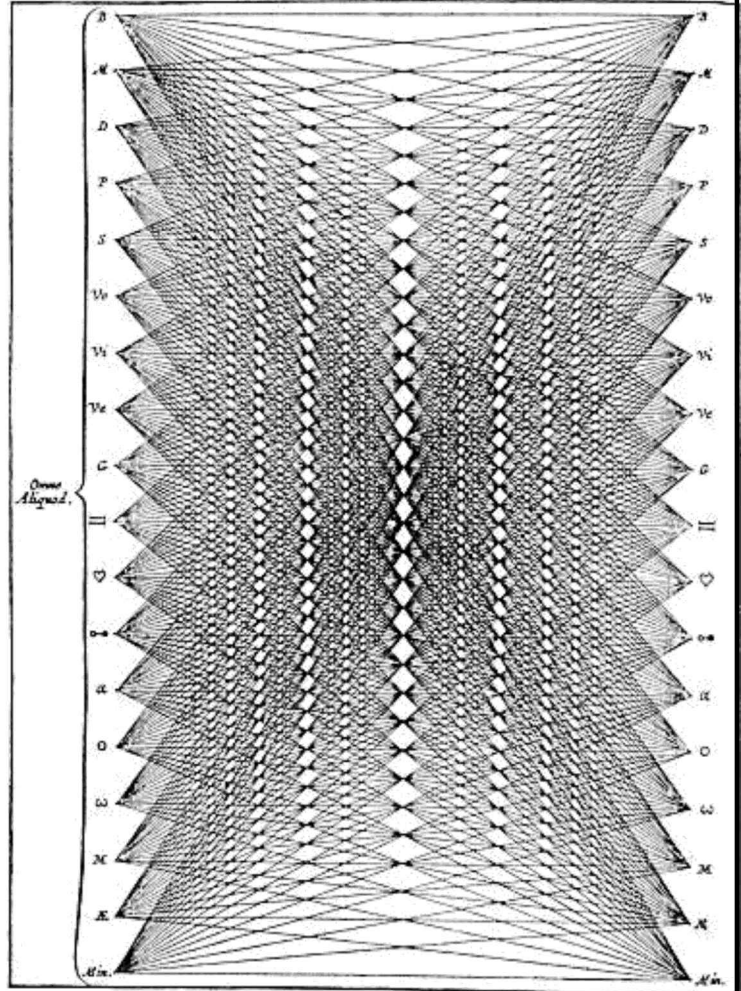
الليسيوم تحت قيادة أرسطو (384 - 322 قبل الميلاد). اعترف أفلاطون بأرسطو كأكبر تلميذ له، ووفقاً لفيلوبونوس، أشار إليه على أنه "عقل المدرسة"؛ فإذا تغيب أرسطو عن المحاضرات، كان أفلاطون يقول: "العقل ليس هنا". كتب توماس تايلور<sup>(1)</sup> في مقدمته لـ "الميتافيزيقيا" عن أرسطو: "عندما نعتبر أنه لم يكن على دراية جيدة بكل علم، كما تثبت أعماله بشكل كبير، ولكنه كتب عن كل موضوع تقريباً في دائرة المعرفة الإنسانية، بدقة ومهارة لا مثيل لهما، لا يسعنا إلا أن نحتار أن نعجب أكثر بأي من هذين الشئيين: عمق تفكيره أو سعة مداه". وعن فلسفة أرسطو، يقول المؤلف نفسه: "غاية فلسفة أرسطو الأخلاقية هي الكمال من خلال الفضائل، وغاية فلسفته التأملية اتحاد مع المبدأ الواحد لكل الأشياء."

---

<sup>(1)</sup> كان توماس تايلور (15 مايو 1758 - 1 نوفمبر 1835) مترجماً للغة الإنجليزية وينتمي للمدرسة الأفلاطونية الجديدة، وأول من ترجم أعمال أرسطو وأفلاطون كاملة إلى الإنجليزية.

## مشكلة التنوع

في هذا المخطط، يرتب كيرتشر<sup>(1)</sup> ثمانية عشر كائناً في عمودين رأسيين ثم يحدد عدد الترتيبات التي يمكن دمجها فيها. وفقاً لنفس الطريقة، يقدر كيرتشر أيضاً أنه قد يتم ترتيب خمسين كائناً في مجموعات 1، 273، 726، 838، 815، 420، 339، 851، 343، 083، 767، 005، 515، 295، 293، 749، 454، 795، 408، 000، 000، 000، 000. من هذا سيكون من الواضح أن التنوع اللانهائي ممكن، لأن أجزاء لا حصر لها من الكون قد تكون مرتبطة ببعضها البعض بعدد لا يحصى من الطرق؛ ومن خلال مجموعات مختلفة من هذه التقسيمات الفرعية التي لا حدود لها في الوجود، مما يجب أن يؤدي حتماً إلى الفردية والتنوع اللانهائي. ومن الواضح كذلك أن الحياة لا يمكن أن تصبح رتيبة أو تستنفد إمكانيات التنوع.



(1) ثانياً سيوس كيرتشر: عالم - يسوعي من القرن السابع عشر من ألمانيا نشر ما يقارب 40 عملاً، كان أكثرها وضوحاً ما كان في مجال أنظمة الكتابة، الجيولوجيا، الصيدلة. وهو الذي اخترع المكبر. قام بدراسة أولية على الهيروغليفية المصرية ويعتبر أبو علم المصريين. وهو من أوائل الذين نظروا إلى الميكروبات عن طريق المجهر. وقد سبق وقته بالقول أن الطاعون سببه مخلوق مجهري، وكان من أوائل الناس في اجراء الخطوات الفعالة لمنع نقل المرض. وقد قورن هذا العالم بليوناردو دافينشي بسبب أعماله وجهده الجدي فيها. وكان نجم عصره في العلوم، وقد مدحه العالم إدوارد شميدت، ووصفه بأنه "رجل عصر النهضة".



تصور أرسطو الفلسفة على أنها ذات شقين: عملية ونظرية.

حوت الفلسفة العملية الأخلاق والسياسة؛ أما الفلسفة النظرية فقد احتوت الفيزياء والمنطق. واعتبر الميتافيزيقيا بأنها العلم الذي يتعلق بالجوهر حيث مبدأ الحركة والثبات متعلق بذاته. كانت الروح لأرسطو<sup>(1)</sup> هي ما يعيش بها الإنسان أولاً ويشعر ويفهم. ومن ثم كلف الروح ثلاث كليات: التغذية، الحسية، والفكرية. واعتبر كذلك أن الروح ذات شقين - عقلانية وغير عقلانية - وفي بعض الأحيان رفع من تصورات الإحساس فوق العقل. عرّف أرسطو الحكمة بأنها علم الأسباب الأولى، ورأى أن الأقسام الأربعة الرئيسية لفلسفته هي الديالكتيك والفيزياء والأخلاق والميتافيزيقيا.

يُعرف الإله بأنه المحرك الأول، أفضل الكائنات، الجوهر الثابت، المنفصل عن الأشياء المحسوسة، والخالٍ من التجسد الكمي، دون أجزاء وغير القابل للتجزئة. تعتمد الأفلاطونية على التفكير البديهي؛ على حين تعتمد الأرسطية على التفكير الاستدلالي. علّم أرسطو تلميذه، الإسكندر<sup>(2)</sup> الأكبر، أن يشعر أنه إذا لم يعمل عملاً صالحاً، بأنه لم يحكم في ذلك اليوم. كان من بين أتباعه ثيوفراستوس، ستراتو، ليكو، أرسطو، وكريستولاوس، وديودوروس.

---

(2) الإسكندر الثالث المقدوني، المعروف بأسماء عديدة أخرى أبرزها: الإسكندر الأكبر، والإسكندر الكبير، والإسكندر المقدوني، والإسكندر ذو القرنين وهو أحد ملوك مقدونيا الإغريق، ومن أشهر القادة العسكريين والفاتحين عبر التاريخ. وُلد الإسكندر في مدينة پيلا قرابة سنة 356 ق.م، وتتلّمذ على يد الفيلسوف والعالم الشهير أرسطو حتى بلغ ربيعته السادس عشر. وبحلول عامه الثلاثين، كان قد أسس إحدى أكبر وأعظم الإمبراطوريات التي عرفها العالم القديم، والتي امتدت من سواحل البحر الأيوني غرباً وصولاً إلى سلسلة جبال الهيمالايا شرقاً. يُعد أحد أنجح القادة العسكريين في مسيرتهم، إذ لم يحصل أن هُزم في أي معركة خاضها على الإطلاق.

بالنسبة للنزعة إلى الشك كما أوضحها بيرو<sup>(1)</sup> وتيمون<sup>(2)</sup>، قال سيكستوس إمبيريكوس<sup>(3)</sup> أن أولئك الذين يبحثون يجب عليهم أن يجدوا أو ينكروا أنهم عثروا، أو أنه يمكنهم العثور، أو المثابرة على البحث. أولئك الذين يفترض أنهم وجدوا الحقيقة يدعون دوغمائيين<sup>(4)</sup>؛ أولئك الذين يعتقدون أنها عصية على الفهم هم الأكاديميون؛ أولئك الذين ما زالوا يبحثون هم المتشككون. يلخص سيكستوس إمبيريكوس موقف الشك تجاه المؤلف بالكلمات التالية:

" إن السبب الرئيسي للشك هو أنه يوجد سبب معادل معاكس، مما يمنعنا أن نكون دوغمائيين".

كان الشكاكون معارضين للدوغمائيين، وكانوا لا أدرين من حيث أنهم رأوا بأن النظريات المقبولة فيما يتعلق بالإله متناقضة ذاتياً وغير قابلة للجدل. لقد سألوا: أتى لنا أن نمتلك معرفة لا تُشوبها شائبة بالإله، على حين أننا لا نعرف جوهره أو شكله أو مكانه؛ ولأن

(1) بيرو أو يزون هو فيلسوف يوناني توفي عام 275 ق. م. يُعتبر مؤسس مذهب الشك الذي نُسب إليه فُحرف بالبيرووية. هو من مدرسة الفلسفة الشرقية، اشتهر بأنه أول فيلسوف شك اغريقي، ومن أشهر مقولاته: «على من طلب السعادة ايجاد الإجابة عن ثلاثة أسئلة: أولاً، ماهي الاخلاق الطبيعية؛ ثانياً، ما هي السلوكيات الذي يجب اتباعها تجاهها؛ ثالثاً، ما نتائج اتباع هذه السلوكيات».

(2) تيمون (320 - 235 ق. م) فيلسوف يوناني تلميذ بيرو، وكاتب شهير لقصائد ساخرة، ويبدو أنه قد وهب عقلاً، مع معرفة بضعف الناس، مما جعله متشككاً في الفلسفة وساخراً من كل شيء. كان تيمون رجلاً أعور، واستخدم هذا في السخرية حتى من نفسه فهو السايكلوب ذو العين الواحدة. كما أن شكسبير كتب مسرحية تيمون الأثيني، وتعد من مسرحياته الأكثر إبهاماً وتعقيداً.

(3) سيكستوس إمبيريكوس (160 - 210 ق. م) كان طبيباً وفيلسوفاً وتذكر لنا المصادر أنه عاش في الإسكندرية أو روما أو أثينا على خلاف. أعماله الفلسفية هي الأكمل من بين ما وصلنا عن مذهب الشك الإغريقي والروماني.

(4) الدوغمائية: هي حالة من الجمود الفكري، يتعصب فيها الشخص لأفكاره لدرجة رفضه الاطلاع على الأفكار المخالفة، وإن ظهرت له الدلائل التي تثبت له أن أفكاره خاطئة، سيحاربها بكل ما أوتي من قوة، ويصارع من أجل إثبات صحة أفكاره وآراءه، وتعتبر حالة من التزمّت لفكرة معينة من قبل مجموعة دون قبول النقاش فيها أو الإتيان بأي دليل ينقضها لمناقشتها، ومثالها التشدد في الاعتقاد الديني أو المبدأ الأيديولوجي. يعود أصل الكلمة إلى اليونانية وتعني " الرأي " أو " المعتقد الأوحّد ".

الفلاسفة لا يتفقون على هذه النقاط على نحو لا يقبل التوفيق، فإن استنتاجاتهم لا يمكن اعتبارها حقيقية بلا شك؟ ونظراً لأن المعرفة المطلقة كانت غير قابلة للتحقق، أعلن المتشككون أن غاية مذهبهم هي: "في الآراء، عدم الإزعاج؛ الاستعلام، الاعتدال، التأجيل".

تأسست طائفة الرواقيين من قبل زينو الكتيومي (340 - 265 قبل الميلاد) الذي درس على أقراطس الطيبي<sup>(1)</sup>، خلف زينو كل من كليانثس<sup>(2)</sup> وخريسيبوس<sup>(3)</sup> وزينو الطرسوس

(1) أقراطس الطيبي فيلسوف يوناني من المدرسة الكلبية. تلميذ ديوجينيس، وأحد معلمي زينون الكتيومي.

(2) كليانثس (حوالي 301 إلى 232 أو 252 ق م) هو فيلسوف رواق، وكان من تلاميذ أقراطس الطيبي وزينون الرواقي قبل أن يصبح زعيم المدرسة الرواقية. ولد في أسوس في إقليم طروادة، وكان في الأصل ملاكماً. ولكنه رحل إلى أثينا وهو يحمل أربعة دراخمات في حوزته، حيث استمع أولاً إلى محاضرات الرواقيين، وكان يعيل نفسه في هذه الأثناء بالعمل طوال الليل كناقل ماء إلى بستان (ومنها أتت كنيته فريانتليس أو جامع مياه البئر). كما أكسبته قوته في التحمل والصبر (أو ربما بطئه) لقب "الحمار"؛ لكنه اكتسب الاحترام بأخلاقه العالية، وأصبح زعيم المدرسة بعد موت زينون في عام 263 ق م، واستمر بإعالة نفسه بعمل يده. ومن بين تلاميذه كانوا وريثه خريسيبوس، وأنتيغونس الثاني ملك مقدونيا الذي أهده منحة قدرها ألفي مينا. ويحكى عن موته أن قرحة حادة أرغمته على الصوم لفترة من الوقت، وواصل صومه بينما كان في طريقه إلى الموت، وقال بأنه لا يريد أن يزج نفسه بالعودة أدراجه.

(3) خريسيبوس: فيلسوف إغريقي عاش بين عامي 280 - 206 ق م تقريباً، ويعتبر ثالث الزعماء الكبار للفلسفة الرواقية، وقد كان أحد مواطني سولي في كيليكيا وحدث أن سرقت ممتلكاته وأتى إلى أثينا حيث يحتمل أنه درس عند زينون، وبشكل مؤكد عند كليانثس، ويقال أيضاً أنه أصبح تلميذاً لدى أركسيلاوس ولاكيدس، رؤساء الأكاديمية الوسطى. كانت الموضوعية في دراساته الأولى هي المفتاح لأعماله الفلسفية وهي العنصر الغالب الذي يعتمد على الإدراك الشامل أكثر من الابتكار، وكان قد أخذ أعمال زينون وكليانثس وبلورها في نظام محدد، وقام بالدفاع عنها ضد هجوم الأكاديمية، ومهاراته الجدالية كانت قد أكسبته لقب عمود بورتيكو (شرفة كبيرة في البناء اليوناني والروماني) فأصبح يقال إنه لولا خريسيبوس لم توجد هناك شرفة، وقول ديوجينيس أنه إن استعملت الآلهة فن الجدال فلن يستعملوا أكثر من كلمات خريسيبوس، وكان قد برع في المنطق ونظريات المعرفة والأخلاق وعلوم الطبيعة. ويقال إنه ألف نحو 750 بحثاً لم يبق منها غير مقتطفات، وذكر الكتاب الأقدمون أن أسلوبه كان فظاً وجافاً إلى أقصى حد، بينما مناقشاته كانت واضحة وجليّة ولا تنقصها الموضوعية. كان يؤمن بالإله، ويعتقد أن الكون هو الإله، وأكد أن الكون فيض عالمي من روحه. توفي خلال الأولمبياد وقد ناهز 73 سنة من العمر. ولكن ديوجينيس يعطي تحليلين وروايتين مختلفين عن وفاته. في الرواية الأولى، إنه أغمي عليه وهو سكران بسبب دوخة من شرب نبيذ مخفف تناوله في وليمة، وتوفي بعد فترة وجيزة. في الرواية

وديوجينيس وأنتيباتر وبانتيوخوس<sup>(1)</sup> الرودسي وبسيدونيوس<sup>(2)</sup>؛ أما الأكثر شهرة بين الرومان الرواقيين فهما: أبكتاتوس<sup>(3)</sup> وماركوس أوريليوس<sup>(4)</sup>. كان الرواقيون مؤمنين أساساً بوحدة الوجود، حيث أكدوا أنه بما أنه لا يوجد شيء أفضل من العالم، فإن العالم هو الإله. أعلن

الثانية، قال انه كان يراقب حماراً يأكل بعض التين وصرخ: " الآن أعطي الحمار شراباً من الخمر النقي لغسل بطنه من التين"، وعندها مات في نوبة من الضحك.

(1) بانتيوخوس الرودسي (نحو 185 - 110 قبل الميلاد) هو فيلسوف رواقى، نسبته إلى رودس. تتلمذ على ديوجينيس السلوقي، ورحل معه هو وكرنيادس إلى روما حيث أقام فيها في الفترة ما بين 145 إلى 130 قبل الميلاد. صار سنة 129 ق.م رئيساً لمدرسة أثينا خلفاً لأنتيباتر.

(2) بوسيدونيوس (135 ق.م. — 51 ق.م.) مؤرخ وفيلسوف يوناني من مدينة أفاميا على نهر العاصي في سوريا، توفي في روما. أسس مدرسة في رودس، وسافر إلى روما وشمال أفريقيا. كان من طلابه بومبيوس، القائد الروماني، وشيشرون خطيب روما. ترك مقالات عديدة منها مقال عن النفس وآخر عن الآلهة. قيل أنه أعاد حساب محيط الأرض بنفس الطريقة التي قام بها إراتوستينس بعد 150 عام من قيام إراتوستينس بها.

(3) أبكتاتوس (55 م - 135 م) فيلسوف رواقى روماني، قال أن معين السعادة هو النفس لا الأشياء الخارجية. دعا إلى الإخاء. ينتمي إلى المدرسة الفلسفية التي أسسها زينون الرواقي صاحب نظرية المدينة الكونية. كان عبداً لأفروديت عتيقة «نيرون». وتعلم الحكمة على الفيلسوف الرواقي موزنيوس روفوس لكنه أعتق بعد وفاة «نيرون» عام 68م. وفي عام 89م نفاه الإمبراطور الديكتاتور دوميتيانوس من روما فرحل إلى مدينة نيكوبوليس حيث قضى بقية عمره يعلم الفلسفة ومات فيها.

المعروف عنه أنه لم يخلف كتباً، لكن تعاليمه وصلتنا عن طريق تلميذه أربانوس الذي جمعها في كتابين هما: «المحادثات» المؤلف من أربعة أجزاء، و«الدليل المختصر».

(4) ماركوس أوريليوس أنطونيوس أوغسطس (121 - 180) هو فيلسوف رواقى والإمبراطور الروماني السادس عشر (161 - 180) وهو أبو الإمبراطور كومودوس. كان أحد آخر " خمسة أباطرة جيدون " حكموا الإمبراطورية الرومانية من 96 إلى 180م، كما أنه يُعتبر من أهم وأبرز الفلاسفة الرواقيين. تولى عرش الإمبراطورية الرومانية مع أخيه المتبنى لوسبيوس فيروس من 161م وحتى وفاة فيروس في 166م، ومن ثم مع ابنه كومودوس منذ عام 177م. أطلق عليه مسمى الفيلسوف من بين الأباطرة الرومانيين، كان ممارساً للفلسفة الرواقية، استولت كتاباته الفلسفية الشخصية والتي سُميت لاحقاً بالتأملات مصدراً هاماً للمفهوم الحديث للفلسفة الرواقية القديمة، والتي مازالت تعتبر من قبل الكثير من المعلقين كأحد أعظم الأعمال الفلسفية والصروح الأدبية في الحكم والإدارة.

زينو أن عقل العالم منتشر في جميع أنحاء العالم كيدرة. فتعد الرواقية فلسفة مادية تنص على الاستكانة الطوعية للقانون الطبيعي. أكد خريسيبوس على أن الخير والشر يكونان متعارضين، وكلاهما ضروري لأن كلاهما يدعم الآخر.

أما الروح فاعتبرت كياناً موزعاً في جميع أنحاء الشكل المادي وعرضة للفناء معه. على الرغم من أن بعض الرواقيين رأوا أن هذه الحكمة أطالت وجود الروح، فإن الخلود الفعلي لم يُضمن في مبادئهم. وقد قيل بأن الروح تتألف من ثمانية أجزاء: الحواس الخمس، القوة التكاثرية، القوة الصوتية، والجزء الثامن، أو المسيطر. وظنوا أن الطبيعة هي اختلاط الإله مع جميع مخلوقات العالم. ونظروا إلى كل الأشياء على أنها أجساد متجسدة أو غير متجسدة.

ميزت الوداعة موقف الفيلسوف الرواقي. فبينما كان ديوجينيس يلقي خطاباً ضد الغضب، بصق أحد مستمعيه ازدراءً في وجهه؛ بعد تلقي الإهانة بتواضع، نُقل عن الرواقي العظيم قوله: "أنا لست غاضباً، لكنني متشكك فيما إذا كان يجب أن أكون كذلك أم لا!"

كان أبيقور<sup>(1)</sup> الساموسي مؤسس المذهب الأبيقوري، والذي يشبه في كثير من النواحي الرواقية ولكنه أعلى في المعايير الأخلاقية. وضع الأبيقوريون أيضاً السعادة باعتبارها أكثر حالة مرغوبة، لكنهم تصوروا أنها حالة خطيرة وكريمة تتحقق من خلال التخلي عن تلك التناقضات العقلية والعاطفية التي تنتج الألم والحزن. يرى أبيقور أن آلام العقل والروح تسبب حزناً أكثر من آلام الجسد، وبالتالي فإن أفراح العقل والروح تفوق مباهج الجسد. أكد القورينائيين أن السعادة تعتمد على العمل أو الحركة؛ وادعى الأبيقوريين أن الخلود إلى الدعة

(1) أبيقور: هو فيلسوف يوناني قديم عاش في الفترة بين عامي (341 - 270 ق.م)، أسس لمدرسة فلسفية سميت باسمه هي المدرسة (الأبيقورية). قام بكتابة حوالي ثلاثمائة منجز لم يصلنا منهم إلا بعض الأجزاء والرسائل ومعظم ما وصلنا من الفلسفة الأبيقورية مستمد من التابعين لها وبعض المؤرخين. غاية الفلسفة بالنسبة لأبيقور كانت الوصول للحياة السعيدة والمطمئنة ولها خاصيتين: "Ataraxia"، وتعني الطمأنينة، والسلام، والتخلص من الخوف و "Aponia" وتعني غياب الألم، والاكتفاء الذاتي محاطاً بالأصدقاء. قال أبيقور أن السعادة والألم هما مقياس الخير والشر، وأن الموت هو نهاية الجسد والروح ولهذا لا ينبغي أن نرهبه، وأن الآلهة لا تكافئ أو تعاقب البشر، وأن الكون لا نهائي وأبدي، وأن أحداث الكون تعتمد بالأساس على حركات وتفاعلات الذرات في الفراغ.

والراحة أو عدم اتخاذ إجراء ستكون منتجة بنفس القدر من المتعة. قبل أبيقور فلسفة ديموقريطس المتعلقة بطبيعة الذرات واسند نظريته في الفيزياء إلى هذه النظرية.

يمكن تلخيص فلسفة الأبيقوري في أربعة شرائع:

1. الحواس لا تخدع أبداً؛ وبالتالي كل إحساس وكل تصور لمظهر هو شيء صحيح.

2. يتبع الرأي الإحساس، وهو معرض ليكون حقاً أو باطلاً.

3. كل رأي شهدت الحواس عليه، أو لم يتعارض معها صحيح.

4. كل رأي متناقض مع الحواس أو لم تشهد عليه الحواس باطل.

يمكن تعريف الانتقائية أو التركيبية على أنها اختيار مذاهب لا يمكن التوفيق بينها على ما يبدو، من بين المدارس المتناقضة وبناء نظام فلسفي مركب يتلاءم مع قناعات الانتقائي نفسه. بالكاد يمكن اعتبارها سليمة من الناحية الفلسفية أو المنطقية، لأنه مع وصول المدارس المتفردة إلى استنتاجاتها بطرق مختلفة من التفكير، لذلك وجب بالضرورة أن يكون المنتج الفلسفي لشظايا من هذه المدارس مبنياً على أسس متناقضة. فالتركيبية وفقاً لذلك، قد ميزت منطق الشخص العادي.

في الامبراطورية الرومانية، كرس القليل من التفكير للفلسفة وبالتالي كان معظم مفكرها من النوع التركيبي الانتقائي. شيشرون هو المثال البارز للانتقائية المبكرة، لأن كتاباته هي مجموعة حقيقية من الشظايا التي لا تقدر بثمن من مدارس الفكر السابقة. يبدو أن الانتقائية كانت قد نشأت عندما تشكك الرجال أولاً في إمكانية اكتشاف الحقيقة المطلقة. فبعد ملاحظة أن كل المعرفة المزعومة ليست إلا مجرد رأي في أحسن الأحوال، خلص الباحثون الأقل دراية إلى أن المنهج الأكثر حكمة الذي يجب اتباعه هو قبول ما يبدو أنه أكثر التعاليم منطقية من أي مدرسة أو فرد. ومع ذلك نشأت من هذه الممارسة سعة عقلية زائفة خالية من عنصر الدقة الموجود في المنطق والفلسفة الحقيقية.

ازدهرت مدرسة فيثاغورثية جديدة في الإسكندرية خلال القرن الأول من العهد المسيحي. يظهر اسمان فقط على صلة بها هما أبولونيوس من تاينا وموديراتوس. وتعد هذه المدرسة حلقة الوصل بين الفلسفات الوثنية الأقدم والأفلاطونية المحدثه. مثل سابقتها احتوت على العديد من عناصر الفكر الدقيقة المستمدة من فلسفات فيثاغورث وأفلاطون؛ ومثل الأخير، أكدت التكهنات الميتافيزيقية وتبنت عادات الزهد. وقد لوحظ تشابه لافت من قبل العديد من المؤلفين بين عقائد الأسينيين<sup>(1)</sup> وبين الفيثاغورثيين الجدد معرفة أوسع بكثير بالتعاليم على سر الأرقام، ومن الممكن أن يكون لدى الفيثاغورثيين الجدد معرفة أوسع بكثير بالتعاليم الحقيقية لفيثاغورث مما هو متاح اليوم. حتى في القرن الأول، كان يُنظر إلى فيثاغورث على أنه إله أكثر منه إنساناً، والتجئوا إلى إحياء فلسفته أملاً أن يحفز اسمه الاهتمام بأنظمة تعليم أعمق. لكن الفلسفة اليونانية كانت قد انتهت من ذروتها الرائعة، حيث تنهت الكتلة البشرية على أهمية الحياة الجسدية والظواهر الفيزيائية؛ كما أن التركيز على الشؤون

<sup>(1)</sup> الأسينيون: طائفة يهودية ظهرت أثناء فترة الهيكل اليهودي الثاني من القرن الثاني قبل الميلاد إلى القرن الأول الميلادي، ويزعم بعض الباحثين أن بعض الكهنة انفصلوا بها عن طائفة اليهود الصدوقيين. ونظراً لقلة عددهم مقارنة بالفريسيين والصدوقيين، فقد عاش الأسينيون في عدة مدن في تجمعات تميل إلى الزهد (بعضهم عاشوا حياة تبتي دون زواج) والفقر طواعيةً، والطهارة. تشاركت عدد من الجماعات الدينية الاعتقادات حول بعض المسائل مثل طبيعة الإله والإيمان بالآخرة وشخص المسيح والزهد، وقد جمعها الباحثون جميعاً تحت اسم «الأسينيون». حظيت تلك الطائفة بشهرة واسعة حديثاً بعدما اكتشفت مجموعة ضخمة من الوثائق الدينية عُرفت بمخطوطات البحر الميت، يُعتقد أنها مكتبة لهم، رغم عدم وجود دليل يُثبت أنها من كتاباتهم. اشتملت تلك الوثائق على عدة أجزاء من عدة نسخ من الكتاب العبري لم تُلمس منذ سنة 300 ق.م.

يعد كتاب التاريخ الطبيعي للمؤرخ الروماني بلينيوس الأكبر أقدم المصادر التي ذكرت تلك الطائفة. حيث ذكر بلينيوس أنهم لا يتزوجون، زاهدين في المال، وتعدادهم بالآلاف. وبالرغم من قول فيلون السكندري بأنهم منتشرون في كل أرض إسرائيل، إلا أن بلينيوس حدّد تمرّكّزهم في عين جدي بالقرب من البحر الميت، كما أضاف أنهم كانوا يُعمّدون أنفسهم يومياً في الماء، ويأكلون في جماعات، ويكرّسون حياتهم لفعل الخيرات، ويمتنعون عن الغضب، ويتدارسون كتب الأقدمين ويبحثون في أسرارها، ويقسّون أسماء الملائكة في كتاباتهم المقدسة. أما أساس التسمية، فنسبة إلى كلمة أسين، وتعني باليونانية الصامتين، أو الممارسين، أو الاتقياء أو الورعين أو المغتسلين.

وقد كانوا مقسمين إلى 12 مجموعة بقيادة رئيس يسمى (سيد العدالة)، واتخذوا اللون الأبيض كملبس لهم. هناك الكثير من الاعتقادات بأن النبي يحيى بن زكريا/ يوحنا المعمدان قضى معهم فترة من الزمن، تحضيراً لوصول السيد المسيح.

الدينوية وصل إلى مرحلة النضج في مادية القرن العشرين؛ على الرغم من أن الأفلاطونية المحدثة احتاجت القرون الطويلة قبل أن تتخذ شكلاً محدداً.

على الرغم من الاعتقاد لفترة طويلة بأن أمونيوس<sup>(1)</sup> السقاص هو مؤسس الأفلاطونية المحدثة، إلا أن البداية الحقيقية كانت مع أفلوطين<sup>(2)</sup>؛ وكان من بين أبرز الأفلاطونيين الجدد في الإسكندرية وسوريا وروما وأثينا قرفوريوس<sup>(3)</sup> وامبليخوس وسالوستيوس والإمبراطور يوليان<sup>(4)</sup> وبلوتارخ وبرقلس. في تعاليمها وجدت المثالية القديمة التعبير الأكثر مثالية. لقد اهتمت الأفلاطونية المحدثة بشكل شبه حصري بمشاكل الميتافيزيقيا العليا؛ فأدركت وجود عقيدة سرية ذات أهمية بالغة، والتي كانت مخبأة منذ وقت مبكر ضمن الطقوس والرموز والاستعارات في الأديان والفلسفات. بالنسبة للعقل غير المدرك لمبادئها الأساسية، قد تبدو الأفلاطونية المحدثة كتلة من التكهنات تتخللها شطحات بالغة من الهوى. لكن وجهة النظر

---

(1) أمونيوس السقاص فيلسوف إسكندري، وُلد في أواسط القرن الثاني ومات عام 241م. كلمة "سقاص" مشتقة من كلمة "ساكس" CAKI اليونانية، ومعناها "كيس". تعلم الفلسفة الأفلاطونية وتعمق فيها جداً، وفي أواخر القرن الثاني نال المعمودية، وإن كان بعض المؤرخين يرون أنه لم ينل العمد وإنما كان معجباً بالمسيحية. أراد من الوثنيين أن يقبلوا مبادئها جنباً إلى جنب مع ما هو حسن في الوثنية ورفض ما هو فاسد في الوثنية. لم يبق من مؤلفاته سوى كتاب: "اتفاق البشائر الأربع".

(2) أفلوطين (نحو 205 - 270 م) هو فيلسوف يوناني، يُعتبر أبرز ممثلي الأفلاطونية المُحدثة. يُعرف في المصادر العربية بـ «الشيخ اليوناني». جميع المعلومات المتوفرة عن الفيلسوف أفلوطين أتت من تلميذه قرفوريوس ودونها في مقدمة كتاب التاسوعات لأفلوطين. أما كتابات أفلوطين في الميتافيزيقيا كان لها تأثير كبير على العديد من الفلسفات والأديان: الوثنية، اليهودية، المسيحية، الإسلام، الصوفية.

(3) قرفوريوس الصوري (نحو 234 - 305 م) فيلسوف من مواليد صور، يُعتبر أحد أبرز ممثلي الفلسفة الأفلاطونية المُحدثة. تتلمذ على أفلوطين ووضع ترجمةً لحياته، على أن أشهر آثاره هي إيساغوجي، وهي مقدمة لمقولات أرسطو. كما انتقد النصرانية في كتاب دعاه «ضد النصارى».

(4) يولييانوس (يوليان المرتد - يولييانوس الجاحد) (331 - 363م) (Julian) إمبراطور الإمبراطورية الرومانية (361 - 363م) كان يقول أن المسيح ليس إلهاً، وحاول إعادة مجد الوثنية لكنه فشل، حيث أصبحت المسيحية الديانة الرسمية الوحيدة للإمبراطورية.



هذه تتجاهل مؤسسات الأسرار - تلك المدارس السرية التي كانت في عمقها مثالية لجميع الفلاسفة الأوائل في العصور القديمة.



أنياس عند بوابة الجحيم

يصف فرجيل في الإنياذة<sup>(1)</sup> جزءاً من الطقوس اليونانية الغامضة – ربما اليوسيس – في روايته لنزول أنياس إلى الجحيم بهدي من سيبييل. عن هذا الجزء من الطقوس المصورة أعلاه، يكتب الشاعر الخالد: لقد ذهباً معاً يجوزان أرض الأشباح، فكانا أشبه برجلين يقطعان غابة لا يتخللها إلا نور مربب، يلقيه القمروقد سطع حقاً، ولكن الغيوم تغشي السماء. فأتيا أول ما أتيا أبواب الجحيم، حيث يقيم الحزن والندم والسقم الشاحب والخوف والجوع الذي يحفز الناس إلى الخطيئة، والعوز والموت والنصب والنوم نسيب الموت وقريبه، والحرب القاتلة. ورأيا غرف ملكات الرعب والتنازع وشعورهن حيات تقطردماً. وفي هذه المنطقة دردارة عظيمة تسكن على أغصانها جميع أنواع الأحلام، وأشكال من جميع أنواع الهول الشريرة، مثل القنطور الذي كان نصف رجل ونصف حصان، وبرياروس ذي المائة يد وغيرهما من الأشياء التي حينما رآها أنياس، أسرع إليها بسيفه نائياً قتلها، ولكن مرشدته حذرتة بأنها ليست إلا أشباحاً.

(1) الإنياذة: ملحمة شعرية كتبها الشاعر فرجيل في نهاية القرن الأول قبل الميلاد (29 - 19 ق.م) باللغة اللاتينية. وهي تصف الحياة الأسطورية لأنياس الطروادي والذي سافر غرباً إلى أراضي إيطاليا وأصبح أباً لكل الرومان.



فعندما انهار الجسد المادي للفكر الوثني، بذلت محاولات لإحياء الجسد عن طريق غرس روح جديدة فيه من خلال الكشف عن حقائقه الروحانية. ويبدو أن هذا الجهد كان عقيماً. وهنا نقول أنه وعلى الرغم من العداء، بين المسيحية البكر والأفلاطونية المحدثة فقد قبلت الأولى العديد من المبادئ الأساسية للأخيرة لتنسج لاحقاً ضمن فلسفة الآباء الأوائل في المسيحية. جماع القول، الأفلاطونية المحدثة هي نظام فلسفي يصور كل من الجسد المادي أو التألمي للعقيدة، كمجرد غطاء للحقيقة الروحية التي يمكن اكتشافها من خلال التأمل وممارسات معينة ذات طبيعة روحانية. وبالمقارنة مع الحقائق الروحية الباطنية التي تحتوي عليها، كانت الأشكال الجسدية للدين والفلسفة تُعد قليلة القيمة نسبياً. وبالمثل، لم يجرِ التركيز على العلوم المادية.

يتم استخدام مصطلح الآبائيات لوصف فلسفة آباء الكنيسة المسيحية في وقت مبكر. وتنقسم هذه الفلسفة إلى فترتين عموماً: ما قبل نيقية، وما بعدها. كانت فترة ما قبل نيقية في الأساس مخصصة للهجوم على الوثنية وللاعتذار والدفاعات المسيحية. فتمت مهاجمة البنية الكاملة للفلسفة الوثنية وأملت تعاليم عن الإيمان تتجاوز ما هو منطقي؛ حتى أنه في بعض الحالات، بذلت جهود للتوفيق بين الحقائق الواضحة للوثنية والوحي المسيحي. كان من بين

آباء ما قبل نيقية القديس إيرينيئوس<sup>(1)</sup> وإكليمندس الإسكندري<sup>(2)</sup> وجاستن الشهيد<sup>(3)</sup>. أما فترة ما بعد نيقية، تم التركيز بشكل أكبر على تطور الفلسفة المسيحية على نسق الخطوط الأفلاطونية والأفلاطونية المحدثه، مما أدى إلى ظهور العديد من الوثائق الغريبة ذات الطبيعة المطولة والممتلئة بالغموض، والتي كانت كلها غير سليمة من الناحية الفلسفية. شمل فلاسفة

(1) القديس إيرينيئوس توفي نحو عام 202 م وهو أسقف مدينة لوغدونوم في بلاد الغال، ثم أصبح علماً وجزءاً من الإمبراطورية الرومانية (مدينة ليون في فرنسا). وكان القديس إيرينيئوس أحد أشهر آباء الكنسية الأوائل ومن أهم المدافعين عن العقيدة المسيحية، وكانت كتاباته تقويمية خلال فترة بداية انتشار ونمو علم اللاهوت المسيحي. كتب العديد من الكتب أهمها كتابه الشهير ضد الهرطقات، حيث قدم فيه تفصيلاً وهجوماً مفصلاً لفضح الغنوصية.

(2) إكليمندس الإسكندري وهو واحد من أبرز معلمي مدرسة الإسكندرية اللاهوتية، ولد في أثينا وتوفي حوالي عام 215. أبرز ما ميز تعاليمه هو ربطه وتوحيده بين الفلسفة اليونانية واللاهوت المسيحي، فكانت كل كتاباته بشكل عام موجهة للعالم الهيليني والثقافة اليونانية.

تأثر إكليمندس بالفلسفة الهلنستية بدرجة أكبر من أي مفكر مسيحي آخر في عصره، وخاصةً أفلاطون والرواقية. تشير أعماله السرية، التي لم يتبق إلا أجزاء منها، إلى أنه كان على دراية أيضاً بتعاليم باطنية وغنوصية يهودية ما قبل المسيحية. في أحد أعماله، جادل بأن الفلسفة اليونانية ترجع أصولها إلى غير الإغريق، وأن كلا من أفلاطون وفيثاغورث تم تعليمهم من قبل علماء مصريين. كان من بين تلاميذه أوريغانوس وألكسندر بطريرك القدس.

(3) المعروف أيضاً بالقديس جاستن، أو "يوستينوس الشهيد"، (100 - 165 م)، يعتبر المترجم الأول لنظرية اللوغوس في القرن الثاني وقد استشهد، جنباً إلى جنب مع بعض من تلاميذه، وتم اعتباره قديساً. فقدت معظم أعماله، ولكن اثنين من الدفاعيات وحوار عثر عليهم. الدفاع الأول، مخطوطته الأكثر شهرة، تدافع بحماس عن أخلاق الحياة المسيحية، ويقدم حجج أخلاقية وفلسفية مختلفة لإقناع الإمبراطور الروماني أنطونيوس بيوس، ليتخلى عن اضطهاد الطائفة الوليدة. وعلاوة على ذلك، صنع الاقتراح اللاهوتي المبتكر بأن "بذور المسيحية" (مظاهر تأثير "كلمة الله" في التاريخ) سبقت في الواقع تجسد المسيح. هذه الفكرة تتيح له أن يدعي أن العديد من الفلاسفة اليونانيين التاريخيين (بما فهم سقراط وأفلاطون)، من خلال الأعمال التي درسها جيداً، مسيحيين غير عارفين. ولد جاستن في نابلس لعائلة وثنية في عهد ماركوس أوريليوس، بعد جدال مع كريسكيوس الفيلسوف الكلي، اشتكاه هذا الأخير إلى السلطات، وفقاً لكتابات تاتيان ويوسابيوس. حوكم جاستن، جنباً إلى جنب مع ستة من رفاقه، من قبل جونيوس راستيكوس، الذي كان الحاكم وقطع رأسه.

ما بعد نيقية أثناسيوس<sup>(1)</sup>، غريغوري النيصي<sup>(2)</sup>، وكيرلس الإسكندراني<sup>(3)</sup>. اشتهرت مدرسة الآباء بتأكيدهم على سيادة الإنسان في جميع أنحاء الكون؛ فقد صُنع الإنسان ليكون خلقاً منفصلاً وإلهياً - الإنجاز المتوج للإله واستثناءً من سلطة القانون الطبيعي.

كان من غير المعقول بالنسبة للآباء أن يكون هناك أبداً مخلوق آخر نبيل، أو محظوظ، أو قادر كالإنسان، والذي من أجل مصلحته ولأجل تنويره، خلقت جميع ممالك الطبيعة في المقام الأول. بلغت هذه الفلسفة ذروتها في الأوغسطينية<sup>(4)</sup>، والتي يمكن تعريفها بشكلٍ أدق على أنها أفلاطونية مسيحية. في مواجهة مذهب البيلاجيانية<sup>(5)</sup> القائل بأن الإنسان صانع

(1) أثناسيوس [أثناسيوس الإسكندري - أثناسيوس الكبير - البابا أثناسيوس الأول الإسكندري - أثناسيوس المعترف - أثناسيوس الرسولي] - (293 - 373) كان بطريرك الإسكندرية في القرن الرابع. تم الاعتراف به كقديس من الكنيسة الكاثوليكية مؤخراً بعد الكنائس الأرثوذكسية الشرقية وخاصة الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، كما يعتبر عالماً عظيماً من قبل البروتستانت. أعلنته الكنيسة الكاثوليكية في روما أحد علماء الكنيسة الـ 33، ويعتبر أحد الآباء الأربعة الأعظم لدى الكنائس الشرقية، هو أب الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ومعلمها الإيماني الأول.

(2) القديس غريغوريوس أسقف نيصص أحد الآباء العظام من قيصرية في تركيا حالياً.

(3) كيرلس الأول (376 - 27 يونيو 444 م) البابا السكندري والبطريرك الرابع والعشرون والملقب "عمود الدين ومصباح الكنيسة الأرثوذكسية".

(4) نسبة للقديس أوغسطينوس (354 - 430) كاتب وفيلسوف من أصل نوميدي - لاتيني ولد في سوق أهراس، الجزائر. يعد أحد أهم الشخصيات المؤثرة في المسيحية الغربية. تعدّه الكنيستان الكاثوليكية والأنجليكانية قديساً وأحد آباء الكنيسة البارزين وشفيع المسلك الرهباني الأوغسطيني. يعدّه العديد من البروتستانت، وخاصة الكالفينيون أحد المناابع اللاهوتية لتعاليم الإصلاح البروتستانتي حول النعمة والخلاص. وتعدّه بعض الكنائس الأرثوذكسية مثل الكنيسة القبطية الأرثوذكسية قديساً.

(5) البيلاجيانية هي نظرية لاهوتية يعود اسمها إلى الراهب بيلاجيوس (354 - 420 م). فهي تعتقد أن الخطيئة الأصلية لم تؤثر على الطبيعة البشرية، وأن إرادة الإنسان لا تزال قادرة على الاختيار بين الخير والشر دون مساعدة إلهية خاصة. وبالتالي، كانت خطيئة آدم تشكل نموذجاً سيئاً لنسله، ولكن عواقبها الأخرى لم تحسب لهم. وحسب البيلاجيانية، كان دور يسوع تشكيل نموذج جيد لباقي الناس (وهكذا يبطل نموذج آدم السيئ) بالإضافة إلى التكفير عن خطايانا. وباختصار، للإنسان السيطرة التامة، والمسؤولية التامة عن اطاعة الإنجيل بالإضافة إلى المسؤولية التامة عن كل خطيئة

خلاصه، رفعت الأوغسطينية الكنيسة وعقائدها إلى درجة العصمة المطلقة - وهو موقف حافظت عليه بنجاح حتى الإصلاح. الغنوصية، وهي نظام من الفيض، وتفسر المسيحية بمصطلحات ميتافيزيقية يونانية ومصريه وفارسيه، ظهرت في الجزء الاخير من القرن الاول من العهد المسيحي. عملياً فإن كل المعلومات الموجودة بشأن الغنوصيين ومذاهبهم، والتي وصفها آباء الكنيسة بأنها هرطقة، مستمدة من الاتهامات الموجهة ضدهم، لا سيما من كتابات القديس إيرينيئوس.

في القرن الثالث، ظهرت المانوية وهي نظام ثنائي من أصل فارسي، علّم أن الخير والشر كانا يتنافسان إلى الأبد من أجل التفوق العالمي. في المانوية، يُنظر إلى المسيح على أنه مبدأ استرداد الخير في تناقض مع الرجل يسوع الذي كان ينظر إليه على أنه شخصية شريرة.

كانت وفاة بوثيوس<sup>(1)</sup> في القرن السادس إعلاناً عن إغلاق المدرسة الفلسفية اليونانية القديمة. شهد القرن التاسع صعود مذهب فلسفي جديد وهو المدرسية، والتي سعت إلى التوفيق بين الفلسفة واللاهوت. ممثلو الأقسام الرئيسية للمدرسية كانوا: التركيبي جون<sup>(2)</sup>

---

(النقطة الأخيرة موافق عليها من قبل أنصار وخصوم البيلاجيانية). وحسب العقيدة البيلاجيانية، كون الإنسان خاطئ عن طريق الاختيار، فإنه مجرم بحاجة إلى تكفير يسوع المسيح. والخطاة ليسوا ضحايا، بل مجرمين يحتاجون إلى العفو. تعتبر البيلاجيانية هرطقة في معظم الطوائف المسيحية، بما فيها الكاثوليكية والبروتستانتية التاريخية.

<sup>(1)</sup> بوثيوس ( 480 - 524 ) فيلسوف وسياسي روماني اشتهر بعجلة الحظ وعزاء الفلسفة، التي أصبحت واحدة من الأعمال الفلسفية الأكثر شعبية وتأثيراً في العصور الوسطى. حوكم بتهمة الخيانة حيث نفى وأعدم لاحقاً.

<sup>(2)</sup> جون سالزبوري توفي 1180، والذي وصف نفسه بأنه يوحنا الصغير، كان مؤلفاً إنجليزياً وفيلسوفاً ومربياً ودبلوماسياً وأسقفاً في شارتر، ولد في سالزبوري إنكلترا.

من سالزبورج، والمتصوف برنارد<sup>(1)</sup> من كليرفو وسانت بونا فنتورا<sup>(2)</sup>، والعقلاني بيتر أبلار<sup>(3)</sup>، والتصوف الوجودي لميستر إكهرت<sup>(4)</sup>. كان من بين الأرسطوطاليسيين العرب ابن سينا وابن رشد. بلغت المدرسية الذروة مع ظهور ألبرتوس ماغنوس<sup>(5)</sup> وتلميذه اللامع، القديس توما

(1) برنارد من كليرفو، كان رئيس الدبر الفرنسي وقائد رئيسي في إصلاح الرهبنة البندكتية التي تسببت في تشكيل النظام السستريسي. في عام 1128، حضر برنارد مجلس تروي، الذي تتبع فيه الخطوط العريضة لقاعدة فرسان الهيكل.

(2) القديس بونا فنتورا، الرهبنة الفرنسيسكانية، توفي 1274، أُطلق عليه اسم جوفاني دي فيدينسا عند ولادته، وهو عالم لاهوت وفيلسوف إيطالي مدرسي. وكان سابع كاهن عام للرهبانية الصغرى، كما كان أسقفاً كاردينالاً لألبانو. وقام البابا سيكتوس الرابع بإعلان قداسه في 14 من إبريل 1482م، وأعلنه البابا سيكتوس الخامس ملفاناً في عام 1588م. وقد عُرف أيضاً باسم "الملفان السيرافيي". وقد تم جمع العديد من الأعمال التي كان يُعتقد أنها له في القرون الوسطى تحت اسم شبه - بونا فنتورا.

(3) بيتر أبلار (1079 - 1142)، فيلسوف فرنسي شهير وله الفضل في إنشاء جامعة باريس، ويعتبر شعلة ألهمت عقل أوروبا اللاتينية في القرن الثاني عشر، ويعد ممثلاً لأخلاق عصره وأدابه، وأرقى واعظم ما يخلب اللب ويهر العقل في ذلك العصر. وتعتبر علاقته العاطفية بتلميذته إلواز مضرباً للأمثال.

(4) ميستر إكهرت (1260 - 1328) فيلسوف وعالم لاهوت ولد فيما يعرف الآن بألمانيا، درس في أحد المعاهد الدينية وتخرج وحصل على رتبة عالية في الكنيسة، وعمل في فرنسا كمعلم لاهوتي، أثارت أفكاره بعض الأرثوذكسيين المتخوفين من كل جديد وأدى ذلك لاتهمه بالهرطقة، كما أن فكره كان مشابهاً أحياناً لفكر جماعة أخوية الروح الحرة والتي كانت الكنيسة تحاربها بشدة، كتب دفاعاً عن نفسه وأعلن أنه يتراجع مقدماً عن أي من كتاباته التي ترفضها الكنيسة، وقبل صدور الحكم توفي ليأتي الحكم بتحريم عدة أقوال له والتحفظ على بعضها الآخر. وبالرغم من رفض الكنيسة له إلا أن تلاميذه ظلوا يحترمونه ويلقبونه بالمعلم المقدس، كان له عدة أتباع ممن عرفوا بباطنية الراينلاند أو (اصدقاء الله). ظل إكهرت أحد أهم رموز الإصلاح إلى زمن لوثر. ولكن شهرته خفت بعد ذلك وظل منسياً إلى أن أحيا الثيوصوفي فرانز بفايفر فكره الأفلاطوني الجديد وقام بنشر مقاطع كثيرة له باللاتينية والألمانية.

(5) ألبرتوس ماغنوس (1200 - 1280)، المعروف أيضاً باسم القديس ألبرت الكبير، وألبرت كولونيا، كاهن وراهب دومينيكي حقق الشهرة لمعرفته الشاملة ودعوته للتعايش السلمي بين العلم والدين. ويعتبر أعظم لاهوتي وفيلسوف ألماني من العصور الوسطى. كان الأول بين دارسي القرون الوسطى الذي طبق فلسفة أرسطو في الفكر المسيحي. كرمته الكنيسة الكاثوليكية بصفة دكتور الكنيسة وواحداً من 33 شخصاً فقط نالوا هذا التكريم. من إنجازاته في الكيمياء: اكتشاف عنصر الزرنيخ عام 1250م.



الأكويني<sup>(1)</sup>. سعت التوماوية (فلسفة القديس توما الأكويني، والذي يشار إليه أحياناً باسم أرسطو المسيحي) على التوفيق بين مختلف المذاهب في الفكر المدرسي. وتعد التوماوية بالأساس فلسفة أرسطو مضافاً إليها أن الإيمان ناتج عن المنطق.

أكدت السكوطية، أو عقيدة التطوع التي نشرها جوان دانس سكوتس، وهو معلم فرنسيسكاني، قوة وفعالية الإرادة الفردية، على عكس التوماوية. كانت السمة البارزة للفلسفة المدرسية هي جهدها المحموم لصوغ كل الفكر الأوروبي في قالب أرسطوي. في نهاية المطاف، انحدر فلاسفة المدرسية إلى مجرد مجموعة من جامعي الكلمات الذين اختاروا كلمات لأرسطو نظيفة لدرجة أنه لم يبق سوى العظام من تلكم الفلسفة. كانت هذه المدرسة المهارة ذات الحشو السقيم الخالي من المعنى هي التي وجه السير فرانسيس بيكون<sup>(2)</sup> إليها هجماته اللاذعة.

الباكونية، أو النظام الاستقرائي للمنطق (حيث يتم التوصل إلى الحقائق من خلال عملية الملاحظة والتحقق منها عن طريق التجريب) هي من مهد الطريق لمدارس العلوم الحديثة. تبع بيكون توماس هوبز (سكرتيره لبعض الوقت)، الذي اعتبر أن الرياضيات هي العلم الدقيق الوحيد وأن الفكر عملية رياضية في الأساس. أعلن هوبز أن المادة هي الحقيقة الوحيدة، وأن البحث العلمي يقتصر على دراسة الأجسام، والظواهر المرتبطة بأسبابها المحتملة، والعواقب الناتجة عنها تحت كل مجموعة متنوعة من الظروف. ركز هوبز بشكل خاص على أهمية الكلمات، وأعلن أن الفهم هو إدراك العلاقة بين الكلمات والأشياء التي تمثلها.

بعد أن انفصلت عن الفلسفة المدرسية واللاهوتية، شهدت فلسفة ما بعد الإصلاح، أو الفلسفة الحديثة، نمواً غزيراً لفروعها المختلفة. فوفقاً للإنسانية، الرجل هو مقياس كل

<sup>(1)</sup> توماس الأكويني (1225 - 1274) فيلسوف ولاهوتي مؤثر ضمن تقليد الفلسفة المدرسية. كان أحد الشخصيات المؤثرة في مذهب اللاهوت الطبيعي، تأثيره واسع على الفلسفة الغربية، وكثيرٌ من أفكار الفلسفة الغربية الحديثة إما ثورة ضد أفكاره أو اتفاقٌ معها، خصوصاً في مسائل الأخلاق والقانون الطبيعي ونظرية السياسة. يعتبره العديد من المسيحيين فيلسوف الكنيسة الأعظم لذلك تُسمى باسمه العديد من المؤسسات التعليمية. ويطلق على فلسفته التوماوية.

شيء. العقلانية تجعل كليات التفكير هي أساس كل المعرفة؛ على حين ترى الفلسفة السياسية أنه يجب على الإنسان فهم امتيازاته الطبيعية والاجتماعية والوطنية؛ كما تعلن التجريبية أن الصحيح وحده هو ما يمكن إثباته بالتجربة أو تأكده التجربة؛ وتؤكد الأخلاق على ضرورة التصرف الصحيح كعقيدة فلسفية أساسية؛ وتعلن المثالية أن حقائق الكون فوق طبيعية - إما ذهنية أو نفسية؛ أما الواقعية فعلى العكس؛ والظاهرية تقيد المعرفة بالحقائق أو الأحداث التي يمكن وصفها أو شرحها علمياً. أحدث التطورات في مجال الفلسفة هي السلوكية والواقعية الجديدة. الأولى تقيم الخصائص الجوهرية من خلال تحليل السلوك؛ ويمكن تلخيص الواقعية الجديدة باعتبارها الانقراض التام للمثالية. لقد تصور باروخ دي سبينوزا<sup>(1)</sup>، الفيلسوف الهولندي البارز، أن الإله عبارة عن مادة موجودة بذاتها ولا تحتاج إلى أي مفهوم آخر لجعلها كاملة وواضحة؛ وتفهم طبيعة هذا الكائن بحسب سبينوزا من خلال سماته، والتي هي امتداد وفكر هذا الجمع لتشكيل مجموعة لا نهاية لها من المظاهر والوسائل. عقل الإنسان هو أحد أنماط الفكر اللانهائي؛ جسد رجل واحد هو وسائط تمتد بشكلٍ لانهائي. من خلال العقل يسمو الرجل بنفسه فوق العالم المتوهم للحواس ليعثر على الخلود في الاتحاد المثالي مع جوهر الإلهية؛ سبينوزا كما قيل، حرم الإله من كل شخصيته مما جعله مرادفاً للكون.

<sup>(1)</sup> باروخ سبينوزا هو فيلسوف هولندي (1632 - 1677) في مطلع شبابه كان موافقاً مع فلسفة رينيه ديكارت عن ثنائية الجسد والعقل باعتبارهما شيئين منفصلين، ولكنه عاد وغير وجهة نظره في وقت لاحق وأكد أنهما غير منفصلين، لكونهما كيان واحد. امتاز سبينوزا باستقامة أخلاقه وخط لنفسه نهجا فلسفياً يعتبر أن الخير الأسى يكون في " فرح المعرفة " أي في " اتحاد الروح بالطبيعة الكاملة ".

Schema huius præmissæ diuisionis Sphærarum .



نظام بطليموس للكون

كسخرية من النظام الذي اعتبر أن الأرض هي مركز الكون، الذي شرحه كلاوديوس بطليموس<sup>(1)</sup>، سعى علماء الفلك الحديثين عن المفتاح الفلسفي للنظام البطلمي. كون بطليموس هو تمثيل توضيحي للعلاقات القائمة بين الأجزاء الإلهية والعناصر المختلفة لكل مخلوق، ولا يهتم بعلم الفلك بمعناه الحالي. في الشكل أعلاه، يتوجه اهتمام خاص إلى الدوائر الثلاث من الأبراج المحيطة بالمدارات الخاصة بالكواكب؛ تمثل هذه الأبراج الدستور الروحي الثلاثي للكون. مدارات الكواكب هي من يحكم العالم، وتمثل العناصر الكروية الأربع في المركز الدستور المادي لكل من الإنسان والكون، ومخطط بطليموس للكون هو مجرد

(1) بطليموس (100 م – 170) رياضي وعالم فلك وجغرافي ومنجم وشاعر إغريقي. توفي قُرْب الإسكندرية. وهو صاحب كتاب المجسطي. يقوم نظامه الفلكي على أساس أن الأرض ثابتة، وأنَّ الأفلاك تدور حولها.

مقطع عرضي للمهالة الكونية، أما الكواكب والعناصر التي يعنينا، فلا تمت بصلة ما يشير إلى عدم وجود علاقة مع تلك المعترف بها من قبل علماء الفلك الحديث.

برزت الفلسفة الألمانية مع غوتفريد فيلهلم فون لايبنتز<sup>(1)</sup>، الذي تتخلل نظرياته صفات التفاؤل والمثالية. كشفت معايير لايبنتز عن عدم كفاية نظرية ديكرت، وبالتالي فقد خلص إلى أن المادة نفسها تحتوي قوة متأصلة على شكل عدد لا يحصى من الوحدات المنفصلة والكاملة. المادة المختزلة إلى جزيئاتها النهائية لم تعد موجودة كجسم كبير، ويتم حلها في كتلة من الأفكار غير المادية أو وحدات الطاقة الميتافيزيقية، والتي طبق عليها لايبنتز مصطلح الموناد. وهكذا يتكون الكون من عدد لا حصر له من كيانات أحادية منفصلة تتكشف تلقائياً من خلال تعريف الصفات الفطرية النشطة. يتم تصور كل الأشياء على أنها تتكون من مونادٍ أحادية ذات أحجام متفاوتة أو تجمعات من هذه الموناد، والتي قد توجد كأشكال جسدية أو عاطفية أو عقلية أو روحية. الإله هو أول وأكبر موناد. روح الإنسان هي مونادٍ بقضة في تناقض مع موناد الممالك الدنيا التي تكون فيها في حالة شبه نائمة.

على الرغم من أن فلسفة إيمانويل كانط تعد ثمرة عن مدرسة لايبنتز، فمثل لوك<sup>(2)</sup>، كرس نفسه للتحقيق في إمكانات وحدود الفهم الإنساني. وكانت النتيجة فلسفته النقدية، واحتضانه لنقد العقل الخالص، ونقد العقل العملي، ونقد المحاكمة العقلية. يلخص الدكتور ديورانت<sup>(3)</sup> فلسفة كانط بالقول: أنه أنقذ العقل من المادة.

---

<sup>(2)</sup> جون لوك (1632 - 1704) فيلسوف تجريبي ومفكر سياسي إنجليزي. من أكبر أعماله مقال عن الفهم الإنساني الذي يشرح فيه نظريته حول الوظائف التي يؤديها العقل (الذهن) عند التعرف على العالم. اشتهر جون لوك زعيم الحسين بعبارته المشهورة: "إذا سألك سائل: متى بدأت تفكر؟ فيجب أن تكون الإجابة: عندما بدأت أحس" لقد سلم لوك بعجز العقل البشري وقصوره عن معالجة ما يتجاوز حدوده وإمكاناته وقد وضح ذلك في معظم كتبه ولا سيما كتابه ( مقال في الفهم الإنساني ) وكتابه ( عن العقل البشري ).

<sup>(3)</sup> ويليام جيمس ديورانت (1885 - 1981) فيلسوف، مؤرخ وكاتب أمريكي من أشهر مؤلفاته كتاب قصة الحضارة والذي شاركته زوجته أربيل ديورانت في تأليفه.

صُمم العقل عند كانط ليكون المحدد والمنسق لجميع المدركات، والتي هي بدورها نتيجة تجميع الحواس حول بعض الأشياء الخارجية. في تصنيف الحواس والأفكار، يوظف العقل فئات معينة: الإحساس، الزمان والمكان؛ الفهم والجودة والعلاقة والأسلوب والسببية؛ ووحدة الإدراك. وكونهما خاضعين لقوانين رياضية، يعتبر الزمان والمكان أساسين مطلقيين وكافيين للتفكير الدقيق. أعلن كانط في نقد العقل العملي أنه وبينما لا يمكن فهم طبيعة النومينون<sup>(1)</sup> أبداً بواسطة المنطق، فإن حقيقة الأخلاق تثبت وجود ثلاثة افتراضات ضرورية: الإرادة الحرة والخلود والإله. في نقد المحاكمة العقلية، يوضح كانط اتحاد النومينون والفينومون في التطور الفني والتطور البيولوجي. الفكر السامي الألماني هو نتاج التركيز الشديد لنظرية كانط لتفوق العقل على الإحساس والفكر. كانت فلسفة يوهان فخته بمثابة اسقاطٍ لفلسفة كانط، حيث حاول توحيد عقل كانط العملي مع العقل الخالص. قال فخته: أن المعروف هو مجرد محتويات وعي العارف، وأنه لا يمكن أن يوجد شيء للعارف حتى يصبح جزءاً من تلك المحتويات؛ فلذلك لا شيء حقيقي في الواقع، ما عدا حقائق التجربة العقلية الخاصة.

اعترافاً بضرورة وجود حقائق موضوعية معينة، استخدم فريدريك شيلنغ، والذي خلف فخته على كرسي الفلسفة في جينا، مبدأ الهوية كعقيدة أسس عليها نظاماً كاملاً في الفلسفة. فعلى حين أن فخته كان يعتبر الذات مطلقة، فقد تصور شيلنغ العقل اللانهائي والأبدي ليكونا هما السبب المنتشر. يتم إدراك المطلق عن طريق البداهة الفكرية، وكونها تتفوق على الحواس الروحانية، فهي قادرة على الانفصال عن كل من الشخصي والموضوعي. اعتبر شيلنغ تقسيمات كانط للزمان والمكان بأنها إيجابية وسلبية على التوالي، وبأن الوجود المادي هو نتيجة الفعل المتبادل لهذين التعبيرين.

<sup>(1)</sup> النومينون مصطلح فلسفي ويقصد به ويرادفه في الاستخدام الفلسفي الشيء في ذاته. ومصطلح النومينون لم يكن شائعاً حتى جاء به الفيلسوف الألماني إيمانويل كانط ثم أصبح مصطلح النومينون مرتبطاً بالفلسفة الكانطية. والمقصود بالشيء في ذاته هو الحقيقة الأساسية للشيء التي تكمن وراء الظواهر. أصل الكلمة يوناني مشتقة من الفعل أعتقد أو أعني. في الفلسفة الكلاسيكية يعني مصطلح النومينون أي موضوع يعترض الفهم أو التساؤل أو المعرفة الإنسانية. وهو مفهوم قريب من مفهوم الموضوعية الفلسفية، التي تعني بالموضوعات الواقعية لكن غير المحسوسة. على العكس من مفهوم الفينومون الذي يعنى بالظواهر.

كما صرّح فون شيلنغ بأن المطلق في عملية تطوير الذات ينطلق وفقاً لقانون أو إيقاع يتكون من ثلاث حركات. الأولى، الحركة العاكسة، وهي محاولة اللانهائي تجسيد نفسه في النهاية. والثانية، وهي المقدمة، وهي محاولة المطلق للعودة إلى اللانهائي بعد التورط في المحدود. أما الثالثة، فهي النقطة المحايدة حيث تمتزج الحركتان السابقتان.

اعتبر هيغل أن الحدس البديهي لفون شيلنغ غير سليم من الناحية الفلسفية، وبالتالي حوّل انتباهه إلى إنشاء نظام فلسفي قائم على المنطق الخالص. حول هيغل قيل إنه بدأ بلا شيء وأظهر بدقة منطقية كيف أن كل شيء قد انطلق منه بترتيب منطقي. رفع هيغل المنطق إلى مكان بالغ الأهمية، في الواقع من نوع المطلق نفسه. واعتبر الإله عملية تكشف والتي لا تكتمل أبداً؛ بطريقة مماثلة، يكون الفكر بدون بداية أو نهاية. يعتقد هيغل كذلك أن كل الأشياء تدين بوجودها إلى الأضداد وأن جميع الأضداد متطابقة بالفعل؛ وبالتالي فإن الوجود الوحيد هو علاقة الأضداد مع بعضها البعض، والتي يتم من خلالها إنتاج عناصر جديدة. ونظراً لأن العقل الإلهي هو عملية فكرية أبدية لم تنجز مطلقاً، فإن هيغل يهاجم أساس الإيمان بالذات وفلسفته تحد من الخلود إلى الإله المتدفق وحده. التطور هو بالتالي التدفق الذي لا ينتهي من الوعي الإلهي من نفسه؛ كل الخلق، ورغم الحركة المستمرة لا يصلون أبداً إلى أي حالة أخرى غير تلك المتدفقة دون توقف.

كانت فلسفة هيربرت<sup>(1)</sup> رد فعل واقعي على مثالية فخته وفون شيلنغ. بالنسبة إلى هيربرت، كان الأساس الحقيقي للفلسفة هو الكتلة الكبيرة من الظواهر التي تنتقل باستمرار عبر العقل البشري. ومع ذلك فإن دراسة الظواهر توضح أن جزءاً كبيراً منها غير واقعي، أو على الأقل غير قادر على تزويد العقل بالحقيقة الفعلية. لتصحيح الانطباعات الخاطئة التي تسببها

(1) يوهان فريدريك هيربرت (1776 – 1841) هو فيلسوف ونفساني ألماني، وهو مؤسس علم التربية كفرع أكاديمي، أثر كثيراً في نظرية التربية في نهاية القرن التاسع عشر. اعتقد هيربرت أن التربية مرتبطة بالأخلاق (دراسة أنماط الصواب والخطأ) وعلم النفس، حيث توفر الأخلاق الهدف الشامل للتربية لبناء صفات أخلاقية قوية، ويزوّد علم النفس وسائل تحقيق هذا الهدف.

الظواهر واكتشاف الواقع، يعتقد هربرت أنه من الضروري حل هذه الظواهر في عناصر منفصلة، لأن الواقع موجود في العناصر وليس في مجملها.

صرح بأنه يمكن تصنيف الأشياء بثلاثة مصطلحات عامة: الشيء، المادة، والعقل؛ الأول هو وحدة من عدة خصائص، والثانية كائن موجود، والثالث كائن واعٍ ذاتي. ومع ذلك تثير المفاهيم الثلاثة بعض التناقضات التي تتعلق حل هربرت بها أساساً. فعلى سبيل المثال المادة، فرغم أنها قادرة على ملء المساحة، إلا أنها تتحول إلى وحدات دقيقة غير مفهومة من الطاقة الإلهية لا تشغل حيزاً طبيعياً على الإطلاق، إذا تم اختزالها إلى حالتها النهائية.

الموضوع الحقيقي لفلسفة آرثر شوبنهاور<sup>(1)</sup> هو الإرادة؛ وهدف فلسفته رفع مستوى العقل إلى الحد الذي يكون فيه قادراً على التحكم في الإرادة. يشبه شوبنهاور الإرادة برجل أعى قوي يحمل على كتفيه الفكر، الذي هو رجل يعرج ضعيف البنية لكنه يمتلك بعد النظر.

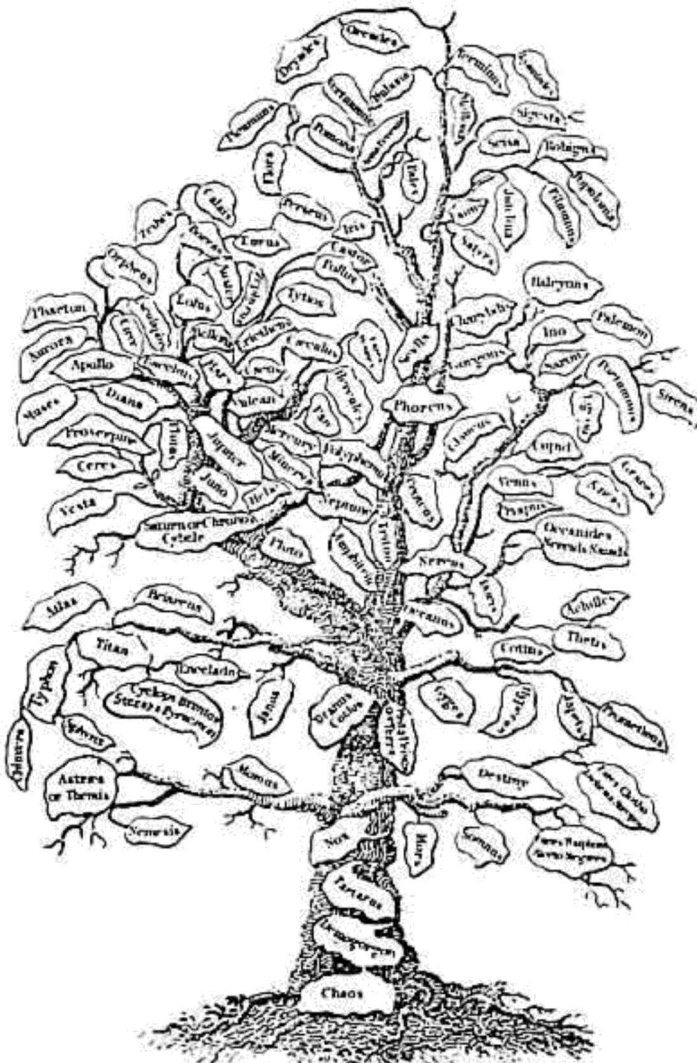
الإرادة هي السبب الذي لا يكل للمظاهر، وكل جزء من الطبيعة ناتج عن الإرادة. المخ هو نتاج الإرادة في المعرفة؛ اليد نتاج الإرادة للإمساك. جميع القوانين الفكرية والعاطفية للإنسان خاضعة للإرادة وتهتم إلى حد كبير بالجهود المبذولة لتبرير إملاءات الإرادة. وهكذا يخلق العقل أنظمة تفكير معقدة لمجرد إثبات ضرورة إرادته. العبقرية تمثل الحالة التي اكتسب فيها العقل التفوق على الإرادة بحيث صار من يحكم الحياة هو العقل وليس الغريزة. لقد قال شوبنهاور إن قوة المسيحية تكمن في تشاؤمها وقهرها للإرادة الفردية؛ كما كانت وجهات نظره الدينية تشبه إلى حد بعيد البوذية. بالنسبة له تمثل السكينة إخضاع الإرادة. الحياة - مظهر من مظاهر الإرادة العمية للعيش - اعتبرها مصيبة، مدعياً أن الفيلسوف الحقيقي هو الذي قاوم الرغبة الكامنة في إعادة إنتاج نوعه.

(1) آرثر شوبنهاور (1788 - 1860) فيلسوف ألماني، معروف بفلسفته التشاؤمية، فما يراه بالحياة ما هو إلا شر مطلق، فقد بجل العدم وقد عرف بكتاب العالم إرادة وفكرة، أو العالم إرادة وتمثلاً في بعض الترجمات الأخرى، والذي سطر فيه فلسفته المثالية التي يربط فيها بين الإرادة والعقل فيرى أن العقل أداة بيد الإرادة وتابع لها.





### شجرة الأساطير الكلاسيكية.



من البانثيون الجديد  
لهورت. قبل التقدير  
الصحيح للجوانب العلمية  
الأعمق في الأساطير  
اليونانية، من الضروري  
تنظيم البانثيون اليوناني  
وترتيب الآلهة والآلهات  
ومختلف الطبقات الهرمية  
الخارقة في ترتيب متسلسل.  
يعطي برقلس الكبير، ذلك  
الأفلاطوني الجديد، في  
تعليقاته على لاهوت  
أفلاطون، مفتاحاً لا يقدر  
بثمن لتسلسل مختلف  
الآلهة فيما يتعلق بالسبب  
الأول والقوى الأدنى المنبعثة  
من أنفسهم. عندما يتم  
ترتيب ذلك، يمكن تشبيه  
التسلسلات الهرمية الإلهية  
بفروع شجرة كبيرة. جذور  
هذه الشجرة متجذرة بقوة  
في كائن غير معروف. ترمز

فروع الشجرة الأكبر حجماً إلى الآلهة العليا: أما الأعصان والأوراق فترمز للوجود الذي لا حصر له المعتمد على القوة الأولى والثابتة.

لقد قيل عن مساهمة نيتشه<sup>(1)</sup> الغربية في قضية الأمل الإنساني، بأنها كانت الأخبار السارة التي مات بسببها الإله تعتره الشفقة! الملامح البارزة لفلسفة نيتشه هي عقيدة العود الأبدي والتأكيد الشديد من جانبه على إرادة القوة – الانعكاس لإرادة شوبنهاور في الحياة. يعتقد نيتشه أن الغرض من الوجود هو إنتاج نوع من الأفراد الأقوياء، ويعني السوبرمان؛ كان هذا الرجل الخارق نتاجاً لثقافة دقيقة، لأنه إن لم يتم فصله قسراً عن الجموع وكرس لإنتاج القوة، فإن الفرد سينخفض مرة أخرى إلى المستوى الوضع للرجل العادي المتوسط القاتل. قال نيتشه أنه يجب التضحية بالحب من أجل إنتاج الرجل الخارق، وهؤلاء يجب أن يتزوجوا من الأكثر استعداداً لإنتاج هذا النوع الرائع. آمن نيتشه أيضاً بحكم الطبقة الأرستقراطية، حيث كان الدم والتكاثر ضروريين لإنشاء هذا النوع المتفوق. عقيدة نيتشه لم تحرر الجماهير؛ لقد وضعت فوقهم رجالاً خارقين، والذين يجب أن يتقبل إخوتهم وأخواتهم الأقل شأنًا الموت لأجلهم؛ كان السوبرمان قانوناً لنفسه. بالنسبة لأولئك الذين يفهمون المعنى الحقيقي للقوة في الفضيلة، وضبط النفس، والحقيقة، فإن المثالية الكامنة وراء نظرية نيتشه واضحة. ومع ذلك فإنها فلسفة بلا قلب ولا إحساس، تهتم فقط ببقاء الأصلح.

إن ضيق المساحة هنا يحد من القدرة على الإسهاب في ذكر المدارس الألمانية الأخرى للفكر الفلسفي، لكن أحدث التطورات في المدرسة الألمانية هي الفردية والنسبية؛ (غالباً ما تسمى نظرية أينشتاين). الأولى هي نظام التحليل النفسي من خلال الظواهر النفسية والعصبية؛ والأخيرة تهاجم دقة المبادئ الميكانيكية التي تعتمد على نظرية السرعة الحالية.

---

(1) ولد فردريك نيتشه في 15 أكتوبر عام 1844 في ساكسونيا التابعة لروسيا، لقس بروتستانت لوثري. كان فيلسوفاً ألمانياً، ناقدًا ثقافياً، شاعراً وملحنًا ولغويًا وباحثاً في اللاتينية واليونانية. كان لعمله تأثير عميق على الفلسفة الغربية وتاريخ الفكر. بدأ حياته المهنية في دراسة فقه اللغة الكلاسيكي، قبل أن يتحول إلى الفلسفة. بعمر الرابعة والعشرين أصبح أستاذ كرسي اللغة في جامعة بازل في 1869، حتى استقال في عام 1879 بسبب المشاكل الصحية التي ابتلي بها معظم حياته، وأكمل العقد التالي من عمره في تأليف أهم كتبه. في عام 1889، وفي سن الرابعة والأربعين، عانى من انهيار وفقدان لكامل قواه العقلية. عاش سنواته الأخيرة في رعاية والدته وشقيقته، حتى توفي عام 1900. لديه العديد من المؤلفات من أشهرها هكذا تكلم زرادشت، ما وراء الخير والشر، أفول الأصنام، عدو المسيح.

يقف رينيه ديكارت على رأس مدرسة الفلسفة الفرنسية ويتشارك مع السير فرانسيس بيكون شرف تأسيس أنظمة العلوم والفلسفة الحديثة. وكما استند بيكون في استنتاجاته على مراقبة الأشياء الخارجية، فقد أسس ديكارت فلسفته الميتافيزيقية على ملاحظة الأشياء الداخلية. تقوم الديكارتية (فلسفة ديكارت) أولاً بإزالة كل الأشياء ثم تحل تلك العناصر الأساسية التي بدونها يكون الوجود أمراً مستحيلاً.

عرّف ديكارت الفكرة بأنها تلك التي تملأ العقل عندما نتصور شيئاً ما، ويجب أن تتحدد حقيقة الفكرة بمعايير تمتلك الوضوح والتميز. ومن ثم فديكارت، يرى أن فكرة واضحة ومميزة يجب أن تكون صحيحة. يمتاز ديكارت أيضاً بتطوير فلسفته الخاصة دون اللجوء إلى السلطة. وبالتالي فإن استنتاجاته مبنية على أبسط الافتراضات وتنمو متعقدة حتى يتشكل هيكل فلسفته.

تعتمد الفلسفة الإيجابية لأوغست كومت<sup>(1)</sup> نظرية تطور العقل البشري عبر ثلاث مراحل من التفكير. المرحلة الأولى والدنيا هي لاهوتية؛ والثانية ميتافيزيقية؛ والثالثة والأعلى الوضعية. وبالتالي فإن اللاهوت والميتافيزيقيا هي الجهود الفكرية الواهنة لعقل الطفل الإنساني، والوضعية هي التعبير الفاعل للعقل البالغ. في كتابه مرحلة الفلسفة الوضعية، كتب كومت: "في النهاية، أنهى العقل في المرحلة الوضعية، البحث العاثر عن المفاهيم المطلقة، أصل الكون ومقصده، وأسباب الظواهر، ومنح نفسه لدراسة قوانينها، أي علاقاتها الثابت والمتواصلة والمتشابهة. كلاً من التفكير والمراقبة، مجتمعة حسب الأصول، هي وسيلة هذه المعرفة."

لقد وصفت نظرية كومت على أنها "نظام هائل من المادية". ووفقاً لكومت، فقد قيل سابقاً أن السماوات تعلن مجد الله، لكنها تروي الآن مجد نيوتن ولا بلاس فقط.

(1) أوغست كومت (1798 - 1857) عالم اجتماع وفيلسوف فرنسي.

من بين مدارس الفلسفة الفرنسية توجد التقليدية (والتي كثيراً ما تطبق على المسيحية)، والتي تعتبر التقاليد أساساً مناسباً للفلسفة؛ كما توجد المدرسة الاجتماعية، التي تعتبر الإنسانية كائناً اجتماعياً هائلاً واحداً؛ قام الموسوعيون الذين أحدثت جهودهم لتصنيف المعرفة وفقاً للنظام الباكونوي ثورة في الفكر الأوروبي؛ الفولتيرية؛ هاجمت الأصل الإلهي للإيمان المسيحي وتبنت موقفاً يعتمد الشك الشديد تجاه جميع المسائل المتعلقة باللاهوت؛ والنقدية الجديد، المراجعة الفرنسية لمذهب إيمانويل كانط.

هنري برجسون<sup>(1)</sup>، الحدسي، يعد بلا شك أعظم فيلسوف فرنسي على قيد الحياة، يقدم نظرية صوفية معادية للمادية ومبنية على فرضية التطور الخلاق، تزايد شعبيته يرجع إلى اقترابه من المشاعر المرهفة للطبيعة البشرية، التي تثور ضد اليأس والعجز في العلوم المادية والفلسفة الواقعية. يرى برجسون أن الإله هو حياة تكافح باستمرار ضد قيود المادة. إنه يتصور حتى النصر المحتمل للحياة على المادة، وفي الوقت المناسب إفناء الموت.

بتطبيق طريقة سيكون على العقل، أعلن جون لوك<sup>(2)</sup>، الفيلسوف الإنجليزي العظيم، أن كل شيء يمر بالعقل هو هدف مشروع للفلسفة العقلية، وأن هذه الظواهر العقلية حقيقية وصالحة مثل مواضيع أي علم آخر. في التحقيقات التي أجراها حول أصل الظواهر، ابتعد لوك عن شرط سيكون بأنه كان من الضروري أولاً صنع تاريخ طبيعي للحقائق، واعتبر لوك أن العقل فارغ حتى يتم تسجيل التجربة عليه. وهكذا تم بناء العقل من الانطباعات المستلمة بالإضافة إلى الانعكاس. يعتقد لوك أن الروح غير قادرة على فهم الإله، وإدراك الإنسان أو

---

(1) هنري برجسون (1859 - 1941) فيلسوف فرنسي. حصل على جائزة نوبل للأدب عام 1927. يعتبر هنري برجسون من أهم الفلاسفة في العصر الحديث، كان نفوذه واسعاً وعميقاً فقد أذاع لوناً من التفكير وأسلوباً من التعبير تركا بصماتهما على مجمل النتاج الفكري في مرحلة الخمسينيات ولقد حاول أن ينقذ القيم التي اطاها المذهب المادي، ويؤكد ايماناً لا يتزعزع بالروح. حظي إبان حياته بشهرة واسعة الانتشار في فرنسا تؤثر في دوائر مختلفة: فلسفية ودينية وأدبية وحدث له العكس تماماً بعد وفاته؛ إذ حدث انصراف تام أو شبه تام عن فلسفته حتى صارت تقبع في ظلال النسيان ابتداء من نهاية الحرب العالمية الثانية حتى اليوم.

معرفته لله هو مجرد استدلال لكلية التفكير، كان ديفيد هيوم<sup>(1)</sup> الأكثر حماسة وأشهر تلاميذ لوك.

بعد أن هاجم الأسقف جورج بيركلي<sup>(2)</sup> فلسفة لوك الحسية، استبدل بها فلسفة تستند إلى قواعد لوك الأساسية ولكنه طورها كمذهب مثالي. اعتقد بيركلي أن الأفكار هي المواضيع الحقيقية للمعرفة، كما أعلن أنه من المستحيل تقديم دليل على أن الأحاسيس تسببها الأشياء المادية؛ وحاول أن يثبت أن المادة ليس لها وجود. تعلن فلسفته أن الكون يتخلله ويحكمه العقل. وبالتالي فإن الاعتقاد بوجود أشياء مادية هو مجرد حالة عقلية، والأشياء نفسها ليست إلا حالات للعقل. في نفس الوقت اعتبر بيركلي أن التشكيك في دقة الإدراك؛ يعد أسوأ من الجنون، لأنه إذا جرى التساؤل عن صحة الإدراك الحسي، سيتحول الرجل إلى كائن غير قادر على معرفة أو تقدير أو تحقيق أي شيء على الإطلاق.

في الفلسفة الترابطية لكل من هارتلي<sup>(3)</sup> وهيوم تقدمت النظرية القائلة بأن ارتباط الأفكار هو المبدأ الأساسي لعلم النفس ولشرح لجميع الظواهر العقلية. يرى هارتلي أنه إذا تكرر إحساس

---

(1) ديفيد هيوم (1711 - 1776)، فيلسوف واقتصادي ومؤرخ اسكتلندي وشخصية مهمة في الفلسفة الغربية وتاريخ التنوير الاسكتلندي. اشتهر كمؤرخ بداية، لكن الأكاديميين في السنوات الأخيرة ركزوا على كتاباته الفلسفية. وكان كتابه تاريخ إنكلترا مرجعاً للتاريخ الإنكليزي لسنوات طويلة. كان أول فيلسوف كبير في العصر الحديث يطرح فلسفة طبيعية شاملة تألفت جزئياً من رفض للفكرة السائدة تاريخياً بأن العقول البشرية نسخ مصغرة عن "العقل الإلهي". بدأ تشكيك ديفيد هيوم برفضه هذه "البصيرة المثالية" والثقة المشتقة منها بأن العالم هو كما يمثله البشر. عارض هيوم حجج وجود الإله كالحجة من التعقيد والحجة من المحرك الأول، كما رفض الديانات والمسيحية وكتبها كدليل على وجود خالق. وبدلاً من ذلك رأى أن أفضل ما يمكن القيام به تطبيق أقوى المبادئ التجريبية والمفسرة الموجودة من أجل دراسة ظاهرة العقل البشري.

(2) جورج بيركلي (1685 - 1753) كان فيلسوفاً بريطانياً - إيرلندياً وأسقفاً أنجليكانياً يعتبر من أهم مساندي الرؤية الجوهريّة في القرن الثامن عشر الميلادي، ادعى بيركلي أنه لا يوجد شيء اسمه مادة على الإطلاق وما يراه البشر ويعتبرونه عالمهم المادي لا يعدو أن يكون مجرد فكرة في العقل بفعل الإدراك وبغياب الإدراك تغيب المادة. وهكذا فإن العقل البشري لا يعدو أن يكون بياناً للروح.

(3) ديفيد هارتلي (1705 - 1757)، طبيب وعالم نفس وفيلسوف بريطاني وأحد أتباع المدرسة الترابطية

ما عدة مرات، فهناك ميل نحو التكرار التلقائي، والذي قد يستثار من خلال الارتباط مع فكرة أخرى على الرغم من أن الشيء الذي تسبب في التفاعل الأصلي غائب. تعلن النفعية لكل من جيرمي بينثام<sup>(1)</sup>، وبيلي<sup>(2)</sup>، وجيمس<sup>(3)</sup> وجون ستيوارت ميل<sup>(4)</sup> أن أعظم خير هو الأكثر فائدة لأكبر عدد. اعتقد جون ستيوارت ميل أنه إذا كان من الممكن من خلال الإحساس تأمين المعرفة بخصائص الأشياء، فإنه من الممكن أيضاً من خلال حالة ذهنية أعلى - أي الحدس أو العقل - معرفة المادة الحقيقية للأشياء.

الداروينية هي مذهب الاصطفاء الطبيعي والتطور الفيزيائي، وقد قيل عن تشارلز روبرت داروين<sup>(5)</sup> إنه مصمم على إبعاد الروح تماماً عن الكون وجعل العقل اللانهائي والموجود في حد

---

(1) جيرمي بينثام (1748 - 1832) عالم قانون وفيلسوف إنكليزي، ومصلح قانوني واجتماعي، وكان المنظر الرائد في فلسفة القانون الأنجلو - أمريكي. ويشتهر بدعوته إلى النفعية وحقوق الحيوان، وفكرة سجن بانوبيكون. كما شملت مواقفه الحجج المؤيدة للفرد، والحرية الاقتصادية، الفائدة، والفصل بين الكنيسة والدولة، حرية التعبير، والمساواة في الحقوق للمرأة، الحق في الطلاق، وعدم تجريم أفعال المثلية الجنسية. كما طالب بإلغاء الرق وعقوبة الإعدام وإلغاء العقوبات البدنية، بما في ذلك للأطفال.

(2) ويليام بيلي (1743 - 1805) كان تربيماً مسيحياً إنجليزياً، فيلسوفاً يؤمن بمذهب النفعية. وهو معروف لتقديمه حجة وجود خالق للكون عبر مفهوم العلة الغائية، وذلك في عمله العلة الغائية الطبيعية، والتي استعملت في المثال المشهور لحجة النظام في الوجود أو حجة صانع الساعة والتي طورها بعد ذلك دعاء التصميم الذكي إلى مفهوم التعقيد غير القابل للاختزال.

(3) جيمس ميل (1773 - 1836) مؤرخ اسكتلندي واقتصادي ومنظر سياسي وفيلسوف. ووالد جون مل.

(4) جون ستيوارت مل (1806 - 1873) فيلسوف واقتصادي بريطاني، وكان الابن البكر لأسرة كبيرة أنجبت تسعة أولاد، وكان والده جيمس ميل أحد كبار أهل العلم والمعرفة في القرن الثامن عشر. وقد أنشأ ابنه جون ستيوارت في عزلة عن بقية الأطفال، فنال تربية عقلانية. من مؤلفاته: مبادئ الاقتصاد السياسي، نظام المنطق، عن الحرية، أسس اللبرالية السياسية، استعباد النساء.

(5) تشارلز روبرت داروين (1809 - 1882) عالم تاريخ طبيعي وجيولوجي بريطاني. اكتسب داروين شهرته كمؤسس لنظرية التطور والتي تنص على أن كل الكائنات الحية على مر الزمان تنحدر من أسلاف مشتركة، وقام باقتراح نظرية تتضمن أن هذه الأنماط المتفرعة من عملية التطور ناتجة لعملية وصفها بالانتقاء (الانتخاب) الطبيعي، وكذلك الصراع

ذاته مرادفاً للقوى المنتشرة في الطبيعة غير الشخصية. اللاأدرية والهيغلية الجديدة هي أيضاً من المنتجات الجديرة بالملاحظة في هذه الفترة من الحياة الفلسفية. فالأولى تعد الاعتقاد بأن طبيعة المطلق غير قابلة للمعرفة؛ أما الأخيرة فهي إحياء إنجليزي أمريكي لمثالية هيغل.

أعلن الدكتور ول ديورانت أن كتاب المبادئ الأولى لـ "هربرت سبنسر"<sup>(1)</sup> "وأعظم أعماله، جعله الفيلسوف الأكثر شهرة في زمنه. لقد قامت فلسفته على اعتبار الوضع الفلسفي الذي يصف التطور باعتباره التعقيد المتزايد باستمرار مع التوازن كأعلى حالة ممكنة. وفقاً لسبنسر، فإن الحياة هي عملية مستمرة من التجانس إلى عدم التجانس ثم عودة من عدم التجانس إلى التجانس. والحياة تنطوي أيضاً على التكيف المستمر للعلاقات الداخلية مع العلاقات الخارجية. أكثر أقواله شهرة هو تعريفه للإله: "الإله هو ذكاء لا حصر له، وتنوع بلا حدود

---

من أجل البقاء له نفس تأثير الاختيار الصناعي المساهم في التكاثر الانتقائي للكائنات الحية. يعد داروين من أشهر علماء الأحياء. ألف عدة كتب فيما يخص هذا الميدان لكن نظريته الشهيرة واجهت انتقاداً كبيراً وخصوصاً من طرف رجال الدين في جميع أنحاء العالم، داروين نفسه ظل حائراً فيما عرف بما سماه الحلقة المفقودة، التي تتوسط الانتقال من طبيعة القردة للإنسان الحديث. في عام 1859 قام داروين بنشر نظرية التطور مع أدلة دامغة في كتاب ( أصل الأنواع ) متغلباً على الرفض الذي تلقاه مسبقاً من المجتمع العلمي على نظرية تحول المخلوقات. في 1870، تقبل المجتمع العلمي والمجتمع عامة نظرية التطور كحقيقة. مع ذلك كان الكثير يفضلون التفسيرات الأخرى، واستمر ذلك حتى نشوء التوليفة التطورية الحديثة، حيث أصبح هناك إجماع واسع على أن الاستمرار الطبيعي كان المحرك الأساسي للتطور. وبصياغة أخرى فإن اكتشاف داروين العلمي هو نظرية موحدة لكل علوم الأحياء وموضحة للتنوع فيها.

(1) هربرت سبنسر فيلسوف بريطاني (1820 - 1903). مؤلف كتاب "الرجل ضد الدولة" الذي قدم فيه رؤية فلسفية متطرفة في ليبراليته. كان سبنسر، وليس داروين، هو الذي اوجد مصطلح "البقاء للأصلح". رغم أن القول ينسب عادة لداروين. وقد ساهم سبنسر في ترسيخ مفهوم التطور، وأعطى له أبعاداً اجتماعياً، فيما عرف لاحقاً بـ الداروينية الاجتماعية. وهكذا يعد سبنسر واحداً من مؤسسي علم الاجتماع الحديث. ويعتبر سبنسر أحد أكبر المفكرين الإنجليز تأثيراً حيث وضع الأسس لنسق ومنظومة اجتماعية (سوسيولوجية) تؤكد التطور تجاه تعقيد اجتماعي متزايد وارتفاع درجة الفردية فالمجتمع في نظره مثل الكائن الحي المعقد، يتصف بحالة من التوازن الدقيق ولا ينبغي ألا يسمح لإعمالية التطور الطبيعية بالتأثير في نموه. ولقد أدى هذا التأكيد على الفردية والتكيف الطبيعي إلى معارضة الإصلاح من خلال تدخل الدولة، طوال حياته كان عدواً للحرب والإمبريالية.



خلال الزمن اللانهائي والفضاء اللانهائي، ويتجلى من خلال عدد لا يحصى من الشخصيات المتطورة باستمرار."

إن شمولية قانون التطور، جعل سبنسر يطبقه ليس فقط على النموذج ولكن أيضاً على الذكاء وراء النموذج. في كل مظهر من مظاهر الوجود أدرك الميل الأساسي للتطور من البساطة نحو التعقيد، مع ملاحظة أنه وعند الوصول إلى نقطة التوازن، تليها دائماً عملية الانحلال. وفقاً لسبنسر، فالانحلال سيتلوّه إعادة الاندماج ولكن على مستوى أعلى من الوجود.

وينال قصب السبق في مدرسة الفلسفة الإيطالية جوردانو برونو<sup>(1)</sup>، الذي بعد أن قبل بحماس نظرية كوبرنيكوس أن الشمس هي مركز النظام الشمسي، أعلن أن الشمس نجمة وكل النجوم ستكون شمساً. في زمن برونو، كانت الأرض تُعتبر مركزاً لكل الكون. وبالتالي عندما هبطت مكانة العالم والإنسان إلى زاوية غامضة في الفضاء، كان التأثير كارثياً. بدعة التأكيد على تعدد الأكوان وتصور الكون ليكون شاسعاً لدرجة أنه لا يوجد عقيدة واحدة يمكن أن تملأه، دفع برونو حياته ثمناً لها.

---

(1) جوردانو برونو المعروف أيضاً بنولانو أو برونو دي نولا (1548-1600) راهب وفيلسوف إيطالي حكم عليه بالهرطقة من الكنيسة الكاثوليكية. كان راهباً في البداية ولكنه انتقل من الدراسات اللاهوتية إلى الفلسفة فيما بعد. وقد اعتنق نظرية كوبرنيكوس عن دوران الأرض على الرغم من أنها كانت محرمة من قبل رجال الدين آنذاك وذهب إلى أبعد منها آنذاك بوضعه فرضية أن النظام الشمسي هو واحد من مجموعة نظم تغطي الكون في صورة نجوم وألوهية ولانهائية الكون. كما افترضت نظريته إن كل من النظم النجمية الأخرى تشتمل على كواكب ومخلوقات عاقلة أخرى. حوكم برونو بالهرطقة من قبل محاكم التفتيش الرومانية بتهمة إنكاره للعقائد الكاثوليكية الأساسية (بما في ذلك عقيدة الجحيم، والثالوث، والكرستولوجيا، وعذرية مريم، والاستحالة الجوهرية). ووجدته محاكم التفتيش مذنباً، وفي عام 1600 عوقب حرقاً في روما في ساحة كامبو دي فيوري

### الثالوث المسيحي.

من كتاب وصف الأسرار القديمة لهون<sup>(1)</sup>.



في محاولة لإظهار العقيدة المسيحية للثالوث بصورة مناسبة، كان من الضروري وضع صورة يكون فيها الأشخاص الثلاث - الأب والابن والروح القدس - منفصلين ومع ذلك واحد. في أجزاء مختلفة من أوروبا، يمكن رؤية صور مماثلة لما سبق، حيث تتحد ثلاثة وجوه في رأس واحد. هذه طريقة مهمة لتوضيح الأهمية المقدسة للرأس ذو الأبعاد الثلاث عند كشف السر العظيم. ومع ذلك، ففي ظل وجود مثل هذه التطبيقات للرمزية في الفن المسيحي، فلا بد من الذكر أن ديانات أخرى، كان لها نفس الرموز؛ فالهندوس لديهم براهما ذا الثلاثة وجوه، أو الرومان، الذين امتلكوا يانوس ذا الوجهين.

(1) وليام هون (1780 - 1842) كاتب وناقد ساخر انكليزي. كان انتصاره في معركته في المحكمة ضد الرقابة الحكومية في عام 1817 نقطة تحول في الكفاح من أجل حرية الصحافة البريطانية.

ونجد بين الفلسفات الإيطالية، فلسفة مبنية على استنتاجات جيوفاني باتيستا فيكو<sup>(1)</sup>، الذي أكد أن الإله يسيطر على عالمه ليس بالأعاجيب ولكن من خلال القانون الطبيعي. وأعلن فيكو أن القوانين التي يحكم بها الرجال أنفسهم، تنبع من مصدر روحي داخل البشرية، وهي علاقته مع قانون الإله. وبالتالي فالقانون المادي هو من أصل إلهي ويعكس إملاءات الأب الروحي. إن الفلسفة الأنطولوجية التي طورها فينتشنزو جيوبيرتي<sup>(2)</sup> (الذي يعتبر عموماً لاهوتياً أكثر منه فيلسوفاً) تضع الإله باعتباره الكائن الوحيد وأصل كل المعرفة، حيث المعرفة متطابقة مع الإله نفسه. وبالتالي فالإله يسمى الكائن؛ وجميع المظاهر الأخرى هي الوجود، وستكشف الحقيقة من خلال التفكير في هذا اللغز.

أما أهم الفلاسفة الإيطاليين المعاصرين فهو بينيديتو كروس<sup>(3)</sup>، المثالي الهيجلي، تصور كروس الأفكار بكونها الحقيقة الوحيدة. وهو مناهض لوجهات نظر اللاهوت، ولا يؤمن بخلود الروح، ويسعى لاستبدال الدين بالأخلاق والجمال. من بين فروع الفلسفة الإيطالية الأخرى ينبغي ذكر الحسية، والتي تجعل من تصورات الإحساس القنوات الوحيدة لاستقبال المعرفة؛ النقدية، أو فلسفة الحكم الدقيق؛ والمدرسية<sup>(4)</sup> الجديدة، التي هي إحياء للتوماوية بتشجيع من الكنيسة الكاثوليكية الرومانية.

(1) جيوفاني باتيستا فيكو (1668 – 1744) فيلسوف إيطالي، مؤرخ، وقانوني.

(2) فينتشنزو جيوبيرتي (1801 - 1852) فيلسوف وسياسي وناشر إيطالي.

(3) بينيديتو كروسه (1866 - 1956) فيلسوف إيطالي من أتباع المدرسة الهيجلية الجديدة، وأستاذ بنابولي (1902 - 1920)، وقد اشتهر كروس قرب نهاية القرن التاسع عشر بنقده للنظريات الفلسفية والاقتصادية للماركسية.

(4) المدرسية أو المكتبية أو السكولاستية أو فلسفة المدرسة، تطلق عادةً على فلسفة المدارس الكاتدرائية في العصر الوسيط (التي أصبحت جامعات فيما بعد)، والتي حاولت المزج بين العقائد المسيحية وعناصر الفلسفة الاغريقية عند سقراط وأرسطو باستخدام القياس المنطقي والجدل. وبلغت الفلسفة المدرسية أعلى مراحل تطورها في فلسفة توما الاكويني.

المدرستان المتميزتان للفلسفة الأمريكية هما المتعالية والبراغماتية. تؤكد الفلسفة المتعالية، المتمثلة في كتابات رالف والدو إيمرسون<sup>(1)</sup>، على قوة الروح مقارنة بالمادة. تُظهر العديد من كتابات إيمرسون التأثير الشرقي الواضح، لا سيما مقالاته عن الروح الأعلى وقانون التعويض. إن النظرية البراغماتية، ورغم أنها لا تعود أصلاً للبروفيسور وليم جيمس<sup>(2)</sup>، فإنها تدين بشعبيتها الجارفة كعقيدة فلسفية لجهوده. يمكن تعريف البراغماتية بأنها العقيدة القائلة بأن معنى الأشياء وطبيعتها يجب اكتشافهما عند النظر في عواقبهما. فالحق، وفقاً لجيمس، ليس سوى مظهراً لطريقة تفكيرنا، تماماً مثل الصلاح الذي هو مجرد مظهر لسلوكنا.

جون ديوي<sup>(3)</sup>، الذرائعي الذي يطبق الموقف التجريبي على جميع أهداف الحياة، ينبغي اعتباره معلقاً على جيمس. بالنسبة إلى ديوي، فالنمو والتغيير لا حدود لهما ولا يتم فرض أي حد مطلق. تضمن الإقامة الطويلة في أمريكا لجورج سانتاينا<sup>(4)</sup> إدراج هذا الإسباني العظيم بين

---

(1) رالف والدو إيمرسون (1803 - 1882) أديب وفيلسوف وشاعر أمريكي. كان أحد أبرز أعلام الفلسفة المتعالية في أوائل القرن التاسع عشر. وكان من دعاة الفردانية.

(2) وليم جيمس (1842 - 1910) فيلسوف أمريكي ومن رواد علم النفس الحديث. وضع كتباً مؤثرة في علم النفس الحديث وعلم النفس التربوي، وعلم النفس الديني والتصوف، والفلسفة البراغماتية. وكان شقيق الروائي المعروف هنري جيمس وأليس جيمس كاتب اليوميات. ولد في مدينة نيويورك وهو فيلسوف الحرية ومن مؤلفاته: الإرادة، الاعتقاد، مبادئ علم النفس، البراغماتية.

(3) جون ديوي هو مرّب وفيلسوف وعالم نفس أمريكي وزعيم من زعماء الفلسفة البراغماتية. ويعتبر من أوائل المؤسسين لها. (1859 - 1952) ويقال أنه هو من أطال عمر هذه الفلسفة واستطاع أن يستخدم بلياقة كلمتين قريبتين من الشعب الأمريكي هما " العلم " و " الديمقراطية ". يعتبر جون ديوي من أشهر أعلام التربية الحديثة على المستوى العالمي. ارتبط اسمه بفلسفة التربية لأنه خاض في تحديد الغرض من التعليم وأفاض في الحديث عن ربط النظريات بالواقع من غير الخضوع للنظام الواقع والتقاليد الموروثة مهما كانت عريقة. فهو الأب الروحي للتربية التقدمية أو التدريجية وهو من أوائل الذين أسسوا في أمريكا المدارس التجريبية بالاشتراك مع زوجته في جامعة شيكاغو.

(4) جورج أوجستين نيكولاس رويدي سانتاينا أو جورج سانتاينا، فيلسوف، وكاتب، وشاعر وروائي إسباني، ولد في إسبانيا 1863 وتوفي 1952، درس في جامعة هارفارد وعمل بها أستاذاً للفلسفة اتخذ من المادية الجدلية مذهباً فلسفياً له، من أهم كتبه عالم الوجود ويعد من أعظم مؤلفاته وله أيضاً كتاب الإحساس بالجمال. كان سانتاينا معتزلاً للعالم

صفوف الفلاسفة الأمريكيين. يسعى سانتايانا، الذي يتخذ من الشك وقايةً من أوهام الحواس والأخطاء التراكمية للفهم على مر العصور، ويأمل بقيادة الجنس البشري إلى حالة أكثر سموً تدل عليها حياة العقل.

(بالإضافة إلى المراجع المستشهد بها بالفعل، عند إعداد الملخص السابق للفروع الرئيسية للفكر الفلسفي، لجأ الكاتب الحالي إلى كتب: تاريخ ستانلي للفلسفة؛ كتاب موريل عن فلسفة التاريخ في أوروبا القرن التاسع عشر؛ كتاب سنجر المفكرون الحديثون والمشكلات الحالية؛ والفلاسفة الحديثون لرانند؛ وتاريخ فلسفة لويندلبراند، وكتاب الاتجاهات الفلسفية الحالية لبيري؛ ومحاضرات هاملتون حول الميتافيزيقيا والمنطق؛ وقصة الفلسفة لديورانت.)

بعد أن تتبعنا تسلسل التطور للتكهنات الفلسفية من تاليس إلى جيمس وبيرجسون، فلا بد من توجيه انتباه القارئ إلى العناصر المؤدية والظروف المصاحبة لنشأة التفكير الفلسفي. فعلى الرغم من أن الهيلينيين أثبتوا أنهم يستجيبون بشكل خاص لفروع الفلسفة، إلا أنه لا ينبغي اعتبار علم العلوم هذا عائداً لهم بشكلٍ أصلي. يقول توماس ستانلي: "على الرغم من أن بعض الإغريق، قد نسبوا لأمتهم أصل الفلسفة، فإن الأكثر تعلماً بينهم قد اعترفوا بأنها (جاءت) من الشرق". فالمؤسسات الرائعة للهندوسية، الكلدانية، والمصرية يجب أن تكون المصدر الحقيقي للحكمة اليونانية. لقد حاكت هذه الحكمة اليونانية الظلال التي ألقاها

---

الواقعي ويعيش في عالمه الخاص "عالمه المثالي". يعد سانتايانا من فلاسفة القرن العشرين، عرف نفسه بأنه أميركي، مع أنه كان يملك جواز سفر إسباني صالح، وكان مواطناً إسبانياً أيضاً طوال حياته. في سن الثامنة والأربعين غادر سانتايانا منصبه في هارفارد وعاد إلى أوروبا بشكل دائم.

مقدسات إلورا<sup>(1)</sup>، أور<sup>(2)</sup>، وممفيس<sup>(3)</sup> على مادة الفكر لشعب بدائي. اتصل تاليس، فيثاغورث، وأفلاطون خلال تجوالهم الفلسفي بالعديد من الطوائف البعيدة وجلبوا معهم تقاليد مصر والشرق الغامض.

من الحقائق التي لا جدال فيها بأن الفلسفة ظهرت من أسرار العصور القديمة الدينية، ولم يتم فصلها عن الدين إلا بعد انحسار الألغاز. ومن ثم فإن من يرغب بان يستوعب أعماق الفلسفة يجب أن يتعرف على تعاليم هؤلاء الكهنة الأولين بوصفهم أول حماة للوحي الإلهي. تبنت تلك الأسرار الوصاية على معرفة متسامحة عميقة وسامية، لدرجة أنها غير مفهومة إلا لأكثر أصحاب الفكر تعالياً وقوة؛ بحيث لا يتم كشفها بأمان إلا لأولئك الذين مات فيهم الطموح الشخصي والذين كرسوا حياتهم بلا أنانية خدمة للإنسانية. إن كرامة ومجد هذه المؤسسات المقدسة وصلاحيات ادعائها بامتلاك الحكمة الكونية يشهد عليها أكثر فلاسفة العصور القديمة اللامعين، الذين بدأوا هم أنفسهم في تجسيد العقيدة السرية والذين شهدوا على فعاليتها.

وهنا يمكن طرح سؤال بطريقة مشروعة: إذا كانت هذه المؤسسات الغامضة القديمة ذات "حكمة هائلة ودقيقة"، فلم لا يتوفر الآن سوى القليل من المعلومات المتعلقة بها، وبالأسرار التي يزعم أنها تمتلكها؟ الجواب بسيط بما فيه الكفاية: كانت الأسرار مجتمعات سرية، ملزمة أعضائها بالسرية التي لا تنتهك، وتعاقب بالموت من يخون الثقة المقدسة. وعلى الرغم من أن هذه المدارس كانت مصدر إلهام حقيقي للعقائد المختلفة التي نشرها الفلاسفة القدماء، إلا أن نبع تلك العقائد لم يتم كشفه أبداً. علاوة على ذلك، ومع مضي الوقت، أصبحت التعاليم

(1) إلورا هو موقع أثري يبعد 29 كلم شمال غرب مدينة أورانغباد في ولاية ماهاراشترا الهندية.

(2) أور هو موقع أثري لمدينة سومرية تقع في تل المقير جنوب العراق. وكانت عاصمة للدولة السومرية عام 2100 قبل الميلاد.

(3) منف أو منفّر أو ممفيس مدينة مصرية قديمة أسسها عام 3200 قبل الميلاد الملك نارمر وكانت عاصمة لمصر في عصر الدولة القديمة (الأسرات 3 - 6) وكانت فيها عبادة الإله بتاح، ومكانها الحالي مدينة البدرشين محافظة الجيزة على بعد 19 كم جنوب القاهرة.

مرتبطة بشكل لا ينفصم بأسماء ناشريها، بحيث أصبح المصدر الفعلي - الأسرار - مجهولاً بالكامل.

الرمزية هي لغة الأسرار. وفي الواقع، إنها ليست لغة التصوف والفلسفة فحسب، بل هي أيضاً لغة الطبيعة، لأن كل قانون وقوة فعالة في الوجود العالمي تتجلى عبر تصورات الإحساس المحدودة للإنسان عبر وسيط هو الرمز. كل شكل موجود في المجالات المتنوعة للوجود هو رمز للنشاط الإلهي الذي يتم إنتاجه به. لقد سعى الرجال من خلال الرموز للتواصل مع بعضهم البعض بتلك الأفكار التي تتجاوز حدود اللغة. كما رفضت لغات البشر كونها غير كافية وغير جديرة لتخلد الأفكار الإلهية. اختارت الأسرار الرمزية كوسيلة أكثر إبداعاً للحفاظ على معارفها المتعالية. في شكل واحد، قد يكشف الرمز ويخفي، فبالنسبة للحكيم، يكون موضوع الرمز واضحاً، بينما يظل الشكل بالنسبة للجاهل غامضاً. وبالتالي، فإن من يسعى لكشف النقاب عن عقيدة العصور القديمة السرية، يجب عليه أن يبحث عن هذه المذاهب ليس في الصفحات المفتوحة من الكتب التي قد تقع في يد غير المستحق ولكن في المكان الذي تم إخفاءه فيها في الأصل.

لقد امتلك أهل أسرار العصور القديمة بعد النظر والبصيرة. لقد أدركوا أن الأمم تأتي وتذهب، وأن الإمبراطوريات تظهر وتختفي، وأن العصور الذهبية للفن والعلوم والمثالية سيتلوها عصور مظلمة من الخرافات. ومع وضع احتياجات الأجيال القادمة في الاعتبار، فقد ذهب الحكماء القدامى إلى الحد الأقصى الذي لا يمكن تصويره للتأكد من أن معارفهم سيتم الحفاظ عليها. لقد نقشوها على وجوه الجبال وأخفوها داخل قياسات النُصب الضخمة، التي كان كل منها أعجوبة هندسية. وخبأوا معرفتهم بالكيمياء والرياضيات ضمن الأساطير التي يخلدها الجاهل، أو على الجسور والأقواس في معابدهم التي لم يمحها الزمن تماماً. لقد كتبوا بأحرف لن يتمكن تخريب الرجال ولا قسوة الطبيعة من النجاح في محوها تماماً، فالرجال ينظرون اليوم برهبة نحو المعابد التي تقف وحيدة على رمال مصر، أو تجاه أهرامات

بالينكي<sup>(1)</sup> الغربية. لقد كتمت شهادات هذه الفنون المفقودة وعلوم العصور القديمة؛ وأخفيت هذه الحكمة حتى يتعلم هذا العرق قراءة اللغة العالمية – الرمزية.

نكرس الكتاب التي هذه مقدمته، لفهم ما هو مقترح والذي أخفي داخل ألغاز، ومجازات، وطقوس القدماء والذي هو عقيدة سرية تتعلق بأسرار الحياة، والتي جرى الحفاظ عليها في نطاق صغير بين أنبه العقول منذ بداية العالم. بعد رحيلهم، ترك هؤلاء الفلاسفة المميزون علومهم بحيث يمكن للآخرين أيضاً الوصول إلى الفهم. لكن، خشية أن تقع هذه العمليات السرية في أيدي غير واعية، أو أن تستعمل لأغراض منحرفة، فإن القوس العظيم كان مخفياً دائماً كرمز أو مجاز؛ وأولئك الذين يستطيعون اكتشاف مفاتيحه المفقودة اليوم، قد يفتحون بها كنزاً من الحقائق الفلسفية والعلمية والدينية.

---

(1) بالينكي هي مدينة ماينانية في جنوب المكسيك، وتعود أطلالها بالينكي إلى 226 قبل الميلاد وحتى 799 ميلادي. هجرها السكان بعد أفول نجمها وأصبحت مغطاة بغابات الارز والماهو جني والسابوديلا، ولكن منذ ذلك الحين تم حفرها واعادة ترميمها وهي الآن موقع أثري شهير يجذب الآلاف من الزوار. ومدينة بالينكي هي عبارة عن موقع متوسط الحجم، لكنه يحتوي على بعض من أروع ما أنتجته حضارة المايا من عمارة وأسقف ومنحوتات. وقد أعيد بناء جزء كبير من تاريخ بالينكي عبر قراءة النقوش على العديد من المعالم الأثرية.





البيضة الأورفية

من كتاب براينت تحليل الأساطير القديمة. كان الرمز القديم لأسرار العقيدة الأورفية<sup>(1)</sup> هو البيضة التي يحيط بها الثعبان، والتي تشير إلى الكون محاطاً بالروح الإبداعية النارية. تمثل البيضة أيضاً روح الفيلسوف؛ أما الثعبان فيمثل الأسرار. عند

(1) الأورفية هو اسم أطلق على دين كان يعتنق ويمارس في اليونان القديمة والعالم الهلنستي، ارتبطت أدبياً بأسطورة أورفيوس. وقد ظهرت هذه الحركة في القرن السادس قبل الميلاد متأثرة بعبادة ديونيسوس، وكان لها نظام صارم على رأسه سلطة من رجال المذهب، كانت متشددة في شؤون العقيدة من دون اعتدال. مارس أنصار هذا المذهب نمطاً من أنماط الحياة على هامش المجتمع، فكانوا يرتدون البياض ويرفضون تناول أي غذاء مستخلص من كائن حي ويتمسكون بالحياة النباتية الكاملة، وذلك في مجتمع كان يربط استهلاك اللحم بالتقاليد والشعائر المقدسة وتقديم الأضاحي. والمفهوم الأساسي للأورفية قائم على مبدأ الثنائية، وفيه معارضة لمفهوم نشأة الكون كما هو متعارف عليه في الدين الرسمي عند اليونان القدماء. وتقول التعاليم الأورفية أن البيضة هي الرمز الأكبر للحياة، وهي أصل كل الأشياء، وأن إله الحب والنور إروس خرج من بيضة وضعها إله الزمن كرونوس وأوجد عالماً مؤلفاً من الآلهة والبشر. وهكذا فإن الطبيعة الإنسانية تتألف من روح وجسد، وتقول تعاليم الأورفية بخلود الروح وسموها، وفناء الجسد وسفوله، فالروح ذات طبيعة خالدة مقدسة وتحيا حياة حقيقية بعد فناء الجسد، ولكي تحقق الروح حريتها عليها أن تدخل في دورات من التقمص والحلول في أجساد مختلفة وفقاً لاستحقاقها، ومن هنا كان الاعتقاد بالعقاب والثواب بعد الموت، وكذلك الاعتقاد بالخطيئة والحاجة إلى التكفير، وأن كل فرد يمتلك عينة من «قوة الحياة» تنتقل منه عند الوفاة إلى شخص آخر في دورة جديدة بين الموت والولادة. ولما كانت الروح سجيناً الجسد فهي تحتاج إلى حياة نقية من الزهد والتقشف مع تحريم أكل الأغذية الحيوانية ولبس الصوف وشرب الخمر والنشاط الجنسي إلا من أجل الإنجاب، ويبدو ذلك جلياً في الشعائر التي تمارس إحياء لموت أورفيوس وولادته مجدداً.

اكتمال النضج تتكسر القشرة؛ وينبتق الرجل من الحالة الجنينية للوجود الفيزيائي، حيث بقي خلال فترته كجنين خلال التجديد الفلسفي.



# الأسرار القديمة والجمعيات السرية التي أثرت على رمزية

## الماسونية الحديثة 1

عند مواجهة مشكلة تنطوي على استخدام كليات التفكير، يحافظ الأفراد ذوي العقل المتميز على توازنهم ويسعون للوصول إلى حلول عن طريق الحصول على حقائق ذات صلة بالمسألة الكلية. أما العقول غير الناضجة، من ناحية أخرى، عندما تواجه بالمثل، يقعدها الذهول عن أي شيء. وعلى الرغم من أن النمط الأول قد يكون مؤهلاً لحل لغز مصيره، إلا أن النوع الثاني لا بد أن يُعامل مثل قطع من الأغنام وأن يتم تعليمه بلغة بسيطة. إنهم يعتمدون كلياً على إرشاد الراعي. قال الرسول بولس إنه يجب إطعام هؤلاء الصغار اللبن، لأن اللحم هو غذاء الرجال الأقوياء. إن عدم التفكير مرادف للطفولة، على حين أن التفكير هو رمز للنضج.

ولا مناص من الاعتراف بأن هناك عدد قليل من العقول الناضجة في العالم؛ وهكذا تم تقسيم العقائد الفلسفية - الدينية للوثنيين لتلبية احتياجات هاتين المجموعتين الأساسيتين للفكر الإنساني - إحداهما فلسفية، والأخرى غير القادرة على تقدير أسرار الحياة الأعمق. بالنسبة للمبصرين، تكشفَت التعاليم الباطنية أو الروحية، على حين أن كثر غير مؤهلين لم يتلقوا سوى التفسيرات الحرفية أو الغريبة. من أجل تبسيط الحقائق العظيمة للطبيعة والمبادئ المجردة للقانون الطبيعي، تم تجسيد القوى الحيوية للكون، لتصبح آلهة الأساطير القديمة.

وعلى حين أن الجموع الجاهلة قرّبت أصحابها على مذابح بريابوس<sup>(1)</sup> وبان<sup>(2)</sup> (الآلهة التي تمثل الطاقات الإنجابية)، فإن الحكيم تعرف في هذه التماثيل الرخامية على الخواص الرمزية للحقائق المجردة العظيمة.

في جميع مدن العالم القديم وجدت هياكل للعبادة والقرايين. وفي كل مجتمع وجد أيضاً الفلاسفة والباطنيون، والذين كانوا على دراية عميقة بعلوم الطبيعة؛ كان هؤلاء الأفراد يتجمعون عادة، ويشكلون مدارس فلسفية ودينية مغلقة. الأكثر أهمية من هذه المجموعات كانت تعرف باسم الأسرار. وقد انضمت العديد من العقول العظيمة في العصور القديمة لهذه الأخويات السرية ممارسين طقوساً غريبة وغامضة، وبعضها كان قاسياً للغاية. يعرف ألكساندر وايلدر<sup>(3)</sup> الأسرار بأنها " أعمال مسرحية مقدسة تؤدي في فترات محددة. وأكثرها

---

( 1 ) بريابوس هو إله الخصوبة، وحامي البستنة وزراعة الكروم. تم استخدام تمثاله، الذي كان يحمل المنجل الخشبي في يده، في الحدائق الرومانية كفضاعة، وتميز بقضيبه الهائل الذي كان تهديداً للصوف.

( 2 ) بان حسب الميثولوجيا الإغريقية هو إله المراعي والصيد البري. يظهر بجلد ماعز وقرون وأرجل ماعز. يصاحب أتباع ديونيسوس كما يصاحب الحوريات. تم اشتقاق اسمه من الكلمة اليونانية ( بان ) والتي تعني ( يرعى ). وكثيراً ما تم ذكره في الأساطير القديمة مصاحباً للأدب الرعوي والموسيقى الرعوية.

( 3 ) ألكساندر وايلدر ( 1823 - 1909 ) طبيب أمريكي وباحث في الأفلاطونية الحديثة، كان عضواً بارزاً في الجمعية الثيوصوفية.

شهرة هي إيزيس<sup>(1)</sup>، وصبازيوس<sup>(2)</sup>، وكوبيلي<sup>(3)</sup>، واليوسيس<sup>(4)</sup>. " وبعد قبولهم، تلقى المبتدئون تعاليم الحكمة السرية التي حفظت على مر العصور. تعرض أفلاطون، وهو من المنضويين لإحدى هذه الجمعيات المقدسة، لانتقادات شديدة، ذلك أنه كشف للعامة في كتاباته العديد من المبادئ الفلسفية الغامضة للأسرار.

لم يكن لكل أمة وثنية دين للدولة فحسب، بل كان لها أيضاً عقيدة أخرى أيضاً، اكتسب الفلاسفة المنتخبون وحدهم حق الولوج لها. لكن أكثر هذه الطقوس القديمة اختفت من الأرض دون الكشف عن أسرارها، إلا أن القليل منها نجى من محن السنين ولا تزال رموزها الغامضة محفوظة. يستند الكثير من طقوس الماسونية إلى الاختبارات التي تعرض لها المرشحون من قبل الهيروفران<sup>(5)</sup> القدماء قبل أن تسند إليهم مفاتيح الحكمة.

قلة يدركون مدى تأثير المدارس السرية القديمة على المفكرين المعاصرين، ومن خلالهم على الأجيال الحديثة. يشيد روبرت ماكوي<sup>(6)</sup>، 33، في كتابه " التاريخ العام للماسونية "، بالدور

---

(1) إيزيس هي إلهة رئيسية في الديانة المصرية القديمة والتي انتشرت عبادتها في العالم اليوناني الروماني. ذكرت إيزيس لأول مرة في المملكة المصرية القديمة (2686 - 2181 ق.م) كإحدى الشخصيات الرئيسية في أسطورة أوزوريس، حيث قامت بإحياء زوجها المذبوح الملك الإلهي أوزوريس، كما أنجبت وريثه حورس وقامت بحمايته.

(2) صبازيوس: إله السماء عند التراخين.

(3) كوبيلي: إلهة الجبال، الطبيعة، والخصوبة، لشعوب آسيا الصغرى وهي معبودة من أغلب شعوب المنطقة وسماها الرومان أم الآلهة العظيمة الإيداياية، وهي معروفة بأسماء أخرى أيضاً لكن كوبيلي هو الاسم الذي عرفت به في الأدب أكثر من أي اسم آخر.

(4) أسرار اليوسيس كانت عبارة عن مراسم للبدء تقام كل عام لعبادة ديميتير وبرسيفون في مدينة إفسينا في اليونان القديمة.

(5) هيروفران هو الشخص الذي يجلب المصلين الدينيين إلى حضور ما يعتبر مقدساً. الكلمة تأتي من اليوناني القديمة.

(6) روبرت ماكوي (1815 - 1895) ماسوني بارز، وكان له دور أساسي في تأسيس محافل كبرى. وأسس أيضاً ما قد يكون أكبر دار ماسونية للنشر، Macoy Publishing & Masonic Supply Company.

الذي لعبته الأسرار القديمة في إقامة صرح الثقافة الإنسانية. يقول: " يبدو أن كل كمال الحضارة، وكل التقدم المحرز في الفلسفة والعلوم والفن بين القدماء يرجعان إلى تلك المؤسسات التي، وتحت ستار من الغموض، سعت لتوضيح أرقى حقائق الدين، والأخلاق، والفضيلة، وإلقاء حبها في قلوب تلامذتها. لقد كان هدفها الرئيس هو تعليم عقيدة إله واحد، وقيام الإنسان على الحياة الأبدية، وكرامة روح الإنسان، وإرشاد الناس لرؤية ظل الإله، في جمال، وبهاء، وروعة الكون."

مع انحسار دور الفضيلة، الذي يسبق تدمير كل أمة عبر التاريخ، تصبح الأسرار منحرفة، وتحل الشعوذة محل السحر الإلهي. فأدخلت ممارسات لا يمكن وصفها (مثل عيد باخوس<sup>(1)</sup>)، وحكم الشذوذ حياة البشر؛ لأنه لا توجد مؤسسة يمكن أن تكون أفضل من الأعضاء الذين تتكون منهم. في زمن اليأس، سعى القلة الذين كانوا حقاً صالحين للحفاظ على العقائد السرية من النسيان. نجحوا في بعض الحالات، ولكن في كثير من الأحيان ضاع السر وبقي القشر الفارغ.

لقد كتب توماس تايلور، " الإنسان حيوان متدين بالفطرة ". فمنذ الفجر المبكر لوعيه، عبد الإنسان الأشياء واعتبرها رموزاً للأشياء غير المرئية، التي لا يمكن وصفها، أو كشفها عملياً. عارضت الأسرار الوثنية المسيحيين خلال القرون الأولى من كنيستهم، معلنة أن الإيمان الجديد (المسيحية) لم يطالب بالفضيلة والصالح كشرطين للخلاص. عبّر سيلسوس<sup>(2)</sup> عن هذا الموضوع بالمصطلحات الكاوية التالية:

"إنني لا أتهم المسيحيين بمرارة أكثر مما تقتضي الحقيقة، ومن هنا لنا أن نخمن، أن الباكون الذين يدعون الرجال إلى أسرار أخرى يعلنون ما يلي: فليقترب نقي اليدين، حكيم الكلمات. ومرة أخرى، يعلن آخرون: فليقترب الطاهر من كل شر، الذي لا تدرك روحه أي خباثة، والذي يعيش حياة عادلة ومستقيمة. ويدعو لهذا أولئك الذين يعدون بالتطهير من الخطيئة.

(1) عيد باخوس هو مهرجان روماني كان يُقام تكريماً لباخوس إله الخمر.

(2) سيلسوس: فيلسوف يوناني من القرن الثاني، كان خصماً للمسيحية المبكرة. وهو معروف بعمله الأدبي، الكلمة الحقّة وهو هجوم شامل ضد المسيحية.

ولنسمع الآن من هم الذين يتم استدعاؤهم إلى الأسرار المسيحية: كل من هو أثم، كل من هو أحمق، كل من هو بئس، سوف يستقبله ملكوت الله. ألا تسمون إذن الخاطئ، رجلاً غير عادل، سارق، أو مقتحم لمنزل، ساحر، مدنس؟ من هم الأشخاص الآخرين الذين يرشحهم الباكون، فليدعوا للصوم جميعاً؟"

لم يكن الاعتقاد الصوفي الذي هاجمه سيلسوس هو الإيمان الحقيقي للمسيحيين الأوائل، بل هو الأشكال الخاطئة التي كانت تتسلل حتى في تلك الأيام. كانت المثل العليا للمسيحية المبكرة تستند على المعايير الأخلاقية العالية للأسرار الوثنية، وكان المسيحيون الأوائل الذين التقوا في مدينة روما يستخدمون كأماكن عبادتهم هياكل ميثرا<sup>(1)</sup>. وهي العبادة التي استعارت الكهنوتية الكنسية الحديثة الكثير منها.

اعتقد الفلاسفة القدماء أنه لا يمكن لأي إنسان أن يعيش بذكاء ما لم يكن لديه معرفة أساسية بالطبيعة وقوانينها. قبل أن يطيع الإنسان، يجب عليه أن يفهم، وكانت الأسرار مكرسة لتعليم الإنسان ما يتعلق بتطبيق القانون الإلهي على ظهر الأرض. قليل من الطوائف المبكرة عبدت آلهة مجسمة، على الرغم من أن الرمزية قد تقود إلى الاعتقاد بأنهم فعلوا ذلك. لقد كانوا مثاليين وليس متدينين؛ فلسفيين وليس لاهوتيين. علّموا الإنسان أن يستخدم كلياته بذكاء أكبر، وأن يتحلّى بالصبر في وجه الشدائد، وأن يكون شجاعاً عندما يواجه الخطر، وأن يكون صالحاً في وجه الإغراء، والأهم من ذلك كله، أن ينظر إلى الحياة الجديرة على أنها التضحية الأكثر قبولاً من الإله، وبأن جسده مذبح مقدس للألوهية.

(1) الأسرار الميثرائية ديانة غامضة انتشرت في الامبراطورية الرومانية من القرن الأول للقرن الرابع الميلادي. توجد أوضح بقاياها في روما وأوستيا وبريطانيا الرومانيتين وفي مناطق قرب الدانوب والراين وكلها متعلقة بالإله الفارسي ميثرا.





هيروفيان أنثى من الأسرار القديمة.

من كتاب الآثار لمونتفوكون. يُظهر هذا الرسم التوضيحي كوبيلي، والمسماة هنا بالإلهة السورية، في رداء الهيروفيان. يصف مونتفوكون هذا التمثال على النحو التالي: "على رأسها تاج الأسقفية، وعلى الجزء السفلي زخارف لأبراج وقمم؛ فوق بوابة المدينة هلال، وتحت دائرة الجدران تاج مشع. ترتدي الإلهة رداء، يماثل تماماً ثوب الكاهن أو الأسقف؛ وعلى الرداء الكهنوتي غلالة تمتد حتى الساقين؛ وقد نقش عليها علامات البروج الاثني عشر والتي تمتد كدائرة. رسم على التمثال أسد على كل جانب، ويحمل في يده اليسرى طبلية، وسيستروم، ومغزل، وصولجان، وأداة أخرى. في اليد اليمنى تمسك بإصبعها الأوسط ما يشبه الصاعقة، وعلى نفس الذراع نقوش لحيوانات، وحشرات وبقدراً يمكننا التخمين، زهور وفواكه وقوس وجعبة وشعلة ومنجل". مكان التمثال غير معروف، والنسخة التي يصفها مونتفوكون مستمدة من رسومات لبيروليجيوريو.

لعبت عبادة الشمس دوراً مهماً في جميع الأسرار الوثنية المبكرة تقريباً. يشير هذا إلى احتمال أصل أطلنطي لها، لأن أهل أطلنطس كانوا عبدةً للشمس. تم تجسيد الإله الشمسي عادة كشاب وسيم، بشعر ذهبي طويل يرمز إلى أشعة الشمس. دُبح إله الشمس الذهبي هذا على يد أشقاء شريرين، جسّدوا مبدأ الكون الشرير. وعن طريق بعض الطقوس والاحتفالات، التي تمثل رمزاً للتطهير والتجديد، أعيد إله الخير الرائع إلى الحياة وأصبح منقذ شعبه. إن العمليات السرية التي تم من خلالها البعث، ترمز إلى تلك الوسائل التي يستطيع الإنسان من خلالها التغلب على طبيعته الدنيا، والتحكم بشهواته، والتعبير عن الجانب العلي من نفسه. تم تنظيم الأسرار لغرض مساعدة المخلوق البشري المتعثّر على إحياء القوى الروحية التي، التي تحيط بها الحلقة المشتعلة من الشهوة والخطيئة، الراقدة داخل روحه. بمعنى آخر، عُرض على الرجل طريقة تمكنه من استعادة ممتلكاته المفقودة. (انظر سيغفريد لفاغنر<sup>(1)</sup>).

في العالم القديم، كانت كل المجتمعات السرية تقريباً فلسفية ودينية. خلال القرون الوسطى، كانت بشكل رئيسي دينية وسياسية، على الرغم من وجود مدارس فلسفية قليلة. في العصر الحديث، أصبحت المجتمعات السرية، في الدول الغربية، سياسية أو أخوية إلى حد كبير، رغم أنه في عدد قليل منها، كما في الماسونية، لا تزال المبادئ الدينية والفلسفية القديمة قائمة.

تحظر القيود مناقشة مفصلة للمدارس السرية. كان هناك عشرات من هذه الطوائف القديمة، مع فروع لها في جميع أنحاء العالمين الشرقي والغربي. بعضها مثل الفيثاغورية والهرمسية<sup>(2)</sup>، تظهر نفوذاً شرقياً حازماً، بينما اكتسبت جماعة الصليب الوردي<sup>(3)</sup>، وفقاً لمنشوراتهم الخاصة، الكثير من حكمتها من الصوفيين العرب. على الرغم من أن المدارس

(1) ريتشارد فاغنر (1813 - 1883) مؤلف موسيقي وقائد أوركسترا وكاتب مسرحي ألماني. وأشهر مؤلفاته الأوبرا الرباعية التي تستند إلى الأساطير الألمانية، وسيغفريد إحداهما وهو البطل الذي قتل التنين ثم قُتل غدراً.

(2) الهرمسية هي تقليد ديني وفلسفي مستقاة من كتاب منحول ينسب إلى هرمس ( المثلث العظيمة ) والتي أثرت على التعاليم الباطنية الغربية بشكل كبير وتعتبر من أهم العوامل خلال عصري النهضة والإصلاح.

( 3 ) الصليب الزهري نظام انشأ وعرف بالقرن السابع عشر، من خلال ثلاثة أهداف مقصورة على فئة معينة من الغربيين، ويعتبر هذا النظام المحكم مدرسة سرية تهدف لمساعدة التطور الروحي للبشرية.

السرية ترتبط عادة بالحضارة، إلا أن هناك أدلة على أن أكثر الشعوب غير المتحضرة في عصور ما قبل التاريخ كانت على علم بها. السكان الأصليون للجزر البعيدة، وكثير منهم أقرب للوحشية، لديهم طقوس صوفية وممارسات سرية والتي، على الرغم من بدائيتها، أضافت شيئاً للماسونية.

## الاسرار الدرودية لبريطانيا والغال

"لقد عاود سكان بريطانيا الأصليون البدائيون، في فترات بعيدة، إصلاح مؤسساتهم الوطنية. فحتى حينها كان يطلق على كاهنهم أو مرشدهم اسم بسيط هو جويد، لكن كان من الضروري تقسيم هذا المنصب بين الكاهن الأعلى وغيره من الكهنة والذين سيكون تأثيرهم أكثر محدودية. من الآن فصاعداً، أصبح الأول درويد، أو المرشد المتميز، والثاني جويد، المرشد الثانوي؛ وأطلق على كليهما الاسم العام بيرد (Bards) أو معلمي الحكمة. عندما نضج النظام وتطور، تألف من ثلاثة مراتب: الدرويد، البيرد المتميز، والأوفاتس". (راجع صموئيل ميريك وتشارلز سميث، تقاليد سكان الجزر البريطانية الأصليين).

أصل الكلمة درويد قيد النزاع. يعتقد ماكس مولر<sup>(1)</sup> أنها تعود إلى كلمة دروي الأيرلندية، تعني "رجال أشجار البلوط". ويلفت الانتباه كذلك إلى حقيقة أن آلهة الغابات وآلهة الشجر عند الإغريق كانت تسمى درايد **dryades**. يعتقد البعض أن الكلمة هي من أصل توتوني؛ على حين يعزوها آخرون إلى الويلزية، ويلحقها عدد قليل بالغالية الدرودية، والتي تعني "رجل حكيم" أو "ساحر". في اللغة السنسكريتية، تعني كلمة درو "الأخشاب".

زمن الفتح الروماني، كان الدرويد يسيطرون تماماً على بريطانيا والغال. كانت لديهم سلطة على الشعب بلا منازع، حتى أن الجيوش، كانت مستعدة لمهاجمة بعضها البعض، عندما يأمر

(1) ماكس مولر (1823 - 1900) مستشرق بريطاني وعالم لغوي. ألماني المولد. صَنَّف الأساطير وفقاً للغرض الذي هدفت إليه، ودرس الأديان دراسة مقارنة. اهتم بصفة خاصة باللغة السنسكريتية الهندية القديمة. أسهم في الدراسة المقارنة بمجالات اللغة والدين وعلم الأساطير على الرغم من أن علماء العصر الحديث قد نبذوا الكثير من نظرياته. من أشهر أعماله: "محاضرات في علم اللغة" و "المدخل إلى علم الدين".

الدرويد ذوو الأردية البيضاء. لم يمضِ أي مشروع ذو أهمية كبيرة دون مساعدة هؤلاء البطارقة الذين انتصبوا كوسطاء بين الآلهة والرجال. لقد استحق هذا النظام الدرويدي السمعة بامتلاكه الفهم العميق للطبيعة وقوانينها. تنص الموسوعة البريطانية على أن الجغرافيا والعلوم الفيزيائية والعلوم الطبيعية والتنجيم كانت دراساتهم المفضلة، كما كان لديهم معرفة أساسية بالطب، وخاصة استخدام الأعشاب، كما عثر على أدوات جراحية بسيطة في إنجلترا وأيرلندا. وتقول أطروحة عن الطب البريطاني المبكر أنه كان من المتوقع أن يكون لكل ممارس حديقة أو ساحة خلفية لزراعة بعض الأعشاب اللازمة لمهنته. أدلى إلفاس ليفي<sup>(1)</sup>، المتبع للفلسفة المتعالية المشهور، بالبيان المهم التالي:

"إن الدرويد هم كهنة وأطباء، يعالجون بالمغناطيسية ويشحنون التماثيل بتأثيرهم المانع. كانت العلاجات العامة نبات الدبق الطفيلي (الهدال) وبيض الثعبان، لأن هذه المواد تجذب الضوء النجمي بطريقة خاصة. كان الجلال يحيط الوسيلة التي يجري بها قطع هذا النبات مما أضفى عليه الثقة الشعبية وجعله يجذب الاهتمام. سوف يكشف لنا تقدم المغناطيسية يوماً ما عن خصائص امتصاص هذا النبات؛ بعد ذلك، يجب أن نفهم سر تلك الزيادات الإسفنجية التي استمدت المزاي غير المستخدمة للنباتات وأصبحت محملة بالصبغات والمذاقات. سيتم استخدام الفطر والكمأ، العفصة النامية على الأشجار، وغيرها من قبل العلوم الطبية، والتي ستكون جديدة لأنها قديمة! ولكن لا ينبغي للمرء أن يتحرك بسرعة أكبر من العلم، والذي يتراجع عندما يمضي قدماً." (انظر تاريخ السحر).

لم يكن فقط الهدال المقدس رمزاً للطب العام، أو الدواء الشافي، ولكن أيضاً لحقيقة أنه نهي على شجرة البلوط. ومن خلال رمز البلوط، عبد الدرويد الإله الأعلى؛ لذلك فأى شيء ينمو على تلك الشجرة سيكون مقدساً. في مواسم معينة، وفقاً لمواقع الشمس والقمر والنجوم، صعد الكاهن الدرويدي شجرة البلوط وقطع الهدال بمنجل ذهبي مخروطي مكرس لهذا الغرض، ثم يجري لف النمو الطفيلي في أقمشة بيضاء مخصصة لهذا الغرض، خشية أن

(1) إلفاس ليفي. (1810 - 1875) كاتب فرنسي اهتم بالسحر والجمعيات السرية.

يمس الأرض ويتلوث بواسطة الاهتزازات الأرضية. وعادة ما جرى التضحية بثور أبيض تحت الشجرة.

كان الكهنة الدرويد منضمين إلى مدرسة سرية وجدت بينهم. هذه المدرسة، والتي تشبه عن كتب أسرار اليونان وباخوس أو الطقوس المصرية لإيزيس وأوزوريس، تم تصنيفها على أنها أسرار الدرويد. وهناك الكثير من التكهّنات بشأن الحكمة السرية التي ادعى الدرويد امتلاكها، فلم تُكتب تعاليمهم السرية أبداً، لكنها انتقلت مشافهة بينهم. يرى روبرت براون<sup>(1)</sup> 32، أن الكهنة البريطانيين حصلوا على معلوماتهم من الملاحين الفينيقيين القادمين من صور، والذين أنشأوا مستعمرات في بريطانيا والغال، قبل آلاف السنين، أثناء البحث عن القصدير. توماس موريس<sup>(2)</sup>، في كتابه " الآثار الهندية "، يحكي طويلاً عن الرحلات الفينيقية والقرطاجية واليونانية إلى الجزر البريطانية لغرض شراء القصدير. يرى آخرون أن الألغاز التي يحتفل بها الكهنة كانت من أصل شرقي، وربما بوذي.

قد يكون قرب الجزر البريطانية من أطلنطس المفقود سبباً لعبادة الشمس التي تلعب دوراً مهماً في الطقوس الدرويدية. وفقاً لأرطميدورس<sup>(3)</sup>، كانت سيريس<sup>(4)</sup> وبيرسيفون<sup>(5)</sup> يعبدان في

(1) روبرت براون ( 1773 - 1858 ) عالم نبات اسكتلندي.

(2) توماس موريس ( 1754 - 1824 ) باحث ومؤرخ شرقي بريطاني.

(3) أرطميدورس الإفسسي ( القرن الثاني بعد الميلاد ) هو عالم إغريقي، نسبته إلى أفسس. له كتاب «تعبير الرؤيا»، وقد ترجمه حنين بن إسحق من اليونانية إلى العربية.

(4) سيريس إلهة الزراعة والمحاصيل الزراعية والخصوبة والأمومة والعلاقات العاطفية في الميثولوجيا الرومانية، يقابلها في الميثولوجيا الإغريقية الإلهة ديميتر وهي ابنة بروسرينا وقد كان يحتفل بعيدها في السابع من أبريل، كانت واحدة من الآلهة الأولمبية.

(5) بيرسيفوني هي ابنة ديميتر ربة الأراضي الخصبة من زيوس، خطفها هاديس بعد أن هام في حبها لجمالها الذي لا يمكن لرسم أن يصوره، وجعل منها ملكة على عالم الموتى. هجرت ديميتر زيوس غضباً فحاول استرضائها فأبت إلا أن يسترجع ابنته، وافق هاديس على طلب كبير الآلهة، لكنه أطعمها من حب الرمان مما أجبرها أن ترجع إليه حتماً. وافق الجميع على أن تقضى بيرسيفوني ثلث العام في تارتاروس مع هاديس ثم تعود مع الربيع حيث يونع الثمر وتزدهر الأشجار وتثمر

جزيرة قريبة من بريطانيا مع طقوس ومراسيم مماثلة لتلك الموجودة في ساموثراكي<sup>(1)</sup>. وليس هناك شك في أن مبنى البانثيون<sup>(2)</sup> الدرويدي يضم عدداً كبيراً من الآلهة اليونانية والرومانية. وقد أدهش هذا قيصر بشدة أثناء غزوه لبريطانيا والغال، حيث أكد على أن هذه القبائل كانت تعشق عطارده، أبولو، المريخ، وكوكب المشتري، كما هو موجود في البلدان اللاتينية. إذاً يكاد يكون من المؤكد أن أسرار الدرويد لم تكن تعود لأبناء بريطانيا أو بلاد الغال، ولكنها هاجرت من واحدة من الحضارات الأقدم.

تم تقسيم مدرسة الكهنة إلى ثلاثة مراتب متميزة، والتعاليم السرية المجسدة فيها هي نفسها من الناحية العملية للمجازاة المخفية في المحفل الماسوني الأزرق. كانت أدنى مرتبة من الأقسام الثلاثة هي الأوفات. وكانت هذه مرتبة فخرية، لا تتطلب أي تنقية أو إعداد خاص. وكان لون لباسهم الأخضر وهو اللون الدرويدي للتعلم، وكان من المتوقع أن يعرفوا شيئاً عن الطب وعلم الفلك والشعر إن أمكن، وأحياناً الموسيقى. كان الأوفات فرداً قبل في النظام الدرويدي بسبب تفوقه العام ومعرفته الفائقة فيما يتعلق بمشاكل الحياة.

كانت المرتبة الثانية هي براد. كسي أعضائها باللون الأزرق السماوي، لتمثيل الانسجام والحقيقة، وتم تكليفهم بأن يحفظوا جزئياً على الأقل، الأبيات العشرين من الشعر الدرويدي المقدس. وغالباً ما جرى تصويرهم مع القيثارة البريطانية أو الأيرلندية البدائية - وهي أداة أوتارها شعر بشري، وعدد أوتارها يماثل عدد الأضلاع على أحد جانبي جسم الإنسان. في معظم الأحيان اختير هؤلاء الأشخاص كمعلمين للمرشحين الذين يسعون للدخول إلى أسرار الدرويد. ارتدى المبتدئون أردية مخططة من اللون الأزرق والأخضر والأبيض، وهي الألوان

---

الحقول. أثمرت ديميتير الحقول فرحاً بعودة ابنتها وامتلات سنابل القمح وذهبت إلى إليوسيس حيث لقنت كهنتها شعائرها وأسرارها ثم صعدت مع ابنتها إلى أوليمبس.

(1) ساموثراكي أو سَمَدْرُك أو سَمَادِرُك: جزيرة يونانية في شمال بحر إيجه.

(2) البانثيون (ويعني معبد كل الآلهة) مبنى في روما بني كمعبد لجميع آلهة روما القديمة. وهو أفضل مبنى روماني أثري من ناحية الحفظ، وربما يكون أفضل مبنى محفوظ من ذلك العصر في العالم. وظل المبنى في استخدام متواصل طوال تاريخه. يعتقد أن تصميم المبنى يعود لمعماري الإمبراطور تراجان أبولودوروس الدمشقي، ومنذ القرن السابع يُستخدم المبنى ككنيسة مسيحية. وهو الآن أقدم مبنى بقية ما زال قائماً في روما.

الثلاثة المقدسة للنظام الدرويدي. أما المرتبة الثالثة فكانت الدرويد. وكان العمل الخاص بهم هو تلبية الاحتياجات الدينية للشعب؛ وللوصول إلى هذه الكرامة، يجب على المرشح أولاً أن يصبح براد. يرتدي الكهنة دائماً اللون الأبيض - الذي يرمز إلى نقائهم واتصالهم بالشمس. من أجل الوصول إلى المكانة الرفيعة لرئيس الدرويد، أو الرئيس الروحي للمؤسسة، كان من الضروري للكهان أن يمر عبر الدرجات الست المتعاقبة للنظام. (تم التمييز بين أعضاء الدرجات المختلفة بألوان وشاحهم، حيث ارتدى جميعهم أردية بيضاء). يرى بعض الكتاب أن لقب رئيس الدرويد كان وراثياً، ينحدر من الأب إلى الابن، لكن من المرجح أن يتم منح هذا الشرف عن طريق الاقتراع. ويتم اختيار الفائز لفضائله ونزاهته من بين أكثر الأعضاء تعلماً في الدرجات العليا في الدرويد.

وفقاً لجيمس غاردنر، كان هناك عادةً رئيسان لكهنة الدرويد في بريطانيا، أحدهما في جزيرة أنغلزي<sup>(1)</sup> والآخر في جزيرة مان<sup>(2)</sup>؛ ويفترض أن هناك آخرين في بلاد الغال. حمل هؤلاء الرؤساء صولجاناً ذهبية وتوجوا بأكاليل من أوراق البلوط، وهذا رمز لسلطتهم. كان الأعضاء الأصغر سناً في النظام الدرويدي حليقين ونظيفين ويرتدون ملابس متواضعة، ولكن كلما اكتملوا أطالوا لحاهم، وارتدوا الحلي الذهبية. كان النظام التعليمي للدرويد في بريطانيا متفوقاً على نظرائهم في القارة، وبالتالي تم إرسال 48 من شباب غالاطبة إلى الكليات الدرويدية في بريطانيا لتدريسهم الفلسفة وتدريبهم.

(1) أنغلزي جزيرة تطل على البحر الأيرلندي أقصى غرب شمال ويلز، وهي سابع أكبر الجزر البريطانية.

(2) جزيرة مان تقع في موقع متوسط من البحر الأيرلندي بين المملكة المتحدة وأيرلندا؛ لا تعتبر جزءاً من المملكة المتحدة ولكنها تتبع التاج البريطاني.



رئيس الدرويد مرتدياً ثياب الطقوس الكهنوتية



من كتاب هنري ويلكوم<sup>(1)</sup> الطب الويلزي القديم

<sup>(1)</sup> السير هنري سولومون ويلكوم (1853 - 1936 م) طبيب بريطاني/أمريكي كان من مؤسسي شركة أدوية «بروز، ويلكوم وشركاهم» وهي شركة أدمجت فيما بعد مع شركة غلاكسو سميث كلاين العالمية. استخدم ثروته الكبيرة لإنشاء وقف ويلكم والتي أصبحت أكبر جمعية خيرية وقفية في العالم بلغت موجوداتها 15 مليار جنيهًا.

كانت الزينة الأكثر إثارة للدهشة في لباس رئيس الدرويد هي صدرية الحكم، التي كانت تمتلك القوة الغامضة المتمثلة في القدرة على خنق أي شخص يكذب أثناء ارتدائها. يذكر جودفري هيجنز<sup>(1)</sup> على أن هذه الصدرية وضعت على رقاب الشهود لاختبار صحة شهادتهم. كما نرى علامة الدرويد الثلاثية، أو أنجوينوم أو بيضة الثعبان، المزخرفة لتمثيل أشعة الشمس، بما يوحي أن الكاهن كان تجسيدا لشروق الشمس. في الجزء الأمامي من حزامه، ارتدى رئيس الدرويد بروش سحري، أو مشبك في وسطه حجر أبيض كبير. ويعزى إليه قوة سحب نيران الآلهة من السماء بناءً على أمر الكاهن. كان هذا الحجر المقطوع خصيصاً، مرآة حارقة، حيث تم تركيز أشعة الشمس فيه لإشعال حرائق المذبح. كان لدى الكهنة أيضاً أدوات رمزية أخرى، مثل المنجل الذهبي الغريب الشكل الذي قطعوا به الهدال من البلوط، والكوران، أو الصولجان على شكل هلال، الذي يرمز لليوم السادس من الشهر القمري وأيضاً لفلك نوح. اكتسب المرشح في وقت مبكر من أسرار الدرويد قبوله في مراسم حفلٍ يحصل منتصف الليل على قارب زجاجي يدعى **Cwrwg Gwydrin** والذي يرمز إلى القمر، الذي يطفو على مياه الأبدية، محافظاً على بذور الكائنات الحية داخل هلاله الشبيه بالقارب.

(1) جودفري هيجنز ( 1772 - 1833 ) قاضي وكاتب إنجليزي، وداعية بارز للإصلاح الاجتماعي، ومؤرخ، وأثري. يشتهر الآن بكتاباتاته المتعلقة بالأساطير القديمة، وخاصة كتابه Anacalypsis، الذي نشر بعد وفاته، والذي أكد فيه على القواسم المشتركة بين مختلف الأساطير الدينية، والتي يرجعها إلى ديانة أطلنطس المفقودة.

يذكر اليفاس ليفي أن الدرويديين عاشوا حياة زهد وتقشف، ودرسوا العلوم الطبيعية، وحافظوا على أسرارهم فلم يقبلوا أعضاء جدد إلا بعد فترات اختبار طويلة. عاش الكثير من كهنة النظام في مبان لا تختلف عن أديرة العالم الحديث، وكانوا يرتبطون في مجموعات مثل زهاد الشرق الأقصى. وعلى الرغم من أن العزوبة لم تكن مطلوبة منهم، إلا أن القليل منهم تزوجوا. وهجر الكثير من الكهنة العالم وعاشوا في الكهوف أو في المنازل المصنوعة من الحجر الخام أو في أكواخ صغيرة بنيت في أعماق الغابات. هنا صلوا وداووا، ولم يظهروا إلا لأداء واجباتهم الدينية.

يصف جيمس فريمان كلارك<sup>(1)</sup>، في كتابه "الأديان العشرة الكبرى"، معتقدات الكهنة على النحو التالي: آمن الدرويد بثلاثة عوالم منفصلة وفي التقمص للانتقال من عالم إلى آخر، وآمنوا بأن هناك عالم علوي من السعادة، وعالم أدنى، من البؤس، وهو الحالة الحالية. كان التقمص لمعاقبة ومكافأة وأيضاً لتطهير الروح. في العالم الحالي، آمنوا بأن "الخير والشر" متوازنان تماماً بحيث يتمتع الإنسان بأقصى درجات الحرية ويستطيع القبول أو الرفض. تخبرنا الثلاثية الويلزية<sup>(2)</sup> أن هناك ثلاثة مواضع للتقمص: جمع خصائص كل كائن في الروح، واكتساب المعرفة بكل الأشياء، والحصول على القوة للتغلب على الشر. هناك أيضاً، ثلاثة أنواع من المعرفة: معرفة طبيعة كل شيء، وقضيته، وتأثيره، وهناك ثلاثة أشياء تنمو باستمرار بشكل أوهن: الظلام والباطل والموت. وهناك ثلاثة أشياء يزداد نموها باستمرار: الضوء والحياة والحقيقة.

ومثل كل مدارس الأسرار تقريباً، قسمت تعاليم الكهنة إلى قسمين متميزين. فعلم الأبسط، وهو القانون الأخلاقي، لجميع الناس، على حين أن العقيدة الباطنية العميقة أعطيت فقط للكهنة الأعضاء. للقبول في النظام، كان مطلوباً من المرشح أن يكون من عائلة جيدة وذا شخصية أخلاقية عالية، ولم يجر اطلاعه على أية أسرار مهمة حتى تم إغراؤه بطرق عديدة وجربت قوة شخصيته بشدة. علّم الدرويد شعب بريطانيا والغال ما يتعلق بخلود الروح، لقد

(1) جيمس فريمان كلارك: (1810 - 1888) مؤلف وكاتب أمريكي.

(2) الويلزية الثلاثية هي مجموعة من النصوص ذات الصلة في مخطوطات القرون الوسطى التي تحافظ على شظايا الفولكلور الويلزي والأساطير والتاريخ التقليدي في مجموعات من ثلاثة.

آمنوا بالتقمص وعلى ما يبدو بالتناسخ. لقد اقترضوا في هذه الحياة، ووعدوا بالدفع في الحياة القادمة. لقد آمنوا بنوع من الجحيم المطهر، حيث سيتم تطهيرهم من خطاياهم، بعد انتقالهم إلى سعادة الوحدة مع الآلهة. آمن الدرويد أنه سيتم إنقاذ جميع الرجال، ولكن يجب على بعضهم العودة إلى الأرض عدة مرات لتعلم دروس الحياة البشرية والتغلب على الشر الملازم لطبيعتهم.

قبل أن يوثق بالمرشح لتلقيه المذهب السري للدرويد، كان يقسم على عهد السرية. ولم تنقل هذه العقائد إلا في أعماق الغابات أو في ظلام الكهوف. في هذه الأماكن، وبعيداً عن عيون الرجال، لقنت العلوم إلى المبتدئين فيما يتعلق بإنشاء الكون وشخصيات الآلهة وقوانين الطبيعة وأسرار الطب الخفي وأسرار الأجرام السماوية والسحر. وكان الكهنة يحتفلون بعدد كبير من الأيام، فكان القمر الجديد والكامل واليوم السادس للقمر فترات مقدسة، ومن المعتقد أن مراسم التلقين حدثت فقط عند الانقلابين الشتوي والصيفي، والاعتدالين الربيعي والخريفي. واحتفل بفجر يوم 25 ديسمبر، كميلاد لإله الشمس.

وقد ذكر البعض أن التعاليم السرية للكهنة قد صبغت بالفلسفة الفيثاغورية. كان للكهنة مادونا، أو الأم العذراء، مع طفل تحمله في ذراعها، وكانت مقدسة في أسرارهم؛ وقاموا بإحياء إله الشمس في وقت من السنة يقابل ذلك الذي يحتفل المسيحيون الحديثون فيه بعيد الفصح.

كان كل من الصليب والثعبان مقدسين للدرويد، الذين صنعوا الأول بقطع جميع أغصان شجرة البلوط وربط أحدهم على الجذع الرئيسي على شكل الحرف T. أصبح هذا الصليب المكسور رمزاً للإله الأعلى. كما أنهم عبدوا الشمس والقمر والنجوم، وقد تلقى القمر تبجيلاً خاصاً. ذكر قيصر أن عطارد كان أحد آلهة الغال الرئيسية. ويعتقد أن الكهنة قد عبدوا عطارد مشهماً بالمكعب الحجري. كان لديهم أيضاً تبجيل كبير لأرواح الطبيعة (الجنيات، الأقزام أو السنافر، والأوندين) وهي مخلوقات صغيرة سكنت الغابات والأنهار وقُدمت لها

العديد من القرايين. في وصفه لمعابد الكهنة، يقول تشارلز هيكتور<sup>(1)</sup>، في الجمعيات السرية لجميع العصور:

" كانت معابدهم - حيث حوفظ على النار المقدسة مشتعلة - عموماً مبنية على تلال بين بساتين البلوط الكثيفة، واتخذت أشكالاً مختلفة - دائرية، لأن الدائرة كانت رمز الكون؛ بيضاوية، في إشارة إلى الأرض، التي صدرت منها، أو إشارة للكون وفقاً لتقاليد العديد من الأمم؛ أو ذات شكل أفعواني، لأن الثعبان كان هو رمز " HU هو "، أوزوريس الدرويد؛ متصالبة، لأن الصليب هو رمز للتجدد؛ أو مجنحة، لتمثيل حركة الروح الإلهية. كانت آلهتهم الرئيسية قابلة للاختزال إلى اثنين - ذكر وأنثى، الأب والأم العظيمين - هو وكرايدون، ولهما نفس مزايا أوزوريس وإيزيس، باخوس وسيريس، أو أي إله وآلهة يكونان الرب الأسعى للكون".

نص جودفري هيجينز على أن "هو العظيم" كان أول مستوطن لبريطانيا، وقد جاء من مكان أطلق عليه في الثلاثيات الويلزية اسم أرض الصيف، وهو الموقع الحالي للقسطنطينية. يقول ألبرت بايك<sup>(2)</sup> إن كلمة الماسونية المفقودة مخفية باسم إله الدرويد هو. تشير المعلومات الضئيلة الموجودة فيما يتعلق بالتعاليم السرية للدرويد إلى وجود تشابه واضح بين مدرسة الدرويد ومدرستي اليونان ومصر. قُتل هو، إله الشمس، وبعد عدد من المحن الغربية والطقوس الباطنية، بعث حياً.

كانت هناك ثلاث درجات من الأسرار، لكن قلة فقط نجحوا في اجتيازها كلها. دفن المرشح في تابوت، كرمز لموت إله الشمس. اما الاختبار الأهم فكان إرسال المرشح إلى البحر في قارب مفتوح، حيث فقد كثر حياتهم أثناء خضوعهم لهذا الابتلاء. يصف تاليسن<sup>(3)</sup>، الباحث

(1) تشارلز ويليام هيكتور ( ١٨٢٩ - ١٩٠٢ ) بريطاني سويسري المولد، وقد اشتهر بكتابه في تاريخ الجمعيات السرية وأعماله المتعلقة بتاريخ لندن.

(2) ألبرت بايك ( 1809 - 1891 ) محامي وجندي وكاتب وماسوني ويعتبر الضابط الكونفيدرالي الوحيد الذي له تمثال في الساحة العامة في واشنطن العاصمة.

(3) تاليسن هو شاعر بريطاني عاش في القرن السادس الميلادي زمن بريطانيا ما بعد روما وبقيت أعماله في كتاب تاليسن، وهو مخطوط باللغة الويلزية الوسطى. كان تاليسن شاعراً شهيراً ويعتقد أنه غنى في بلاط ثلاثة ملوك بريطانيين.

القديم، الذي اجتاز الأسرار، اختبار القارب المفتوح في إحدى قصائده. وقد قيل إن القلة التي نجحت في اجتياز الاختبار والحصول على هذه الدرجة الثالثة قد "وُلدت مرة أخرى"، ليجري تلقينهم الحقائق السرية والمخفية التي كان الكهنة الدرويد يحفظونها من العصور القديمة. من بين هؤلاء البادئين تم اختيار العديد من الشخصيات البارزة في العالم الديني والسياسي البريطاني.

## الطقوس الميثرائية

عندما انتقلت الأسرار الفارسية إلى جنوب أوروبا، سرعان ما تبعها العقل اللاتيني، فنمت هذه العبادة بسرعة، خاصة بين الجنود الرومان، وانتشرت خلال الغزوات الرومانية بواسطة الفيالق الرومانية إلى جميع أنحاء أوروبا تقريباً. لقد أصبحت الديانة الميثرائية قوية جداً بحيث انضم على الأقل إمبراطور روماني واحد إلى النظام، وكانوا يلتقون في كهوف تحت مدينة روما. فيما يتعلق بانتشار هذه المدرسة الغامضة عبر أجزاء مختلفة من أوروبا، يقول كنج<sup>(1)</sup> في كتابه الباطنية وبقاياها:

"لا تزال النقوش البارزة للميثرائية على الصخور أو على الألواح الحجرية منتشرة في البلدان التي كانت تُعرف سابقاً بالمقاطعات الغربية من الإمبراطورية الرومانية؛ يوجد الكثير منها في ألمانيا، ولا سيما في فرنسا، وفي هذه الجزيرة (بريطانيا)، وغالباً ما يتم اكتشافها على سور هديران<sup>(2)</sup> والجدار الشهير في باث".

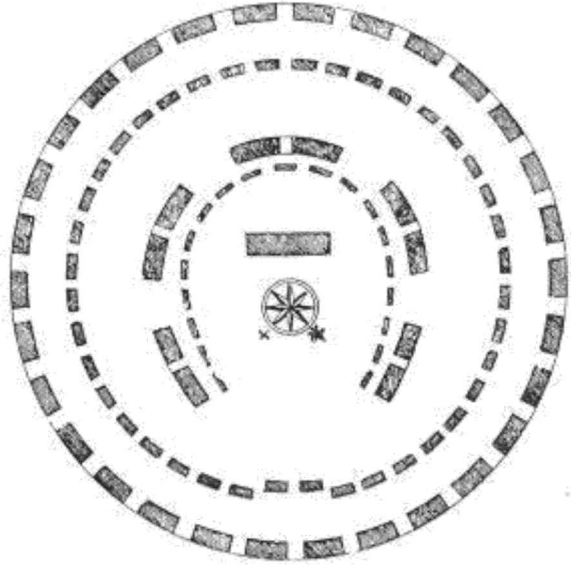
ألكساندر وايلدر، في كتابه فلسفة وأخلاق زرادشت، يذكر أن ميثراس هو رمز للشمس أو اسم لملاك لاهوتي زرادشتي، ومن المفترض أن يسكن داخل هذا الجرم السماوي اللامع، ولديه جانب مذكر وآخر مؤنث. انه كالشمس، قوية ومشرقة، والأروع بين يازاتا<sup>(3)</sup>. وتعد ميثرا، تمثيلاً

(1) تشارلز ويليام كينغ (1818 - 1888) كاتب بريطاني وجامع للأحجار الكريمة.

(2) سور هادريان، سور حجري وتحصينات بناها الإمبراطور الروماني هادريان سنة [122م] بعرض إنجلترا الحالية. لصد الغارات العسكرية من القبائل القديمة التي كانت تسكن أرض اسكتلندا في الشمال.

(3) يازاتا هي القوى الروحية الخيرة أو ملائكة الخير في الديانة الزرادشتية التي تساعد الاله أهورامازدا.

لمبدأ المؤنث، حيث الأرض رمزها. إنها تمثل الطبيعة تقبلاً وعطاءً، وستثمر فقط عند الاغتسال في مجد الجرم الشمسي. فالعبادة الميثرائية ليست سوى تبسيط لتعاليم أكثر تفصيلاً لزردهشت، ساحر النار الفارسي.



مخطط ستونهنج

من كتاب الآثار الهندية لموريس<sup>(1)</sup>.

لم تكن معابد كهنة الدرويد كآماكن العبادة الدينية لغيرهم، حيث جرت معظم مراسيمهم في الليل، إما في أدغال كثيفة من أشجار البلوط أو حول مذابح أنشأت في الهواء الطلق من حجارة كبيرة غير مصقولة. كيف نقلت هذه الكتل الصخرية هو أمر لم يجمع عليه بشكل مرضي. أشهر مذابحهم، حلقة كبيرة من الصخور، ستونهنج، في جنوب غرب إنجلترا. هذه البنية، التي وضعت على أساس فلكي، لا تزال قائمة، وتعد أعجوبة من العصور الغابرة.

<sup>(1)</sup> كان توماس موريس (1754 - 1824) باحثاً ومستشرقاً بريطانياً.



وفقاً للفرس، تعايش في الأبدية مبدأين. أولهما، أهورامزدا، روح الخير، ومنه خرج عدد من التسلسلات الهرمية من الأرواح الجيدة والجميلة (الملائكة ورؤساء الملائكة). والثاني من هذه المبادئ الموجودة أصلاً كان يسمى أهريمان، والذي كان أيضاً روحاً نقية وجميلة، لكنه تمرد في وقت لاحق ضد أهورامزدا، حيث كان يغار من قوته. وهذا لم يحدث، حتى خلق أهورامزدا النور، فأهريمان لم يكن يدرك وجود أهورامزدا. وبسبب الغيرة والتمرد، أصبح أهريمان روح الشر. ومن نفسه خلق مجموعة من المخلوقات المدمرة لإيذاء أهورامزدا.

عندما خلق أهورامزدا الأرض، دخل أهريمان في عناصرها الإجمالية. وكلما قام أهورامزدا بعمل جيد، وضع أهريمان مبدأ الشر فيه. أخيراً عندما أنشأ الجنس البشري، تجسد أهريمان في الطبيعة الدنيا للإنسان، بحيث تتنازع روح الخير وروح الشر في كل رجل من أجل السيطرة. ولمدة 3000 سنة حكم أهورامزدا العالمين السماويين بالضوء والخير. ثم خلق الرجل، ولمدة 3000 سنة أخرى، حكم الرجل بحكمة ونزاهة. ثم بدأت قوة أهريمان، وسيستمر الكفاح من أجل روح الإنسان خلال فترة 3000 سنة القادمة. وخلال الفترة الرابعة من 3000 سنة، سيتم تدمير قوة أهريمان. وسيعود الصلاح إلى العالم مرة أخرى، وسيقضى على الشر والموت، وفي النهاية سوف تنحني روح الشر بكل تواضع أمام عرش أهورامزدا. بينما يتنازع أهورامزدا وأهرمان للسيطرة على النفس البشرية ومن أجل التفوق في الطبيعة، فإن ميثراس إله العقل يقف كوسيط بين الاثنين. لاحظ العديد من المؤلفين التشابه بين الزئبق وميثراس، نظراً لأن الزئبق كيميائياً يعمل كمذيب (وفقاً للكيميائيين)، كما أن ميثراس يسعى إلى مواءمة الأضداد السماوية.

هناك العديد من نقاط التشابه بين المسيحية وعبادة ميثراس. ربما كان أحد الأسباب وراء ذلك هو أن باطني فارس غزوا إيطاليا خلال القرن الأول بعد المسيح، وكان التاريخ المبكر لكلا الطائفتين متداخلاً بشكل وثيق. وتذكر الموسوعة البريطانية ما يلي بخصوص الأسرار الميثرائية والمسيحية:

"الروح الأخوية والديمقراطية للمجتمعات الأولى، وأصلها البسيط؛ مشاركة العبادة للنور والشمس؛ أساطير الرعاة مع أضحياتهم ودينهم، والفيضان والفلك؛ فكرة العربة النارية،

استخراج المياه من الصخر؛ استخدام الجرس والشموع والماء المقدس والمناولة؛ تقديس يوم الأحد و 25 ديسمبر؛ الإصرار على القانون الأخلاقي، والتركيز على الزهد وضبط النفس؛ مذهب الجنة والجحيم، الوحي البدائي، شفاعة الملائكة، الكفارة، الحرب المستمرة بين الخير والشر والانتصار النهائي للخير، خلود النفس، اليوم الآخر، قيامة الجسد والتدمير الناري للكون - [هذه] بعض التشابهات التي، سواء كانت حقيقية أو ظاهرية فقط، مكّنت الميثرائية من إطالة مقاومتها للمسيحية".



### ميثراس يذبح الثور

من كتاب رموز المسيحية للوندي<sup>(1)</sup>

تُظهر التماثيل والنقوش الأكثر شهرة في هذه النماذج الأولية ميثراس وهو راكع على ثور العظيم، ويغرز سيفه في رقبته. إن ذبح الثور يدل على أن أشعة الشمس، التي يرمز لها بالسيف، تطلق عند الاعتدال الربيعي العناصر الأساسية للأرض - دم الثور - والتي تتدفق من الجرح الذي صنعه إله الشمس، لتسميد بذور الكائنات الحية. عدت الكلاب مقدسة في عبادة ميثراس، كونها ترمز للإخلاص والثقة. استخدم الميثرايون الثعبان شعاراً لأهرمان، وروح الشر، وكانت الفئران المائنة مقدسة له. الثور باطنياً يدل على كوكبة الثور. الثعبان، عكسه في البروج، يدل على العقرب؛ الشمس، ميثراس، التي تدخل إلى جانب الثور، فتقتل المخلوق السماوي وتغذي الكون بدمه.

<sup>(1)</sup> جون باترسون لوندي راع وكاتب أسقف أمريكي، توفي 1892.

كانت طقوس ميثراس تجري في الكهوف. يذكر فرفوريوس، في كتابه كهف الحوريات، أن (زرادشت) كان أول من كرس الكهوف لعبادة الإله، لأن الكهف كان رمزاً للأرض، أو للعالم السفلي المظلم. يصف جون ب. لوندي كهف ميثراس على النحو التالي:

"لكن هذا الكهف كان مزيناً بعلامات لبرجي السرطان والجدي. كانت الانقلابات الصيفية والشتوية بارزة بشكل أساسي، حيث إن بوابات الأرواح تنحدر إلى هذه الحياة، أو تنتقل منها في صعودها إلى الآلهة؛ السرطان عند بوابة النزول، والجدي عند الصعود. هذان هما الطريقان اللذان ينتقل فيهما الخالدون صعوداً وهبوطاً من الأرض إلى الفردوس، ومن الفردوس إلى الأرض."

يُعتقد أن كرسي القديس بطرس المزعوم في روما، كان قد استخدم في أحد الأسرار الوثنية، ربما ميثراس. ففي كهوف تحت الأرض، اجتمع مناصرو الأسرار المسيحية في الأيام الأولى للإيمانهم. يذكر جودفري أنه في عام 1662، أنه حين جرى تنظيف الكرسي المقدس، فقد عُثر على أعمال هرقل الاثني عشر منقوشة عليه، كما عُثر على نفس الكرسي، الشهادة المحمدية للإيمان، مكتوبة بالعربية.

يبدو أن درجات طقوس ميثراس، مثل غيرها من العديد من المدارس القديمة الأخرى للفلسفة، تكونت من ثلاث درجات مهمة. التحضير لهذه الدرجات يحصل بالتطهير الذاتي، وبناء القوى الفكرية، والسيطرة على الطبيعة الحيوانية. في الدرجة الأولى منح المرشح تاجاً مسيفاً لتعليمه قوة أسرار ميثراس الخفية. ربما كان قد لُقن أن التاج الذهبي يمثل طبيعته الروحية، التي يجب أن تكون موضوعية ومكشوفة قبل أن يتمكن من تمجيد ميثراس حقاً؛ لأن ميثراس كانت روحه الخاصة، حيث وقف كوسيط بين أهورامزدا، روحه، وأهرمان، طبيعته الحيوانية. في الدرجة الثانية حصل على درع الذكاء والنقاء وأُرسل في ظلام الكهوف الجوفية لمحاربة وحوش الشهوة والعاطفة والانحطاط. في الدرجة الثالثة، تم إعطاؤه عباءة، رسم أو نسج عليها علامات البروج والرموز الفلكية الأخرى. بعد الانتهاء من تدريبه، يرحب به باعتباره الشخص الذي قام من بين الأموات، ولُقن التعاليم السرية للباطنيين الفرس، وأصبح كامل العضوية في النظام.

أطلق على المرشحين الذين اجتازوا جميع الاختبارات بنجاح بالأسود ووسموا على جباههم بالصليب المصري. غالباً ما يصور ميثراس نفسه برأس أسد وجناحين. طوال الطقوس كلها تكررت الإشارات إلى ولادة ميثراس كإله للشمس، وتضحيته من أجل الإنسان، ووفاته مما يعني بأن الرجل قد تكون له حياة أبدية، وأخيراً، قيامته وإنقاذ البشرية جمعاء من خلال شفاعته أمام عرش أهورامزدا.

على حين أن عبادة ميثراس لم تصل إلى الذرى الفلسفية التي حققتها الزرادشتية، كان تأثيرها على حضارة العالم الغربي بعيد المدى، لأنه في ذلك الزمن تقريباً آمنت أوروبا كلها بمذاهبها. قامت روما، عند اتصالها مع الدول الأخرى، بتعليمها مبادئها الدينية؛ والعديد من المؤسسات اللاحقة أظهرت ثقافة ميثراس. الإشارة إلى "الأسد" و "قبضة مخلب الأسد" في درجة الخبير الماسوني لها مسحة ميثرانية قوية وربما نشأت بسهولة من هذه الطائفة. يظهر سلم مكون من سبع درجات في الميثرانية؛ وربما كان هذا السلم في الأصل هرماً من سبع طبقات، ومن الممكن أن يعود السلم الماسوني ذو السبع درجات إلى هذا الرمز الميثراني. لم يُسمح للنساء مطلقاً بالدخول إلى نظام ميثراس، لكن الأطفال الذكور كانوا يبدؤون قبل فترة طويلة من بلوغهم. يمكن أن يستند رفض السماح للنساء بالانضمام إلى النظام الماسوني إلى السبب الباطني الوارد في التعليمات السرية لميثراس. هذه العبادة مثال ممتاز آخر على تلك المجتمعات التي تعتبر أساطيرها رمزية إلى حد كبير، للشمس ورحلتها عبر منازل السماوات. ميثراس، الذي ينبعث من الحجر، مجرد شروق الشمس في الأفق، أو كما هو متوقع من القدماء، شمس الاعتدال الربيعي.



### ولادة ميثراس

من كتاب الآثار لمونتفوكون

ولد ميثراس من صخرة، والتي انقسمت سامحة له بالخروج. حدث هذا في ظلام كهف عميق. تؤكد كنيسة المهدي في بيت لحم النظرية القائلة إن يسوع وُلد في مغارة أو كهف. وفقاً لدوبوي<sup>(1)</sup>، فقد صلب ميثراس حتى الموت ثم بعث مرة أخرى في اليوم الثالث.

<sup>(1)</sup> شارل فرانسوا دوبوي (1742 – 1809) سياسي، وعالم فلك، وبروفيسور، ومحامي، ومؤرخ من فرنسا.

يعارض جون أونيل النظرية القائلة بأن ميثراس كان يقصد به إله شمسي. فقال في كتابه المنشور تحت اسم "ليلة الآلهة":

(إن ميثراس الأفستي<sup>(1)</sup>)، يازاتا النور، لديه عشرة آلاف عين، مع معرفة كلية، وهو قوي، لا ينام ودائم اليقظة. الإله الأسمى أهورامازدا له عين واحدة، أو يقال أيضاً: بعيونه الشمس والقمر والنجوم، يرى كل شيء. النظرية القائلة بأن ميثراس كان في الأصل لقباً لإله السماوات العلى - مما أدى إلى إخراج الشمس من الحساب - هي النظرية الوحيدة التي تحقق جميع المتطلبات. من الواضح أن لدينا هنا أصل العين الماسونية التي كتب عليها "nunquam dormio"<sup>(2)</sup>.

يجب على القارئ عدم الخلط بين ميثرا الفارسية وميترا الفيدية<sup>(3)</sup>. وفقاً لألكساندر وايلدر، فقد حلت طقوس ميثراس محل أسرار باخوس، وأصبحت أساساً للنظام الباطني، الذي ساد لقرون عديدة في آسيا، ومصر، وحتى في الغرب البعيد.

(1) الأفسستية هي اللغة الفارسية القديمة وكذلك لغة الكتاب المقدس القديمة للزرادشتيين، والأبستاق.

(2) nunquam dormio: باللاتينية و تعني لا أنام أبداً.

(3) فيدا هو الكتاب المقدس للديانة الهندوسية وهو يقع في 800 مجلد تقريباً، تم تأليفه طيلة 1000 سنة وقيل ثلاثة آلاف سنة، وهو النصوص المقدسة من الترانيم والتراتيل عند الهنود لتكريم الآلهة..

## الأسرار القديمة والجمعيات السرية 2

إن التاريخ الكامل للمسيحية والوثنية الغنوصية يكتنفه الغموض والجهل؛ وعلى حين أن الغنوصيين كانوا بلا شك كتاباً غزيري الإنتاج، لم ينج سوى القليل من أديهم. لقد سببوا لأنفسهم عدا الكنييسة المسيحية المبكرة، وعندما وصلت هذه المؤسسة إلى موقعها كقوة عالمية، دمرت كل السجلات المتاحة للعبادة الغنوصية. اسم الغنوصية يعني الحكمة، أو المعرفة، ويستمد من كلمة الغنوص اليونانية. ويقال أن أعضاء النظام الغنوصي كانوا على دراية بالمذاهب السرية للمسيحية المبكرة. لقد فسروا الأسرار المسيحية وفقاً للرمزية الوثنية. وقد أخفوا معلوماتهم السرية ومبادئهم الفلسفية عن التدنيس، وقاموا بتدريسها لمجموعة صغيرة فقط من الأشخاص.

غالباً ما يُفترض بأن سمعان المجوسي<sup>(1)</sup>، الساحر المشهور في العهد الجديد، هو المؤسس للغنوصية. إذا كان هذا صحيحاً، فقد تشكلت الطائفة بعد قرن من ولادة المسيح، وربما كانت أول الفروع الكثيرة التي انبثقت من جذع المسيحية الرئيسي. كل ما لم يوافق عليه المتحمسون للكنيسة المسيحية المبكرة أعلنوا أنه من الشيطان. وقد قيل بأن سمعان المجوسي تمتع بقوى غامضة وخارقة للطبيعة، وأقرّ حتى أعدائه بذلك، لكنهم أكدوا أن هذه القوى قد منحت له من قبل الأرواح الجهنمية الغاضبة، والتي أكدوا أنها كانت صحبته الحالية. ومما لا شك فيه أن أكثر الأساطير إثارة للاهتمام بشأن سمعان هي تلك التي تحكي عن سجلاته الثيوصوفية

---

(1) سمعان المجوسي أو سمعان الساحر، اسم استعمله الكتاب المسيحيون القدماء للإشارة إلى شخص عرف بأنه سامري غنوصي. واستعمل الاسم للإشارة إلى شخص أسس فرقة دينية خاصة به. درج المسيحيون الأوائل على اعتبار سمعان المجوسي أول الهرطقة، وفي الوقت عينه أول الغنوصيين؛ وقد ورد ذكره في أعمال الرسل، في معرض الحديث عن مرور القديس بولص بالسامرة.



مع الرسول بطرس بينما كانا يصدران عقائدهما المختلفة في روما. وفقاً للقصة التي حافظ عليها آباء الكنيسة، كان سمعان يثبت تفوقه الروحي من خلال الصعود إلى الجنة في عربة النار. لقد حمل عالياً في الهواء بواسطة قوى غير مرئية، وعندما رأى القديس بطرس هذا، صرخ بصوت عالٍ، أمراً الشياطين (أرواح الهواء) بترك الساحر. أُجبرت الأرواح الشريرة، عندما أمر بذلك القديس العظيم، على الطاعة؛ فهوى سمعان من علٍ وقتل، مما أثبت بشكل حاسم تفوق القوى المسيحية. مما لا شك فيه أن هذه القصة مزيفة بالكامل، لأنها واحدة فقط من بين العديد من الروايات المتعلقة بوفاته، والقليل منها يوافق عليها. نظراً لأنه جُمع المزيد من الأدلة التي تشير إلى أن القديس بطرس لم يكن في روما أبداً.

كان سمعان فيلسوفاً بلا شك، فأينما وجدت كلماته محفوظة، سنرى الصياغة الجميلة التي عبّر بها عن أفكاره. إن مبادئ الغنوصية موصوفة جيداً في البيان الحرفي التالي الذي قدمه، والذي من المفترض أن هيبوليتوس<sup>(1)</sup> قد حفظه:

"لك، أقول ما أقول، وأكتب ما أكتب؛ والكتابة هي هذه. من الدهر الكوني (فترات، مجالات، أو دورات من الحياة الإبداعية والمخلوقة في المادة والفضاء، والمخلوقات السماوية) هناك تبرعمان، دون بداية أو نهاية، ينبثقان من جذر واحد، وهو القوة غير المرئية، والصمت غير المفهوم. أحدهما يتجلى من الأعلى، وهو القوة العظمى والعقل الشامل الذي يأمر كل شيء، الذكر. والآخر يتجلى من الأسفل، الفكر العظيم، الأنثى، وينتج كل شيء. ومن ثم، فإنهما يتحدان مع بعضهما البعض ويظهران المسافة المتوسطة، والهواء غير المفهوم، دون بداية أو نهاية. في هذا هو الأب الذي يحافظ على كل الأشياء، ويغذي الأشياء التي لها بداية ونهاية".

(من كتاب سمعان المجوسي، بقلم ج. س. ميد<sup>(2)</sup>.)

<sup>(1)</sup> هيبوليتوس الرومي (170 م – 235 م) أهم العلماء اللاهوتيين في الكنيسة المسيحية في القرن الثالث الميلادي في روما، التي يُعتقد أنه ولد بها. تصادم هيبوليتوس مع الباباوات في عصره، ويبدو أنه أسس جماعة دينية تنافس الباباوية.

<sup>(2)</sup> جورج روبرت ستو ميد (1863 - 1933) مؤرخ إنجليزي وكاتب ومحرر وعضو مؤثر في المجتمع الثيوصوفي. تعلق أعماله العلمية بشكل رئيسي بالديانات الغنوصية في العصور القديمة.



موت سمعان الساحر.

من حوليات نورنبرغ

يظهر هنا سمعان المجوسي - بعد أن دعا شياطين الهواء لحمله - ترفعه الشياطين. يطلب القديس بطرس بأن يفلت الجني الشرير قبضته الممسكة بالساحر. وتضطر الشياطين للامتناع فيقتل سمعان المجوسي نتيجة سقوطه من شاهق.

على هذا، يجب أن نفهم أن المظهر هو نتيجة لمبدأ إيجابي وسلبي، واحدهما يعمل على الآخر، ويحدث في المستوى الأوسط، أو نقطة الاتزان، التي تدعى الملاء الأعلى. هذا الملاء الأعلى هو مادة غريبة تنتج من مزج الأيونات الروحية والمادية. من هذا الملاء الأعلى جعل الديمورجوس<sup>(1)</sup>، وهو الفاني الخالد، والذي ترجع له مسؤولية وجودنا الجسدي والمعاناة التي يجب أن نمر بها فيما يتعلق به. في النظام الغنوصي، انبثقت ثلاثة أزواج من الأضداد، تسمى القرائن، والتي انبثقت من الواحد الأبدي. هذه، مع الواحد شكلت ما مجموعه سبعة، وصفت القرائن الستة (ثلاثة أزواج) بالأيونات (الحية، المبادئ الإلهية) وتوصف بالطريقة التالية: الأولان هما العقل (Nous) والفكر (Epinoia)، ثم جاء الصوت وعكسه، والاسم (Onoma)، وأخيراً، العقل (Logismos) والتفكير (Enthumesis). من هؤلاء الستة البدائين، المتحددين مع اللهب الأبدي، خرجت الأيونات (الملائكة) الذين شكلوا العوالم الدنيا من خلال توجيه الديمورجوس. كيف يجب الآن النظر إلى هذه الغنوصية الأولى لسمعان المجوسي وميناندر تلميذه، والتي شوهدت في كثيرٍ من الأحيان، من قبل أتباع لاحقين للعبادة.

قُسمت المدرسة الغنوصية إلى قسمين رئيسيين، يُطلق عليهما عادة العبادة السورية والعبادة السكندرية. اتفقت هذه المدارس في الأساسيات، لكن فرع الاسكندرية كان أكثر ميلاً إلى وحدة الوجود، على حين أن الفرع الأول كان ثنويًا. بينما كانت الطائفة السورية سمعونية إلى حد كبير، كانت المدرسة الإسكندرية نتاجاً للجدل الفلسفي لمسيحي مصري ذكي، باسيليديس<sup>(2)</sup> بالاسم، الذي ادعى أنه تلقى تعليماته من الرسول ماثيو. مثل سماعيل المجوسي، كان يفيض عن نفسه، وقد امتلك ميولاً للأفلاطونية المحدثة. في الواقع، يعتمد الغنوص الغامض بأكمله على فرضية الانبعاث باعتباره العلاقة المنطقية بين الأضداد غير القابلة للتوفيق؛ بين الروح المطلقة والمادة المطلقة، والتي يعتقد الغنوصيون أنها كانت تتعايش في الخلود. يؤكد البعض

(1) أي كائن وجد من المادة البدائية للكون

(2) باسيليديس: كان تلميذاً لميناندر الغنوصي، انتقل من أنطاكية إلى الإسكندرية وكان أول غنوصي مصري.

أن باسيليديس كان المؤسس الحقيقي للغنوصية، ولكن هناك الكثير من الأدلة التي تشير إلى أن سمعان المجوسي هو من وضع المبادئ في القرن السابق.

غرس باسيليديس الهرمسية المصرية، والغيب الشرقي، والتنجيم الكلداني، والفلسفة الفارسية في أتباعه، وفي عقائده، كما سعى إلى توحيد مدارس المسيحية المبكرة مع الأسرار الوثنية القديمة. ينسب إليه صياغة المفهوم الغريب للإله الذي يحمل اسم أبراكاساس<sup>(1)</sup>. في مناقشة المعنى الأصلي لهذه الكلمة، أوضح جودفري هيغنز، في كتابه الدرود الكلتيين، أن القوى العددية للحروف التي تشكل كلمة أبراكاساس عندما تضاف معاً يصبح المجموع 365. ويلاحظ المؤلف نفسه أيضاً أن اسم ميثراس عندما يعامل بطريقة ماثلة لديه نفس القيمة العددية. ظن باسيليديس أن قوى الكون تنقسم إلى 365 أيوناً، أو دورات روحية، وأن مجموع كل هذه الأشياء مجتمعة كان الأب الأسى، وقد أعطاه الاسم الذي يعود للكابالا أبراكاساس، باعتبارها رمزاً عددياً لقوته الإلهية، لفيضة، وبريقه. عادة ما يرمز إلى أبراكاساس كمخلوق مركب، بجسم إنسان ورأس ديك، وتنتهي ساقاه بثعابين. يقدم تشارلز ويليام كينغ، في كتابه الباطنية وبقاياها، وصفاً موجزاً للفلسفة الغنوصية عند باسيليديس، مقتبساً من كتابات الأسقف والشهيد المسيحي القديم، القديس إيريناوس<sup>(2)</sup>:

"أكد أن الرب، الأب الأبدي غير المخلوق، خلق أولاً العقل؛ ومنه الكلمة، ومنه الذكاء، ثم الحكمة، والقوة".

(1) أبراكسيس Abraxas هي كلمة إغريقية حروفها قراءة للرقم 365. وكانت تكتب فوق الصخور، وتستعمل كتعاويذ. وهذا العدد كان يشير إلى أن عدد السماوات 365. وأبراكسيس اسم لأحد شياطين العالم السفلي في اعتقاد الإغريق. وأبراكساس Abraxas اسم إله (روح - جني) وجد اسمه على أحجار وتماثيل غنوصية من القرن الثاني الميلادي. وهو اسم يستخدم في طقوس سحرية متعددة، إذ يعتقد أن له قدرة خاصة لأنه يحمل الأحرف السبعة التي تحكم العالم عند الغنوصيين.

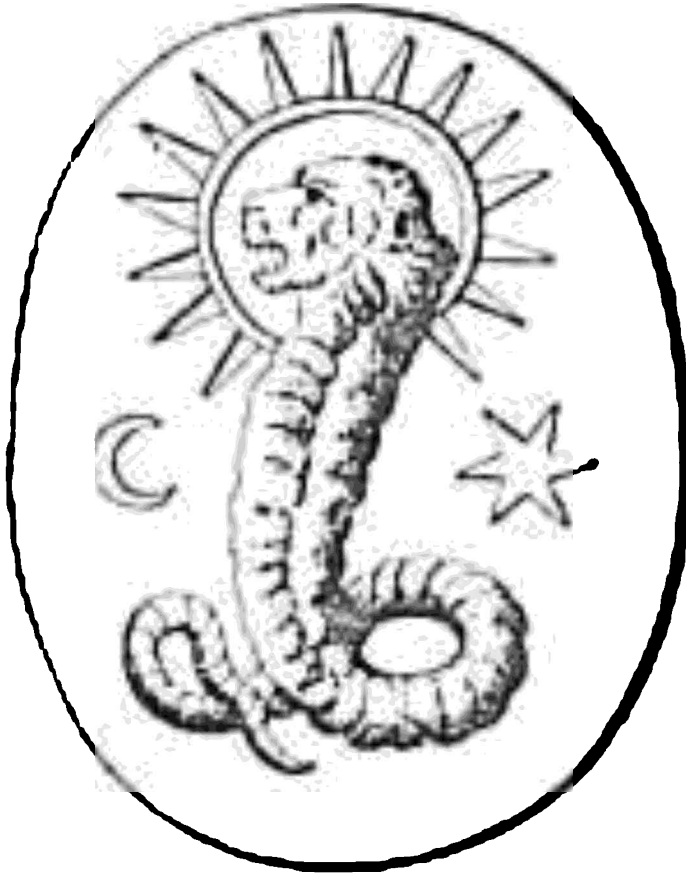
(2) القديس إيريناوس: عاش في القرن الثاني الميلادي، وهو أسقف مدينة لوغدونوم في بلاد الغال، وكان أحد أشهر آباء الكنيسة الأوائل ومن أهم المدافعين عن العقيدة المسيحية، كتب العديد من الكتب أهمها كتابه الشهير ضد الهرطقات، حيث قدم فيه تفصيلاً ومهجوماً مفصلاً لفضح الغنوصية.

"في وصف أبراكساس يقول كينغ:

(إن الصورة المركبة، المدرجة بالاسم الفعلي أبراكساس، عبارة عن بانثيون غنوصي. انه يمثل الكائن الأعلى، مع الانبعاثات الخمسة ذات الرموز المناسبة. من الجسم البشري، النموذج المعتاد المعين للإله، ينبثق العقل والكلمة، المعبر عنهما بثعبانين، رمز الحواس الداخلية، وسرعة البديهة. وقد أرجع الإغريق الثعبان إلى بالاس<sup>(1)</sup>. رأسه - رأس الديك - يمثل "الدهاء"، ذلك الطائر هو شعار البصيرة واليقظة. يحمل في يديه درع الحكمة وسوط القوة).

---

<sup>(1)</sup> في الأساطير اليونانية، كان بالاس واحداً من العمالقة، نسل غايا، المولود من دماء أورانوس. خلال المعركة الكونية للعمالقة مع الآلهة الأوليمبية، سحرته أثينا التي استخدمت جلده كدرع.



قوة النور ذات وجه الأسد.

من كتاب الآثار لمونتفوكون

تمثل هذه التحفة الغنوصية بجسمها الثعباني مسار الشمس، وبرأسها الانبعاث الشمسي في كوكبة الأسد.

انقسم الغنوصيون في آرائهم بشأن الديمورجوس، أو خالق العوالم الدنيا. لقد أسس الكون الأرضي بمساعدة ستة أبناء أو فيوض (ربما الملائكة الكوكبية) التي شكلها من نفسه وداخله. وكما ذكر سابقاً، صُنِف الديمورجوس كأدنى خلق من المادة المسماة بالبلازما. رأت مجموعة من الغنوصيين أن الديمورجوس كان سبب كل البؤس وكان مخلوقاً شريراً، حيث بنى هذا العالم السفلي الذي فصل فيه أرواح الرجال عن الحقيقة بسجنهم في المادة المميتة. نظرت طائفة أخرى إلى الديمورجوس على أنه إلهام إلهي فقط وفاءً لإملاء الرب غير المرئي. كان بعض الغنوصيين يرون أن الإله اليهودي يهوه كان ديمورجوس. يبدو أن هذا المفهوم، تحت اسم مختلف قليلاً، قد أثر على ما يبدو في طائفة الصليب الوردي خلال القرون الوسطى، التي نظرت إلى يهوه كرب للعالم المادي بدلاً من كونه الإله الأعلى. تزخر الأساطير بقصص الآلهة الذين ساهموا في الطبيعة السماوية والأرضية. أودين، إله الدول الاسكندنافية، مثال جيد على الإله الخاضع للموت، والذي ينحني أمام قوانين الطبيعة، ومع ذلك فهو من بعض النواحي على الأقل إله أعلى.

وجهة نظر الغنوصية بشأن المسيح تستحق النظر؛ ادعت هذه الطائفة بأنها الوحيدة التي لديها صور حقيقية للسوري الإلهي. في حين أن هذه الصور كانت وفق كل الاحتمالات مفاهيم مثالية للمخلص بناءً على المنحوتات واللوحات الموجودة لآلهة الشمس الوثنية، لقد كانت جميعها مسيحية. بالنسبة للغنوصيين، كان المسيح تجسيداً للنوص<sup>(1)</sup>، العقل الإلهي، وانبثق من الآيات الروحية العليا. لقد نزل في جسد يسوع عند المعمودية وتركه مرة أخرى قبل الصلب. أعلن الغنوصيون أن المسيح لم يصلب، لأن هذا النوص الإلهي لم يستطع أن يقاسي

(1) النوص "نُصّ" في الفلسفة التقليدية هو مصطلح يدل على القدرة على فهم الحق أو الواقع. وهو مرادف للفطنة أو للذكاء. ويستعمل مصطلح التعقل أو الحدس لوصف نشاطات النوص العقلية. وفي كثير من الأدبيات العربية التي تناولت الموضوع عُرِبَ المصطلح إلى كلمة "العقل" مع أن مفهوم الكلمة باللغة العربية اختلف معناها بحسب السياق والكاتب. واختلط الأمر لترجم بكلمات "فهم" و "فطنة" و "تفكير" و "العلة" و "الإدراك". وهناك من استعمله كمرادف لمفهوم "الفهم". بحسب إنجيل مريم، فالمسيح هو التجلي للنوص.

الموت، لكن سمعان القورياني<sup>(1)</sup> عرض حياته بدلاً من ذلك، وأن النوص عن طريق قوته، جعل سمعان يشبه يسوع. أدلى إيريناوس بالبيان التالي فيما يتعلق بالتضحية الكونية للمسيح:

"عندما رأى الأب غير المخلوق غير المسمى فساد البشرية، أرسل بكره النوص إلى العالم، على شكل المسيح من أجل خلاص جميع الذين يؤمنون فيه، من قوة أولئك الذين صنعوا العالم (الديمورجوس وأبنائه الستة، كوكب الجن). لقد ظهر بين الرجال كرجل، يسوع، وأظهر المعجزات".

قسم الغنوصيون الإنسانية إلى ثلاثة أجزاء: أولئك الذين كوحوش، لم يعبدوا سوى الطبيعة المادية؛ أولئك الذين مثل اليهود عبدوا الديمورجوس؛ وأخيراً هم وغيرهم من الطوائف المماثلة، بما في ذلك بعض طوائف المسيحيين، الذين عبدوا النوص (المسيح) والنور الروحي الحقيقي للأيونات العليا.

بعد وفاة باسيليديس، أصبح فالنتينوس<sup>(2)</sup> الملمهم الرئيسي للحركة الغنوصية، والذي زاد من تعقيد نظام الفلسفة الغنوصية بإضافات بلا حدود إلى التفاصيل. قام بزيادة عدد الانبعاثات من الواحد العظيم (الهاوية) إلى خمسة عشر زوجاً، كما ركز كثيراً على العذراء صوفيا<sup>(3)</sup>، أو

---

(1) سمعان القورياني من قورينا (برقة) شرق ليبيا وهو الذي حمل الصليب مع المسيح حتى يصلب المسيح عليه. اعتقدت الغنوصية أن المسيح قوة غير هيولية، وكان يتخذ ما شاء من الهيات، ولذا لما أراد اليهود صلبه؛ أخذ صورة سمعان القورياني، وأعطاه صورته، فصلب سمعان، بينما كان يسوع يسخر باليهود، ثم رجع إلى طبيعته غير المنظورة، وصعد إلى السماء.

(2) فالنتينوس (100 - 160 م) أحد أشهر وأنجح الثيولوجيين الغنوصيين المسيحيين المبكرين. أسس مدرسة في روما. قال ترتليان إنه كان مرشحاً لأن يكون أسقف روما، لكن عندما اختير غيره انفصل عن الكنيسة وطور عقيدته الغنوصية. أنتج فالنتينوس عدة كتابات لكن بقيت آثار قليلة منها. تعرف أفكاره الدينية بشكل مطور ومعدل من تلاميذه. حسب تعاليمه تلقى بعض المسيحيين فقط (المعرفة) التي سمحت لهم بالعودة إلى البلورما (القوى الإلهية)، بينما يحصل مسيحيون آخرون على شكل أدنى من النجاة وتهلك بقية البشرية. كان له عدد كبير من الأتباع انقسموا إلى قسم شرقي وقسم غربي أو إيطالي.

(3) صوفيا (الحكمة) هي فكرة مركزية في الفلسفة الهلنستية، الأفلاطونية، الغنوصية، واللاهوت المسيحي. تحمل في الأصل معنى "الذكاء والمهارة".



الحكمة. في كتب المخلص<sup>(1)</sup>، والتي تعرف أجزاء منها باسم حكمة الإيمان<sup>(2)</sup>، يمكن العثور على الكثير من المواد المتعلقة بهذا المذهب الغريب للأيونات العليا وتشكلاتها الغربية. يقول جيمس فريمان كلارك، متحدثاً عن مذاهب الغنوصيين:

"هذه العقائد الغربية كما تبدو لنا، كان لها تأثير هائل على الكنيسة المسيحية".

كثير من نظريات الغنوصيين القدامى، وخاصة تلك المتعلقة بالمواضيع العلمية، قد أثبتتها البحوث الحديثة. لقد تشعبت العديد من الطوائف من الجذع الرئيسي للغنوصية، مثل الفالنتينية<sup>(3)</sup>، والأوفاتس<sup>(4)</sup> (عبدة الثعبان)، والأدميين<sup>(5)</sup>. بعد القرن الثالث تضاءلت قوتهم، واختفى الغنوصيون عملياً من العالم الفلسفي. بُذل جهد كبير خلال العصور الوسطى لاستعادة مبادئ الغنوصية، ولكن بسبب تدمير سجلاتهم، لم يكن الأمر سهلاً. حتى اليوم، توجد أدلة على فلسفة الغنوص في العالم الحديث المعاصر، لكنها تحمل أسماء أخرى ولا

(1) نصوص غنوصية

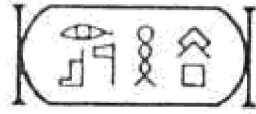
(2) هو نص غنوصي اكتشف في عام 1773، ترتبط المخطوطة الحالية، التي نسبها بعض العلماء إلى أواخر القرن الرابع، بتعاليم مجموعة غنوصية عن يسوع المتحول إلى تلاميذ تم تجميعهم، بما في ذلك والدته ماري ومريم المجدلية ومارتا.

(3) كانت الفالنتينية واحدة من الحركات الغنوصية المسيحية الكبرى. أسسها فالنتينوس في القرن الثاني بعد الميلاد، وانتشر تأثيرها على نطاق واسع، ليس فقط داخل روما، ولكن أيضاً من شمال غرب إفريقيا إلى مصر مروراً بآسيا الصغرى وسوريا في الشرق.

(4) كان الأوفاتس (من اليونانية "الأفعى") أعضاء في طائفة الغنوصية المسيحية التي صورها هيبوليتوس في روما (170 - 235) في عمل ضائع، سينتاجما ("الترتيب"). يُعتقد الآن أن الروايات اللاحقة عن هذه الطائفة تعتمد جميعها على هيبوليتوس. ومن المحتمل أن يكون قد اخترع الاسم بدلاً من الاسم الفعلي للطائفة كمصطلح عام لما اعتبره مخالفات هراطقة فيما يتعلق بثعبان سفر التكوين أو موسى.

(5) كان الأدميون أتباع طائفة مسيحية مبكرة في شمال إفريقيا في القرنين الثاني والثالث والرابع. لم يرتدوا ملابس أثناء خدماتهم الدينية، وكانت هناك تقارير لاحقة عن طوائف مماثلة في أوروبا الوسطى خلال العصور الوسطى المتأخرة، تهدف لاسترجاع براءة الرجال في عهد آدم.

يشتبه في أصلها الحقيقي. لقد تم بالفعل دمج العديد من مفاهيم الغنوصية في عقائد الكنيسة المسيحية، وغالباً ما تكون تفسيراتنا الأحدث للمسيحية تتبع الإيمان الغنوصي.



## أسرار أسار - هابي

إن هوية سير ابيس اليونانية المصرية (المعروفة لدى الإغريق باسم سير ابيس والمصريين باسم أسار هابي) يكتنفها غموض لا يمكن اختراقه. في حين أن هذا الإله كان شخصية مألوفة في رموز الطقوس المصرية الأولية السرية، إلا أن طبيعته الغامضة لم تكشف إلا لأولئك الذين استوفوا متطلبات الطائفة السير ابيسية. لذلك وباستثناء الكهنة، كان المصريون أنفسهم يجهلون شخصيته الحقيقية. حتى الآن، لا يوجد تمثيل حقيقي لطقوس سير ابيس، لكن تحليل الآلهة والرموز المرافقة لها يكشف عن نقاطها البارزة. في نبوءة وصلت إلى ملك قبرص، وصف سير ابيس نفسه على هذا النحو:

"إله أنا مثلما أرىكم،

نجوم السماوات هي رأسي، وبدني البحر

والأرض تشكل قدمي، وأذاني مزروعة بالهواء

أشعة الشمس الجريئة والبعيدة، عيون لي."

وقد بذلت عدة محاولات غير مرضية لدراسة أصل كلمة سير ابيس. يلاحظ جودفري هيغنز أن سوروس كان الاسم الذي أطلقه المصريون على التابوت الحجري، وأن أبيس كان أوزوريس يتجسد في الثور المقدس؛ هاتان الكلمتان مجتمعتان ينتجان سوروس أبيس أو سور أبيس، "قبر الثور". لكن من غير المحتمل أن يعبد المصريون نعتاً على هيئة رجل.

أكد العديد من المؤلفين القدماء، بما في ذلك ماكروبيوس<sup>(1)</sup>، أن سيرابيس كان اسماً للشمس، لأن صورته غالباً ما كانت تحتوي على هالة من الضوء حول الرأس. في خطابه حول الشمس ذات السيادة، يتحدث يولييانوس عن الإله بهذه الكلمات:

"جوبيتر واحد، بلوتو واحد، شمس واحدة هي سيرابيس".

في العبرية، سيرابيس هو المؤجج. لهذا السبب عيّن اليهود السارافيم<sup>(2)</sup> ضمن التسلسل الهرمي للكائنات الروحية.

ومع ذلك، فإن النظرية الأكثر شيوعاً فيما يتعلق بأصل اسم سيرابيس هي تلك التي تتبع اشتقاقها من مركب أوزوريس - أبيس. في وقت من الأوقات، اعتقد المصريون أن الأموات تم امتصاصهم في طبيعة أوزوريس، إله الموتى. على الرغم من وجود تشابه ملحوظ بين أوزوريس - أبيس وسيرابيس، فإن النظرية التي طورها علماء المدونات المصريون بأن سيرابيس مجرد اسم يُطلق على أبيس الميت، أو ثور مصر المقدس، لا يمكن الدفاع عنها نظراً للحكمة المتسلسلة التي امتلكها الكهنة المصريون الذين استخدموا الآلهة لترمز إلى روح العالم<sup>(3)</sup> (أنيميا

---

(1) كان ماكروبيوس أسقفاً رومانياً عاش في أوائل القرن الخامس، عند انتقال الرومان إلى الإمبراطورية البيزنطية، يشتهر في المقام الأول بكتاباته الفلسفية.

(2) السارافيم، هي مجموعة من الملائكة موجودة في الأديان الإبراهيمية خصوصاً اليهودية والمسيحية. ذكرت في سفر أشعياء بوصفها تتلو نشيد التقديس "قدوس، قدوس، قدوس" محيطة بالعرش؛ وهو ما دخل على الطقوس المسيحية ومنها القداس الإلهي. كلمة سارافيم في اللغة العبرية تعني النار، حسب التقليد اليهودي فهي مجنحة بست أجنحة. تعتبر السارافيم في المرتبة الخامسة في التسلسل الهرمي للملائكة في اليهودية، وفي المرتبة الأولى في التسلسل الهرمي للملائكة في المسيحية.

(3) روح العالم ( باللاتينية: Anima mundi ) حسب عدة مدارس فكرية هي الصلة الجوهرية بين كافة الكائنات الحية على كوكب الأرض، والتي تكون مرتبطة بالعالم بالأسلوب نفسه الذي ترتبط فيه الروح بالجسم البشري. يعود أصل فكرة روح العالم إلى أفلاطون، وكانت مكوّناً أساسياً في مدارس الأفلاطونية المحدثة. يؤمن الرواقيون أن روح العالم هي القوة الحيّة الوحيدة في الكون. ظهرت مفاهيم مشابهة لروح العالم في مدارس الفلسفة الشرقية مثل براهمان - أتمان في الهندوسية، وطبيعة بوذا في ماهايانا، وفي مدارس المنة مثل مدرسة ين - يانغ والطاوية

موندي). الجسم المادي للطبيعة كان يسمى أبيس؛ وكانت الروح التي هربت من الجسد عند الموت ولكنها وقعت في حبال الشك أثناء الحياة تسمى سيرابيس.

---

والكونفشيوسية الجديدة مثل تشي. يمكن العثور على تشابهات في المفهوم مع أفكار فلاسفة الهرمسية مثل باراسيلسوس وباروخ سبينوزا ولايبنتز وفي مفهوم الروح عند هيغل.



### سيرابيس الإسكندراني

غالباً ما يظهر سيرابيس وهو يقف على ظهر التمساح المقدس، حاملاً في يده اليسرى مسطرةً لقياس منسوب النيل، وفي يده اليمنى شعراً مثيراً للفضول، يتكون من حيوان ذا عدة رؤوس. الرأس الأول - رأس الأسد - يدل على الحاضر؛ الرأس الثاني - الذئب - الماضي؛ والرأس الثالث - رأس الكلب - المستقبل. وقد التف حول الجسم برؤوسه الثلاثة الثعبان. أحياناً ما تترافق تماثيل سيرابيس بسيريروس<sup>(1)</sup>، كلب بلوتو ذو الرؤوس الثلاثة، ومثل المشتري، يحمل سلالاً من الحبوب على رأسه.

(1) سيريروس، في الأساطير اليونانية والرومانية، هو كلب حراسة مُتوحش ذو ثلاثة رؤوس يحرس باب العالم السفلي، أو مئوى الأموات، ويتألف شعر عنقه أو ذنبه من الأفاعي.

يعتقد كينغ أن سيرابيس هو إله استخراج برهمي، اسمه هو التحوير اليوناني لسير آدا أو سربا، وهما لقبان ينسبان إلى ياما، إله الموت الهندوسي. يبدو هذا معقولاً، خاصة وأن هناك أسطورة مفادها أن سيرابيس على شكل ثور، كان يقوده باخوس من الهند إلى مصر. قدم الأسرار الهندوسية سيدعم هذه النظرية.

من بين معانٍ أخرى مقترحة لكلمة سيرابيس هي: "الثور المقدس"، "الشمس في برج الثور"، "روح أوزوريس"، "الثعبان المقدس"، و "الثور المعتكف". وقد يشير اللقب الأخير لحفل غرق أبيس المقدس في مياه النيل كل خمس وعشرين سنة.

هناك أدلة كبيرة على أن تمثال سيرابيس الشهير في سيرابيوم<sup>(1)</sup> في الإسكندرية كان يعبد في الأصل تحت اسم آخر في سينوب<sup>(2)</sup>، الذي أحضر منها إلى الإسكندرية. هناك أيضاً أسطورة تخبرنا بأن سيرابيس كان ملكاً على المصريين القدماء جداً، الذين كانوا مدينين له بأساس قوتهم الفلسفية والعلمية. بعد وفاته ارتقى هذا الملك إلى رتبة إله. أعلن فيلارخوس<sup>(3)</sup> أن كلمة سيرابيس تعني "القوة التي تصرف الكون في ترتيبه الجميل الحالي". في كتابه إيزيس وأوزوريس، يورد بلوتارخ الرواية التالية لأصل التمثال الرائع لسيرابيس الذي انتصب في سيرابيوم بالإسكندرية:

---

(1) السيرابيوم هو اسم يطلق على كل معبد أو هيكل ديني مخصص لعبادة سيرابيس، كان هناك العديد من دور العبادة لهذه الديانة، وكان يطلق على كل واحدة منها باللاتينية سيرابيوم. وقد بُني في عهد بطليموس الثالث السيرابيوم الأكثر شهر لعبادة الإله "سيرابيس" في مدينة الإسكندرية.

(2) سينوب مدينة تقع أقصى شمال تركيا من جهة البحر الأسود، وقد سكنها اليونان والرومان وأشهر من ينسب إليها ديوجين.

(3) فيلارخوس مؤرخ يوناني عاش في زمن أراتوس زعيم الحلف الأخائي في القرن الثالث قبل الميلاد. كتب عن التاريخ 28 كتاباً.

(بينما كان فرعون مصر، رأى بطليموس الخفي حلمًا غريباً، حيث بُعث حياً تمثال هائل. فأمر الفرعون بإحضاره إلى الإسكندرية بالسرعة الممكنة. كان بطليموس الخفي، الذي لا يعرف مكان التمثال، في حيرة شديدة بشأن كيفية اكتشافه؛ وبينما كان الفرعون يقص حلمه، أعلن مسافر كبير يحمل اسم سوسيبوس<sup>(1)</sup>، أنه رأى مثل هذا التمثال في سينوب. أرسل الفرعون على الفور رجاله للتفاوض على نقل التمثال إلى الإسكندرية. مرت ثلاث سنوات قبل أن يتم الحصول على التمثال في النهاية، حيث قام ممثلو الفرعون بسرقة وإخفاء السرقة من خلال نشر قصة تفيد بأن التمثال قد عاد إلى الحياة، وبعد السير في الشارع المؤدي من المعبد، استقل السفينة المستعدة لنقله إلى الإسكندرية. عند وصوله إلى مصر، فحصه الكهنة الذين أعلنوا على الفور أنه سيرابيس، وأنه مكافئ لبلوتو. كانت هذه خطة بارعة، لأنه في سيرابيس، وجد الإغريق والمصريون إلهاً مشتركاً، وبالتالي اكتملت الوحدة الدينية بين الشعبين).

وصفت العديد من التماثيل لسيرابيس التي انتصبت في مختلف معابده في مصر وروما من قبل المؤلفين منذ وقت مبكر. كلها تقريباً أظهرت التأثير الإغريقي وليس المصري، في بعضها كان جسد الإله محاطاً بنعبان عظيم، وفي بعضها الآخر ركب من أوزوريس وأبيس.

إن وصف الإله عبر عنه كشخصية قوية وطويلة، ينقل الانطباع المزدوج لقوة الذكر وملاحة المرأة. صور وجهه مزاجاً تأملياً، يميل نحو الحزن؛ كان شعره طويلاً ومرتباً بطريقة أنثوية إلى حد ما، وقد انسدت على صدره وكتفيه الضفائر. كان الوجه، باستثناء لحيته الثقيلة، أنثوياً أيضاً. وعادة ما تم لف تماثيل سيرابيس من الرأس إلى القدم بأقمشة ثقيلة، والتي يعتقد أنها كانت لإخفاء حقيقة أن جسده كان مخنثاً.

استخدمت مواد مختلفة في صنع تماثيل سيرابيس، فقد نحت من الحجر أو الرخام على أيدي حرفيين مهرة، وصب من المعادن الأساسية أو الثمينة. أحد التماثيل العملاقة لسيرابيس تكون من ألواح من معادن مختلفة ركبت معاً. في المتاهة المقدسة لسيرابيس انتصب تمثال له يبلغ طوله ثلاثة عشر قدماً اشتهر بأنه صنع من حجر زمردني واحد. يذكر الكتاب الحديثون،

(1) سوسيبوس (عاش في القرن الثالث قبل الميلاد) رئيس وزراء بطليموس فيلوباتور، ملك مصر. لا يُعرف أي شيء عن أصله أو نسبه، مارس أعظم تأثير على الملك الشاب، ليحكم فعلياً مصر.



الذين يناقشون هذا التمثال، أنه مصنوع من الزجاج الأخضر الذي صب في قالب. ووفقاً للمصريين، فقد صمد أمام جميع اختبارات الزمرد الفعلي.

يصف إكليمندس الإسكندري تمثالاً لسيرابيس مُركباً من العناصر التالية: أولاً، برادة الذهب والفضة والرصاص والقصدير؛ ثانياً جميع أنواع الأحجار المصرية، بما في ذلك الياقوت والهيمايتيت والزمردات والتوباز؛ يتم خلط كل هذه الأشياء معاً مع مواد التلوين التي خلفتها جنازة أوزوريس وأبيس. وكانت النتيجة تمثالاً نادراً وغريباً، نيلي اللون. يجب أن تكون بعض تماثيل سيرابيس قد تشكلت من مواد شديدة الصلابة، لأنه عندما ضرب جندي مسيحي، وهو ينفذ مرسوم ثيودوسيوس، سيرابيس بفأسه، تحطم الفأس لشظايا تطاير الشرر منها. من المحتمل أيضاً أن سيرابيس كان يعبد في شكل الثعبان، مشتركاً مع العديد من الآلهة العليا من البانتيون المصري واليوناني.

سمي سيرابيس بالإله صاحب الاسم ذو السبعة أحرف. يحتوي اسم سيرابيس مثل (Abraxas و Mithras) على سبعة أحرف. في تراتيلهم لسيرابيس، هتف الكهنة بالحروف الساكنة السبعة. أحياناً يصور سيرابيس بقرون أو بتاج سباعي الأشعة؛ وتمثل هذه بوضوح الذكاءات الإلهية السبعة التي تظهر من خلال ضوء الشمس. تشير الموسوعة البريطانية إلى أن أول إشارة صريحة لسيرابيس تتعلق بوفاة الإسكندر، أي مجد بلغه سيرابيس الذي استشير بمفرده من بين الآلهة نيابة عن الملك المحتضر.

انقسمت المدرسة الفلسفية المصرية السرية إلى أسرار صغرى وعظمى، الأولى لتقديس إيزيس والأخيرة لسيرابيس وأوزوريس. يرى ويلكنسون<sup>(1)</sup> أنه لم يُسمح إلا للكهنة بدخول الأسرار الكبرى؛ حتى وريث العرش لم يكن مؤهلاً حتى يتوج فرعوناً عندها يصبح، بحكم منصبه الملكي، كاهناً ورئيساً مؤقتاً لدين الدولة. (ويلكنسون أخلاق وعادات المصريين).

وقد قُبل عددٌ محدود في الأسرار الكبرى، مما حافظ على أسرارهم مصونة.

(1) جون غاردنر ويلكنسون (1797 . 1875) رحالة وكاتب وعالم مصريات إنجليزي رائد في القرن التاسع عشر. يعده الكثيرون أباً لعلم المصريات البريطاني.

لقد حصلنا على الكثير من المعلومات المتعلقة بطقوس الدرجات العليا للأسرار المصرية من فحص الغرف والممرات التي أعطيت للبادئين. تحت معبد سيرابيس الذي دمره ثيودوسيوس<sup>(1)</sup> تم العثور على جهاز ميكانيكي غريب، صنعه الكهنة في الخبايا والكهوف الجوفية حيث احتفل بالطقوس البدائية الليلية؛ وتشير هذه الآلات إلى الاختبارات الشديدة للشجاعة المعنوية والبدنية التي خضع لها المرشحون. بعد اجتياز هذه الاختبارات الشاقة، بُشر المعتنقون الجدد الذين نجوا من المحن بوجود سيرابيس، فأُنير التمثال النبيل والمذهل بأضواء مخفية المصدر.

---

(1) الامبراطور ثيودوسيوس الكبير، ثيودوسيوس الأول 347 - 395م آخر إمبراطور للإمبراطورية الرومانية الموحدة حيث انقسمت الإمبراطورية الرومانية إلى شطرين بعد وفاته. عُين ثيودوسيوس الأول إمبراطوراً للدولة الرومانية 378. وتبنى الامبراطور ثيودوسيوس الأول المسيحية في عام 380، وجعل منها ديناً وحيداً للإمبراطورية في العام 391.



### رمزية المتاهة

كانت المتاهات أماكن مفضلة لدى العديد من الطوائف القديمة. تم العثور على بقايا هذه المتاهات الغامضة عند الهنود الأمريكيين والهندوس والفرس والمصريين واليونانيين. بعض هذه المتاهات هي مجرد مسارات معبدة بالحجارة؛ أما الأخرى فهي تمتد لأميال من الكهوف المظلمة تحت المعابد أو المنحوتة في الجبال. كانت متاهة جزيرة كريت الشهيرة، والتي تجول فيها المينتور<sup>(1)</sup> ذورأس الثور، بلا شك مكاناً للشروع في أسرار كريت.

(1) المينتور مخلوق نصفه رجل ونصفه الآخر ثور، وهو ابن باسيفاي زوجة مينوس وثور أبيض كالثلج يدعى الثور الكريتي، كان يفترس البشر ويأكل لحومهم ليسد جوعه.

كانت المتاهات أيضاً من السمات البارزة فيما يتعلق بأسرار سيرابيس، ويصور واليس بودج<sup>(1)</sup> في كتابه آلهة المصريين، سيرابيس (مثل مينتور) بجسد ثور ورأس رجل. كانت المتاهات ترمز للتورط والأوهام في العالم السفلي والتي تجول عبرها روح الإنسان في بحثه عن الحقيقة. في المتاهة أقام الرجل صاحب جسد الثور الذي يسعى لتدمير الروح المتشابكة في متاهة الجهل الدنيوي. في هذه العلاقة، يصبح سيرابيس الخصم الذي يختبر أرواح من يسعون إلى الاتحاد مع الخالدين، كما تم استخدام المتاهة بدون شك لتمثيل النظام الشمسي، حيث يمثل الرجل الثور مسكن الشمس في المتاهة عبر الكواكب والأقمار والكويكبات.

تم التعرف على الأسرار الغنوصية بالمعنى الغامض لسيرابيس، ومن خلال الغنوصية ارتبط هذا الإله ارتباطاً وثيقاً بالمسيحية المبكرة. في الواقع أعلن الإمبراطور هادريان، أثناء سفره إلى مصر في عام 24، في رسالة إلى سيرفانوس<sup>(2)</sup> أن عبدة سيرابيس كانوا مسيحيين وأن أساقفة الكنيسة كانوا يعبدونه أيضاً في ضريحه. حتى أنه أعلن أن البطريك نفسه عندما كان في مصر، اضطر إلى التعبد لسيرابيس وكذلك المسيح. يمكن تحديد أهمية سيرابيس التي لا يشتهر في كونها نموذجاً أولياً للمسيح على أفضل وجه بعد النظر في المقتطف التالي من كتاب كينغ الباطنية وبقاياها:

"لا يمكن أن يكون هناك شك في أن رأس سيرابيس، الذي نحت على القبور يتميز بالوجه المتأمل المكسو بالجلال، وقد أظهر هذا الوجه قدم الفكرة الأولى للصور التقليدية للمخلص. كانت التحيزات اليهودية للمتحويلين الأولين قوية جداً لدرجة أننا قد لا نكون متأكدين من أنه لم تُبذل أي محاولة لتصوير وجهه الحقيقي حتى تلاشت تلك الأجيال من على الأرض".

(1) واليس بودج (1857 - 1934) عالم مصريات ومستشرق إنجليزي.

(2) كان لوسيوس يوليوس سيرفانوس سياسياً رومانياً أيبيرياً. وكان شخصية عامة بارزة في عهد الأباطرة الرومان نيرفا وتراجان وهادريان. وكان آخر مواطن يحصل على قنصلية ثالثة؛ وحمل أوسمة كانت مخصصة لأفراد عائلة الإمبراطور.

"لقد اغتصب سيرابيس تدريجياً المنزل التي شغلها سابقاً آلهة مصر واليونان الأخرى، وأصبح الإله الأعلى لكلا الديانتين. واستمرت قوته حتى القرن الرابع للعصر المسيحي. وفي عام 85 م، أصدر ثيودوسيوس الذي غدا المبيد للفلسفة الوثنية، مرسومه الذي لا يُنسى "النهى عن عبادة اصنام سيرابيس"؛ وعندما دخل الجنود المسيحيون، لتنفيذ هذا الأمر سيرابيوم الإسكندرية لتدمير تمثال سيرابيس المنتصب هناك منذ عدة قرون، كان تبجيلهم عظيماً للإله حتى أنهم لم يتجرؤوا على لمس التمثال خشية أن تنفتح الأرض تحت أقدامهم وتبتلعهم. بعد فترة طويلة، تخطوا خوفهم وقاموا بإزالة التمثال، وهدموا المبنى وفي النهاية وكانت ذروة مناسبة لجريمتهم أحرقوا المكتبة الرائعة التي كانت موجودة داخل الحجرات النبيلة في السيرابيوم. لقد سجل العديد من الكتاب حقيقة مثيرة، بأنه عُثر على رموز مسيحية في الأسس المدمرة لهذا المعبد الوثني. وأعلن سقراط مؤرخ الكنيسة في القرن الخامس، أنه وبعد أن قام المسيحيون الأتقياء بهدم السيرابيوم في الإسكندرية وتشتيت الشياطين الذين سكنوا هناك تحت ستار الآلهة، عُثر على المونوجرام الوحيدة للمسيح!

هناك اقتباسان أيضاً لتأكيد العلاقة القائمة بين أسرار سيرابيس وتلك الخاصة بالشعوب القديمة الأخرى. الأولى من كتاب اللغة الرمزية للفن القديم والأساطير لريتشارد باين<sup>(1)</sup>: "من هنا يقول فارو [في اللغة اللاتينية] أن كوليوم وتيرا، وهما العقل الكوني والجسد المنتج، كانا آلهة الأسرار العظمية في ساموثراكي. والشيء نفسه لسيرابيس وإيزيس في مصر في وقت لاحق، وعشتروت وتايتوس لدى الفينيقيين، وزحل وأبيس عند اللاتين".

الاقتباس الثاني سنأخذه من كتاب العقائد والأخلاق لألبرت بايك: "إليك، يقول مارتينانوس كابيلا<sup>(2)</sup> في ترنيمة للشمس، يا من يعبدك سكان النيل باسم سيرابيس، وفي ممفيس باسم أوزوريس، وفي الطقوس المقدسة لبلاد فارس أنت ميثراس، في فريجيا أتيس، وفي ليبيا ينحنون

<sup>(1)</sup> ريتشارد باين نايت، كان عالماً كلاسيكياً، وخبيراً في علم الآثار، وعالم آثار معروف بنظرياته عن الجمال واهتمامه بالصور القديمة.

<sup>(2)</sup> مارتينانوس فيلكس كابيلا كاتب لاتيني، من مواطني مداوروش التي تقع الآن في ولاية سوق أهراس بالشرق الجزائري في أفريقيا، عاش في القرن الخامس، عرف بموسوعته المهمة ساتيريكون.

لك باسم أمون، وفي فينيقيا ينحني لك سكان بيبيلوس كأدونيس. وبالتالي فإن العالم كله  
يعشقك بأسماء مختلفة".

## الأسرار الأودينية

إن تاريخ تأسيس الأسرار الأودينية غير مؤكد، فقد أعلن بعض الكتاب أنها ظهرت في القرن الأول قبل المسيح؛ وقال غيرهم في القرن الأول بعد المسيح. يعطي روبرت ماكوئي 33 الوصف التالي لأصلهم:

"يظهر من الحوليات الشمالية أنه في وفي القرن الأول من العصر المسيحي، سيغ رئيس الأسر وهي قبيلة آسيوية هاجرت من بحر قزوين ومن القوقاز إلى شمال أوروبا، قام بتوجيه مساره نحو الشمال الغربي من البحر الأسود إلى روسيا، حيث قام وفقاً للتقاليد، بوضع أحد أبنائه كحاكم، كما قيل إنه فعل ذلك على السكسونيين والفرنجة. ثم تقدم إلى الدنمارك، التي اعترفت أن ابنه الخامس سكوليد هو صاحب السيادة، ثم انتقل إلى السويد حيث كرم جوليف ذلك الغريب الرائع، وانضم إلى أسراره، ثم حكم. سرعان ما جعل نفسه سيداً هنا، وبني سيغتونا عاصمة لإمبراطوريته، وأصدر مجموعة جديدة من القوانين، وأنشأ الأسرار المقدسة. هو نفسه استعمل اسم أودين، وأسس كهنوت الاثني عشر دروتارز (درويد)، الذين قاموا على العبادة السرية، ونشروا العدل، وكالأنبياء كشفوا المستقبل. احتفلت الطقوس السرية لهذه الأسرار بوفاة بالدر، الجميل والمحبوب، وكانت تمثل حزن الآلهة والرجال عند وفاته، واستعادته للحياة". (التاريخ العام للماسونية).

بعد وفاته، زال ذكر أودين التاريخي، ودمجت هويته في هوية أودين الأسطورية، إله الحكمة. ثم حلت الأودينية محل عبادة ثور الرعد، الإله الأعلى لآلهة سكان اسكندنافيا القديمة. التلة حيث - وفقاً للأسطورة - دفن الملك أودين، يمكن رؤيتها بالقرب من موقع معبده العظيم في

أوبسالا<sup>(1)</sup>. قام الاثني عشر دروتارز الذين ترأسوا أسرار أودين بتجسيد الأسماء الاثني عشر المقدسة لأودين. كانت طقوس أسرار أودين متشابهة إلى حد كبير مع تلك الموجودة عند الإغريق والفرس وبراهما، وبعد ذلك هُذبت. كان الدروتارز، الذين يرمزون إلى علامات البروج، حماة للفنون والعلوم، والتي كشفوها لأولئك الذين اجتازوا بنجاح اختبارات الانضمام. وكالعديد من الطوائف الوثنية الأخرى، تم تدمير أسرار أودين كمؤسسة من قبل المسيحية، ولكن السبب الكامن وراء سقوطهم كان فساد الكهنوت.

الأساطير هي دائماً تقاليد وطقوس مدراس الأسرار. باختصار، كانت الدراما المقدسة التي شكلت أساس أسرار أودين على النحو التالي: الخالق الأعلى غير المرئي لجميع الأشياء كان يسمى كل الآب. وكان الوصي على الطبيعة أودين، إله واحد العين؛ ومثل كيتزالكواتل<sup>(2)</sup>، ارتقى أودين إلى مجد الإله العظيم. وفقاً للدروتارز فقد صنع الكون من جثة يميز، عملاق الصقيع؛ والذي كان قد تشكل من غيوم الضباب التي ارتفعت من جينونغاب؛ وهو شق كبير في الفوضى التي ألقى فيها عمالقة الصقيع البدائيين وعمالقة اللهب الثلوج والنار. الآلهة الثلاثة - أودين، فيلي، وفي - قتلوا يميز ومنه شكلوا العالم. من مختلف أعضاء يميز تم تصميم الأجزاء المختلفة من الطبيعة.

بعد أن أسس أودين النظام، بنى قصرًا رائعاً يدعى أسجارد على قمة جبل، وهنا سكن الإثنا عشر إيسر (آلهة) معاً، أعلى بكثير مما يمكن أن يصل إليه الرجال. وعلى هذا الجبل أيضاً كان فالهالا، قصر القتلى، حيث قاتل أولئك الذين ماتوا أبطالاً، وأولموا يوماً بعد يوم. كل ليلة كانت تلتئم جراحهم والخنازير التي أكلوا لحمها تجدد نفسها بالسرعة التي كانوا يستهلكونها.

بالدر الجميل - المسيح الاسكندنافي - كان نجل أودين الحبيب. كان بالدر لا يشبه الحرب؛ حيث جلبت روحه اللطيفة والجميلة السلام والفرح إلى قلوب الآلهة، وكانوا جميعهم يحبونه

(1) أوبسالا: رابع أكبر مدينة في السويد وعاصمة إقليم أوبسالا. تبعد حوالي 70 كم شمالي ستوكهولم، تعتبر منذ عام 1164 المركز الأسقفي في السويد حيث يتواجد فيها مقر رئيس أساقفة السويد.

(2) كيتزالكواتل: إله قديم في وسط أمريكا، يرجع اسمه إلى لغة الناواتل ويعني " الثعبان ذو الريش ". ربطت المصادر هذا الإله بآلهة الرياح، وكوكب الزهرة، والفجر، والتجار، والفنون، والحرف، والمعرفة. كما كان كيتزالكواتل الإله الراعي للعلم والمعرفة في كهنوت آزتكت. وكان كيتزالكواتل أيضاً أحد أهم الآلهة في مجموعة الآلهة الأزتكية.

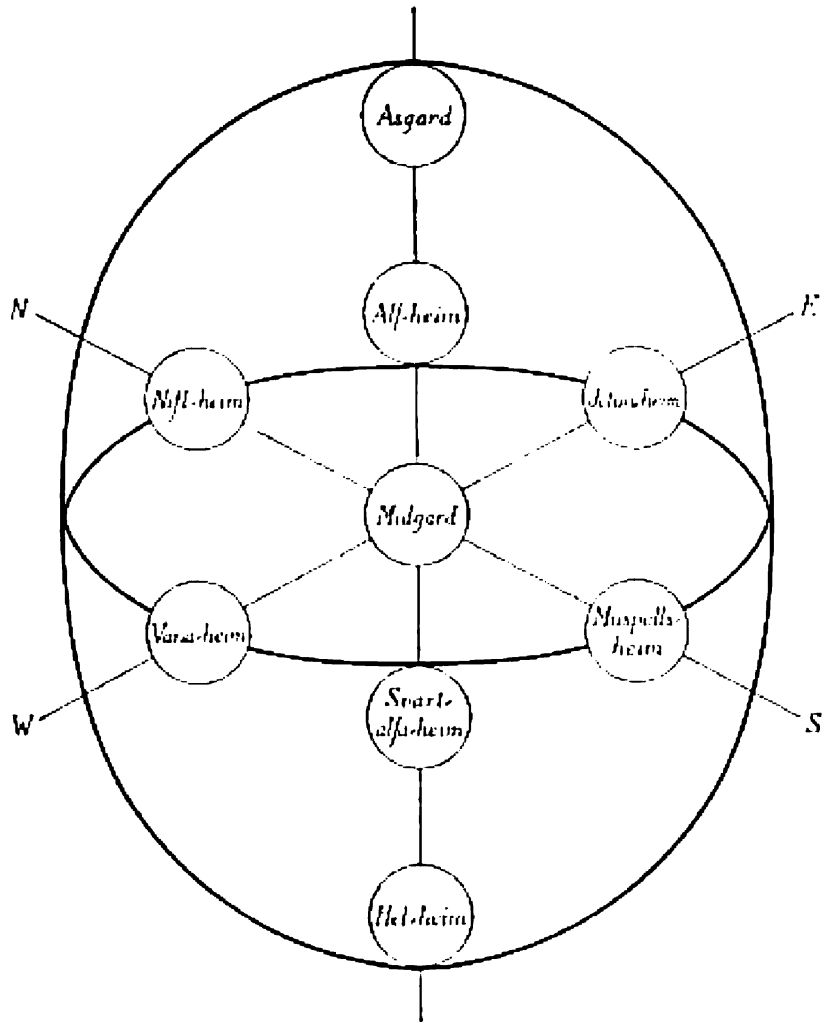


باستثناء واحد. لأن يسوع كان عنده يهوذا بين تلاميذه الاثني عشر، لذلك كان أحد الآلهة الاثني عشر زائفاً - لوكي، تجسيدا للشر. تسبب لوكي، بأن يردي هوثر إله المصير الأعلى، بالدر بسهم الهذال. مع وفاة بالدر، اختفى النور والفرح من حياة الآلهة الأخرى. جمع الحزن الآلهة لإيجاد طريقة يمكنهم من خلالها إحياء روح الحياة والشباب الأبدية؛ وكانت النتيجة إنشاء الأسرار.

أعطيت أسرار أودين في الخبايا أو الكهوف تحت الأرض، في غرف عددها تسعة، تمثل تسعة من عوالم الأسرار. كلف المرشح الذي يسعى للحصول على القبول بمهمة رفع بالدر من بين الأموات، ورغم أنه لم يدرك ذلك، فقد لعب هو نفسه دور بالدر، ودعا نفسه بالمتجول. كانت الكهوف التي مر بها رمزية لعوالم ومناطق الطبيعة، وكان الكهنة الذين باشروهم رمزاً للشمس والقمر والنجوم. كان المشرفون الثلاثة الأعلى؛ الأعلى، والمكافئ للأسى - يشمبون الخير المبجل وأهل الصنعة والمبتدئين في محفل ماسوني.

بعد تجول لساعات عبر الممرات المعقدة، يُدخّل المرشح في وجود تمثال بالدر الجميل، النموذج الأولي لكل من يبدأ الأسرار. انتصب هذا التمثال وسط ردهة كبيرة مسقوفة بالصفائح؛ وفي وسط الغرفة، كانت نبتة ذات سبعة أزهار، ترمز للمخططين. في هذه الغرفة، التي ترمز إلى منزل أيسر، أو الحكمة، حيث أقسم المرشح اليمين للحفاظ على السرية والتقوى على شفرة سيف عارية. لقد شرب الكحول الطاهر من وعاء مصنوع من جمجمة بشرية، فبعد اجتيازه بنجاح جميع الاختبارات والمحن المصممة لتحرفه عن مسار الحكمة، سُمح له أخيراً بالكشف عن سر أودين - تجسيد الحكمة. عُرف باسم بالدر، وارتدى الخاتم المقدس للنظام؛ وتم الترحيب به كرجل ولد من جديد؛ حيث قيل إنه توفي وبعث مرة أخرى دون المرور عبر بوابات الموت.

تستند القطعة الموسيقية الخالدة لريتشارد فاغنر، خاتم نيبيلنغين، إلى طقوس الأسرار في عبادة أودين. ورغم أن الملحن العظيم تصرف بحرية مع القصة الأصلية، فإن أوبرات الخاتم، تعد أعظم رباعي من الدراما الموسيقية يمتلكها العالم، فقد اكتشفت وحافظت بطريقة رائعة على جلالها وقوتها. بدءاً براينجولد، ويستمر العمل من خلال دي والكر وسيغفريد، وصولاً إلى ذروتها المذهلة في غوترداميرونج، شفق الآلهة.



### العوالم التسعة لأسرار أودين

أعطيت أسرار الشمال في تسع غرف، أو كهوف، يتقدم المرشح عبرها بترتيب تسلسلي. تمثل غرف البدء هذه المجالات التسعة التي قسم الدروتارز فيها الكون:

(1) أسجارد، عالم السماء للآلهة

(2) موطن ألف، عالم النور الجميل والأرواح

(3) موطن نيفل، عالم البرد والظلام، الذي يقع في الشمال

(4) موطن جوتن، عالم العمالقة، الذي يقع في الشرق

(5) ميدجارد، عالم الأرض للبشر، والذي يقع في الوسط

(6) موطن فانا، عالم الريح، الذي يقع في الغرب

(7) موطن موسبلس، عالم النار، الذي يقع في الجنوب

(8) موطن سفارت ألفا، عالم الجان المظلم والغادر، الذي يقع تحت الأرض

(9) موطن هيل، عالم البرد ومأوى الموتى، الذي يقع في أدنى نقطة في الكون.

يجب أن نفهم أن كل هذه العوالم غير مرئية للحواس، باستثناء ميدجارد، موطن المخلوقات البشرية، ولكن خلال عملية البدء تتحرر روح المرشح من غمدها الأرضي بواسطة القوة السرية للكهنة، لتتجول وسط سكان هذه العوالم المختلفة. هناك بلا شك علاقة بين العوالم التسعة الاسكندنافية والمجالات التسعة، والتي من خلالها تبدأ أسرار اليوسيس في طقوس التجديد.



## الأسرار القديمة والجمعيات السرية 3

كانت أشهر الأسرار القديمة هي الإيلوسية التي احتفلت بطقوسها كل خمس سنوات في مدينة إليوسيس لتكريم سيرس (ديميتر، ريا، أو إيزيس) وابنتها بيرسيفون. اشتهرت مدرسة إليوسيس في جميع أنحاء اليونان بجمال مفاهيمها الفلسفية والمعايير الأخلاقية العالية التي أظهرها منتسبوها في حياتهم اليومية. وبسبب تميزها، امتدت هذه الأسرار إلى روما وبريطانيا، وبعد ذلك أصبح التلقين لهذه الأسرار يحصل في كلا البلدين. يُعتقد عموماً أن أسرار إليوسيس، التي سميت باسم المجتمع في أتيكا<sup>(1)</sup> حيث عُرضت الدراما المقدسة لأول مرة قد أسسها يوموليوس<sup>(2)</sup> قبل ولادة المسيح بنحو ألف وأربعمئة عام، ومن خلال نظام الفلسفة الأفلاطونية حوافظ على مبادئها وصولاً إلى العصور الحديثة.

لقد طغت طقوس إليوسيس، بتفسيراتها الصوفية لأسرار الطبيعة الأهم، على حضارات عصرها واستوعبت تدريجياً العديد من المدارس الأصغر، مدمجة في نظامها الخاص أي معلومات قيمة تمتلكها هذه المؤسسات الأقل أهمية. يرى هيكتورن في أسرار سيرس وباخوس تحولاً لطقوس إيزيس وأوزوريس، وهناك كل الأسباب للاعتقاد بأن جميع المدارس السرية المزعومة في العالم القديم كانت فروعاً لشجرة فلسفية واحدة، والتي جذرها في السماء

(1) أتيكا هي المنطقة التاريخية التي تضم مدينة أثينا عاصمة اليونان. وتتركز المنطقة التاريخية في شبه الجزيرة الإغريقية، الواقعة في بحر إيجه.

(2) كان يوموليوس ويعني "المغني الجيد" ملكاً تراقياً أسطورياً. تم وصفه على أنه أتى إلى أتيكا إما كحارس أو محارب أو كاهن لديميتر وديونيسيوس. وهو ابن بوسيدون، وفي الأسطورة هو لبني يعود أصله لشمال إفريقيا، وقد علمته الإلهة نفسها، وبالتالي يوصف في بعض الأحيان على أنه اخترع زراعة الكرمة وأشجار الفاكهة عموماً.

وفروعها على الأرض - مثل روح الإنسان - فهي غير مرئية ولكنها دائمة الوجود من خلال المواد التي تمنحها التعبير. كانت الأسرار هي القنوات التي نُشر من خلالها هذا النور الفلسفي، وكانت بداياتها، المليئة بالفهم الفكري والروحي، هي ثمرة الشجرة الإلهية المثالية، التي شهدت قبل العالم المادي المصدر المجدد لكل النور والحقيقة.

قُسمت طقوس إليوسيس إلى ما كان يسمى الأسرار الصغرى والكبرى؛ ووفقاً لجيمس غاردنر، تم الاحتفال بالأسرار الصغرى في فصل الربيع (ربما في وقت الاعتدال الربيعي) في مدينة أغرا، أما الأسرار الكبرى ففي أئينا أو إليوسيس، في الخريف (وقت الاعتدال الخريفي)، ومن المفترض أن الصغرى كانت تجري سنوياً، والأخيرة كل خمس سنوات. كانت طقوس الإيلوسيين شديدة التعقيد، وفهمها يتطلب دراسة متعمقة للأساطير اليونانية، التي فسروها بنورهم الباطني بمساعدة مفاتيحهم السرية.

الأسرار الصغرى كانت مخصصة لبيرسيفوني. يلخص توماس تايلور في كتابه الأسرار الإيلوسية والباخوسية، غرضها على النحو التالي: "الأسرار الصغرى التي صممها اللاهوتيون القدامى، للإشارة بشكل غامض إلى حالة الروح النقية الموجودة في الجسد الأرضي، والمغلقة بالطبيعة المادية والفيزيائية".

الأسطورة المستخدمة في الطقوس الصغرى هي اختطاف الإلهة بيرسيفوني، ابنة سيريس، من قبل بلوتو، سيد العالم السفلي، أو الهاوية. فبينما كانت بيرسيفوني تجمع الأزهار في مرج جميل، انفتحت الأرض فجأة وخرج رب الموت القاتم، راكباً عربة رائعة، صاعداً من الأعماق الشريرة، ليمسكها بين ذراعيه، حاملاً الإلهة الصارخة والرافضة إلى قصره في سحيق الأعماق، حيث يجبرها على أن تصبح ملكة له.

من المشكوك فيه ما إذا كان الكثير من المنضوين أنفسهم قد فهموا المعنى السري لهذا الرمز، لأن معظمهم ظنوا أنه يشير فقط إلى تعاقب الفصول. وإنه لمن الصعب الحصول على معلومات مرضية بشأن الأسرار، لأن المنضوين كانوا ملزمين بأداء يمين ينص على ألا يكشفوا عن أسرارهم الداخلية. في بداية طقس الانضمام، وقف المرشح على جلود الحيوانات التي ضحي بها من أجل هذا الغرض، وتعهده بأن الموت سيختم شفتيه قبل أن يكشف عن الحقائق

المقدسة التي كانت على وشك أن تمنح له. لكن ومن خلال قنوات غير مباشرة، تم الحفاظ على بعض أسرارهم. كانت التعاليم التي أعطيت للمرشحين إلى حد كبير كما يلي:

إن روح الإنسان - التي يطلق عليها غالباً اسم **Psyche**، وفي الأسرار الإيلوسية يرمز إليها بيرسيفوني - هي في الأساس شيء روعي. إن موطنها الحقيقي هو في العوالم العليا، حيث يقال إنه خالٍ من عبودية الشكل المادي والمفاهيم المادية، إنه حي بالفعل ويعبر عن نفسه. إن الطبيعة البشرية أو الجسدية للإنسان، وفقاً لهذه العقيدة، هي قبر، مستنقع، شيء زائف وغير دائم، مصدر كل الحزن والمعاناة. يصف أفلاطون الجسد بأنه قبر الروح. وهذا لا يعني فقط الشكل الإنساني ولكن أيضاً الطبيعة البشرية.

مثلت الكآبة والغموض في الأسرار الصغرى معاناة الروح السماوية غير القادرة على التعبير عن نفسها لأنها قبلت قيود أوهام البيئة البشرية. كان جوهر الحجة الإيلوسية أن الإنسان ليس أكثر حكمة ولا صلاحاً بعد الموت منه خلال الحياة. وإذا لم يسمُ فوق الجهل أثناء إقامته هنا، فإن الرجل يذهب إلى الأبد ليجول في الأبد، ويرتكب نفس الأخطاء التي ارتكبتها هنا. وإذا لم يتفوق على الرغبة في الحصول على ممتلكات مادية هنا، فسوف ينقلها معه إلى العالم غير المنظور، حيث أنه - ولأنه لا يمكن أن يرضي هذه الرغبة أبداً - سوف يخلد في معاناة لا تنتهي. جحيم دانتي هو وصف رمزي لمعاناة أولئك الذين لم يحرروا أبداً طبيعتهم الروحية من الرغبة الشديدة والعادات ووجهات النظر والقيود المفروضة على شخصياتهم الخاصة. أولئك الذين لم يبذلوا أي جهد لتحسين أنفسهم (الذين نامت أرواحهم) خلال حياتهم الجسدية، انتقلوا إلى الموت في هاديس، حيث وهم يرقدون في صفوف، ينامون عبر الأبدية، كما ناموا طوال حياتهم.

بالنسبة للفلاسفة الإيلوسيين، كانت الولادة إلى العالم المادي ترمز للموت بكل معنى الكلمة، والولادة الحقيقية الوحيدة هي انبعاث الروح السماوية للإنسان من رحم طبيعته الجسدية. يقول لونغفيلو<sup>(1)</sup>: " لقد ماتت الروح ببطء "، وبهذا فقد أصاب كبداية الحقيقة للأسرار

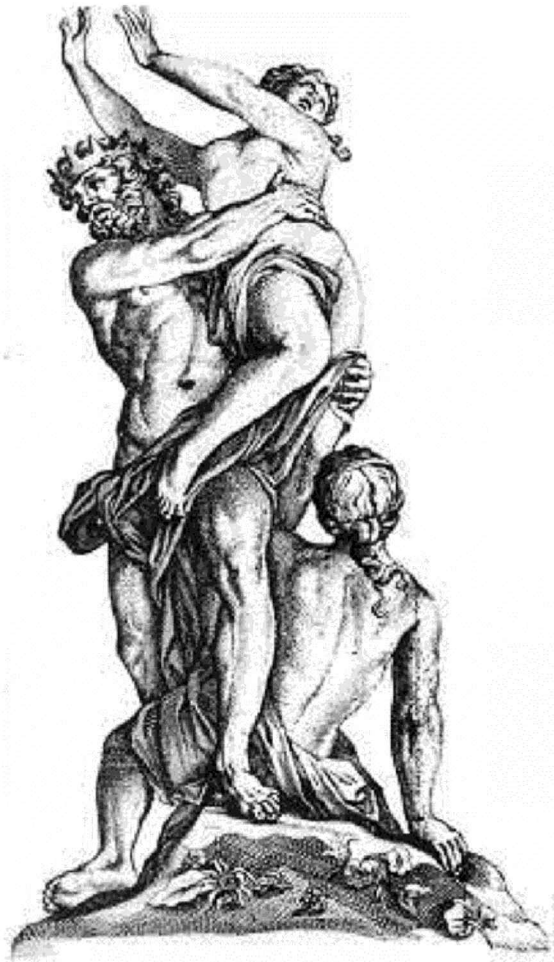
(1) هنري وادزورث لونغفيلو: ( 1807. 1882 ) هو شاعر وتربوي أمريكي من أهم أعماله " رحلة بول ريفير " و " أغنية هايواثا " وهو أول أمريكي يترجم " الكوميديا الإلهية " لدانتي.

الإيلوسية. تماماً مثل نركسوس<sup>(1)</sup>، الذي حلق في نفسه في الماء (استخدم القدماء هذا العنصر المتقلب للرمز إلى الكون المادي العابر والإشعاعي) حتى فقد حياته وهو يحاول احتضان انعكاسه. لذلك فالرجل الذي يحلق في مرآة الطبيعة، ويقبل بأن تكون شخصيته الحقيقية هي الطين التافه الذي يراه منعكساً، يفقد الفرصة التي تتيحها الحياة الجسدية لتكشف عن روحه الخالدة غير المرئية.

قال أحد المنضوين القدماء ذات مرة، أن الأحياء يحكمهم الموتى؛ فقط أولئك المقترين من مفهوم الحياة الإيلوسي يمكنهم فهم هذا التصريح. وهذا يعني أن غالبية الناس لا تحكمهم أرواحهم الحية، ولكن شخصياتهم الحيوانية التي لا معنى لها (ومن ثم فهي ميتة). لُقت مفاهيم التقمص والتناسخ في هذه الأسرار، ولكن بطريقة غير عادية إلى حد ما. إذ كان يعتقد أنه في منتصف الليل كانت العوالم غير المرئية أقرب إلى الكرة الأرضية، وأن الأرواح التي دخلت حيز الوجود المادي قد انزلقت خلال منتصف الليل؛ لهذا السبب كان يتم تنفيذ العديد من الاحتفالات الإيلوسية في منتصف الليل. بعض من تلك الأرواح النائمة، التي فشلت في إيقاظ طبيعتها العليا خلال الحياة الأرضية، والتي تطوف الآن في عوالم غير مرئية، محاطة بظلام من صنعهم، تسلت أحياناً في هذه الساعة، واتخذت أشكالاً لمخلوقات مختلفة.

<sup>(1)</sup> نرجس أو نركسوس أو نرسييس، هو صياد أشهر لجماله، كان ابن الإله كييفيسيا والحرورية ليريوبي، وكان مغروراً وفخوراً بنفسه لدرجة تجاهله وإعراضه عن كل من يحبه؛ لاحظت الإلهة نمسيس تصرفه ذاك وأخذته إلى بحيرة حيث رأى انعكاس صورته فيها ووقع في حبه دون أن يدرك بأنها مجرد انعكاس. لقد أعجب بصورته لدرجة عجز فيها عن تركها ولم يعد يرغب بالعيش وبقي يحلق بصورته إلى أن مات.





### اغتصاب بيرسيفوني

بلوتو، سيد العالم السفلي، يمثل الذكاء الجسدي للرجل؛ واغتصاب بيرسيفوني يرمز إلى الطبيعة الإلهية التي يتم الاعتداء عليها وتشويهها من قبل الروح الحيوانية وسحبها إلى القاع المظلم في الهاوية، والذي يستخدم هنا كمرادف للمجال المادي للوعي.

في كتابه " دراسات حول المزهريات اليونانية المرسومة "، يقدم جيمس كريستي نسخة من نظرية " مورسيوس<sup>(1)</sup> " للأحداث التي كانت تحصل خلال الأيام التسعة للطقوس الإيلوسية الكبرى. كان اليوم الأول للاجتماع العام، تم خلاله استجواب الأشخاص الذين سيتم اختبارهم بشأن مؤهلاتهم المتعددة. مضى اليوم الثاني في موكب إلى البحر، ربما لغمر تمثال للآلهة الرئيسية. افتتح اليوم الثالث بأضحية. في اليوم الرابع، أحضرت السلة السرية التي تحتوي على بعض الرموز المقدسة إلى اليوسيس، يرافقها عدد من النساء المكرسات اللائي يحملن سلالاً أصغر. في مساء اليوم الخامس، كان هناك سباق بالمشاعل، وفي اليوم السادس موكب في مقدمته تمثال لأياكوس<sup>(2)</sup>، وفي اليوم السابع مسابقة رياضية. خصص اليوم الثامن لتكرار الاحتفال لأجل أي شخص ربما منع من القدوم أبكر. كرس اليوم التاسع والآخر لأعظم القضايا الفلسفية في الفلسفة الإيلوسية، والتي عُرض خلالها جرة أو اناء خمر - تمثيلاً لباخوس - كرمز له أهمية قصوى.

شدد الكهنة في الإيلوسية أيضاً على شر الانتحار، موضحين أنه كان هناك لغز عميق فيما يتعلق بهذه الجريمة يمنعهم من التحدث عنها، لكنهم حذروا تلاميذهم من أن حزناً هائلاً سيحقيق بكل من ينهي حياته. هذا، في جوهره، يشكل العقيدة الباطنية الممنوحة للمنضم إلى الأسرار الصغرى. ونظراً لأن هذه المرحلة تعاملت إلى حد كبير مع بؤس أولئك الذين فشلوا في الاستفادة المثلى من الفرص الفلسفية الخاصة بهم، فقد كانت غرف البدء تحت الأرض وكانت صور هاديس تظهر بوضوح في دراما طقوسية معقدة. بعد اجتيازهم بنجاح الممرات الشاقة، محملين بتجارهم وقد تجاوزوا المخاطر، يحصل المرشحون على اللقب الفخري **Mystes**. وهذا يعني الشخص الذي يرى من خلال الحجاب أو كان لديه رؤية غائمة. كما أنه يدل على أن المرشح قد وصل إلى الحجاب، والذي سيمزق في الدرجة العليا. الكلمة الحديثة " الصوفي " كما تشير اليوم، ونعني بها طالب الحقيقة وفقاً لإملاء القلب في رحلة البحث عن الإيمان،

(1) يوهانس مورسيوس (1579 - 1639) باحث هولندي في الكلاسيكيات والآثار.

(2) في الدين والأساطير اليونانية القديمة، كان أياكوس إلهاً صغيراً، له بعض الأهمية السرية، لا سيما في أثينا واليوسيس فيما يتعلق بالأسرار الإيلوسية، ولكن دون أي أساطير مهمة.

قد تكون مستمدة من هذه الكلمة القديمة، لأن الإيمان هو التصديق بواقع الأشياء غير المرئية أو المحجوبة.

الأسرار الكبرى (التي يقبل المرشح فيها فقط بعد نجاحه - مروره بالكامل من خلال اختبارات الأسرار الصغرى، وهو شرط لازم غير كاف) كانت مكرسة لسيريس، والدة بيرسيفوني، وتمثلها تجول عبر العالم بحثاً عن ابنتها المختطفة. حملت سيريس مشعلين، المنطق والحدس، لمساعدتها في البحث عن طفلها المفقود (الروح). في النهاية وجدت لها ليس بعيداً عن اليوسيس، وعلمت الناس زراعة الذرة امتناناً، وهي مقدسة لها، كما أسست الأسرار. ظهرت سيريس أمام بلوتو، إله أرواح الموتى، وناشدته السماح لبيرسيفوني بالعودة إلى منزلها. لقد رفض هذا الإله في البداية القيام بذلك، لأن بيرسيفوني أكلت من ثمرة الرمان، ثمرة الفناء. في النهاية، تهاوى ووافق على السماح لبيرسيفوني بالعيش في العالم العلوي نصف السنة إذا رضيت بالبقاء معه في ظلام دامس للنصف المتبقي.



سيريس، راعية الأسرار

من لوحة جدارية في بومبي.

كانت سيريس، أوديميتير، ابنة كرونوس وريا، والدة بيرسيفوني. يعتقد البعض أنها إلهة الأرض، ولكن بشكل أكثر صحة هي الإله الذي يرعى الزراعة بشكل عام والذرة بشكل خاص. كان الخشخاش مقدساً لسيريس وغالباً ما تظهر وهي تحمل أوتزين بإكليل من هذه الزهور. في الأسرار، مثلت سيريس في عربة تجرها الثعابين المجنحة.

اعتقد الإغريق أن بيرسيفوني كانت مظهرًا من مظاهر الطاقة الشمسية، حيث عاشت في فصل الشتاء تحت الأرض مع بلوتو، ولكن في الصيف عادت مرة أخرى مع إلهات الإنتاج. هناك أسطورة تقول أن الزهور مغرمة ببيرسيفوني، وكل عام وبعد مغادرتها إلى العوالم المظلمة لبلوتو، فإن النباتات والشجيرات سوف تموت من الحزن. في حين أن المجدفين والعوام كانت لديهم آرائهم الخاصة حول هذه الموضوعات، فقد بقيت حقائق الرموز اليونانية مخفية بأمان من قبل الكهنة، الذين أدركوا وحدهم تسامح هذه الأمثال الفلسفية والدينية العظيمة. يلخص توماس تايلور مذاهب الأسرار الكبرى في العبارة التالية:

"إن الأسرار الكبرى قد أخفيت بغموض، عن طريق الأفكار الغامضة والرائعة، عن سعادة الروح هنا وفي الآخرة، عند تنقيتها من تشويه الطبيعة المادية، لتسمو باستمرار إلى واقع الرؤية الاستقصائية (الروحية)".

تماماً كما ناقشت الأسرار الصغرى مرحلة الإنسان قبل الولادة، عندما كان الوعي في أيامه التسعة (الشهور الجنينية) حيث ينحدر إلى عالم الوهم بحجاب من الباطل، فلذلك ناقشت الأسرار الكبرى مبادئ التجديد الروحي وكشفت أنها لا تشترع فقط بأبسط الوسائل، ولكنها أيضاً الطريقة الأكثر مباشرة وكمالاً لتحرير الطبيعة العليا من عبودية الجهل المادي. مثل بروميثيوس المقيّد بالسلاسل إلى قمة جبل القوقاز، فإن طبيعة الرجل العليا مقيّدة بالسلاسل لشخصيته غير الكافية. كانت الأيام التسعة رمزية للمجالات التسعة التي تنحدر منها الروح البشرية خلال عملية اتخاذ الشكل الأرضي. الاختبارات السرية للتقدم الروحي، المطبقة على طلاب المراتب العليا غير معروفة، ولكن هناك كل الأسباب التي تدعو للاعتقاد بأنها كانت تشبه الأسرار البراهمانية، فقد كان من المعروف أن الاحتفالات الإيلوسية كانت مغلقة بكلمات سنسكريتية "Konx Om Pax"، وهذا الجزء مقتطع من قصة رمزية يشير إلى الفترتين: الستة أشهر التي يجب أن تبقى بيرسيفوني خلالها مع بلوتو، بينما خلال الفترة الأخرى تعيد النظر إلى العالم الأعلى، مقدمة الأسباب للنظر فيه بعمق.

من المحتمل أن الإليوسيين أدركوا أن الروح تركت الجسد أثناء النزول، أو على الأقل أصبحت قادرة على المغادرة من خلال التدريب الخاص. وهكذا تظل بيرسيفوني ملكة مملكة بلوتو خلال ساعات الاستيقاظ، ولكنها ستصعد إلى العوالم الروحية خلال فترات النوم. تم تعليم

المنضم كيفية التدخل لدى بلوتو للسماح لبيرسيفوني (روح البادئ) بالصعود من ظلام الطبيعة المادية إلى نور الفهم. عندما حرر من قيود الطين والمفاهيم المتبلورة، تحرر المنضم، ليس فقط طوال فترة حياته ولكن إلى الأبد، لأنه بعد ذلك لم يتعد عن تلك الصفات الروحية التي كانت بعد موته أدواته للتعبير فيما يسمى عالم السماء.

وعلى عكس فكرة هاديس كحالة من الظلام أدناه، قيل أن الآلهة تسكن قمم الجبال، ومن الأمثلة المعروفة على ذلك جبل أوليمبس، حيث قيل أن آلهة البانتيون اليونانية الاثني عشر تسكن معاً. في تجواله المبدئي، دخل المرشح إلى غرف تزداد نوراً بتتابع، لتصوير تنور الروح التي تنتقل من العوالم الدنيا إلى عوالم النعيم. وبصفته ذروة مثل هذه الرحلات، دخل إلى غرفة مقببة كبيرة، في وسطها تمثال لامع للإلهة سيريس. هنا، بحضور الهيروفان، يحيط به الكهنة في أرويتهم الرهيبة، تلقى تعليماته عن أسرار اليوسيس. في ختام هذا الحفل رحب به باعتباره المشرف **Epopte**، وهو الشخص الذي ينظر مباشرة. لهذا السبب أيضاً تم تسمية البدء بالترشح. بعد ذلك، أعطي كتباً مقدسة، من المحتمل أن تكون مكتوبة بالرموز، إلى جانب أقراص حجرية عليها نقوش لتعاليم سرية.

في كتابه المسلة في الماسونية، يصف جون ويز الشخصيات المهيمنة في أسرار اليوسيس، على أنها تتألف من ذكر وامرأة هيروفان قاما بتوجيه المنضوين؛ رجل وامرأة يحملان المشاعل، ونذير ذكر، ورجال ونساء يحيطون بالترشح. كان هناك أيضاً العديد من المسؤولين الأقل أهمية. ويذكر وفقاً لبورفيري، أن الهيروفان يمثل ديمورجوس أفلاطون، أو خالق العالم؛ ويمثل حامل الشعلة الشمس؛ ورجل المذبح القمر؛ أما النذير فيمثل هيرمس، أو عطار، والمسؤولون الآخرون، النجوم الصغيرة.

من السجلات المتاحة، رافق هذه الطقوس عدد من الظواهر الغريبة والخارقة للطبيعة على ما يبدو. يدعي كثر من المنضوين، أنهم رأوا بالفعل الآلهة الحية بأعينهم. سواء كان ذلك نتيجة للنشوة الدينية أو نتيجة التعاون الفعلي بين القوى غير المرئية مع الكهنة وهذا سيبقى سرّاً

إلى الأبد. في المسخ، أو الحمار الذهبي، يصف أبوليوس<sup>(1)</sup> على الأرجح، استهلاله في أسرار الإيلوسيين:

"لقد اقتربت من حدود الموت، وبعد أن سافرت حتى عتبة بيرسيفوني، عدت من هناك، بعد أن مررت من خلال جميع العناصر. في منتصف الليل، رأيت الشمس تسطع بضوء رائع؛ لقد اقتربت بشكل واضح من الآلهة تحتها والآلهة أعلاها، وعشقتهم".

قُبِل النساء والأطفال إلى أسرار اليوسيس، حتى أنه في مرحلة ما بلغ عدد المنضوين الآلاف، ولأن هذا العدد الهائل لم يكن كله مستعداً لقبول العقائد الروحية والسرية السامية، فبالضرورة حدث الانقسام داخل المجتمع نفسه. أعطيت التعاليم العليا لعدد محدود فقط من المنضوين الذين أظهروا، بسبب عقليتهم المتميزة، فهماً شاملاً لمبادئها الفلسفية الأساسية. رفض سقراط الدخول في ألغاز الإيلوسية، فمعرفة لمبادئها دون أن يكون عضواً في النظام، جعله يدرك أن العضوية ستحتّم عليه إغلاق فمه. إن اختبار أسرار إيلوسيس يستند إلى حقائق عظيمة وأبدية، والتي بجلتها العقول العظيمة في العالم القديم. يسأل أوفاروف، "هل تحدث بندار، أفلاطون، شيشرون، أبكتاتوس، عن هذا الإعجاب، إذا كان الهيروفان راضياً عن نفسه بإعلان آرائه الخاصة، أو آراء النظام الذي ينتمي إليه؟"

كما كانت الثياب التي ارتداها المنضمون خلال الطقوس، يحتفظ بها لسنوات عديدة، وكان يعتقد أنها تمتلك خصائص مقدسة تقريباً. كما أن الروح لا يمكن أن يكون لها أي غطاء إلا الحكمة والفضيلة، فإن المرشحين - كونهم حتى الآن ودون معرفة حقيقية - قد عُرضوا على الأسرار بدون ملابس، كونوا أولاً؛ فأعطوا جلد حيوان بداية، ثم رداءً مكرباً لاحقاً يرمز إلى التعاليم الفلسفية التي تلقوها. خلال الانضمام، مر المرشح من خلال بوابتين؛ الأولى قادته للنزول إلى العالمين: السفلي، رمز ولادته إلى الجهل؛ وقادته الثانية نحو الأعلى إلى غرفة مضاءة ببراعة بمصابيح غير مرئية، والتي كان ينتصب فيها تمثال سيريس والذي يرمز إلى العالم

(1) أبوليوس (125 - 180) ترعرع في مداوروش بالجزائر، وهو كاتب لاتيني وخطيب أمازيغي ونوميدي وفيلسوف وعالم طبيعي وكاتب أخلاقي وروائي ومسرحي وملحمي وشاعر غنائي. يعتبر صاحب أول رواية في التاريخ، وهي رواية التحولات باللغة اللاتينية القديمة، وهي الرواية الوحيدة بتلك اللغة التي لها نسخة محفوظة بحالة سليمة.

العلوي، أو دار النور والحقيقة. يذكر سترابو<sup>(1)</sup> أن معبد اليوسيس العظيم يستطيع أن يجمع ما بين عشرين إلى ثلاثين ألف شخص.

كانت الكهوف التي كرسها زرادشت لهذين البابين أيضاً، مما يرمز إلى طرق الولادة والموت. تقدم الفقرة التالية ليورفيري مفهوماً مناسباً إلى حد ما للرمزية الإيلوسية:

"كون الإله هو المبدأ المضيء، الذي يقيم في أتون أشد النيران، سيبقى إلى الأبد غير مرئي لعين أولئك الذين لا يسمون بأنفسهم فوق الحياة المادية: في هذا السياق، فإن مشهد الأجسام الشفافة، مثل الكريستال ورخام باريان وحتى العاج، يذكر بفكرة النور الإلهي؛ كما أن مشهد الذهب يثير فكرة نقائه، لأنه لا يمكن أن يلطخ الذهب. وقد فكر البعض بالحجر الأسود دليلاً على عدم رؤية الجوهر الإلهي. للتعبير عن العلة الأسى، مثل اللاهوت بالشكل الإنساني الجميل، لأن الإله هو مصدر الجمال؛ في مختلف الأعمار، وفي المواقف المختلفة، الجلوس أو الوقوف؛ من جنس واحد أو آخر، كعذراء أو شاب أو زوج أو عروس، من خلاله يمكن تمييز كل الظلال والتدرجات، كل شيء مضيء نسب بعد ذلك إلى الآلهة. الكرة، وكل ما هو كروي، نسب إلى الكون، إلى الشمس والقمر - في بعض الأحيان إلى الحظ والأمل. الدائرة، وجميع الأشكال الدائرية، أشارت دوماً - إلى الحركات السماوية؛ إلى دوائر ومناطق السماوات. أقسام الدائرة تشير إلى مراحل القمر؛ وتشير الأهرامات والمسلات، إلى المبدأ الناري، ومن خلال ذلك لآلهة السماء. يعبر المخروط عن الشمس والاسطوانة تعبر عن الأرض. يرمز المثلث والقضيب (رمز المصفوفة) إلى الجيل المعين". (من مقال حول أسرار اليوسيس لماروف)

نجت أسرار اليوسيس، وفقاً لهيكثرون، دوناً عن جميع الأنظمة الأخرى، ولم تتوقف عن الوجود كمؤسسة إلى ما يقرب أربعمئة عام من ولادة المسيح، عندما قمعت أخيراً على يد

(1) سترابو - وسماه العرب اسطرابون - مؤرخ وجغرافي وفيلسوف يوناني. ولد في كبادوكيا (أكاسيا) سنة 63 أو 64 ق.م لأسرة ثرية، ووالدته جورجية الأصل، تتلمذ على يد الكثير من الجغرافيين والفلاسفة في اليونان وروما وكان من الفلاسفة الرواقيين وكسياسي كان من أنصار الإمبريالية الرومانية.

قام برحلاته المشهورة في البلاد المختلفة في الامبراطورية الرومانية حتى وصل إلي حدودها الجنوبية، نهر النيل في أفريقيا لدراسة المعالم التاريخية والجغرافية وذكر ذلك في موسوعته (التاريخ الجغرافي) التي تتكون من 47 مجلداً لمختلف البلدان والأماكن في أوروبا وآسيا وأفريقيا، ولم تعرف موسوعته الجغرافية كثيراً في أيامه، وكانت مجهولة في القرون الوسطى حتى ظهرت إلى الوجود في عهد النهضة الأوروبية في القرن السادس عشر.



ثيودوسيوس (الملقب بالعظيم)، الذي دمر بقسوة كل الذين لم يقبلوا الإيمان المسيحي. قال شيشرون عن هذه المدرسة التي تعد من بين أعظم المؤسسات الفلسفية، أنها لا تعلم الرجال كيفية العيش فحسب بل كيفية الموت أيضاً.

## الأسرار الأورفية

أورفيوس، الشاعر التراقي، البادئ العظيم لليونانيين، توقف عن الوجود كرجل واحتُفل به كإله عدة قرون قبل العصر المسيحي. يكتب توماس تايلور "بالنسبة إلى أورفيوس نفسه، فإنه من الصعوبة بمكان، العثور على أي أثر لحياته بين أطلال الزمن الهائلة. فمن ذا الذي يستطيع أن يؤكد أي شيء على وجه اليقين حول أصله وعمره وبلده وحياته ومماته؟ قد يعتمد هذا على الاتفاق العام، بأنه وجد سابقاً شخص اسمه أورفيوس، والذي كان مؤسس اللاهوت بين الإغريق؛ مؤسس حياتهم وأخلاقهم؛ أول الأنبياء وأمير الشعراء؛ وهو نفسه كان ذرية الآلهة، الذين علموا الإغريق طقوسهم وأسرارهم المقدس، ومن حكمتهم، ذلك المعين الخالد الذي لا ينضب، تدفقت أمواج الإلهام الإلهي لهوميروس واللاهوت السامي لفيثاغورث وأفلاطون". (راجع تراويل أورفيوس الصوفية).

أورفيوس هو مؤسس النظام الأسطوري الإغريقي الذي استخدمه كوسيلة لبت عقائده الفلسفية. إن أصل فلسفته غير مؤكد، وربما يكون قد حصل عليها من البراهما، فهناك أساطير مفادها أنه حصل عليها من الهندوس، وقد يكون اسمه مشتقاً من كلمة يونانية تعني "الظلام". كما انضم أورفيوس إلى الأسرار المصرية، والتي من خلالها اكتسب معرفة واسعة بالسحر والتنجيم والشعوذة والطب. كما عرضت أسرار كابيري في ساموثراكي عليه، وساهمت هذه بلا شك في معرفته بالطب والموسيقى.

تعد دراما أورفيوس يوريديس الرومانسية واحدة من الحلقات المأساوية للأساطير اليونانية، وتشكل على ما يبدو السمة البارزة في طقوس أورفيوس. توفيت يوريديس، عند محاولتها الهرب من شرير يسعى لإغوائها، بلدغة ثعبان سام في الكعب. اخترق أورفيوس قلب العالم بأسره، وسحر بلوتو وبرسيفوني بجمال موسيقاه بحيث اتفقا على السماح ليوريديس بالعودة إلى

الحياة إذا استطاع أورفيوس إعادتها إلى عالم الأحياء، دون النظر مرة واحدة للخلف لمعرفة ما إذا كانت تتبعه. ومع ذلك، كان خوفه كبيراً للغاية، بأنها ستبتعد عنه، بحيث أنه أدار رأسه للخلف، فعادت يوريديس باكية مفطورة القلب إلى أرض الموت.

تجول أورفيوس في الأرض لفترة من الوقت تحفه تعاسة بالغة حتى وافته المنية، حيث توجد العديد من الروايات المتضاربة عن طريقة وفاته. يعلن البعض أنه قتل بصاعقة؛ وظن آخرون أنه وبعد أن فشل في إنقاذ يوريديس الحبيبة انتحر؛ ومع ذلك، فإن النسخة المقبولة عموماً حول وفاته هي: أنه قد مُزق إلى أشلاء من نساء السيكون<sup>(1)</sup> اللواتي رفض عطاياهن. في الكتاب العاشر لجمهورية أفلاطون، كتب أنه وبسبب مصيره المؤسف على أيدي النساء، فإن الروح التي كانت في يوم من الأيام أورفيوس، وبعد أن كانت عائدة لتحيا مرة أخرى في العالم المادي، اختارت العودة في جسد بجعة على أن تحل في جسد امرأة. وبعد أن فصل رأس أورفيوس عن جسده، أُلقي مع قيثارته في نهر هبروس، حيث حمله التيار إلى البحر، فانحشر بين الصخور على الشاطئ، مطلقاً النبوءات لسنين طوال. القيثارة، وبعد أن سُرقت من الضريح قضت على اللص، ثم التقطتها الآلهة وجعلت كوكبة سماوية.

لطالما احتفل بأورفيوس كراعٍ للموسيقى. فعزف على قيثارته ذات الأوتار السبعة ألحاناً رائعة، لدرجة أن الآلهة نفسها حاولت سرقة موهبته. عندما لمس أوتار قيثارته، تجمعت الطيور والوحوش حوله، وبينما كان يتجول في الغابات، جعلت ألحانه الساحرة الأشجار المعمرة، تحاول بجهد عظيم اقتلاع جذورها الممتدة في الأرض لتتبعه. أورفيوس هو واحد من عديد من الخالدين الذين ضحوا بأنفسهم ليمتلك الرجال حكمة الآلهة. حسب رمزية موسيقاه، قام بإيصال الأسرار الإلهية للبشر، وقد أعلن العديد من المؤلفين أن الآلهة، على الرغم من أنها أحبته، فقد خشيت من الإطاحة بمملكته ومن ثم وعلى مضض فقد ارتضوا أن يتم تدميره.

(1) السيكون: قبيلة استوطنت الساحل الجنوبي لتراقيا (في اليونان الحديثة). ذكرت في الكتاب الثاني من الإلياذة على أنها انضمت إلى الحرب إلى جانب طروادة، بقيادة يوفيموس. في كتابه التاسع من الأوديسة لهومر، هاجمهم أوديسيوس على حين غرة وذبحوا معظم الرجال، وأخذوا نساء السيكون جواري. في وقت لاحق تصل تعزيزات لهم وتهاجم الغزاة، مما أسفر عن مقتل الكثير منهم حتى أجبر أوديسيوس ورجاله على الفرار في سفنهم.

مع مرور الوقت أصبح أورفيوس التاريخي مختلطاً بشكل لا يمكن إصلاحه، مع المذهب الذي مثله، وأصبح في النهاية رمزاً للمدرسة اليونانية للحكمة القديمة. هكذا أعلن أن أورفيوس هو ابن أبولو، الحقيقة الإلهية الكاملة، وكاليوبي<sup>(1)</sup>، ملهمة اللحن والإيقاع. بمعنى آخر، أورفيوس هو العقيدة السرية لأبولو التي كشفت عنها الموسيقى (كاليوبي). يورديدس هي البشرية التي قتلها لدغة ثعبان المعرفة الزائفة، وسجنت في العالم السفلي من الجهل. في هذه القصة الرمزية، يشير أورفيوس إلى اللاهوت، الذي يفوز به من ملك الموتى، لكنه يفضل في بعثه حياً من جديد، لأنه يقدر بشكل خاطئ، ولا يثق في الفهم الفطري داخل النفس البشرية. ترمز نساء السيكون اللائي مزقن جسد أورفيوس، إلى الطوائف اللاهوتية المتنافسة التي تدمر جسد الحقيقة. لكنهن لن يستطعن تحقيق هذا، حتى يغلب صراخهن المتنافر، الانسجام الذي رسمه أورفيوس من قيثارته السحرية. يشير رأس أورفيوس إلى مذهب العقيدة الباطنية للعبادة، حيث تستمر هذه المذاهب في الحياة والتحدث حتى بعد تدمير جسده (الطائفة). القيثاره هي تعاليم أورفيوس السرية، الأوتار السبعة هي الحقائق الإلهية السبعة التي هي مفاتيح المعرفة الكونية. تمثل الروايات المختلفة لوفاته الوسائل المختلفة المستخدمة لتدمير التعاليم السرية؛ حيث يمكن أن تموت الحكمة بطرق عديدة في نفس الوقت. تدل قصة أورفيوس المتجسدة في البجعة البيضاء، على أن الحقائق الروحية التي أعلنها ستستمر، وسيتم تعليمها من قبل المنضوين في كل العصور القادمة. البجعة هي رمز المنضوين للأسرار، كما هي أيضاً رمز للقوة الإلهية التي هي مصدر العالم.

(1) كاليوبي بحسب الميثولوجيا الإغريقية القديمة، هي إحدى إلهات الإلهام التسع التي عنيت بالشعر الملحمي، والنطق الفصيح الذي كانت تهبه للملوك والأمراء. هي ابنة كلاً من زيوس ونيموسيني، وعرفت بملهمة هومر، حيث وفرت الإلهام للإلياذة والأوديسة.

## طقوس باخوس وديونيسوس

تتركز طقوس باخوس وديونيسوس حول المجاز المتعلق بباخوس الشاب (ديونيسوس أو زاجروس) الذي تمزقه الجبابرة. لقد أتم هؤلاء العمالقة تدمير باخوس عن طريق جعله مفتوناً بصورته في المرأة. وبعد تقطيعه إلى أشلاء، قام الجبابرة أولاً بغلي القطع في الماء، ثم شويها بعد ذلك. أنقذ بالاس قلب الإله المقتول، وهكذا استعاد باخوس (ديونيسوس) من جديد كل مجده السابق. جوبيتر، الديمورجوس، الذي شاهد جريمة الجبابرة، قذف صواعقه وقتلهم، وحرق أجسادهم حتى استحالت رماداً، بالنار السماوية. من رماد الجبابرة - التي تحتوي أيضاً على جزء من جسد باخوس - الذي التهموه جزئياً، خلق الجنس البشري.

وهكذا قيل إن الحياة الدنيوية لكل إنسان، تحتوي على جزء من حياة باخوس؛ لهذا السبب حذرت الأسرار اليونانية من الانتحار. من يحاول أن يقتل نفسه، فهو يعارض طبيعة باخوس داخله، لأن جسد الإنسان هو قبر هذا الإله بشكل غير مباشر، وبالتالي يجب إحاطته بأكبر قدر من العناية.

باخوس (ديونيسوس) يمثل الروح العقلانية للعالم السفلي؛ إنه رئيس الجبابرة - حرفيي المجالات الدنيوية. وقد دعاه فيثاغورث بالجبار الموناد<sup>(1)</sup>. وهكذا، فإن باخوس هو فكرة شاملة عن المجال التايتاني وعن التايتان - أو آلهة الشظايا - الوكلاء النشيطون الذين يتم من خلالها تشكيل المادة الكونية في نمط هذه الفكرة. تدل حالة باخوس على وحدة الروح العقلانية في حالة من معرفة الذات، وحالة التايتان تدل على تنوع الروح العقلانية، المنتشرة

(1) الموناد مصطلح فلسفي اشتهر به فيثاغورث والفيلسوف الألماني لايبنتز، وهي عبارة عن جواهر بسيطة لا تقبل الامتداد ولا الانقسام، وهي الذرات الحقيقية المكونة لعناصر الأشياء. إنها ذرات روحية وليست مادية، إنها في أساسها طاقة دينامية. ويتكوّن منها كل شيء، وهي أساس الوجود، بل إنه عدّ الخالق موناد المونادات.

في جميع أنحاء الخلق، والتي تفقد وعيها الخاص خلال الخلق. المرأة التي حلق باخوس فيها، والتي تسببت في سقوطه هي بحر الوهم الكبير - العالم السفلي الذي صممه الجبابرة. باخوس (الروح العاقلة الدنيوية)، يرى صورته أمامه، يقبل الصورة كمثال لنفسه، وينفخ الروح في الصورة، أي أن الفكرة العقلانية تستتبع انعكاسها - الكون غير العقلاني. من خلال نفخ الروح في الصورة غير المنطقية فإنه يزرع فيها الرغبة في أن تصبح مثل مصدرها، الصورة العقلانية. لذلك قال القدماء أن الإنسان لا يعرف الآلهة عن طريق المنطق أو عن طريق العقل بل عن طريق إدراك وجود الآلهة داخل نفسه.



طقوس باخوس

من كتاب التحولات لأوفيد<sup>(1)</sup>.

خلال الانضمام إلى أسرار باخوس، يلعب المرشح دور باخوس، الذي قتل على يد الكهنة في زي جبابة، ثم يجري بعثه أخيراً ثانياً إلى الحياة وسط فرح كبير. أقيمت أسرار باخوس كل ثلاث سنوات، ومثل أسرار اليوسيس، قسمت إلى مرتبتين. تُوج المنضويين بنبات الآس واللبلاب، وهي نباتات مقدسة لباخوس.

<sup>(1)</sup> كتاب التحولات هي قصيدة سردية لاتينية للشاعر الروماني أوفيد، وتعتبر رائعة. وتضم القصيدة خمسة عشر كتاباً وأكثر من 250 أسطورة، وتسرد تاريخ العالم من خلقه إلى تأليه يوليوس قيصر ضمن الإطار الأسطوري التاريخي الفضفاض.

يقطع جودفري هيجنز بأن باخوس كان أحد الأشكال الوثنية المبكرة لأسطورة المسيح. يسمى مسقط رأس باخوس سابزيوس، وقد ادعت عدة بلدات في اليونان بحق كونها ذلك المسقط؛ ولكن يبدو أن عبادته تم الاحتفال بها بشكل رئيسي، على جبل زيليميسوس في تراقيا. لقد ولد من عذراء في 25 ديسمبر، وقام بمعجزات عظيمة لصالح البشرية؛ لا سيما تحويل الماء إلى نبيذ؛ وامتنى حماراً في موكب النصر؛ وجرى إعدامه على يد جبابرة، وقام مرة أخرى من بين الأموات في 25 مارس، كما كان يطلق عليه دائماً المخلص. في أسرار، عرض على الناس كطفل رضيع، كما يفعل المسيحيون حتى هذا اليوم، في صباح يوم عيد الميلاد في روما.

وبينما يمثل أبولو بشكل عام الشمس، إلا أن باخوس هو أيضاً شكل من أشكال الطاقة الشمسية، بسبب بعثه - بمساعدة أبولو. تشير قيامة باخوس إلى مجرد استخلاص فصل الأجزاء المختلفة من باخوس، عن التايتان في العالم. يرمز إلى ذلك الدخان أو السخام المتصاعد من أجسام الجبابرة المحترقة. يرمز الدخان إلى الروح لأنه يستخرج من نار الأسرار، ويدل على صعود الروح، والتطور الشديد هو عملية تسامي الروح مثل الدخان، من الكتلة المادية المستهلكة إلهياً. في ذلك الوقت كانت طقوس باخوس ذات مرتبة عالية، لكن فيما بعد تدهورت كثيراً. يشتهر عيد باخوس، أو عريدة باخوس في الأدب.

بعد أن حرق باخوس في المرأة وتبع انعكاسه الخاص، تحللت الروح العقلانية للعالم، ووزعها الجبابرة في جميع أنحاء المجال الدنيوي الذي هو الطبيعة الأساسية، ولكن القلب أو المصدر، لم يستطيعوا بعثته. أخذ الجبابرة جثة باخوس المقطعة، وقاموا بغلها في الماء - رمز الانغماس في الكون المادي - والذي يمثل دمج مبدأ باخوس في الشكل. شويت القطع بعد ذلك للدلالة على الصعود اللاحق للطبيعة الروحية من الشكل.

عندما رأى جوبيتر، والد باخوس وديمورجوس الكون، أن الجبابرة كانوا يحاولون بشدة، القضاء على الفكرة العقلانية أو الإلهية من خلال تضييع أشلائها ضمن الأجزاء المكونة للعالم السفلي، قتل الجبابرة كي لا تضييع الفكرة تماماً. من رماد الجبابرة قام بتكوين الرجال، والذين



كان الغرض من وجودهم، هو الحفاظ على القدرة في نهاية المطاف لإطلاق فكرة باخوس، أو الروح العقلانية، من شتات التايتان. جوبيتر، كونه ديمورجوس وصانع الكون المادي، هو الشخص الثالث في الثالوث الإبداعي، وبالتالي رب الموت، لأن الموت موجود فقط في المجالات السفلى للوجود الذي يرأسه. يحدث التفكك حتى تحصل إعادة الإدماج بمستوى أعلى من الشكل أو الذكاء. الصاعقة من كوكب المشتري هي رمز لقوة التفكيك، وتكشف عن غرض الموت، وهو إنقاذ الروح العقلانية من القوة الملهبة للطبيعة غير العقلانية.

الإنسان مخلوق مركب، طبيعته السفلية تتألف من شظايا الجبابرة، وطبيعته العليا هي الجسد المقدس الخالد (حياة) باخوس. لذلك فالرجل قادر على تحقيق إما الوجود كالتايتان (غير عقلائي) أو وجود باخوسي (عقلاني). من المحتمل أن يكون جبابرة هيسود، الذين بلغ عددهم اثني عشر، تشبيهاً للبروج السماوية، في حين يمثل الجبابرة الذين قتلوا باخوس، القوى المشوهة للبروج من خلال مشاركتهم في العالم المادي. وهكذا يمثل باخوس الشمس التي تفككت بفعل الأبراج السماوية، ومن الجسم يتكون الكون. عندما خلقت الأشكال الأرضية من أجزاء مختلفة من جسده، فقد الشعور بالكمال وتأسس الإحساس بالانفصال. تم إخراج قلب باخوس، الذي أنقذه بالاس، أو مينيرفا، من العناصر الأربعة التي يرمز إليها جسده المفكك، ووضع في الأثير. قلب باخوس هو المركز الخالد للروح العقلانية.

بعد أن وزعت الروح العقلانية في جميع أنحاء الخلق وضمن طبيعة الإنسان، أنشأت أسرار باخوس، بغرض فصلها عن الطبيعة التيتانية غير الطبيعية. كان هذا الانفصال عملية لإخراج الروح من حالة الانفصال إلى الوحدة، فقد تم جمع مختلف أجزاء وأعضاء باخوس من مختلف أركان الأرض، وعندما يكتمل جمع جميع الأجزاء العقلانية يبعث باخوس. كانت طقوس ديونيسوس متشابهة إلى حد كبير مع طقوس باخوس، واعتبر كثر أن هذين الإلهين كانا شيئاً واحداً. وقد نصبت تماثيل ديونيسوس في الأسرار الإيلوسية، وخاصة المراتب الدنيا. كان باخوس، الذي يمثل روح الكرة الدنيوية، قادراً على اتخاذ تعدد لانهائي من الشكل والتسميات، ويبدو أن ديونيسوس كان جانبه الشمسي.

شكل مهندسو ديونيسوس مجتمعاً سريعاً قديماً، وهو من حيث المبادئ والتقاليد يشبه إلى حد كبير نظام الماسونية الحديث. لقد كانوا منظمة للبنايين الذين رُبطوا معاً بمعرفتهم

السرية بالعلاقة بين العلوم الأرضية والإلهية للهندسة المعمارية. كان من المفترض أن يوظفهم الملك سليمان في بناء معبده، على الرغم من أنهم لم يكونوا يهوداً، ولم يعبدوا إله اليهود، كونهم أتباع باخوس وديونيسوس. أقام مهندسو ديونيسوس العديد من المعالم الأثرية القديمة، وقد امتلكوا لغة سرية ونظماً خاصاً لتمييز أحجارهم؛ كما كان لديهم اجتماعات سنوية وأعياد مقدسة. الطبيعة الدقيقة لعقائدهم غير معروفة، ويعتقد أن حيرام أبي كان منضماً لهذه الجمعية.



## أطلنطس والأكهة القديمة

هي موضوع لإحدى المقالات القصيرة والمهمة، والتي تظهر في تقرير مجلس الأوصياء لمؤسسة سميثسونيان<sup>(1)</sup> السنوي، عن العام المنتهي بتاريخ 30 - يونيو - 1915. في عام 1912 ألقى بيير تيرمنر العضو في أكاديمية العلوم، ومدير خدمة المخططات الجيولوجية في فرنسا، محاضرة عن فرضية أطلنطس في معهد جغرافية المحيطات. من الملاحظات المترجمة من هذه المحاضرة المميزة التي نشرها تقرير سميثسونيان:

"بعد فترة طويلة من اللامبالاة المتكبرة، بتنا نلحظ في السنوات القليلة الماضية، عودة إلى دراسة أطلنطس، كما نرى عدداً من علماء الطبيعة والجيولوجيا وعلماء الحيوانات والنباتات الذين يسألون بعضهم البعض اليوم عما لم ينقله أفلاطون لنا، بتضخيم بسيط، صفحة من التاريخ الفعلي للبشر. لس من المقبول بعد الحديث بثقة، ولكن يمكن القول بأن منطقة قارية شاسعة، تتكون من جزر كبيرة قد انهارت غرب أعمدة هرقل، والتي تدعى الآن مضيق جبل طارق، وقد حدث هذا الانهيار في الماضي الغير بعيد. وعلى أية حال يتم الآن وضع مسألة أطلنطس قيد الدراسة من قبل العلماء، وبما أنني أعتقد أنه لا يمكن أبداً أن تحل بدون مساعدة من علماء المحيطات، فقد فكرت أنه من الطبيعي مناقشة هذا الموضوع هنا، في معهد العلوم البحرية. إن مجرد الدعوة لنقاش مثل هذه المسألة، كان يثير السخرية منذ فترة

(1) مؤسسة سميثسونيان: مؤسسة تعليمية وبحثية مع مجموعة متاحف تمويلها وتديرها حكومة الولايات المتحدة بالإضافة إلى الهبات والتبرعات وأرباح متاجرها ومجلتها. تأسست في 10 أغسطس 1846 عبر قانون أصدره آنذاك الكونغرس الأمريكي، تقع معظم مرافقها في واشنطن العاصمة.

طويلة، ولكن اليوم يجري إحياؤها، نظراً لاهتمام علماء المحيطات، وكذلك انتباه هؤلاء الذين، رغم انغماسهم في شؤون البلاد والعباد، فقد أعاروا أذنًا صاغية لمثل هذه الهمسات."

يورد بيير تيرمنر في محاضراته البيانات الجيولوجية والجغرافية والحيوانية، التي تصب في صالح إثبات نظرية أطلنطس. ويصف على نحو مجازي كيف لو أنه قمنا بتفريغ المحيط الأطلسي، فإننا سنرى عدم المساواة في القاع. ويستشهد بمواقع تمتد على خط جزر الأزور إلى أيسلندا، حيث اندفعت الحمم البركانية، من باطن الأرض إلى السطح من عمق 3000 متر. كما أن الطبيعة البركانية في الجزر الموجودة الآن في المحيط الأطلسي، تثبت صحة ما ذكره أفلاطون أن قارة أطلنطس قد دمرتها نوازل بركانية. ويستشهد تيرمنر باستنتاجات عالم الحيوان الفرنسي الشاب لويس جيرمان، الذي اعترف بوجود القارة الأطلنطية، والتي تملك اتصالاً مع شبه الجزيرة الأيبيرية (اسبانيا)، وموريتانيا على طول الامتداد نحو الجنوب، بحيث تشمل بعض المناطق ذات المناخ الصحراوي، ويلخص تيرمنر محاضراته بصور بيانية من ابتلاع تلك القارة.

إن وصف حضارة أطلنطس الذي قدمه أفلاطون في محاورته كريتياس<sup>(1)</sup>، يمكن تلخيصه على النحو التالي:

في العصور القديمة قسمت الآلهة الأرض فيما بينها، بالتناسب مع مقاماتهم الخاصة. أصبح كل إله (سيداً) له مناطقه الخاصة التي بنى فيها معابد لنفسه، والتي زينها برسومات قام بها الحرفيين الكهنة، كما وضع نظاماً للتضحية. ولقد أعطي البحر وقارة أطلنطس لبوسيدون، في وسط الجزيرة يقع الجبل الذي كان مسكناً لثلاثة من البشر البدائيين القدماء وهم أيفينور وزوجته ليوسيبي وابنتهما الوحيدة سيليتو العذراء؛ والتي كانت جميلة جداً. بعد وفاة والديها تودد إليهما بوسيدون وبنى عليهما، فولدت له خمسة أزواج من الذكور، ثم

<sup>(1)</sup> كريتياس، هو أحد حوارات أفلاطون المتأخرة، ويتضمن قصة مملكة جزيرة أطلانطس العظيمة ومحاولتها للاستيلاء على أثينا، والتي فشلت بسبب النظام داخل المجتمع الأثينيين. حوار كريتياس هو الثاني من ثلاثية من الحوارات، سبقه الطيماوس وتلاه هيرموكراتس. لم يبق أفلاطون بكتابة الأخير وترك كريتياس غير مكتمل. بسبب تشابه حوار الطيماوس وكريتياس، فإن الباحثين الكلاسيكيين الحديثين يجمعون أحياناً الحوارين في حوار واحد.

قام بوسيدون بتقسيم قارته بين هؤلاء العشرة، وجعل أطلس كبيرهم سيداً على هؤلاء التسعة، وقام بوسيدون بتسمية البلاد أطلنطس، والبحر المحيط بها بالمحيط الأطلسي تكريماً لأطلس. قبل ولادة الأبناء العشرة، كان بوسيدون قد قسم القارة وسواحل البحر، إلى مناطق مركزية من الأراضي والمياه، والتي كانت مثالية رغم شكلها المخروطي. حاصرت منطقتين من الأراضي وثلاثة من المياه الجزيرة التي في الوسط، والتي رواها بوسيدون، حيث تفجر ينبوعان من المياه - واحد حار، والآخر بارد.

واصل أحفاد أطلس حكم أطلنطس، وقد أوصل الحكم الرشيد، والصناعة المتطورة البلاد إلى مكانة سامية. كانت موارد أطلنطس الطبيعية لا حدود لها على ما يبدو، فجرى تعدين العناصر الثمينة، واستؤنست الحيوانات البرية، وتم تقطير العطور من الأزهار الفواحة. وبينما استمتع سكانها بما حبتهم إياه الطبيعة من كرم، نظراً لموقعها الشبه مداري والنصف استوائي؛ فقد عمل الأطلنطيون على تشييد القصور والمعابد والأحواض؛ وقاموا بسد المناطق البحرية وحفروا قناة عميقة تربط المحيط الخارجي بالجزيرة الوسطى، حيث انتصبت قصور ومعبد بوسيدون، الذي برز بهيكله كل الأبنية الأخرى. وأنشأت شبكة من الجسور والقنوات من قبل الأطلنطيين لتوحيد الأجزاء المختلفة من مملكتهم.

ثم يصف أفلاطون الحجارة البيض والسود والحممر، التي استخرجوها من تحت قارته واستخدموها لبناء المباني العامة والأرصعة. وقد قاموا بتسوير كل المناطق البرية بجدار، غطي من الخارج بالنحاس، وفي الوسط بالقصدير، ومن الداخل بالأوريكالكوم<sup>(1)</sup>، حيث ضم القلعة أيضاً. احتوت الجزيرة الوسطى، على القصور والمعابد والمباني العامة الأخرى، وفي وسطها، وقد أحيط بجدار من الذهب، بُني هيكل بوسيدون وسيليتو. هنا وُلد أول عشرة أمراء في الجزيرة، وفي كل عام أحضر أحفادهم القرايين لها. معبد بوسيدون نفسه، غطي من الخارج بالكامل بالفضة وأبراجه بالذهب، وكان الجزء الداخلي للمعبد من العاج والذهب والفضة والأوريكالكوم، من الأرض إلى السقف. وقد احتوى المعبد على تمثال ضخم لبوسيدون يقف

(1) هو المعدن المذكور في العديد من الكتابات القديمة، وكان حسب كريتياس يحتل المرتبة الثانية بعد الذهب من حيث القيمة وقد تم العثور عليه وتعدينه في أجزاء كثيرة من أطلنطس في العصور القديمة. قد يكون من المعادن النبيلة مثل البلاتين، أو أنه خليط من البرونز أو النحاس أو ربما بعض سبائك المعادن الأخرى.

في عربة تجرها ستة خيول مجنحة، حوله مئة حورية يركبن الدلافين. كما نصبت خارج المبنى تماثيل ذهبية للملوك العشرة الأوائل وزوجاتهم.

في البساتين والحدائق تفجرت الينابيع الحارة والباردة. وكان هناك العديد من المعابد لمختلف الآلهة، وأماكن للتمرين للرجال والوحوش، وانتشرت الحمامات العامة، ووجد ميدان كبير لسباق الخيول. في نقاط مختلفة كانت هناك تحصينات، وإلى الميناء الكبير جاءت سفن من كل الدول البحرية. كانت المناطق مكتظة بالسكان لدرجة أن ضجيج أصوات البشر كان يملأ الجو.

وصف جزء أطلنطس المواجه للبحر بأنه مرتفع وشديد الانحدار، لكن وسط المدينة كان سهلاً محمياً بجبال تشتهر بحجمها وعددها وجمالها. أنتجت السهول محصولين كل عام، في فصل الشتاء كانت تسقى بمياه الأمطار، وفي الصيف بقنوات الري الهائلة، والتي كانت تستخدم أيضاً للنقل. قُسم السهل إلى أقسام، وفي وقت الحرب، قدم كل قسم نصيبه من المقاتلين والعربات.

اختلفت الحكومات العشر عن بعضها البعض في التفاصيل المتعلقة بالمتطلبات العسكرية. ولكن كان لكل ملك من ملوك أطلنطس سيطرة كاملة على مملكته الخاصة، لكن علاقاتهم المتبادلة كانت محكومة بقانون منقوش من قبل الملوك العشرة الأوائل على عمود من الأوريكاكوم نصب في معبد بوسيدون. في فواصل زمنية تتبدل، مدتها خمس سنوات أو ست سنوات، كانوا يحجون إلى هذا المعبد، بحيث منح شرف متساوٍ لكل من الأرقام الفردية والزوجية. هنا مع التضحية المناسبة، جدد كل ملك يمين الولاء على الأثر المقدس. وهنا أيضاً كسي الملوك أودية سماوية اللون وجلسوا للحكم. عند الفجر كتبوا أحكامهم على لوح ذهبي، أودعوه مع أثوابهم كنصب تذكارية. كانت القوانين الرئيسية لملوك الأطلس هي أنهم يجب ألا يحملوا السلاح ضد بعضهم البعض، وأن عليهم أن يساعدوا أي ملكٍ منهم إذا تعرض للهجوم. في مسائل الحرب وفي اللحظات العظيمة، كان القرار النهائي في أيدي أحفاد أطلس المباشرين. لم يكن لأي ملك أن يحكم بالحياة والموت على رعاياه، دون موافقة أغلبية العشرة.

يختتم أفلاطون وصفه بالإعلان أن هذه الإمبراطورية العظيمة هي التي هاجمت الدول الهيلينية؛ لكن هذا لم يحدث حتى أغرت القوة والمجد ملوك أطلس، فحادوا عن درب الحكمة

والفضيلة. إن حكام أطلنطس، الذين ملأهم طموح زائف، صمموا على غزو العالم بأسره. قام زيوس بإدراك شر الأطلسيين، وجمع الآلهة في مسكنه المقدس وخاطبهم. هنا تصل رواية أفلاطون إلى نهاية مفاجئة، لأن كريتياس لم تنته أبداً. نجد في الطيماوس وصفاً آخر لأطلنطس، من المفترض أن يُعطى لصولون من قبل كاهن مصري ويخلص إلى ما يلي:

"وتعاقب الزمن؛ وبعد ذلك حدثت زلازل وفيضانات هائلة؛ وفي أحد الأيام وفي ليلة شديدة دهماً، خسفت رقعة من بلادكم وتوارى معها كل جيشكم جملة، وتوارت جزيرة أطلنطس في لجة البحار وانمحي أثرها. ولذا أضحي البحر اليوم، غير سالك لا يسبر غوره في تلك الأنحاء، إذ يحول دون ذلك وحل قريب جداً إلى سطح المياه، تركته الجزيرة عندما غارت."

وفي مقدمة ترجمته لالطيماوس، يقتبس توماس تايلور من كتاب تاريخ إثيوبيا الذي كتبه مارسيليوس، والذي يحتوي على ما يلي حول أطلنطس: "كما روي في ذلك الوقت، كان هناك سبع جزر في البحر الأطلسي، والتي كانت مقدسة لبروسرينا<sup>(1)</sup>، وبجانها هناك ثلاث جزر أخرى ذات أحجام هائلة، الأولى كانت مقدسة لبلوتو، والثانية لأمون، والثالثة التي تقع في الوسط كانت مقدسة لنبتون "وهنا يعلق كرانفور<sup>(2)</sup> على أفلاطون، الذي أكد بأن الكهنة المصريين أخبروه بأن قصة أطلنطس لا زالت منقوشة على الأعمدة والتي ما تزال محفوظة منذ ما يقرب 300 عام قبل الميلاد (انظر البدايات أو لمحات عن الحضارات الغائبة)". وقد

(1) بروسرينا: إلهة من الميثولوجيا الرومانية نسبت لها العديد من الأساطير والألغاز، بروسرينا هي تشبيه للإلهة بيرسيفوني في الميثولوجيا الاغريقية وهي ابنة الإلهة اليونانية ديمتر إلهة الحصاد والزراعة، وفي الميثولوجيا الرومانية تعتبر ابنة الإلهة سيرس والإله لير.

(2) كرانفور هو فيلسوف من الأكاديمية القديمة ومن المحتمل إنه ولد في أواسط القرن الرابع قبل الميلاد في صوليا وهي ميناء تابع لقلقليا. وتحول كرانفور إلى أثينا لدراسة الفلسفة وأصبح أحد طلاب الفيلسوف اليوناني زينوقراط. ويبدو إن مؤلفات كرانفور الفلسفية عامة والأخلاقية منها خاصة قد لاقى اهتماماً وإعجاباً في روما وكانت من أكثر الكتب قراءة، ومن أشهرها كتابه الذي حمل عنوان حول الحزن، والذي وجهه إلى صديقه هيبوكلس تعزية له بموت ولده.



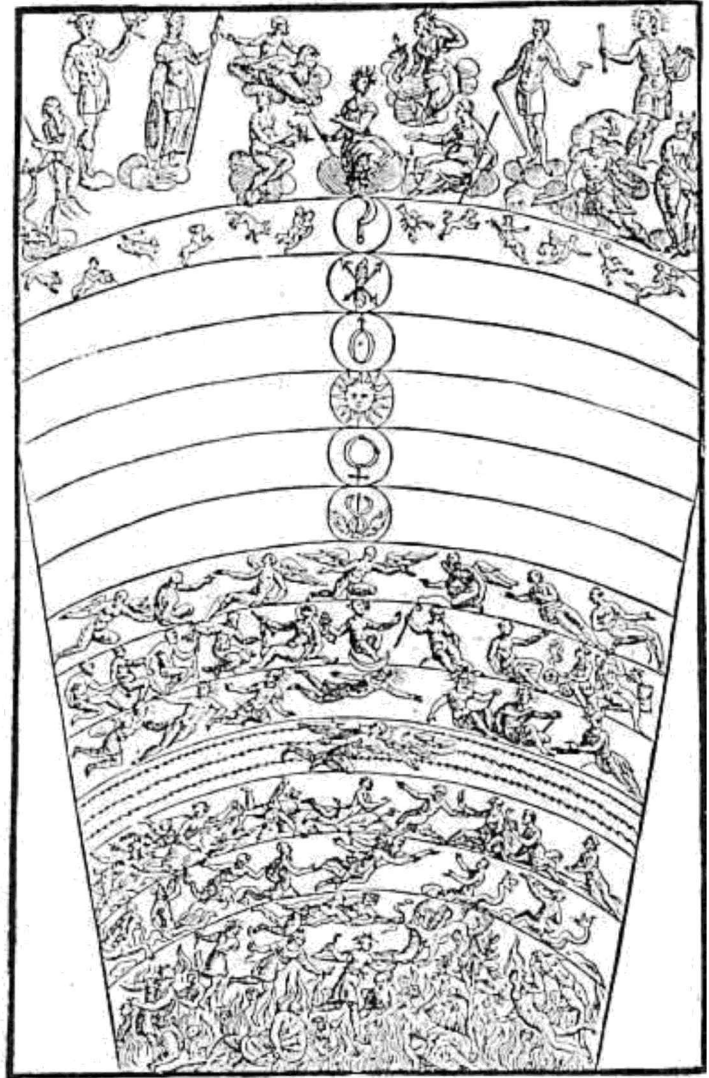
درس أغناطيوس دونيلي<sup>(1)</sup> موضوع أطلنطس دراسة عميقة، وهو يعتقد بأن الخيول استأنست لأول مرة من قبل الأطلنطيين، (ولهذا السبب كانت تعتبر مقدسة لبوسيدون).

---

(1) أغناطيوس دونيلي ( 1831 - 1901 ) روائي وكاتب خيال علمي ومؤلف وسياسي أمريكي، نشط في الحزب الجمهوري، كما أنه انتخب عضو مجلس ولاية مينيسوتا وعضو مجلس نواب مينيسوتا وعضو مجلس النواب الأمريكي.

### مخطط الكون وفقاً لليونان والرومان

صعوداً عبر المجال الملهب  
لهاديس، ومجالات الماء، والأرض،  
والهواء، والقمر، نصل إلى  
ميركوري. فوق عطارده يوجد  
كوكب الزهرة والشمس والمريخ  
والمشتري وزحل، وتحتوي الطبقة  
الأخيرة على الأبراج السماوية. فوق  
قوس السماوات (زحل) نجد  
مسكن القوى المختلفة التي  
تتحكم في الكون. يتكون المجلس  
الأعلى للآلهة من اثني عشر آلهة -  
سبعة رجال وست إناث - والتي  
تتوافق مع العلامات الإيجابية  
والسلبية للبروج. الذكور الأرباب  
هم: جوبيتر، فولكان، أبولو،  
مارس، نبتون، وميركوري. الآلهة  
الست الإناث هن: جونو، سيريس،  
فستا، مينيرفا، فينوس، وديانا.  
يعتلي جوبيتر نسرته كرمز لسيادته  
على العالم، ويستوي جونو على  
الطاووس، وهو الرمز المناسب



للخيلاء والمجد.

عند التمعن في وصف أفلاطون لأطلنطس، يبدو بشكل واضح أن القصة لا ينبغي أن تعتبر تاريخية بالكامل، بل لا بد أن تعامل كمجازٍ وتاريخ على حد سواء. فَرَفُورِيُوس، بَرَقْلِس، امبليخوس، سوريانس<sup>(1)</sup>، أدركوا أن القصة قد أخفت سر فلسفة عميقة، ولكنهم اختلفوا في تفسيرها الفعلي. ترمز أطلنطس كما يرى أفلاطون للطبيعة المزدوجة لكل من الكون والرجل؛ ملوك أطلنطس العشرة يمثلون تيتراكتيس (مثلث يحتوي على 10 نقاط في أربعة أعمدة)، أو أرقام، والذين ولدوا على شكل خمسة أزواج من الأضداد. فتحكم الأعداد من 1 إلى 10 كل مخلوق وكل رقم، وفي المقابل تقع هي تحت سيطرة الموناد، أو 1 - الاقدم بينها. (راجع ثيون<sup>(2)</sup> الأزميري لتعاليم فيثاغورث عن الأضداد).

لقد سيطر الملوك العشرة على سكان الجزر السبع الصغيرة والثلاث الكبيرة والتي تشكل أطلنطس عن طريق رمح بوسيدون ثلاثي الرؤوس. فلسفياً، ترمز تلك الجزر العشرة إلى قوى الثلاث للإله الأعلى والسبعة أوصياء الذين يركعون عند عرشه الأزلي. إذا افترضنا أن أطلنطس تمثل النموذج المثالي، فهي تدل على انحدار الحكمة، والوعي إلى عالم الوهم الزائل، للجهل اللا عاقل والفاني. وتعلي كل من غرق أطلنطس والقصة التوراتية "هبوط الانسان" من شأن التعقيد الروحي، كشرط أساسي لتطور الوعي.

لقد استخدم أفلاطون أطلنطس كرمز، لكن هذا لا يعني ضمناً أن أطلنطس هي مجرد أسطورة، ولكنه سيتغلب على أهم عقبة أمام قبول نظرية أطلنطس، وهي الأرقام المذهلة المتعلقة بها من حيث الحجم، والمظهر، وتاريخ الدمار - 9500 - قبل الميلاد. في وسط الجزيرة الوسطى لأطلنطس يقع الجبل الشاهق، والذي خيم ظله على ما يوازي مساحة

(1) سوريانس هو فيلسوف أفلاطوني محدث. خلف فلوطرخس في مدرسة أثينا سنة 431 - 432 بعد الميلاد.

(2) ثيون الأزميري: فيلسوف أفلاطوني رياضي وفلكي. أهم آثاره: «عرض الأمور الرياضية المفيدة في قراءة أفلاطون» - وقيمة الكتاب ترجع إلى النقول العديدة التي أوردها الأزميري عن مصادر قديمة مفقودة.

خمسة آلاف من الملاعب، ولامست ذروته مجال الأثير. على قمة الجبل المقدس ينتصب معبد الآلهة، ما أدى إلى ظهور قصص الأولمب، ميرو وأسجارد. مدينة البوابات الذهبية - عاصمة أطلنطس - والتي ما تزال محفوظة بين العديد من الديانات، والتي تعرف بمدينة الآلهة أو المدينة المقدسة. انها النموذج الأصلي للقدس الجديدة، بشوارعها المرصوفة بالذهب وبواباتها الإثني عشر المرصعة بالأحجار الكريمة.

تاريخ أطلنطس كما يقول أغناطيوس دونيلي، هو مفتاح الأساطير اليونانية. ولا يوجد شك في أن الآلهة اليونانية كانت من البشر، فالميل لإرفاق الصفات الإلهية لحكام الأراضي الكبيرة، كان مغروساً في أعماق الطبيعة الإنسانية.

ويستند نفس المؤلف لدعم وجهة نظره، بالإشارة إلى أن الآلهة اليونانية لم يكن ينظر إليها على أنها هي من صنعت الكون، بل إنها بحكم النصوص القديمة كانت وصية عليه. إن جنة عدن التي أخرج منها البشر بحد السيف المشتعل، ربما تشير إلى الجنة الدنيوية التي تقع غرب أعمدة هرقل والتي دمرتها الكوارث البركانية. ويمكن إرجاع أسطورة الطوفان إلى غرق أطلنطس بالمياه التي غمرت العالم.

فهل كل المعرفة الدينية، والفلسفية، والعلمية التي كان يمتلكها كهنة العصور القديمة، كانت مستمدة من أطلنطس، ولكن طمست الأيام كل آثارها، ولم تبقى أثراً لذلك العالم المتقدم الغارق؟ لتتذكر أن طقوس عبادة الشمس عند الأطلنطيين تشبه الطقوس المسيحية والوثنية، وكان كل من الصليب والثعبان يمثلان شعار آلهة الحكمة عند الأطلنطيين. كما يمكنك أن تجد ضمن آلهة المايا في أمريكا الوسطى أسلافها الأطلنطيين، في بريق ثعبان البحر ذو الريش الأخضر والأزرق السماوي المدعو كوسوماتز. وجاء ظهور الحكماء الستة السماويين كمراكز للضوء تربطهم توليفة مع الحاكم السابع والرئيس لنظامهم - الثعبان المجنح. ان تعبير المجنح أو المكسو بالريش ينطبق على قوتزاكوتال، ويشبه كوكولكان، آلهة أمريكا الوسطى. وفي مركز أطلنطس وجد معبد ديانة الحكمة، وهو معبد عظيم هرمي الشكل، يقع على هضبة مرتفعة في وسط مدينة البوابات الذهبية. من هنا انطلق كهنة الريش المقدس حاملين معهم مفاتيح الحكمة الكونية إلى أقاصي الأرض.

إن أساطير العديد من الأمم تحتوي على قصص الآلهة التي " خرجت من البحر "، بعض الشامان بين الهنود الأمريكيين، يروون أن رجالاً مقدسين ارتدوا ريش الطيور وقلائد الوامبم (قلائد من الخرز صنعها هنود أمريكا) قد جاءوا من وسط البحر الأزرق ليرشدوهم في الفنون والحرف اليدوية. من بين أساطير الكلدانيين هناك أوانيس<sup>(1)</sup>، المخلوق البرمائي الذي خرج من البحر وعلم الشعوب على طول الساحل القراءة والكتابة، وحرث التربة، وزراعة الأعشاب للعلاج، ودراسة النجوم، وتأسيس نظام منطقي وعقلاني للحكم، والإمام بالأسرار المقدسة. عند المايا، قوتزاكوتال، الإله المخلص، والذي يعتقد بعض اللاهوتيين المسيحيين أنه سانت تومس، والذي ظهر من الماء، وبعد أن ثقف الشعب بأساسيات الحضارة، استقل طوفاً هو ثعبان سحري هرباً من غضب إله المرأة النارية، تيزكاتليبوكا.

ألا يمكن أن يكون أنصاف الآلهة هؤلاء، أشباه عزرا، الذين قدموا من البحر كهنة أطلنطس؟ ألم يكن كل إنسان بدائي يتذكر أطلنطس، يمجّد زخرفهم الذهبي، وسمو حكمتهم، ورموزهم المقدسة، الصليب والثعبان. وسرعان ما نُسي أن السفن قد حملتهم، لأن ذوي العقول الساذجة كانوا يعتبرون حتى القوارب خارقة. أينما انتشر الأطلنطيون قاموا ببناء الأهرامات والمعابد على غرار الحرم الكبير في مدينة البوابات الذهبية. وهذا هو أصل الأهرامات في مصر، والمكسيك، وأمريكا الوسطى. حتى الأكمامات في النورماندي وبريطانيا، وبعض حضارات الهنود في أمريكا الوسطى تعود إلى ثقافة مماثلة. في خضم برنامج الأطلنطيين في السيطرة على العالم وتحويله، حصلت الكارثة التي أغرقت أطلنطس. أما كهنة الريش المقدس الذين أقسموا على العودة للمستوطنات التبشيرية لم يعودوا أبداً، وبعد مرور القرون، حفظت التقاليد حكايا عن الآلهة العظيمة التي جاءوا بها من المكان الذي أصبح مجرد بحر الآن.

(1) الاسم اليوناني لما يسمى بالأكدية أبكال، وهم حسب الميثولوجيا السومرية حكماء السماء السبعة وهم نصف آلهة خلقهم الإله السومري انكي، وهم المسؤولون عن خلق الثقافة والحضارة في سومر والشعوب الأخرى، وكذلك هم الكهنة الرئيسيون للإله انكي كبير الآلهة السومرية، وهم المستشارين الرئيسيين له، وهم حسب الاسطورة السومرية من حثوا الإله انكي كبير الآلهة السومرية على حدوث الطوفان في أرض سومر وذلك لإغراق البشرية.

ولخصت هيلينا بتروفنا بلافاتسكي<sup>(1)</sup> الأسباب التي عجلت بكارثة أطلنطس:

" في ظل تعليمات الشر من شيطانهم، ذافيتات، تحول العرق الأطلنطي إلى أمة من السحرة الأشرار. ونتيجة لهذا، أعلنت الحرب، والقصة أطول من أن نرويها كاملة، لكن مضمونها قد يكون في الرموز المشوهة لقابيل، العمالقة، ولنوح وعائلته الصالحة. وانتهى الصراع بغرق أطلنطس، ونرى محاكاة ذلك من خلال تقاليد القصص البابلية وفسيفساء الطوفان: العمالقة والسحرة، كلهم ماتوا، كما جميع الرجال. ما عدا نوح وزيوسودر<sup>(2)</sup>، اللذان يطابقان إلى حد كبير الأب العظيم ثلينكيثين في كتاب بوبول فو<sup>(3)</sup>. أو الكتاب المقدس لشعب غواتيمالا، والذي يحكي قصة هروبه في قارب كبير، مثل نوح الذي يدعى عند الهندوس، فايوسافاتا".

لم يتبق فقط للعالم من أطلنطس التراث، الفنون، الحرف اليدوية، والفلسفات، الأخلاق والأديان، لكن ورث العالم منهم الحروب والكراهية والشذوذ. وبعد تحريض أطلنطس على الحرب الأولى، قيل إن كل الحروب اللاحقة شنت في محاولة فاشلة من أجل تبرير الحرب الأولى وتصحيح الخطأ الذي تسببت به. قبل غرق أطلنطس، قام المتنورون الروحانيون بهجرها، لأنهم أدركوا مصير بلادهم لابتعادها عن درب النور. ومن القارة المنكوبة، حملوا معهم العقيدة المقدسة السرية والتي أنشأت أطلنطس نفسها من جديد في مصر، حيث أصبح المتنورون "الآلهة" أول حكامها.

<sup>(1)</sup> هيلينا بتروفنا بلافاتسكي (1831 - 1891) روحانية ثيوصوفية ومؤلفة ورحالة. فقد سافرت حول العالم ثلاث مرات. أسست مع الكولونيل أولكوت الجمعية الثيوصوفية.

<sup>(2)</sup> زيوسودرا (2900 قبل الميلاد) المدرج في قائمة ملوك سومر كأخر ملك لسومر قبل الفيضان الكبير. ثم تم تسجيله كبطل لأسطورة الخلق السومرية.

<sup>(3)</sup> البوبول فو، كتاب النصيحة، عبارة عن مجموعة من القصص الأسطورية والتاريخية لشعب الكيتشي؛ الشعب الغواتيمالي للمايا الذي يمثل أكبر كثافة سكانية. يعد الكتاب ذو قيمة تاريخية وروحية عظيمة، سُمي عن طريق الخطأ، الكتاب المقدس لشعب المايا الكيتشي.

ملاك القول، كل علوم الكون العظيمة وأساطيره التي تشكل الأساس لمختلف الكتب المقدسة  
حول العالم تستند على سر أطلنطس تقريباً.

## أسطورة الإله الميت

تعد أسطورة تموز وعشتار واحدة من أقدم الأمثلة على رمزية الإله الميت، والتي تعود على الأرجح إلى ما قبل الألف الرابع قبل الميلاد ( كتاب الآشوريين والبابليين للويس سبينس<sup>(1)</sup>). ونظراً لحالة الألواح الطينية المزرية التي نقشت عليها طقوس تموز، فإنه من المستحيل معرفة كل شيء عنها. ونظراً لكونه إله الشمس باطنياً، لم يشغل "تموز" موقعاً بين الآلهة العليا التي يبجلها البابليون، والذين عاملوه باعتباره إلهاً للزراعة أو روحاً نباتية نظراً لعدم وجود معرفة أعمق عنه. في الأصل وصف على أنه أحد حراس بوابات العالم السفلي. ومثل العديد من الآلهة - المخلصة، يشار إليه باسم " الراعي " أو " إله سدة الراعي ". كما يحتل تموز موقعاً مميزاً كابن وزوج عشتار، الإلهة البابلية والآشورية. كانت عشتار الإلهة الأكثر تمجيداً على نطاق واسع في بانثيون الآلهة البابلية والآشورية، وكانت على الأرجح تتطابق مع عشتروت، وأفروديت. إن قصة نزولها إلى العالم السفلي بحثاً عن الإكسير المقدس الذي يمكن له وحده أن يعيد تموز إلى الحياة هو مفتاح طقوس أسرارها. مات تموز، الذي أقيم احتفاله السنوي قبل الانقلاب الصيفي مباشرة، في منتصف الصيف في الشهر القديم الذي حمل اسمه، وندب بمراسم مسهبة. طريقة موته غير معروفة، لكن بعض الاتهامات التي وجهها إيزدوبار (نمرود) ضد عشتار تشير إلى أنها، وبشكل غير مباشر على الأقل، ساهمت في ملاقاته لحتفه. كانت طقوس بعث تموز مناسبة لفرح عظيم، حيث عومل باعتباره " مخلصاً " لشعبه.

بأجنحة هائلة، عشتار، ابنة سين (القمر)، تنزل إلى الأسفل وصولاً إلى بوابات الموت. يوصف بيت الظلام - مسكن الإله إيركالا - بأنه " مكان اللاعودة ". لا ضوء فيه؛ قوت ساكنيه الغبار

(1) لويس سبينس ( 1874 – 1955 ) صحفي، ومعجمي، ولغوي، وشاعر، ومؤرخ، ومؤلف، وكاتب، ودارس أساطير من المملكة المتحدة.



وغذائهم الطين. على قفل باب مسكن إيركالا تبعثر الغبار، وغطي حرس المسكن بريش مثل الطيور. طلبت عشتار أن يفتح الحراس البوابات، وإلا ستحطم البوابات، ليبعث الموتى ويفترسوا الأحياء. يتوسل حرس البوابات أن تتحلى بالصبر، ليذهبوا إلى ملكة هاديس والتي يؤمنون منها تصريحاً بدخول عشتار، ولكن بنفس الطريقة التي دلف فيها غيرها إلى هذا المنزل الكئيب. تهبط عشتار من خلال البوابات السبع المؤدية إلى أدنى أعماق العالم السفلي. عند البوابة الأولى يرفع التاج الكبير عن رأسها، وعند البوابة الثانية تنزع الأقراط المتدلّية من أذنيها، وعند البوابة الثالثة تزال القلادة من رقبته، وعند البوابة الرابعة تؤخذ الحلي من صدرها، عند البوابة الخامسة يفك الحزام حول خصرها، عند البوابة السادسة تفك الأساور من يديها ورجليها، وعند البوابة السابعة تعرى من العباءة المغطّية لجسدها. تحتج عشتار عندما تنزع عنها حليها وملابسها، لكن الحراس يعلمونها بأن هذه هي تجربة كل من يدخل مجال الموت المؤلم. حانقة عند مشاهدة عشتار، تُلقق عشيقه هاديس بها، كافة أنواع المرض وتسجنها في العالم الآخر.

وبما أن عشتار تمثل روح الخصوبة، فإن خسارتها تمنع نضج المحاصيل واكتمال الحياة كلها على الأرض.

في هذا الصدد، تتوازي القصة مع أسطورة بيرسيفوني. الآلهة، مدركين بأن فقدان عشتار يشوش كل الطبيعة، يرسلون رسولاً إلى العالم السفلي ويطالبون بإطلاق سراحها. أُجبرت عشيقه هاديس على الامتثال، وسكب ماء الحياة على عشتار. وهكذا شُفيت من العيوب التي أصابتها، ثم تتجه إلى الأعلى عبر البوابات السبعة، حيث تعاد إلها حليها وثيابها التي أزالها الحراس. (انظر رواية سفر التكوين الكلدانية). لا يوجد سجل بأن عشتار حصلت على ماء الحياة الذي كان من شأنه أن يؤدي إلى بعث تموز.

ترمز أسطورة عشتار إلى انحدار الروح الإنسانية عبر العوالم السبعة، أو أجواء الكواكب المقدسة حتى النهاية، محرومة من زخارفها الروحية، لتتجلى في الجسد المادي - هاديس - لترمي عشيقه ذلك الجسد بكل شكل من أشكال الحزن والبؤس على الوعي المغلول. مياه الحياة - العقيدة السرية - تشفي من أمراض الجهل. والروح، متسامية مرة أخرى إلى مصدرها الإلهي، تستعيد الزينة التي وهبت لها، بينما ترتفع عبر حلقات الكواكب.

طقوس أخرى للأسرار عند البابليين والآشوريين هي طقوس مردوخ والتنين. مردوخ خالق الكون السفلي، يذبح وحشاً فظيماً ويشكل الكون من جسده. وهذا هو المصدر المرجح للرواية المسيحية عن سانت جورج والتنين.

أسرار أدونيس، أو أدوني، احتفل بها سنوياً في مصر وفينيقيا وبيلوس. اسم أدونيس، أو أدوني، يعني " الرب " وكان اسماً للشمس واستعاره اليهود لاحقاً كاسم أجنبي لإلههم. حولت الآلهة سميرنا، والدة أدونيس، إلى شجرة، وبعد فترة من الزمن انفجر اللحاء وظهر الرضيع المخلص. وفقاً لإحدى الروايات، فقد حرره خنزير بري والذي قام بتقطيع لحاء الشجرة الأم بأنيابه. ولد أدونيس في منتصف ليلة 24 ديسمبر، وبموته المحزن، تأسست طقوس غامضة أدت إلى إنقاذ شعبه. في شهر تموز اليهودي (اسم آخر لهذا الإله)، نطحه حتى الموت خنزير بري أرسله الإله أرس (مارس). تعد الأدونيسية مراسم عزاء الإله المقتول مبكراً.

في سفر حزقيال الثامن، كتب أن النساء كن يبكين (أدونيس) عند البوابة الشمالية لمسكن الرب في القدس. يقول السير جيمس جورج فريزر<sup>(1)</sup> ما يلي:

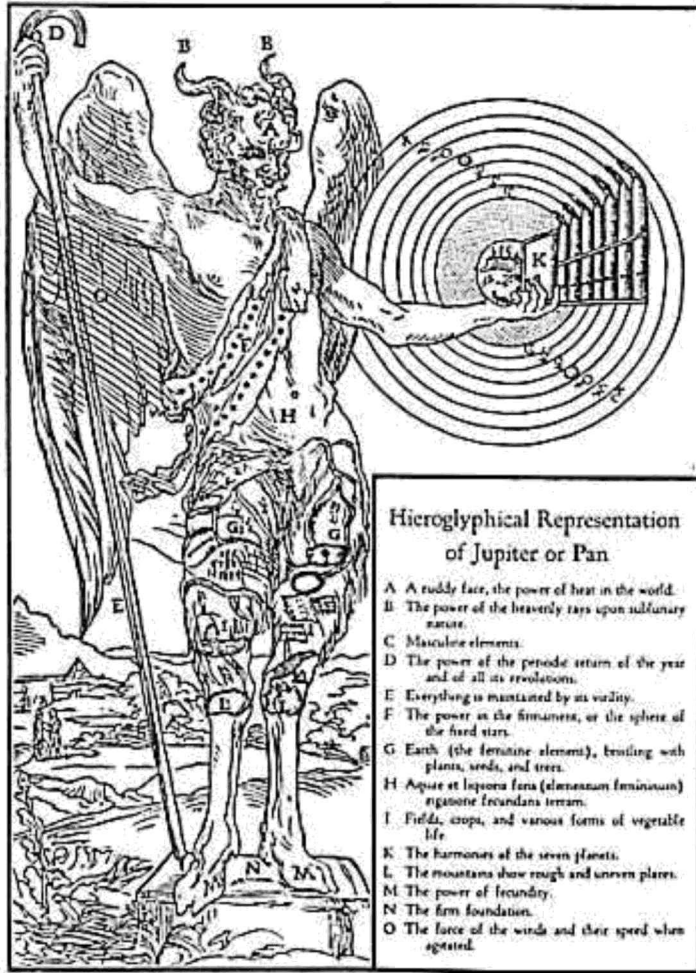
"يخبرنا أن بيت لحم التي كانت مسقط رأس الرب تقليدياً، هي بستان يظله ذلك الرب السوري الأقدم، أدونيس، وأنه عندما بكى الطفل يسوع، ندب حبيب فينوس ". (انظر الغصن الذهبي).

كما يقال إن دمياً للخنزير البري قد نصبت على أحد أبواب القدس تمجيداً لأدونيس، واحتفل بطقوسه في مغارة المهد في بيت لحم. أدونيس كرجل (أو " إله ") " قد نطح " هو أحد مفاتيح استخدام السير فرانسيس بيكون لـ " الخنزير البري " في رموزه الخفية.

(1) جيمس جورج فريزر ( 1854 - 1941 ) عالم انثروبولوجيا إسكوتلندي كبير. ألف كتابه المشهور والضحيم " الغصن الذهبي " وهو عبارة عن دراسة في السحر والدين ( 1890 ). وضح فيه إن كثيراً من الاساطير والشعائر الدينية أصلها منذ أيام ظهور الزراعة في عصر ما قبل التاريخ. وأن التطور العقلي البشري مر بثلاث مراحل: السحر البدائي، والدين، والعلم.

## بان، الإله العظيم

احتفل بيان العظيم باعتباره مؤلف ومخرج الرقصات المقدسة التي يفترض أن يكون قد أنشأها لترمز إلى طواف الأجسام السماوية. كان بان مخلوقاً مركباً، جزءه العلوي - باستثناء قرونيه - كان إنسانياً، وجزءه السفلي على شكل كبش. يعتبر بان نموذجاً أولياً للطاقة الطبيعية، وعلى الرغم من كونه قبيحاً بلا شك، لكن لا ينبغي الخلط بينه وبين بريابوس. تشير الهارمونيك التي يحملها بان إلى الانسجام الطبيعي للمجالات السماوية، كما أن الإله نفسه هو رمز لجوبيتر لأن هذا الكوكب يتوج في برج الجدي، والذي شعاره الكبش. انضم المصريون



لأسرار بان، والذي كان يعتبر مرحلة من جوبيتر، ديمورجوس. مثل بان قوة الإلقاح للشمس وكان رئيساً لآلهة الحشد الريفي والساتيار<sup>(1)</sup>. كما أشار إلى الروح المسيطرة للعوالم الدنيا. وهنا لا بد من ذكر القصة الملفقة التي مفادها: أنه عند ولادة المسيح أسكتت العرافات بعد أن صرخن لأخر مرة: "لقد مات بان العظيم!"

(1) الساتيار هو روح طبيعية مذكرة مع أذنين وذيل يشبه ذيل الحصان، عرف بميوله الهيمنية الشديدة.

كان أدونيس في الأصل إلهاً مخنئاً يمثل الطاقة الشمسية التي أودى بها مبدأ البرد الشرير في فصل الشتاء - الخنزير. بعد ثلاثة أيام (شهور) في القبر، بعث أدونيس منتصراً في اليوم الخامس والعشرين من شهر مارس، وسط تهليل كهنته وأتباعه، "قام!" حيث ولد أدونيس من شجرة المر. كان المر، رمز الموت لصلته بعملية التحنيط، أحد الهدايا التي جلبها المجوس الثلاثة لمذود<sup>(1)</sup> يسوع.

في أسرار أدونيس، مر المبتدئون بالموت الرمزي للإله، وبعثوا بواسطة "الكهنة"، ليدخلوا في حالة الخلاص المباركة التي أصبحت ممكنة بسبب معاناة أدونيس. يعتقد جميع المؤلفين تقريباً أن أدونيس كان في الأصل إلهاً نباتياً مرتبطاً مباشرةً بنمو الزهور والفواكه ونضوجها. وإثباتاً لوجهة النظر هذه، يصفون "حداثق أدونيس"، وهي قطع صغيرة من الأرض، تزرع فيها البذور وترعى لثمانية أيام، وبعد موت تلك النباتات قبل الأوان بسبب عدم وجود ما يكفي من الأرض، اعتبرت رمزاً لأدونيس المقتول وعادةً ما تلقي في البحر مع صور للإله.

في فريجيا، وجدت مدرسة مميزة للفلسفة الدينية تركزت حول حياة ومصير إله مخلص آخر يعرف باسم أتيس، أو أتيس؛ والذي يعد من قبل كثر مرادفاً لأدونيس. وُلد هذا الإله في منتصف ليل اليوم الرابع والعشرين من شهر ديسمبر. وهناك روايتين حول موته؛ في الأولى نُطح حتى الموت مثل أدونيس؛ وفي الثانية قام بخصي نفسه تحت شجرة صنوبر حيث قضى هناك، ثم نقلت الأم العظيمة سيبييل جسده إلى كهف، حيث بقي على مر العصور دون أن يتحلل. إن العالم الحديث مدين برمزية شجرة عيد الميلاد لطقوس أتيس. نقل أتيس خلوده إلى الشجرة التي قضى تحتها، وأخذت سيبييل الشجرة معها عندما نقلت الجسد. بقي أتيس ثلاثة أيام في القبر، وبعث في موعد يتوافق مع ضحى عيد الفصح، وتغلبت هذه القيامة على موت جميع من انضم إلى أسرار.

(1) "فولدت أبناً البكر وقمطته وأضجعت في مذود، لأنه كان لا محالَ لهما في الفندقي" (لوقا 2: 4-7)، ومن محل ولادة المسيح، أصبح المذود أشهر مظاهر المسيحيين للاحتفال بعيد الميلاد كل عام. وتأتي كلمة مذود في اللغة العربية بمعنى المكان الذي يوضع فيه علف الدواب، بمعنى "معلف الدابة".

يقول يوليوس فيرميكوس<sup>(1)</sup>: في أسرار الفريجيين، التي يطلق عليها اسم أم الآلهة، يتم قطع شجرة صنوبر كل عام وفي داخل الشجرة، توضع صورة شاب! في أسرار إيزيس، تقطع شجرة صنوبر، ويفرغ وسط الجذع بشكل جيد؛ ويصنع صنم لأوزوريس المصنوع من تلك القطع ويدفن، وفي أسرار بروسربينا توضع قطع الشجرة معاً على شكل تمثال ممثلاً العذراء، وعندما يحمل داخل المدينة، يندب لأربعين ليلة، لكن في الليلة الأربعين تُحرق! " (انظر أسرار أدونيس، صامويل فيلز).

شملت أسرار أتيس وجبة سرية أكل خلالها المرشح من الطبل وشرب من الصنج. وبعد أن يعتمد بدم الثور، يطعم المنضم الجديد بالكامل على الحليب، رمزاً إلى أنه لا يزال رضيعاً فلسفياً، لكنه وُلد مؤخراً من مجال المادية. (انظر فريزر، الغصن الذهبي). هل هناك صلة محتملة بين هذا النظام الغذائي في هذه الأسرار، وذلك الذي يلمح إليه القديس بولس كغذاء للأطفال الروحيين؟ يعطي سالوست<sup>(2)</sup> مفتاح التفسير الباطني لطقوس أتيس؛ تشير سبيل الأم العظيمة، إلى القوى المحركة للكون، وأتيس لذلك الجانب من الفكر الروحي المعلق بين المجالات الإلهية والحيوانية. أعطته الآلهة الأم، المحبة لأتيس، قبعة مليئة بالنجوم، ما يدل على قوى سماوية، لكن أتيس (الجنس البشري) وقع في حب حورية (رمزاً للميول الحيوانية الدنيا)، فخرس ألوهيته وفقد قدراته الإبداعية. من الواضح أن أتيس يمثل الوعي الإنساني وأن أسرارهم تهتم بإعادة ظهور القبعة المرصعة بالنجوم.

كانت طقوس سابزيوس مشابهة جداً لطقوس باخوس، ويعتقد عموماً أن الإلهين متطابقين. ولد باخوس في سابزيوس، أو ساباوث، وكثيراً ما نودي بهذه الأسماء. جرت أسرار سابزيوس في الليل، وشملت الطقوس زحف ثعبان حي على صدر المرشح. يكتب كليمنت الإسكندراني: "إن

(1) كان يوليوس فيرميكوس كاتباً لاتينياً ومنجماً بارزاً، تلقى تعليماً كلاسيكياً وثنياً جعله على دراية باللغة اليونانية. عاش في عهد قسطنطين الأول (306 إلى 337 م) وخلفائه. جعلته مهنته محامياً عن العامة ومنجماً وأخيراً مدافعاً عن المسيحية.

(2) المؤرخ سالوست: (86 ق.م - 34 ق.م) ينتمي إلى أسرة من العامة، أيد يوليوس قيصر، وكان من المعجبين بالقنصل غايوس ماريوس، أصبح عضواً في مجلس الشيوخ، وطرد منه عام 50 ق.م بتهمة أخلاقية. تولى حكم ولاية أفريقا الجديدة التي كونها قيصر من الأراضي المنتزعة من مملكة يوبا في 45 ق.م.

رمز الأسرار السابازية عند البدء هو إله يزحف على الصدر ". كان الثعبان الذهبي رمزاً لسبازيوس لأن هذا الإله يمثل التجدد السنوي للعالم بواسطة الطاقة الشمسية. استعار اليهود اسم سبوت من هذه الأسرار، واعتمدوه كأحد تسميات إلههم الأعلى. في الفترة التي احتفل فيها بالأسرار السابازية في روما، اكتسبت الطائفة العديد من الأعضاء وأثرت فيما بعد على رموز المسيحية.

وقد اشتهرت أسرار كابري في ساموثراكي بين القدماء، باحتلالها موقعاً بجانب الأسرار الإيلوسية في التقدير العام. يذكر هيرودوت أن أهل ساموثراكي أخذوا عقائدهم، خاصة تلك المتعلقة بعطارد، من البيلاسجيين. لا يُعرف الكثير عن طقوس كابري، لأنها كانت مخفية بأعماق سرية. ينظر البعض إلى كابري على أنها سبعة أعداد ويشار إليها باسم "الأرواح السبعة للنار عند عرش جوبيتر ". يعتقد آخرون أنها كانت تمثل الطائفتين السبعة المقدسين، التي دُعيت في وقت لاحق بالكواكب.

على حين أن عدداً كبيراً من الآلهة يرتبط بأساطير ساموثراكي، فإن الدراما الشعائرية تتركز حول أربعة أشقاء. الثلاثة الأول: أشيروس، أشيشيرسوس، أشيشيرسا، الذين هاجموا وقتلوا الرابع - كاشمالا (أو كادميلوس). يحدد ديونيسيدوروس أشيروس بكونه ديمتر، وأشيشيرسوس بكونه بلوتو، وأشيشيرسا ببيرسيفوني، وكاشمالا مع هيرمس. يلاحظ ألكساندر وايلدر أنه في طقوس ساموثراكي تم تصميم كادميلوس ليشمل إله طيبة الثعبان المجنح، وكادموس تحوت مصر، وهيرمس من الإغريق، أسقليبيوس الاسكندراني والفينيقي. وهنا ثانية تتكرر قصة أوزوريس، باخوس، أدونيس، بالدر، وحيرام أبي. كما شاركت عبادة أتياس وسيبيل أيضاً في أسرار ساموثراكي. في طقوس كابري، يمكن تتبع أحد أشكال عبادة شجرة الصنوبر، لأن هذه الشجرة المقدسة لأتياس، شذبت أول مرة على شكل صليب ثم قطعت تكريماً للإله المقتول الذي اكتشف جسده في قدمها.

يقول كليمنت: " إذا كنت ترغب في فحص عريضة كوريبانتس، فاعرف أنه وبعد قتل الأخ الثالث، قاموا بتغطية رأس الجثة بقطعة قماش أرجوانية، وتوجوها، وحملوها على رؤوس الرماح، ثم دفنوها تحت أقدام الأوليمبوس. هذه الأسرار باختصار، جرائم قتل وجنازات. [هذا الأب الذي يعود للمسيحية المبكرة، وفي جهوده لتشويه الطقوس الوثنية يتجاهل على

ما يبدو حقيقة أن يسوع المسيح كان، مثل الشهيد الكابيرياني، قد تعرض للخيانة والتعذيب والقتل في النهاية<sup>[1]</sup> وكهنة هذه الطقوس، الذين يطلق عليهم ملوك الطقوس المقدسة من قبل أولئك الذين مهتهم التسميات، يصفون غرابة إضافية للحدث المأساوي، بمنع البقدونس غير مقصوص الجذور من أن يوضع على الطاولة، لأنهم يعتقدون أن البقدونس قد نما من دم كوريبانتس الذي سال، مثلما امتنعت النساء عند الاحتفال بسمورافيا عن تناول بذور الرمان، التي سقطت على الأرض، لأن الرمان قد انبثق من دم ديونيسوس<sup>2</sup>.

قسمت أسرار كابري إلى ثلاث درجات، احتفل أولها بموت كاشمالا على أيدي إخوته الثلاثة؛ والثاني باكتشاف جسده المقطع، حيث تم العثور على أجزاء منه والتي جمعت بعد الكثير من العناء؛ والثالث - يرافقه فرحة وسعادة عظيمة - قيامته وما تلاها من خلاص العالم. لقد احتوى معبد كابري في ساموثراكي على عدد من الآلهة الغريبة وكثير منها ليست سوى مخلوقات مشوهة تمثل القوى الطبيعية للطبيعة، وربما جبابرة باخوس. وقد باشر الأطفال في عبادة كابري بنفس الشرف مثل البالغين، كما كان المجرمون الذين وصلوا إلى الحرم في مأمن من الملاحقة. لقد عنيت طقوس ساموثراكي بالملاحقة، ديوسكوري - كاستور وبولكس، أو آلهة الملاحاة - هم من بين أولئك الذين استفزهم أفراد تلك الطائفة. وبناءً على نصيحة أورفيوس، توقفت بعثة أراغون في جزيرة ساموثراكي، بغرض انضمام أعضائها إلى طقوس كابري.

يروي هيرودوت أنه عندما دخل قمبيز<sup>(1)</sup> معبد كابري، لم يكن بمقدوره كبح ابتهاجه عندما رأى أمامه تمثال رجل يقف منتصباً، وفي مواجهة الرجل، تمثال امرأة تقف على رأسها. لو عرف قمبيز مبادئ علم الفلك الإلهي، لكان أدرك أنه يقف في حضرة مفتاح التوازن العالمي. يقول فولتير: "أنا أسأل، من هم هؤلاء الهيروفان، هؤلاء الماسونيين القدامى، الذين احتفلوا بأسرارهم القديمة في ساموثراكي، ومن أين أتوا هم وآلهتهم كابري؟" يتحدث كليمنت عن أسرار كابري بأنها "سر أخ مقدس قُتل على يد إخوته"، و "موت كابري" كان أحد الرموز السرية للعصور القديمة. وهكذا فإن رمزية الذات التي قتلت على يد غير الذات تتواصل من

(1) قمبيز الثاني ملك الأخمينيين الفُرس ابن قورش العظيم. استولى على مصر سنة 525 قبل الميلاد وحكم لمدة أربع سنوات. لقب بالألقاب المصرية القديمة مثل ملك الشمال والجنوب وابن رع واتخذ لنفسه لقب حورس موحد الأرضين.

خلال التصوف الديني لجميع الشعوب. الموت الفلسفي والقيامة الفلسفية هما الأسرار الصغرى والكبرى على التوالي.

هناك جانب مثير للفضول لأسطورة الإله الميت وهو الرجل المشنوق. يعثر على أهم مثال لهذا المفهوم الغريب في طقوس أودين حيث شنق أودين نفسه لمدة تسع ليال على فروع الشجرة الكونية وفي نفس الوقت طعن جانبه أيضاً بالرمح المقدس. نتيجة لهذه التضحية العظيمة، اكتشف أودين، بينما كان مشنوقاً في أعماق موطن نيفل، عن طريق التأمل الرونية أو الحروف الهجائية التي حفظت سجلات شعبه. بسبب هذه التجربة الاستثنائية، يظهر أودين أحياناً جالساً على شجرة المشنقة، ثم أصبح الإله الراعي لكل الذين ماتوا بسبب الاختناق. باطنياً، فالرجل المشنوق هو الروح الإنسانية التي علقت من السماء بخيط واحد. الحكمة، وليس الموت، هي المكافأة على هذه التضحية الطوعية التي تُكافأ خلالها الروح الإنسانية، المعلقة فوق عالم الوهم، والمتأمل في عالم الزيف، تُكافأ بمعرفة النفس.

بإمعان النظر في كل هذه الطقوس القديمة والسرية، أصبح من الواضح أن سر إله الموت كان عالمياً بين الجماعات المتنورة والمبجلة للتعاليم المقدسة. لقد استمرت هذه الأسرار في المسيحية في صلب وموت الإله يسوع المسيح. يجب إعادة اكتشاف الاستيراد السري لهذه المأساة العالمية والشهيد العالمي إذا أرادت المسيحية الوصول إلى الذرى التي بلغها الوثنيون أيام تفوقهم الفلسفي. أسطورة الإله الميت هي مفتاح الخلاص والتجديد الفردي والعالمي على حد سواء، وأولئك الذين لا يفهمون الطبيعة الحقيقية لهذا الرمز الجليل لا يتمتعون بميزة اعتبار أنفسهم حكماء أو متدينين حقاً.





## حياة وتعاليم تحوت هيرمس مثلث العظمة

قصف الرعد، ومضّ البرق، تمزقت ستائر الهيكل من القمة إلى القاع. رفع البادئ الموقر، بأثوابه الزرقاء والذهبية، عصاه المرصعة بالجوهر ببطء، وأشار بها إلى الظلام الذي كشفه تمزق الستار الحريري:

"ها هو نور مصر!"

حدق المرشح ذو الرداء الأبيض، في السواد الكامل بين عمودين كبيرين تعلوهما زهرة اللوتس حيث كان قد علق الحجاب. بينما كان يراقب، جزيئات مضيئة انتشرت في جميع أنحاء الهيكل، حتى كأن الهواء كله كان كتلة من جزيئات تنوهج نوراً. أنار التوهج الناعم وجه المبتدئ، الذي قام بمسح السحابة المتألئة بحثاً عن جسم ملموس. تحدث البادئ مرة أخرى:

"هذا النور الذي تراه هو النور السري للأسرار. لقد أتى من حيث لا يعرف أحد، إلا سيد النور. ها هو!"

فجأة، من خلال الضباب اللامع ظهر شخص، محاط بلمعان مخضر وامض. أخفض البادئ عصاه، ووطأ رأسه، ووضع يده على صدره محيياً بتواضع. تراجع المبتدئ مرة أخرى والرغبة تلفه، أعماه جزئياً نور الشخص الذي تكشف. ثم اكتسب الشجاعة، حدق الشاب مرة أخرى في الواحد الإلهي. كان التشكل أمامه أكبر بكثير من شكل الإنسان الفاني. بدا الجسم شفافاً جزئياً بحيث يمكن رؤية القلب والدماغ نابضين ومشعين. وبينما راقب المرشح، استحال

القلب إلى طائر أبو منجل، والدماع إلى زمرد وامض. حمل هذا الكائن الغامض في يده صولجاناً  
مجنحاً، مجدولاً من ثعابين. صاح البادئ المسن، رافعاً عصاه، بصوت عالٍ:

"جميعهم يسبحونك، تحوت هيرمس، ثلاثي العظمة؛ جميعهم يهللون لك، أمير الرجال؛  
جميعهم يهللون لك أيها الواقف على رأس تايفون<sup>(1)</sup>!"

في نفس اللحظة، ظهر تنين هائل غاضب - وحش بشع، جزء منه ثعبان، وجزء منه تمساح،  
وجزء منه خنزير - من فمه والخياشيم قذف اللهب، وتردد صدى الأصوات الرهيبة عبر الغرف  
المقببة. فجأة، ضرب هيرمس الزاحف المتقدم بصولجانه، فجرح الثعبان وسقط التنين على  
جانبه يعلو صراخه، على حين تلاشت النيران حوله ببطء. وضع هيرمس قدمه على رأس  
تايفون المهزوم. عندها دفعت أشعة الخالد التي لا تحتل المبتدأ إلى الورا مصعوقاً ليرتطم  
بعمود. مرّ هيرمس الخالد، متبوعاً بغمام من ضباب أخضر، عبر الغرفة وتلاشى إلى العدم.

---

(1) تايفون هو وحش ذو مائة رأس حسب الأساطير الإغريقية. أمه غايا وأبوه تارتاروس. وهو أخطر وحوش الأساطير  
الإغريقية. حاول تدمير زوس الذي غلبه وحبسه تحت جبل إتنا.

## المقترحات المتعلقة بهوية هيرمس

صدّق امبليخوس بأن هيرمس كان مؤلفاً لعشرين ألف كتاب؛ زاد مانيتون<sup>(1)</sup> العدد إلى أكثر من ستة وثلاثين ألف (انظر جيمس غاردنر) – أرقام، تؤكد أن الشخص المنفرد، على الرغم من امتلاكه الامتياز الإلهي، لن يستطيع أن ينجز مثل هذا العمل الضخم. من بين الفنون والعلوم التي شُدد على أن هيرمس منحها للبشرية كانت الطب والكيمياء والقانون والفن والتنجيم والموسيقى والبلاغة والسحر والفلسفة والجغرافيا والرياضيات (خاصة الهندسة) والتشريح والخطابة (كما قدم أورفيوس نفس العلوم بالمثل للإغريق).

---

<sup>(1)</sup> مانيتون مؤرخ مصري من مدينة سمند، محافظة الغربية؛ كان كاهناً في عهد الملك بطليموس الثاني "حوالي 280 ق.م الذي كلفه بكتابة تاريخ مصر القديمة. أخذ مانيتون هذه المهمة على عاتقه واعتمد في كتاباته على الوثائق التي خلفتها الحضارة المصرية والتي كانت تضمها دور حفظ الوثائق بالمعابد بالإضافة إلى كل ما وجده في متناول يديه من وثائق الإدارات الحكومية وغيرها. فقدت النسخة الأصلية من تاريخ مانيتون أثناء حريق مكتبة الإسكندرية، ولم يصل من هذا التاريخ إلا مقتطفات نقلها بعض المؤرخين، ومنهم المؤرخ اليهودي يوسفوس في كتابه "الرد على إيبين" الذي حاول أن يدافع فيه عن اليهود ذاكراً أنهم هم الهكسوس الذين غزوا مصر بعد انهيار الدولة الوسطى.

### هيرمس مثلث العظمة.

سيد جميع الفنون والعلوم. متقن كل الحرف، حاكم العوالم الثلاثة، كاتب الآلهة، حارس كتب الحياة، تحوت هيرمس مثلث العظمة – الأعظم ثلاث مرات، " أول ناقل للأخبار ". نظر إليه قدماء المصريين كتجسيد للعقل العالمي. في كل الاحتمالات وجد حقيقة حكيم ومعلم كبير باسم هيرمس، إلا أنه من المستحيل تخليص الرجل التاريخي من كتلة الروايات الأسطورية التي تحاول دمجها بمبدأ الفكر الكوني.



في كتابه سير القدماء، يقول فرانسيس باريت<sup>(1)</sup> عن هيرمس:

" لو تجسد إله في إنسان، فقد تجسد فيه، كما هو واضح من كل كتبه وبويماندريس؛ وفي الأعمال التي بلغت عمقاً لا يقاس، ونقله المعرفة الإلهية للخلف؛ والتي أثبت من خلالها أنه لم يكن فقط مُلهماً إلهياً، ولكنه فيلسوف عميق أيضاً، يتحصل على حكمته من الإله والأشياء السماوية، وليس من الإنسان".

تسببت علومه الباسقة في مطابقته مع العديد من الحكماء والأنبياء الأوائل. في كتابه "الأساطير القديمة"، كتب براينت:

"لقد ذكرت أن قدموس<sup>(2)</sup> كان نفس تحوت المصري؛ والواضح بكونه هيرمس، ومن اخترع الحروف التي تنسب إليه". (في الفصل المتعلق بنظرية فيثاغورث الرياضية، يمكن الاطلاع على حروف قدموس الأصلية).

يعتقد الدارسون بأن هيرمس كان معروفاً لليهود باسم " اينوك، أو ادريس"، ودعاه كينلي "رسول الرب الثاني". انضم هيرمس إلى أساطير الإغريق، وأصبح لاحقاً عطارداً لللاتين. تم تبجيله من خلال شكل كوكب عطارد لأن هذا الكوكب هو الأقرب إلى الشمس: هيرمس من بين جميع المخلوقات كان الأقرب إلى الإله، وأصبح يعرف باسم رسول الآلهة.

في رسوماته المصرية، يحمل تحوت لوح كتابة شمعي، كما أنه الناسخ لوزن أرواح الموتى في قاعة حكم أوزوريس - وهي طقوس ذات أهمية كبيرة. يعتبر هيرمس ذا أهمية قصوى لعلماء الماسونية، لأنه كان مؤلفاً لطقوس الماسونية البدئية، والتي تم استعارتها من الأسرار التي

(1) فرانسيس باريت ولد عام 1170 في لندن، دارس للكيمياء والميتافيزيقيا وفلسفة السحر الطبيعي. كان معروفاً بغرابة الأطوار.

(2) قدموس أو قدموس، في الأساطير الإغريقية هو ابن أجينور ملك صيدا الفينيقي وشقيق أوروبا، التي خطفها زيوس كبير الآلهة اليونانية عندما ظهر لها بشكل ثور أبيض وحملها إلى مملكته ومن ثم تزوجها وأطلق اسمها على الأرض التي تقع غرب اليونان تكريماً لها ومن هنا جاء اسم تلك القارة المعروفة اليوم بقارة أوروبا. أصل الاسم قدموس بالتأكيد فينيقي ويعتقد أن معناه القادم أو بالتحديد القادم من الشرق لكن هذا ليس مؤكداً بدلائل علمية أو لغوية.

أنشأها هيرمس. يمكن القول بأن جميع الرموز الماسونية هرمسية الطابع تقريباً. درس فيثاغورث الرياضيات عند المصريين ومنهم اكتسب معرفته بالمجسمات الهندسية. كما بُجل لإصلاحه للتقويم؛ حيث زاد السنة من 360 إلى 365 يوماً، مما أنشأ سابقة لا تزال سائدة إلى يومنا هذا. لقد منح هيرمس تسمية " مثلث العظمة " لأنه كان يعتبر أعظم الفلاسفة، أعظم الكهنة، وأعظم الملوك. تجدر الإشارة إلى أن آخر قصيدة للشاعر الأمريكي المحبوب، هنري وادزورث لونجفيلو، كانت قصيدة غنائية لهيرمس. (انظر موسوعة تشامبرز).

## متون هيرمس المشوهة

كتب جيمس كامبل براون، حول متون هيرمس، في كتابه "تاريخ الكيمياء":

"ترك الكلدان وقدماء المصريين، بقايا ولكن ليس سجلات، والذين لم ترد إلينا منهم أسماء أي من الكيميائيين أو الفلاسفة، ثم تقترب من الفترة التاريخية، عندما كُتبت الكتب، ليس على الورق، ولكن على البردي. تُنسب سلسلة من الكتب المصرية المبكرة إلى هيرمس مثلث العظمة، الذي قد يكون عالماً حقيقياً، أو قد يكون تجسيداً لسلسلة طويلة من الكتاب. عرّفه البعض بأنه الإله اليوناني هيرمس، وتحوت المصري أو توت، الذي كان إله القمر، ويمثل في اللوحات القديمة برأس أبو منجل مع قرص وهلال القمر. وقد كان المصريون يعتبرونه إله الحكمة والحروف ومسجل الزمان. ونتيجة الاحترام الكبير الذي أبداه الكيميائيين القدماء لهيرمس، فإن الكتابات الكيميائية كانت تسمى "هرمسية"، وأن عبارة "مختومة بإحكام (hermetically sealed)" لا تزال قيد الاستخدام لوصف إغلاق وعاء زجاجي عن طريق الانصهار. كما نجد نفس الجذر في الأدوية الهرمسية لبراكسلوسوس<sup>(1)</sup>، والماسونية الهرمسية في القرون الوسطى."

ومن بين الكتابات المجزأة التي يُعتقد أنها كتبت بقلم هيرمس عملان مشهوران، الأول هو اللوحة الزمردية، والثاني هو بويماندريس الإلهي أو الاسم الأكثر شيوعاً، راعي الرجال. ومن بين النقاط البارزة فيما يتعلق بهيرمس أنه كان واحداً من عدد قليل من الكهنة - الفلاسفة

(1) براكلوسوس: (1493 - 1541) كان كيميائياً وطبيباً ومنجماً وساحراً من عصر النهضة. وكان اسمه عند ولادته فيليب فون هوهنهايم، لاحقاً اتخذ الاسم براكلوسوس، وتعني "مساوي أو أعظم".



الوثنيين الذين لم يصب عليهم المسيحيون الأوائل جام حقدهم. حتى أن بعض آباء الكنيسة ذهبوا إلى حد إعلان أن هيرمس أظهر العديد من علامات الذكاء، وأنه لو كان قد وُلد فقط في عصر أكثر استنارة لكان استفاد من تعاليمهم، ولكان أصبح رجلاً عظيماً حقاً!

في كتابه البُسْط، يقدم كليمنت الإسكندراني - وهو أحد المؤرخين الوثنيين القلائل الذين تم الحفاظ على كتاباتهم حتى هذا العصر - جميع المعلومات التي تُعرف بالأصل الحقيقي للكتب الاثنان وأربعون لهيرمس، والأهمية التي عوملت وفقاً لها هذه الكتب من قبل كل من القوى الزمنية والروحية لمصر. يصف كليمنت أحد مواكهم الاحتفالية على النحو التالي:

"لقد انتهج المصريون فلسفة خاصة بهم؛ والتي تظهر بوضوح في الطقوس المقدسة. في البداية يتقدم المغني، يحمل بعضاً من رموز الموسيقى، ويقال إنه قد توجب عليه أن يتعلم كتابين من كتب هيرمس، يحتوي أحدهما على تراتيل الآلهة، واحتوى الثاني على لوائح حياة الملك. وبعد المغني يتقدم المنجم، حاملاً ساعة في يده، وسعف نخيل، رموز علم التنجيم؛ كما يجب أن يتعلم الكتب الفلكية الأربعة لهيرمس؛ أحدها حول ترتيب النجوم الثابتة المرئية، والآخر يتعلق بالترابطات والمظاهر للشمس والقمر؛ والباقيان يتعلقان بشؤون النجوم. بعد المنجم يتقدم الكاتب المقدس، بأجنحة على رأسه، وفي يده كتاب ومسطرة، وحر الكتابة وقصبة الخط التي يكتب بها؛ ويجب أن يكون على دراية بما يسمى الهيروغليفية، وعلم وصف الكون والجغرافيا، ومواقع الشمس والقمر والكواكب الخمسة؛ ووصف مصر ومخطط النيل، ووصف أدوات الكهنة والأماكن المخصصة لهم، وعن التدابير والأشياء المستخدمة في الطقوس المقدسة. ثم يتبع أولئك جميعاً الخازن بذراع القياس وكأس الوزن، ولا بد أن يكون على دراية بجميع الأمور التعليمية (المتعلقة بالتدريب) والقرايين. هناك أيضاً عشرة كتب تتعلق بالتمجيد الذي قابلوا به آلهتهم، فتحتوي على العبادات المصرية؛ مثل تلك المتعلقة بالتضحيات، بواكير الفاكية، التراتيل، الصلوات، المواكب، المهرجانات، وما شابه. وخلف الجميع يتقدم النبي، مع جرة ماء يحملها في ذراعيه؛ ويتبعه أولئك الذين يحملون أرغفة الخبز. وهو وباعتباره حاكم المعبد، يتعلم الكتب العشرة المسماة "الهيراطيقية"؛ وهي تحتوي كل شيء عن القوانين والآلهة وكل تدريبات الكهنة. لأن النبي بين المصريين، هو أيضاً من يوزع

العائدات. ثم هناك اثنان وأربعون كتاباً لهيرمس ضرورية ولا غنى عنها. منها الستة والثلاثون التي تحتوي على فلسفة المصريين بأكملها والتي تتعلمها الشخصيات المذكورة أعلاه؛ والستة الأخرى هي كتب طبية، يتعلمها كهنة باستفوري (حاملي الصور)، وهي حول علاج الأبدان، والأمراض، والأدوات، والأدوية، وحول العينين، وآخر عن النساء.

واحدة من أعظم مآسي العالم الفلسفية كانت فقدان جميع كتب هيرمس المذكورة أعلاه تقريباً. لقد اختفت هذه الكتب أثناء حرق الإسكندرية، لأن الرومان - وفيما بعد المسيحيين - أدركوا أنه ما لم يتم القضاء على هذه الكتب، فلن يتمكنوا أبداً من إخضاع المصريين. ولاحقاً دفن ما تبقى من مجلدات نجت من الحريق في الصحراء وموقعها معروف الآن لبضع مدارس سرية.

## كتاب تحوت

بينما كان هيرمس يذرع الأرض مع الرجال، عهد إلى خلفائه المختارين بكتاب تحوت المقدس. احتوى هذا العمل على العمليات السرية التي كان من المفترض أن يتم بها تجديد البشرية، وكان أيضاً بمثابة مفتاح لكتاباتهِ الأخرى. لا يوجد شيء محدد معروف فيما يتعلق بمحتويات كتاب تحوت غير أن صفحاته كانت مغطاة بأشكال ورموز هيروغليفية غريبة، والتي منحت أولئك المطلعين على استخدامها قوة غير محدودة على أرواح الهواء والألوهية الأرضية. عندما تحفز مناطق معينة من الدماغ بالعمليات السرية للأسرار، يتمدد وعي الإنسان ويسمح له أن ينظر إلى الخالدين والدخول إلى حضرة الآلهة العليا؛ وصف كتاب تحوت الطريقة التي يتحقق بها هذا التحفيز. لذلك كان في الحقيقة "مفتاح الخلود" وفقاً للأسطورة.

احتفظ بكتاب تحوت في مربع ذهبي في الحرم الداخلي للمعبد؛ ولم يكن هناك سوى مفتاح واحد في حوزة سيد الأسرار، وهو أعلى سلطة في المعرفة الهرمسية. والذي وحده علم ما كتب في الكتاب السري. لقد فقد كتاب تحوت من العالم القديم مع زوال الأسرار، ولكن أتباعه المخلصين، حملوه مختوماً في النعش المقدس إلى أرض أخرى. لا يزال الكتاب موجوداً، ويستمر في قيادة تلاميذ هذا العصر إلى حضرة الخالدين. لا يمكن إعطاء معلومات أخرى للعالم بشأنه الآن، لكن الخلافة الرسولية من أول هيروفان بدأه هيرمس نفسه لا زالت مستمرة دون انقطاع حتى يومنا هذا، وأولئك المُعدون بشكل خاص لخدمة الخالدين قد يكتشفون هذه الوثيقة التي لا تقدر بثمن، إذا بحثوا بصدق ودون كلل عنها.

لقد تم التأكيد على أن كتاب تحوت هو في الواقع، التاروت الغامض للبوهميين - وهو كتاب رمزي غريب يتكون من ثمانية وسبعين ورقة كانت في حوزة الغجر منذ زمن خروجهم من

معبدهم القديم سيرابيوم. (وفقاً للتاريخ السري، فالعجر في الأصل كهنة مصريين). يوجد الآن في العالم العديد من المدارس السرية التي تحظى بامتياز قبول المرشحين للأسرار، لكن كل منها تقريباً أوقدت نيران مذبحتها من شعلة هيرمس المتألفة. قد كشف هيرمس في كتابه تحوت للبشرية جمعاء "طريق واحد"، وعلى مر العصور، وصل الحكماء من كل أمة ومن كل إيمان إلى الخلود باتباع "الطريق" التي أنشأها هيرمس في خضم الظلام لتخليص الرجال.



تحوت، برأس أبو منجل

من كتاب ويلكنسون أخلاق وعادات المصريين القدماء

من المشكوك فيه أن الإله الذي أطلق عليه المصريون تحوت كان في الأصل هيرمس، ولكن الشخصيتان اختلطتا معاً وأصبح من المستحيل الآن الفصل بينهما. كان تحوت يدعى "رب الكتب الإلهية" و"كاتب الزمرة الإلهية"، وهو يصور عموماً بجسم رجل ورأس أبو منجل. لم يتم اكتشاف المعنى الرمزي الدقيق لهذا الطير، ولكن التحليل الدقيق للشكل الغريب لطائر أبو منجل وخاصة رأسه ومنقاره – يجب أن يكون مضيئاً.



## بويماندريس، تجلي هيرمس

بايماندر الإلهي لهيرمس مثلث العظمة، واحد من أقدم الكتابات الهرمسية الموجودة الآن. وعلى الرغم من أن هذا العمل ربما ليس شكله الأصلي، حيث أعيد تشكيله خلال القرون الأولى للعصر المسيحي وترجم بشكل غير صحيح منذ ذلك الحين، إلا أنه يحتوي بلا شك على العديد من المفاهيم الأصلية للطائفة الهرمسية. يتكون كتاب بايماندر الإلهي من سبعة عشر كتاباً مجزئاً جمعت معاً وطُرحت كعمل واحد. يُعتقد أن الكتاب الثاني بويماندريس، أو التجلي، يصف الطريقة التي تجلت بها الحكمة الإلهية لأول مرة لهيرمس. بعد أن تلقى هيرمس هذا الوحي، بدأ تفويضه، وقام بتدريس جميع الذين قد يستمعون، إلى أسرار الكون غير المرئية كما تجلت له.

التجلي هو الأكثر شهرة من بين جميع متون هرمس، ويحتوي على نظرية خلق الكون الهرمسية، والعلوم السرية للمصريين فيما يتعلق بالروح البشرية وتجلياتها. أطلق عليه لبعض الوقت خطأً "سفر التكوين لاينوك"، ولكن هذا الخطأ صحح الآن. أثناء إعداد التفسير التالي للفلسفة الرمزية المخفية داخل تجلي هيرمس، كان تحت يد المؤلف الحالي هذه الأعمال المرجعية:

- هيرمس مثلث العظمة (لندن، 1906)، بقلم ج. س. ميد.
- الهرمسيات (أكسفورد، 1924)، الذي حرره والتر سكوت.

- هيرمس، أسرار مصر (فيلادلفيا، 1925)، بقلم إدوارد شور
- بايماندر هرمس مثلث العظمة (لندن، 1650)، المترجم من اللغتين العربية واليونانية للدكتور إيدفارد.

لقد أضفت تعليقات تستند إلى الفلسفة الباطنية للمصريين القدماء، إلى المواد الواردة في المجلدات السابقة، جنباً إلى جنب مع توضيحات مستمدة جزئياً من متون هيرمس الأخرى، وجزئياً من العلوم السرية لهيرمس. من أجل الوضوح، تم اختيار النموذج السردى مفضلاً على أسلوب الحوار الأصلي، وقد تخلّيت عن الكلمات القديمة المهجورة لصالح تلك المستخدمة حالياً.

هيرمس، وبينما كان يتجول في مكان صخري مقفر، أسلم نفسه للتأمل والصلاة. وبتابع التعليمات السرية للمعبد، حرر تدريجياً وعيه الأعلى من عبودية حواسه الجسدية؛ وهكذا كشفت له طبيعته الإلهية أسرار المجالات العُلى. لقد رأى شخصية رهيبة وملهمة. كان "التنين العظيم"، صاحب الأجنحة التي تمتد عبر السماء والذي يشع الضوء في جميع الاتجاهات من جسمه. (علّمت الأسرار أن الحياة الشاملة جسدت بتنين). ودعا التنين العظيم هيرمس بالاسم، وسأله ماذا تأمل في عالم الأسرار. دب الرعب في قلب هيرمس من المشهد، وسجد أمام التنين، وطلب منه الكشف عن هويته. أجاب المخلوق العظيم أنه كان بويماندريس، عقل الكون، الذكاء الخلاق، والإمبراطور المطلق للجميع. (يُعرّف شور بويماندريس باسم الإله أوزوريس). ثم تضرع هيرمس إلى بويماندريس ليكشف عن طبيعة الكون وجبلّة الآلهة. قبل التنين، وأمر هيرمس مثلث العظمة بحفظ صورته في ذهنه.

استحال شكل بويماندريس على الفور، وحيث وقف كان هناك تألق مشرق ونابض. كان هذا النور هو الطبيعة الروحية للتنين العظيم نفسه. وتسامى "هيرمس" وسط هذا الوجود الإلهي وتلاشى كون الأشياء المادية من وعيه. وللتو واللحظة تنزل ظلام دامس وتوسع وابتلع النور. كان كل شيء مضطرباً، والتفت حول هيرمس مادة مائية غامضة، والتي تبخرت إلى ما يشبه الدخان. كان الجو ممتلئاً بتهديدات مهمة، والتي بدت وكأنها أتية من النور الذي ابتلع في الظلام.



وقال العقل لهيرمس أن النور كان شكل الكون الروحي وأن الظلام الذي غمره كان يمثل الشيء المادي.

ثم خرجت من النور المسجون كلمة غامضة ومقدسة، حيث ظهرت من المياه المتبخرة. هذه الكلمة - صوت النور - خرجت من الظلام كعمود عظيم، وتبعها النار والهواء، لكن الأرض والماء بقيا دون حراك. وهكذا انفصلت مياه النور عن مياه الظلام، ومن مياه النور تشكلت العوالم للأعلى، ومن مياه الظلام تشكل العالمين أدناه. اختلطت الأرض والماء بعد ذلك، وأصبحا لا ينفصلان، والكلمة الروحية التي تسمى العقل تحركت على سطحها، مما تسبب في اضطرابات لا نهاية لها.

ثم سمع صوت بويماندريس مرة أخرى، ولكن دون الكشف عن شكله:

"أنا إلهك؛ أنا النور والعقل الذي كان قبل أن تنفصل المادة عن الروح والظلام عن النور. والكلمة التي ظهرت كعمود من اللهب في الظلام هو ابن الرب، المولود من سر العقل، واسم هذه الكلمة هو العقل، والعقل هو نسل الفكر، والعقل يفصل النور عن الظلام، ويؤسس الحقيقة في وسط المياه. افهم، يا هيرمس، وتأمل بعمق في هذه الأسرار، إن ما تراه وتسمعه فيك ليس من الأرض، بل هو كلمة الإله المتجسدة، لذلك يقال إن النور الإلهي يسكن في الظلام الفاني، والجاهل لا يمكن له فصلهما. فالاتحاد بين العقل والكلمة ينتجان هذا اللغز الذي يدعى الحياة. وكما أن الظلام دونك ينقسم على نفسه، فبالتالي فإن الظلام داخلك منقسم بالمثل. النور واللهب الصاعدان هما الرجل الإلهي، يتساميان في طريق الكلمة، وذاك الذي فشل في التسامي هو الرجل الميت، والذي ليس له أن يشارك في الخلود. تعلم بعمق من العقل وسره، فهناك يكمن سر الخلود."

كشف التنين مرة أخرى شكله لهيرمس، ولفترة طويلة نظر كلاهما نحو الآخر، وجهاً لوجه، حتى ارتجف هيرمس لنظرة بويماندريس. عند كلمة التنين، انفتحت السماوات وكشفت قوى نور لا حصر لها، مرتفعة عبر الكون على أجنحة من النار المتدفقة، هيرمس كان يشاهد أرواح النجوم، والأجرام السماوية التي تتحكم في الكون، وكل تلك القوى التي تأتلق بإشراق النار

الواحدة - مجد العقل السيد. وقد أدرك هيرمس أن المنظر الذي يراه قد كشف عنه فقط لأن بويماندريس كان يتكلم الكلمة، وكانت الكلمة هي السبب، وسبب الكلمة غير مرئي. لقد أصبحت الأمور واضحة؛ العقل الإلهي - التنين - واصل حديثه:

"قبل أن يتشكل الكون المرئي كان قلبه ملقى. هذا القلب كان يسمى النموذج الأصلي، وكان هذا النموذج الأصلي في العقل الأعلى قبل فترة طويلة من بدء عملية الخلق. ناظراً إلى النموذج الأصلي، أصبح العقل الأسى مفتوناً بفكره الخاص؛ لذلك ومع استعمال الكلمة كمطرقة قوية، حفر الكهوف في الفضاء البدائي، وألقى النموذج الأصلي، وفي نفس الوقت بذور الكائنات الحية في الأجسام الحديثة. تلقى الظلام أدناه، مطرقة الكلمة، ليتشكل في عالم منظم. انفصلت العناصر إلى طبقات وكل منها أنتج كائنات حية. الكائن الأسى - العقل - ذكر وأنثى، أخرج الكلمة؛ والكلمة، المعلقة بين النور والظلام، تسلمها من عقل آخر يدعى العامل، أو سيد البناء، أو صانع الأشياء.

"بهذه الطريقة تم إنجازه، يا هيرمس، الكلمة التي تتحرك كنسمة عبر الفضاء تُطلق عليها النيران مع احتكاك حركتها. لذلك، يطلق على النار اسم ابن المجاهد. مر العامل كزوبعة عبر الكون، مما تسبب في اهتزاز وتوهج المواد مع احتكاكها به، شكّل "ابن المجاهد" سبعة حكام، أرواح الكواكب، والتي كانت مداراتها تحدّ العالم، وسيطر الحكام السبعة على العالم من خلال القوة الغامضة التي أطلق عليها القدر والتي أعطاهم لهم العقل اللاهيب. عندما قام العقل الثاني (العامل) بتنظيم الفوضى، صعدت كلمة الإله على الفور إلى سجنها المادي، تاركة العناصر دون عقل، وانضمت إلى طبيعة العامل الناري. ثم أسس العقل الثاني، جنباً إلى جنب مع الكلمة الصاعدة، نفسه في وسط الكون وأدار عجالات القوى السماوية. وسيستمر هذا من البداية اللانهائية إلى النهاية اللانهائية، فالبداية والنهاية في نفس المكان والحالة.

"ثم أدخلت العناصر التي تحولت إلى الأسفل وبغير عقل خلقت مخلوقات دون عقل. لم تستطع المواد أن تمهيا العقل، لأن العقل قد تركها صعوداً. لقد أنتج الهواء أشياء طيارة، وأنتجت المياه أشياء سباحة. وحملت الأرض وحوشاً بأربعة أقدام أو زاحفة، وتنانين،

وشياطين مركبة، وحوش بشعة، ثم قام الأب - العقل الأعلى - كونه نور وحياة، بتشكيل رجل عالمي مجيد على صورته، ليس رجلاً أرضياً، بل رجل سماوي يسكن في نور الإله. لقد أحب العقل الأسى الرجل الذي صممه وسلمه السيطرة على الإبداع والخلق.

"الرجل، الراغب في العمل، اتخذ مسكناً له في مجال التجدد، ولاحظ أعمال شقيقه - العقل الثاني - الذي جلس على حلقة النار. ولما رأى إنجازات العامل الناري، أراد أيضاً أن يصنع الأشياء، وأذن والده بذلك. ابتهج الحكام السبعة بذلك، وساهموا معه فقدم كل منهم للرجل شيئاً من طبيعته.

"تاق الرجل لاختراق محيط الدوائر وفهم لغز الشخص الجالس على النار الأبدية. بعد أن امتلك كل القوة بالفعل، اختلس النظر عبر التوافقات السبعة، واخترق قوة الدوائر، وجعل من نفسه طبيعة تمتد نحو الأعماق. تبسم الرجل، ناظراً في الأعماق، فقد رأى ظلاً على الأرض، وشبهاً معكوساً في المياه، حيث كان الظل والشبه انعكاساً له. وقع الرجل في غرام ظله الخاص، ورغب في التنزل إليه، وتزامناً مع الرغبة، توحد الشيء الذي مع الصورة أو الشكل غير العاقل".

"الطبيعة، النازرة للنزول، لفت نفسها حول الرجل الذي أحبته، واختلط الاثنان. لهذا السبب، فالرجل الأرضي مركب. بداخله رجل السماء الخالد والجميل، والذي بدونه هو طبيعة مميتة ومدمرة. وهكذا، فإن المعاناة هي نتيجة وقوع الرجل الخالد في حب ظله والتخلي عن الواقع ليعيش في ظلام الوهم. ولكونه خالداً، يتمتع الإنسان بسلطة الحكام السبعة - وأيضاً الحياة والنور والكلمة - ولكن كونه بشرياً، فهو يخضع لسيطرة حلقات الحكام - القضاء والقدر.

"يجب أن يقال أن الرجل الخالد خنثى، أو ذكر وأنثى، ومراقب دائم. ولا تنتابه سنة ولا نوم، ويحكمه أب ذكر وأنثى أيضاً، ومراقب دائم. هذا هو السر المخبأ حتى يومنا هذا، لأن الطبيعة، التي اختلطت بالزواج من رجل السماء، صنعت أعجوبة رائعة - سبعة رجال، جميعهم من

الجنسين، من الذكور والإناث، منتصبي القامة كل منهم يجسد طبيعة الحكام السبعة. هذه  
يا هيرمس، هي الأجناس والأنواع والعجالات السبعة."



النموذج اليوناني لهيرمس

من الأساطير لبر اينت.

اشتق اسم "هيرمس" من "هيرم"، وهو شكل من أشكال "تشيرام"، مبدأ الحياة العالمي المشخص، الذي يمثل عموماً بالنار. يعبد الاسكندنافيون هيرمس تحت اسم أودين، التيتون<sup>(1)</sup> يعبدونه بكونه واتن<sup>(2)</sup>، كما تعبد به بعض الشعوب الشرقية بكونه

---

<sup>(1)</sup> الجرمان أو التيتونيون هم - بشكل عام - الشعوب والقبائل التي تتحدث باللغات الجرمانية والتي تنحدر من نفس الأصل العرقي ومن أشهر القبائل الجرمانية قبائل القوط بفرعها القوط الشرقيين والقوط الغربيين والفاندال والسكسونيون والأنغلوسكسونيون واللومبارد والفرنج والفايكنج وغيرهم. تشكل الشعوب الجرمانية فرعاً إثنياً ولغوياً من الشعوب الهندوأوروبية يعود أصلها ومنشأها إلى أوروبا الشمالية وأغلبهم من منطقة إسكندنافيا، ويتميزون باستخدامهم لغات جرمانية وقد هاجرت من شمال أوروبا وانتشروا إلى باقي مناطق أوروبا، ممتزجين بالشعوب والسكان المحليون في أصقاع أوروبا الأخرى مشكلين الأساس المستقبلي للأمم الأوروبية المختلفة، بشكل متفاوت تترابط الشعوب الجرمانية بالتقارب اللغوي والشكل المميز، والتاريخ والثقافة.

<sup>(2)</sup> هو الاسم الألماني القديم للإله الشمالي أودين.

بوذا<sup>(1)</sup>، أو فو<sup>(2)</sup>. هناك نوعان من النظريات المتعلقة بهايته. في الأولى يقال أنه تحول مثل اينوك وحمل دون موت إلى حضرة الإله، بينما تنص الثانية على أنه دفن في وادي حبرون<sup>(3)</sup> وأن كنزاً عظيماً وضع في قبره - ليس كنزاً من الذهب بل كتب وتعاليم مقدسة. شبه المصريون الإنسانية بقطيع من الأغنام. كان الأب الأعلى وغير المتصور الراعي، وكان هيرمس كلب الراعي. يمكن تتبع أصل عصا الراعي في الرمزية الدينية إلى الطقوس المصرية. يشمل الصولجان الثلاثي لمصر عصا الراعي، والذي يرمز إلى أنه بفضل ميزة القوة الموجودة في هذا الرمز، قرر الفراعنة الأوائل مصير شعوبهم.

(1) غوتاما بوذا هو مؤسس الديانة أو الفلسفة البوذية (وهي أقرب إلى فلسفة الحياة منها إلى الدين حيث لا تؤمن بإله، وتقوم على التجرد والزهد تخلصاً من الشهوات والألم وطريقاً إلى الفناء التام، وتقول بالتناسخ ومبدأ السببية، وتنكر البعث والحساب، وهي من أكثر الديانات انتشاراً في الهند والشرق الأقصى)، ويلفظ اسمه أيضاً (بوذا أي الساهر أو اليقظ، واسمه بالعربية البد، وفي الفارسية بددة). وبوذا ليس اسم علم على شخص بعينه، وإنما هو لقب ديني عظيم، معناه الحكيم، أو المستنير، أو ذو البصيرة النفاذة، وهو الذي يعلن طريقة خلاص البشر من دائرة الولادة المتكررة (سمسارا) ولكن أتباعه حولوا تعاليمه إلى مبادئ دينية وألهوه، وتذكر الروايات أنه ولد سنة 568 ق م، فيما تذكر أخرى أنه ولد سنة 563 ق م، في بلدة لومبيني التي تقع حالياً جنوب جمهورية نيبال على الحدود الهندية وكان من أسرة نبيلة، وكان أبوه ملكاً صغيراً في تلك البلاد، وقد تربى بوذا في حال من الرفاهية، وكان يعيش كما يعيش أبناء السادة والملوك في نعيم عظيم. توفيت أمه مايا وهو في السابعة من عمره، فربته عمته وتزوج صغيراً ولما بلغ السادسة والعشرين هجر زوجته إلى الزهد والتقشف والتأمل في الكون وانتهج نهجا خاصاً في الكون ليتخلص الإنسان به من آلامه ودعا إلى ذلك كثيراً من الناس. ترك بوذا (سندهارتا) القصر الملكي في سن 29، وعاش لست سنوات بلا مأوى ومات وهو في الثمانين من عمره، والجدير بالذكر أن بعض المؤرخين يزعم أن بوذا شخصية وهمية وخرافية لا وجود لها، وذلك لكثرة الأساطير والخرافات التي نسجها البوذيون حول شخصيته، ويعتقد البوذيون أنه كان هناك على الأقل ستة أشخاص يسمون بوذا قبل غوتاما، ويزعمون أن هناك بوذا آخر اسمه مايتريا سيظهر في المستقبل، وتقول الأسطورة إن روح بوذا خالدة خلود الدهر، وهي تتمثل في الدالاي لاما وعندما يموت فإنه يموت جسدياً ولكن روحه أو روح بوذا تنتقل لأحد المواليد الجدد من المتبعين للبوذية ليصبح بعد ذلك هو الدالاي لاما الجديد وهكذا إلى ما لا نهاية.

(2) "فو" هي الكلمة الصينية لـ "بوذا".

(3) وادي حبرون، بالعربية الخليل؛ هي منطقة منخفضة في جنوب ووسط فلسطين (إسرائيل). يمتد حوالي 10-15 كيلومتر بين جبل الخليل والسهل الساحلي. ومدينة حبرون (الخليل) هي واحدة من أقدم المدن القديمة في الأراضي المقدسة، وموقع جذور يهوذا وأصولها؛ فهي المدينة التي حكم فيها الملك داود لمدة سبع سنوات ونصف قبل أن ينتقل إلى القدس، ومكان كهف إبراهيم وإسحق ويعقوب وسارة وريبيكا وليا.

وتبعاً لهذه الطريقة ولد الرجال السبعة. كانت الأرض هي العنصر الأنثوي والماء العنصر الذكري، ومن النار والأثير تلقوا أرواحهم، كما أنتجت الطبيعة أجساداً بعدة أنواع وأشكال من الرجال. وحصل الإنسان على حياة وضوء التنين العظيم، ومن الحياة تشكلت روحه ومن النور تشكل عقله. وهكذا، فإن كل هذه المخلوقات المركبة تحتوي على الخلود، ولكنها ستفنى، بحيث تستمر على هذا الشكل طوال فترة ليست بالقصيرة من الزمن. لقد استنسخوا أنفسهم من أنفسهم، لأن كلاً منهم كان ذكوراً وإناثاً. لكن في نهاية هذه الفترة، حُلّت عقدة القدر بإرادة الإله، وانحل رابط كل الأشياء.

"ثم جرى فصل جميع المخلوقات الحية، بما في ذلك الرجل الذي كان خنثى، وانشطر الرجل إلى رجل ذكر وامرأة أنثى، وفقاً لإملاءات العقل.

"ثم تحدث الإله إلى الكلمة المقدسة داخل روح كل الأشياء،، قائلاً: إلى كل مخلوقاتي وصنائع يدي، ازدادوا في الزيادة وتكاثروا بالكثرة. دع من يوهب العقل يعرف نفسه أنه خالد، وأن سبب الفناء هو حب الجسد؛ واجعله يتعلم من كل الأشياء، لأن من عرف نفسه دخل في حالة الخير.

"وعندما قال الإله هذا، جمعت العناية الإلهية، بمساعدة الحكام السبعة والوثام، بين الجنسين، ومن الخليط تأسست الأجيال، وتضاعفت كل الأشياء وفقاً لنوعها. ذاك هو الذي ارتكب خطأ التعلق بحب جسده، يتجول في الظلام، ويعاني سكرات الموت، ولكن ذاك الذي يدرك أن الجسد ما هو إلا قبر الروح، يسمو إلى الخلود".

ثم أراد هيرمس أن يعرف سبب حرمان الرجال من الخلود، بسبب خطيئة الجهل وحدها؛ فأجاب التنين العظيم:



للجهلة، الجسد هو أسوأ شيء، وهم غير قادرين على إدراك الخلود الذي داخلهم. انهم يعرفون فقط الجسد الخاضع للموت، وهم يؤمنون بالموت لأنهم يعبدون هذه المادة، التي هي سبب وحقيقة الموت.

ثم سأل هيرمس كيف ينتقل الأبرار والحكماء إلى الإله، فأجابه بويماندريس:

" ما قاله؛ قال كلمة الإله، قل أنا: " لأن أب كل شيء يتكون من نور وحياة، على حين يُصنع الرجل ". إذاً، حين يتعلم الإنسان ويفهم طبيعة الحياة والنور، سينتقل إلى أبدية الحياة والنور.

استفسر هيرمس بعد ذلك عن الطريق الذي بلغ به الحكيم الحياة الأبدية، واستمر بويماندريس:

" فليُنظر الرجل الذي وهب عقلاً، وليتعلم من نفسه، وبقوة عقله تنفصل نفسه عن غير الذاتي ويصبح خادماً للواقع."

سأل هيرمس إذا كان كل الرجال ليس لديهم عقول، وأجاب التنين العظيم:

" خذ بعين الاعتبار ما تقوله، لأنني العقل - المعلم الأبدي. أنا أب الكلمة - مخلص كل البشر - ومني تأخذ الطبيعة الحكيمة للكلمة جسداً. عن طريق الكلمة، يُحفظ العالم. أنا، الفكر (تحت) - أب الكلمة، العقل - لا أصل إلا إلى رجال تقاة أخيار، أنقياء رحماء، يعيشون بالدين، ووجودي هو مصدر إلهام وعون لهم، لأنه عندما أصل، يتركون على الفور كل الأشياء ويعبدون الأب الشامل. قبل أن يموت هؤلاء الحكماء والفلاسفة، يتعلمون التخلي عن حواسهم، عارفين أنها أعداء أرواحهم الخالدة.

" لن أسمح للحواس الشريرة بالتحكم في أجساد الذين يحبونني، ولن أسمح لعواطفهم وافكارهم الشريرة بالوصول إليهم. سأصبح بواباً أو حارساً، وأغلق الشر، لأحيي الحكماء من طبيعتهم الدنيا، لكن بالنسبة إلى الأشرار والحساد والطماعين، لم أت، لأنهم لا يستطيعون فهم أسرار العقل؛ لذلك فأنا غير مرحب به. أنا أتركهم لشیطان الثأر الذي يصنعونه في

نفوسهم، لأن الشر ينمو كل يوم، معذباً الرجل بشكل أكثر حدة؛ ويضاف كل فعل شرير إلى الأفعال الشريرة التي وقعت من قبل، إلى أن يدمر الشر نفسه في النهاية. عقاب الرغبة هو لوعة الحرمان".

أحنى هيرمس رأسه شاكراً التنين الكبير الذي علمه الكثير، وتوسل أن يسمع المزيد عن نهاية الروح الإنسانية. استأنف بويماندريس:

"عند الموت، يعود جسد الإنسان المادي إلى العناصر التي جاء منها، ويصعد الرجل الإلهي غير المرئي إلى المصدر الذي منه أتى، أي المجال الثامن. يمر الشر إلى مسكن الشيطان. أما الحواس، والمشاعر، والرغبات، وعواطف الجسد فتعود إلى مصدرها، أي الحكام السبعة، الذين تدمر طبيعتهم في الرجل الأسفل، لكن في الإنسان الروحي الخفي تهب الحياة."

بعد عودة الطبيعة السفلية إلى الوحشية، يكافح الأعلى مرة أخرى لاستعادة المنزل الروحية. فيصعد الحلقات السبعة التي يجلس عليها الحكام السبعة، ويعيد إلى كل منهم قوته الدنيا على هذا النحو: عند الحلقة الأولى يجلس القمر، ويتم إرجاع القدرة على الزيادة والنقصان. على الحلقة الثانية يجلس ميركوري، ويتم إرجاع المكائد، والخداع، والاحتيال. على الحلقة الثالثة تجلس فينوس، ويتم إرجاع الشهوات والعواطف. على الحلقة الرابعة تجلس الشمس، وتعاد لها الطموحات. على الحلقة الخامسة يجلس المريخ، ويتم إرجاع التهور والجرأة والعناد. على الحلقة السادسة يجلس جوبيتر، وله يُرجع البخل والثروة. وعلى الحلقة السابعة يجلس زحل، عند بوابة الفوضى، ويعاد إليه الهتان والتأمر الشرير.

"ثم، بعد أن أصبحت عارية من كل تراكمات الحلقات السبعة، تأتي الروح إلى المجال الثامن، أي حلقة النجوم الثابتة. هنا، بعد أن تحررت من كل وهم، تسكن في النور وتسبح للآب بصوت لا يفهمه سوى نقي الروح. تأمل يا هيرمس، يوجد سر كبير في المجال الثامن، لأن درب التبانة هو أساس الأرواح، ومنه تتحدر إلى الحلقات، وإلى درب التبانة تعود مرة أخرى من حلقات زحل. لكن البعض لا يستطيع تسلق درجات السلم السبع، لذلك تتوه في الظلام تحت الأرض، ويغرقون في الأبدية يحملهم وهم الحواس والدينيوية".

"طريق الخلود صعب، وقلة فقط يجدونه؛ ومن تبقى ينتظر اليوم العظيم، عندما تتوقف عجالات الكون، ويهرب الشرر الخالد من غلافه المادي. ويلّ للذين ينتظرون، فعليهم العودة ثانية، فاقدين للوعي وغير مدرّكين، إلى بذور النجوم، بانتظار بداية جديدة. أولئك الذين ينقذهم النور الذي كشفته لكم يا هيرمس، والذي أدعوكم الآن إلى تأسيسه بين البشر، سيعودون مرة أخرى إلى الآب الذي يسكن في الضوء الأبيض، فينقذ نفسه إلى النور ويتم امتصاصه في النور، وفي النور يصبحون أقوى بالإله، وهذه هي طريق الرب، قد كشفت فقط لأولئك الذين يملكون الحكمة".

"مبارك أنت، يا ابن النور، الذي كشفته؛ أنا بويماندريس، نور العالم؛ أطلب منك أن تخرج، لتصبح مرشداً لأولئك التائهين في الظلام، حتى يحفظ كل الرجال الذين يسكنون روح عقلي (العقل الشامل) في عقلي فيك، والذين يجب أن يطلق عليهم عقلي فيهم. قم بتأسيس أسراري ولن تفشل في الأرض، لأنني أنا عقل الأسرار، وحتى يفشل العقل (وهذا لن يحصل أبداً) يمكن أن تفشل أسراري." مع هذه الكلمات الفاصلة، بويماندريس، يشع بالنور السماوي، اختفى مختلطاً مع قوى السماوات. رفع عينيه إلى السماوات، وطلب هيرمس البركة من والد كل الأشياء، وكرس حياته لخدمة النور العظيم".

وهكذا بَشّر هيرمس:

"يا أهل الأرض، أيها الرجال الذين صنعوا من العناصر، ولكن الرجل الإلهي داخلكم، انفضوا عنكم غبار الجهل وانفضوا من رقادكم! ولتكونوا عقلاء متفكرين. أدركوا أن منزلكم ليس في الأرض بل في النور. لماذا سلمتم أنفسكم للموت، ولديكم القدرة على المشاركة في الخلود؟ توبوا، غيروا عقولكم. غادروا النور المظلم والفساد إلى الأبد. جهزوا أنفسكم للبعود عبر الحلقات السبعة ومنج أرواحكم مع النور الأبدي".

"بعض الذين سمعوا سخروا وتابعوا طريقهم، وسلموا أنفسهم للموت الثاني الذي لا يوجد فيه خلاص. طلب من هيرمس أن يعلمهم طريقة الحياة، فرفعهم بلطف، ولم يتلق أي استحسان لنفسه، واستمر في تعليم وإرشاد الرجال، وأظهر لهم كيف يمكن إنقاذهم. في عالم

الرجال، نثر هيرمس بذور الحكمة ورواها بالمياه الخالدة. وأخيراً جاء غسق حياته، وكما بدأ سطوع نور الأرض في الزوال، أمر هيرمس تلاميذه بالحفاظ على عقائده مطهرة عبر كل العصور. لقد انتهكت تجلي بويماندريس عند كتابة أن جميع الرجال الذين يرغبون في الخلود قد وجدوا الطريق.

في ختام عرضه للتجلي، كتب هيرمس:

"إن رقاد الجسد هو اليقظة الحريصة للعقل، وإغلاق العينين يكشف النور الحقيقي. صمتي ممتلئ بالحياة وبراعم الأمل، كما أنه مليء بالخير. كلماتي هي إزهار لثمرة شجرة الروح. ولأن هذا هو التقرير المخلص لما تلقيته من عقلي الحقيقي، بويماندريس التنين العظيم، رب الكلمة، الذي استلهمت من خلاله الإله من خلال الحقيقة. منذ ذلك اليوم، كان عقلي معي وبنفسي، ولدت الكلمة: الكلمة هي العقل، والعقل افتداني. من أجل هذا السبب، وبكل روحي وبكل قوتي، أسبح للإله الأب، الحياة والنور، والخير الأبدي.

"قدوس هو الرب، أب كل شيء، الذي كان قبل البداية الأولى.

"قدوس هو الرب، الذي تتحقق إرادته بقواه التي ولدها بنفسه.

"قدوس هو الرب، الذي قرر أنه سوف يكون معروفاً، ومن سيعرفه هو من سيتكشف له عن نفسه.

"مبارك أنت، الذي بكلمتك (العقل) قد أنشأ كل شيء.

"مبارك أنت، الذي كل الطبيعة هي الصورة.

"مبارك أنت، الذي لم تشكل الطبيعة الأدنى.

"مبارك أنت، الذي هو أقوى من جميع القوى.

"مبارك أنت، الذي هو أعظم من كل عظيم.

"مبارك أنت، الذي هو أفضل من كل ثناء.

"اقبل هذه التضحيات المعقولة من روح نقية وقلب امتدا اليك.

"يا من لا توصف، يا من لا تُدرك، أسبحك بصمت!

"أتوسل إليك أن تنظر إلي برحمة، حتى لا يخطئني علمك، وحتى أنير درب أولئك الذين يهيمون في ظلام الجهل، إخواني وأبناءك.

"لذلك أنا أؤمن لك وأصدق لك، وأغادر بسلام وثقة للنور والحياة.

"مبارك أنت أيها الأب؛ سيكرس الرجل الذي خلقتك اليك، كما أعطيته القدرة على تكريس الآخرين بكلمتك وحقيقتك.

"رؤية هيرمس، مثل كل كتاباته، ليست إلا مجازاً للحقائق الفلسفية والسرية، ومعناها الحقيقي قد يكشف لأولئك الذين ارتقوا العقل الحق.

## أسرار الأهرامات

الأعظم بين عجائب العصور القديمة، والذي لا يضاهيه أي من إنجازات الرجال في البناء في أي وقت لاحق، أهرامات الجيزة الشاهدة على حضارة مجهولة، والتي بعد أن أكملت الزمن المقدر لها، دخلت حيز النسيان. بليغة في صمتها، ملهمة في جلالها، إلهية في بساطتها. الهرم الأكبر هو في الواقع عظمة مخطوطة على الحجر. في حجمها تطفئ على مشاعر الرجل التافهة. من بين رمال الزمن المتغيرة، فإنها تمثل شعاراً مناسباً للأبدية ذاتها. من هم علماء الرياضيات المتنورين الذين خططوا لأجزائها وأبعادها، والمهندسين الذين أشرفوا على بنائها، والحرفيين المهرة الذين قاموا بتجميع كتلها الحجرية؟

إن أقدم وأشهر رواية عن بناء الهرم الأكبر هي تلك التي قدمها المؤرخ هيرودوت<sup>(1)</sup> الذي يحظى باحترام كبير ولكن خياله يشطح إلى حد ما.

---

(1) هيرودوت أو هيرودوتس كان مؤرخاً إغريقياً يونانياً أسيوياً عاش في القرن الخامس قبل الميلاد (حوالي 484 ق.م - 425 ق.م). اشتهر بالأوصاف التي كتبها لأماكن عدّة زارها حول العالم المعروف آنذاك، وأناس قابلهم في رحلاته وكتبه العديدة عن السيطرة الفارسية على اليونان. عرف هيرودوتس بفضل كتابه تاريخ هيرودوتس الذي يصف فيه أحوال البلاد التي زارها في ترحاله حول حوض البحر المتوسط. كما زار مختلف أنواع مساح المراك حيث كان موضوع كتابه الأساسي هو الحروب بين الإغريق والفُرس أو الميديين.

" بني أولاً على هيئة سلالم يسميها البعض « درجات » والبعض الآخر هياكل<sup>(1)</sup>. وبعد تشييده بهذا الشكل رفعوا الأحجار الباقية بوساطة آلات مصنوعة من ألواح خشبية قصيرة<sup>(2)</sup>، وكانوا يرفعون الأحجار من الأرض إلى الطبقة الأولى من الدرجات. وبعد رفع الحجر إلى هذه الطبقة كان يوضع على آلة أخرى قائمة على الطبقة الأولى، ومنها يرفع إلى الدرجة الثانية ويوضع في آلة أخرى. وكانت هناك آلات بعدد الدرجات، أو لعلها كانت آلة واحدة سهلة الحمل؛ كانوا ينقلونها من طبقة إلى أخرى كلما جروا الحجر، ومن الواجب التحدث عن الطريقتين؛ إذ يقال بكتيها بني الهرم. تم أولاً بناء أعلى جزء من الهرم، ثم بعد ذلك بنوا الأجزاء التالية بالتدريج. وأخيراً أكملوا الأجزاء السفلى التي على الأرض<sup>(3)</sup>. وقد بُنِيَ على الهرم بالحروف المصرية مقدار ما أنفق ثمناً لما استهلكه العمال من الفجل والبصل والثوم. وإذا وعت ذاكرتي بالضبط ما قاله لي الترجمان عندما قرأ علي النقش فإن النفقات قد بلغت 1600 تالنت من الفضة<sup>(4)</sup>. فإذا

(1) قد تكون ما يسمى اليوم مصاطب.

(2) عله يقصد الزحافات المصنوعة من الخشب، والتي كانت توضع فوقها الأحجار، ثم تجر بها من مدماك إلى مدماك. وأول من تحدث عن الطريقة التي اتبعها البناؤون في تشييد الهرم، وهي طريقة استخدام الجسور الصاعدة هو ديودورس الصقلي، وقد آمن بها بعض العارفين بشئون العمارة في العصر الحديث.

(3) لم تكن الأحجار التي استخدمت في بناء الهرم مقدودة كلها من محاجر الجبل الواقع على شاطئ النيل الأيسر ( جبل طره أو المعصرة )، وإنما شيد الهرم من الحجر المقدود من الهضبة التي بني عليها. ولم يستخدم في بنائه من مقالع الأحجار في الشاطئ الأيسر ( الشرقي ) غير تلك الصفائح الرقيقة التي استخدمت في الكساء الخارجي.

(4) لم ينفرد « هيرودوت، بالحديث عن تلك النقوش التي ازدانت بها صفحات الهرم الأكبر، بل أشار إليها غيره من الكتاب الذين رأوها من قبله ومن بعده، فأما الذين من قبله فيكفي أن نذكر منهم الأمير «مواسي» بكر فرعون مصر رمسيس الثاني، الذي طال الحديث عنه في كتب العلماء نظراً لما قام به من رعاية آثار السلف، ثم المؤرخ العربي عبد اللطيف البغدادي، الذي عاش في القرن الثاني عشر الميلادي، وقال إن ما وجد على صفحات الهرم الأكبر من كتابات ونقوش تملأ عشرات الألوف من صفحات الكتب. إلا أنها أزيلت حينما بدأ الناس ينتزعون كساء الهرم خلال القرن الثالث عشر الميلادي. ولولا اهتمام الهواة من رجال العمارة في القرن التاسع عشر الميلادي لضاعت كل معلوماتنا عن الهرم والغرض من بنائه.

كان الأمر كذلك، فماذا كان بالإضافة إلى هذا مقدار ما أنفق على الآلات الحديدية التي اشتغلوا بها، وما مقدار ما أنفق على مأكّل العمال، وملبسهم. ذلك إذا ما كان الوقت الذي أمضوه في العمل كما ذكرت، مضافاً إليه، ما قضوه من الزمن في قلع الأحجار ونقلها، وفي حفر القناة التي تحت الأرض، ذلك عمل لم يستغرق، فيما يخيل إلى، وقتاً قليلاً...."

ومن الواضح أن أب التاريخ، لأسباب اعتبرها بلا شك كافية، أعد قصة مزيفة لإخفاء الأصل الحقيقي للهرم العظيم والغرض منه، وهذه ليست سوى واحدة من عدة أمثلة في كتاباته التي من شأنها أن تدفع القارئ النبیه إلى الشك بأن هيرودوت نفسه كان منضماً للمدارس المقدسة، وبالتالي فهو ملزم بالحفاظ على حرمة أسرار المدارس القديمة. لقد بدأت النظرية مع هيرودوت، وأصبحت الآن مقبولة عموماً بأن الهرم كان قبراً للفرعون خوفو. في الواقع، يختلف كل من مانيتون وإراتوستينس<sup>(1)</sup> وديودورس الصقلي<sup>(2)</sup> عن هيرودوت، كما يختلفون عن بعضهم البعض، فيما يتعلق باسم باني هذا الصرح العظيم. السرداب القبر، والذي وفقاً لقانون ليبسيوس<sup>(3)</sup> لبناء الهرم، كان من المفترض أنه قد تم الانتهاء منه في نفس الوقت الذي تم فيه الانتهاء من النصب التذكاري أو أكبر. لا يوجد أي دليل على أن المصريين قد شيدوا المبنى، لأن النقوش المتقنة التي تزين غرف الدفن الملكية المصرية، تفتقر تماماً ولا تتضمن أيّاً

(1) إراتوستينس (276 ق.م. - 194 ق.م.) عالم رياضيات وجغرافي وفلكي قوريني من ليبيا. وضع نظاماً لخطوط الطول ودوائر العرض كما عُرف بكونه أول من قام بحساب محيط الأرض، وقام أيضاً برسم خريطة مفصلة للعالم بناءً على المعلومات التي توفرت لديه في هذه الحقبة، وهو الذي اخترع كلمة جغرافيا. كما يعد أيضاً من أوائل المؤرخين، حيث أُرِخ للأحداث الأدبية والسياسية الهامة مستنداً في تأريخه إلى زمن حرب طروادة. وقد "كتب العرب اسمه: اراطوس. ووصفه ابن جليل قائلاً: " اراطوس المنجم الذي لم يكن أعلم منه ".

(2) ديودورس الصقلي مؤرخ يوناني اشتهر في القرن الأول قبل الميلاد. كتب ديودورس الصقلي تاريخ العالم في موسوعته التي أسماها ( Bibliotheca historica ) أو مكتبة التاريخ في 40 مجلداً، وقد اختار تعريفها بالمكتبة لأن مصادر موسوعته كانت تجميعاً لعمل العديد من المؤرخين والمؤلفين.

(3) كارل ريتشارد ليبسيوس (1810 - 1884 ) كان عالم مصريات ألماني رائد، وعالم لغويات وعالم آثار حديث.



من العناصر التي استخدمت في هندستها المعمارية أو زخرفتها، مثل النقوش والصور والخراطيش واللوحات وغيرها من الميزات المرتبطة بفن الدفن للأسر الملكية. والكتابات الهيروغليفية الوحيدة التي يمكن العثور عليها داخل الهرم هي بعض علامات البنائين مختومة على غرف البناء، والتي افتتحها هوارد فيس<sup>(1)</sup> لأول مرة. ويبدو أن هذه العناصر رسمت على الأحجار قبل وضعها في موضعها، لأنه في عدد من الحالات تكون العلامات مقلوبة أو مشوهة خلال عملية تركيب الكتل معاً.

وعلى حين أن علماء المصريات حاولوا القول بأن بعض أنواع الزخارف الغير متقنة الطلاء بأنها زخارف لاسم خوفو، فإنه من غير المعقول أن يكون هذا الحاكم الطموح قد سمح لاسمه الملكي بمعاناة مثل هذه الإهانة. ونظراً لأن أبرز العارفين في هذا الموضوع لا يزالون غير متأكدين فيما يتعلق بالمعنى الحقيقي لهذه العلامات الخام، فإن أي دليل على أنها قد وضعت في عهد الأسرة الرابعة، قد نفي قطعاً نظراً لأن أصداف البحر التي وجدت عند قاعدة الهرم، والتي قدمها السيد جاب<sup>(2)</sup> كدليل على أنه شُيد قبل الطوفان؛ وهي نظرية تدعمها التقاليد العربية الأكثر عبثية. فقد أعلن أحد المؤرخين العرب أن الهرم بُني من قبل الحكماء المصريين كملجأ ضد الفيضان، بينما أعلن آخر أن الباني كان الملك شداد<sup>(3)</sup> بن عاد القوي الذي عاش

(1) اللواء هوارد فيس (1784 - 1853) جندي بريطاني وعالم مصريات. وكان أيضاً عضواً في البرلمان.

(2) قس كاثوليكي متعلم

(3) شداد بن عاد هو ملك عاد قوم هود الذي دعاه النبي هود إلى الإيمان، فاحتج على النبي بشأن مكافئة الإيمان، فكان الجواب بأنها الجنة، فتكبر وأراد أن يتحدى الرب وتنبه بأن يصنع جنة أفضل من جنته. واستمر في بناء هذه الجنة قرابة 500 عام، زرع فيها كل الأشجار وبني فيها قصوراً من ذهب وجواري حسناوات وشق فيها الأنهار ونثر فيها كل الأحجار الكريمة كالزمرد، فلما جهزت الجنة، نزل على قوم عاد العذاب بكفرهم، وكان مصير الجنة المزعومة الخراب والدمار. وأثناء وقوع العذاب، جاء شداد إلى جنته فوجدها تشبه المقبرة وتخلو من الحياة، رغم ما فيها من ذهب وجواهر، ثم جاءه ملك الموت وقبض روحه بعد أن استجداه أن يتركه، فمات على كفره ولم ينفعه طغيانه وجبروته.

قبل الطوفان. لكن هناك لوحة من الكتابة الهيروغليفية فوق المدخل، والتي قد يعتبرها المراقب العرضي تحمل حل اللغز، تعود فقط للأسف إلى ما بعد عام 1843 ق.م، بعد أن قطعها الدكتور ليبسيوس في ذلك الوقت وأرسلها هدية لملك بروسيا.

قام الخليفة المأمون<sup>1</sup>، وهو سليل النبي الشهير، تلهمه قصص الكنوز الهائلة المختومة داخل أعماق الهرم، برحلة من بغداد إلى القاهرة عام 820، مع عدد كبير من العمال لفتح الهرم العظيم. وعندما وصل الخليفة المأمون لأول مرة إلى سفح "صخرة الدهر" وتمعن في السطح اللامع الناعم، لا بد وأن عصفت به عواطف جياشة. يجب أن تكون أحجار السطح في مكانها عند زيارته، لأن الخليفة لم يجد أي إشارة إلى المدخل - واجهته أربعة أسطح ملساء تماماً. بعد شائعات غامضة، أمر أتباعه بالعمل على الجانب الشمالي من الهرم، مع تعليمات بالاستمرار بالقطع والحفر حتى يكتشفوا شيئاً. بالنسبة للعمال المسلمين وبأدواتهم غير متقنة الصنع،

---

<sup>1</sup> المأمون: عبد الله بن هارون الرشيد سابع خلفاء بني العباس، ولد عام 170 هـ 786 وتوفي عام 218 هـ 10 أغسطس سنة 833. شهد عهده ازدهاراً بالنهضة العلمية والفكرية في العصر العباسي الأول، وذلك لأنه شارك فيها بنفسه. توفي هارون الرشيد عام 809م في خراسان وأخذت البيعة لابنه الأمين وفقاً لوصية والده التي نصت أيضاً أن يخلف المأمون أخاه الأمين، إلا أن الخليفة الجديد سرعاً ما خلع أخاه من ولاية العهد، وعين ابنه موسى الناطق بالحق ولياً للعهد، وكان المأمون آنذاك في خراسان، فلما علم بأن أخاه قد خلعه عن ولاية العهد أخذ البيعة من أهالي خراسان وتوجه بجيش لمحاربة أخيه، وقد استمرت الحروب بينهما أربع سنوات، إلى أن استطاع المأمون محاصرة بغداد والتغلب على الأمين وقتله عام 813م، ظافراً بالخلافة.

تفرد عهد المأمون بتشجيع مطلق للعلوم من فلسفة وطب ورياضيات وفلك واهتمام خاص بعلوم اليونان، وقد أسس الخليفة عام 830م جامعة بيت الحكمة في بغداد والتي كانت من كبريات جامعات عصرها، واخترع في عهده الاسطرلاب وعدد من الآلات التقنية الأخرى، وحاول العلماء قياس محيط الأرض ما يدل على الاعتراف بكرويتها من ناحية وتطور العلوم من ناحية ثانية؛ وقد تكون عمليات الترجمة التي رعاها هو وحاشيته وولاته، أبرز سمات عهده، إذ نقلت خلالها العلوم والآداب السريانية والفارسية واليونانية إلى العربية، اكتسبت من خلاله اللغة العربية مكانة مرموقة إذ تحولت من لغة شعر وأدب فحسب إلى لغة علم وفلسفة. وكذلك فقد ساهمت عمليات الترجمة في إرساء منسوب ثقافي عال في الدولة، ثم عهد بولاية العهد قسماً من الزمن لعلي الرضا، واتخذ الشاعر الأخضر بدلاً من الشاعر الأسود، ثم عاد إلى شعار بني العباس الأسود وعين أخاه ولياً للعهد. وزار المأمون مصر ودمشق والجزيرة السورية وتوفي ودفن بطرسوس شمال بلاد الشام. ثم أخذت البيعة لأخيه محمد المعتصم بالله، واستمرت عمليات الترجمة والنهضة العلمية في عهده كما افتتحها سلفه المأمون.

فقد كانت محاولة شاقة لحفر نفق طوله مائة قدم عبر الحجر الجيري. في كثير من الأحيان كانوا على وشك التمرد، لكن كلمة الخليفة كانت سريعة وكان الأمل بثروة هائلة يقوي سواعدهم.

في نهاية المطاف وذات مساء حين كان الإحباط التام يملأهم حصلت المعجزة. فقد سمعت أصوات حجارة كبيرة تسقط في مكان ما في الجدار بالقرب من العرب الكادحين. عند المضي قدماً نحو الصوت بحماس متجدد، اقتحموا أخيراً الممر النازل الذي يؤدي إلى الحجرة الداخلية. قاموا بعد ذلك بشق طريقهم حول البوابة الحجرية العظيمة التي كانت في وضع يمنع تقدمهم، وأزالوا الأحجار الجرانيتية واحداً تلو الآخر، والتي أعاقهم لفترة طويلة عن بلوغ الممر المؤدي من غرفة الملكة إلى أعلى.

أخيراً لم يبق مزيد من الكتل، وكانت الطريق واضحة لأتباع النبي. لكن أين كانت الكنوز؟ من غرفة إلى أخرى، هرع العمال في بحث محموم عن شيء يستحق النهب. وصل سخط المسلمين إلى ذروته لدرجة أن الخليفة المأمون - الذي ورث الكثير من حكمة والده، الخليفة الرشيد - أرسل إلى بغداد للحصول على أموال، ودفنها سراً بالقرب من مدخل الهرم. ثم أمر رجاله بالحفر في تلك البقعة وكان عظيماً فرحهم عندما اكتشفوا الكنز. وتأثر العمال بعمق حكمة ملك عاد الذي قدّر أجورهم بعناية وأمر بدفن المبلغ المحدد بدقة لتأمين أجورهم!

ثم عاد الخليفة إلى مدينة آبائه وترك الهرم الأكبر تحت رحمة الأحيال المقبلة. في القرن التاسع كان انعكاس أشعة الشمس عن الأسطح المصقولة بأحجار الغلاف الأصلي، يجعل كل جانب من جوانب الهرم يظهر كمثلث ماهر من الضوء. منذ ذلك الوقت، اختفت جميع حجارة الغلاف هذه باستثناء اثنتين. أسفر البحث عن اكتشافها، واستعملت لتزيين جدران المساجد المحمدية والقصور في أنحاء مختلفة من القاهرة وضواحيها.

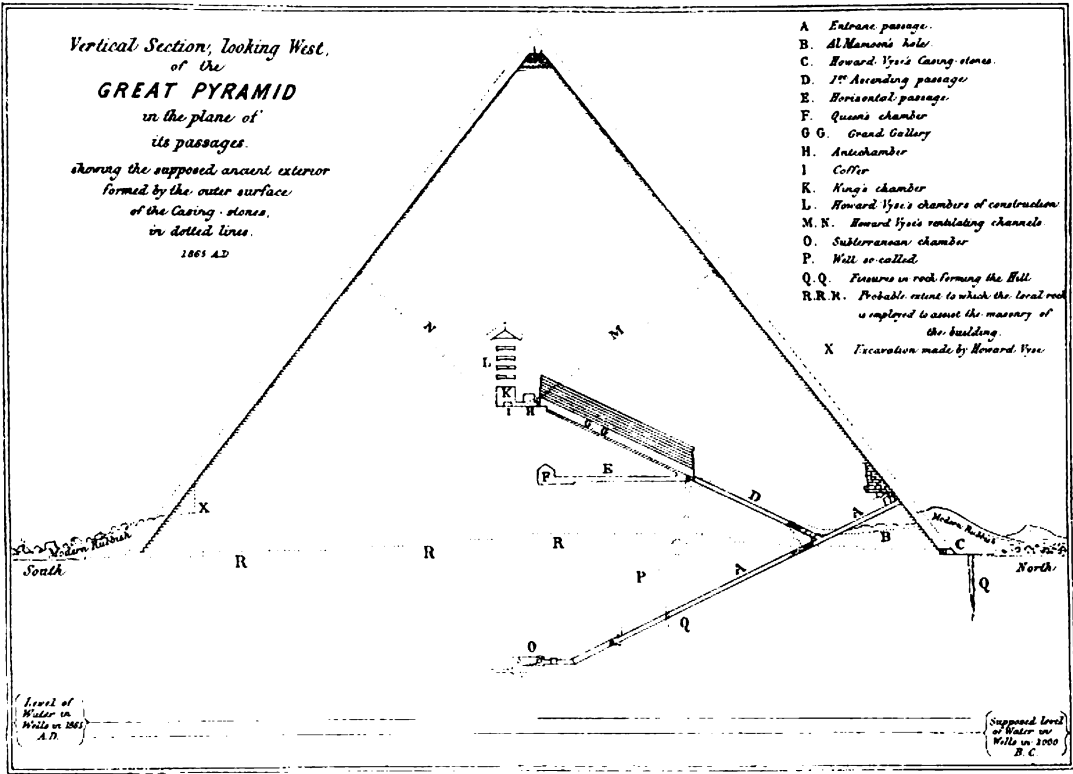
## مشاكل الهرم

يسأل بياتزي سميث<sup>(1)</sup>: هل بني الهرم الأكبر قبل اختراع الهيروغليفية، وقبل ميلاد الدين المصري؟ قد يثبت الزمان أن الغرف العليا للهرم كانت لغزاً محيراً حتى قبل إنشاء الإمبراطورية المصرية. في الغرفة السفلية، توجد علامات تشير إلى أن الرومان قد استطاعوا الدخول إلى هناك. وبناء على الفلسفة السرية للمصريين، بدأ جورج هارمن، بسلسلة من الحسابات الرياضية المعقدة للغاية والدقيقة؛ مقررًا أن الطقس الأول للهرم قد تم قبل 68890 سنة، عندما أرسل النجم فيغا شعاعه لأول مرة أسفل الممر النازل في الحفرة. كما تم الانتهاء من البناء الفعلي للهرم خلال عشر أو خمسة عشر سنة قبل هذا التاريخ مباشرة.

وعلى حين أن مثل هذه الأرقام تثير سخرية علماء المصريات المحدثين، إلا أنها تستند إلى دراسة شاملة لمبادئ الميكانيكا الفلكية، عندما دمجت في بنية الهرم من قبل البناة الأوائل. لو كانت أحجار الغلاف في موقعها بداية القرن التاسع، فإن علامات التآكل المزعومة على السطح الخارجي لم تكن بسبب الماء. كما أن النظرية القائلة أن الملح على الأحجار الداخلية للهرم هو دليل على أن المبنى قد غُمر بالمياه بسبب الحقيقة العلمية التي مفادها أن هذا النوع من الحجر يخضع لنضج الملح. وعلى حين أن المبنى قد يكون قد غمر، جزئياً على الأقل، خلال آلاف السنين منذ إنشائه، فإن الأدلة المقدمة لإثبات هذه النقطة ليست قاطعة.

(1) كان بياتزي سميث (1819 - 1900) عالم فلكي بريطاني المولد، وهو معروف بالعديد من الابتكارات في علم الفلك ودراساته الهرمية والمتروولوجية عن الهرم الأكبر في الجيزة.

بني الهرم الأكبر من الحجر الجيري والجرانيت، وقد جمع هذين النوعين من الصخور بطريقة غريبة ومميزة. قطعت الأحجار بأقصى درجات الدقة، وكان الاسمنت المستخدم ذا جودة رائعة لدرجة أنه أصبح الآن قاسياً مثل الحجر نفسه. وقد نشرت كتل الحجر الجيري بمناشير برونزية، كانت أسنانها من الماس أو جواهر أخرى. كدست الكتل الحجرية على الجانب الشمالي من الهضبة التي بني عليها الهيكل، حيث تشكل دعامة إضافية للمساعدة في دعم وزن الهيكل. الهرم بأكمله هو مثال للتوجه المثالي ولتربيع الدائرة في الواقع. يتم تحقيق الشيء الأخير عن طريق إسقاط خط عمودي من قمة الهرم إلى خط الأساس. لو كان هذا الخط العمودي يمثل نصف قطر دائرة وهمية، فسوف يكون طول محيط هذه الدائرة مساوياً لمجموع الخطوط الأساسية للوجوه الأربعة للهرم.



### المقطع الرأسي للمهرم الأكبر

من كتاب سميث، الحياة والعمل في الهرم الأكبر.

ينتصب الهرم الأكبر على هضبة من الحجر الجيري في الأساس، التي ووفقاً للتواريخ القديمة، غمرها النيل ذات مرة، مما وفر الوسيلة لاستخدام الكتل الضخمة في بنائه. بافتراض أن قمة الهرم الحجرية لازالت موجودة، فوفقاً لجون تايلور، ارتفاعه

**148.13** متر؛ كما يبلغ طول قاعدة كل جانب **232.8** متراً ويغطي الهيكل بأكمله مساحة أرضية تزيد عن **13** فداناً. الهرم الأكبر هو الوحيد في أهرام الجيزة - في الواقع وكما هو معروف هو الوحيد في مصر - الذي يحتوي على غرف داخل الجسم الفعلي للهرم نفسه. فهذا يدحض قانون ليبسيوس، الذي يؤكد أن كل من هذه الهياكل هو نصب تذكاري بني فوق غرفة تحت الأرض والتي يرقد فيها الحاكم. يحتوي الهرم على أربعة غرف، وهي موضحة بالأحرف **O, F, H, K**.

**(K)** حجرة الملك؛ عبارة عن مستطيل طوله **11.88** متراً، وعرضها **5.18** متر، وارتفاعها **5.8** متر؛ (مع تجاهل الأجزاء الكسرية من المتر) وسقفها مسطح يتكون من تسعة أحجار كبيرة، الأكبر في الهرم. يوجد فوق غرفة الملك خمس حجرات منخفضة (**L**)، تسمى عادة غرف البناء. في أدناها توجد غرفة الفرعون خوفو. في نهاية غرفة الملك مقابل المدخل يوجد التابوت الحجري الشهير، أو النابوس (**I**)، وخلفه توجد فتحة صغيرة حفرت على أمل اكتشاف أشياء ثمينة. اثنان من فتحات التهوية (**M, N**) تمران عبر كامل جسم الهرم لتهوية غرفة الملك. هذا في حد ذاته يكفي لإثبات أن المبنى لم يكن مخصصاً للقبر.

بين الطرف العلوي للهو الكبير، (**G, G**) وغرف الملك توجد غرفة صغيرة (**H**)، طولها الأقصى **2.7** متر، وعرضها الأقصى **1.5** متر، وارتفاعها يبلغ **3.65** متر، جدرانها محززة لأسباب غير معروفة حتى الآن. في الأخدود الأقرب للهو الكبير نجد لوحاً من الحجر مقسوماً لجزئين، ذا مقبض خاص بـتبارز حوالي بوصة من سطح الجزء العلوي مقابل الهو الكبير. هذا الحجر لا يصل إلى أرضية الغرفة الموصلة، ويجب أن يمر الداخلون إلى غرفة الملك تحت اللوح. من قاعة الملك، يتحدر الهو الكبير - طوله **46** متراً، وارتفاعه **8.5** متراً، وعرضه **2.1** متر في أكبر نقطة له ويتناقص إلى متر واحد نتيجة لتداخل حجارة السقف، مع الأحجار التي تشكل الجدران.

أعلى قليلاً من مستوى غرفة الملكة. يتفرع ممر أفقي (**E**)، يبلغ طوله **38** متر تجاه مركز الهرم لينفتح على حجرة الملكة (**F**) يبلغ طول غرفة الملكة **5.75** متر، وعرضها **5.2** متر، وارتفاعها **6.2** متر؛ سقفها جملوني يتألف من ألواح كبيرة من الحجر. ممرات التهوية غير الظاهرة تمتد من غرفة الملكة، ولكنها لم تكن مفتوحة في الأصل. في الجدار الشرقي لغرفة الملكة يوجد مكان غريب من الحجر المتقارب تدريجياً، والذي على الغالب قد يثبت أنه مدخل جديد مفقود.

عند النقطة حيث ينتهي الهو الكبير ويبدأ الممر الأفقي باتجاه غرفة الملكة نجد المدخل إلى الجب ونجد أيضاً الفتحة المؤدية إلى أسفل أول ممر صاعد (**D**) وصولاً إلى النقطة التي يلتقي فيها هذا الممر مع الممر النازل (**A**) من الجدار الخارجي للهرم وصولاً إلى

الغرفة الجوفية. بعد نزول 19 متراً أسفل الجيب (P)، نصل إلى الكهف. من خلال الاستمرار في قاع الكهف، يؤدي الجيب هبوطاً بعد نحو 40.5 متراً إلى ممر المدخل الهابط (A)، والذي يلتقي به لمسافة قصيرة قبل أن يصبح هذا الممر أفقياً ويؤدي إلى الحجرة الجوفية.

يبلغ طول الحجرة الجوفية (0) حوالي 14 متراً وعرضها 8.2 متراً، لكنها منخفضة للغاية، حيث يتراوح ارتفاع السقف ما يزيد قليلاً عن مترواحد إلى نحو أربعة أمتار تقريباً من الأرضية الخام غير المكتملة على ما يبدو. من الجانب الجنوبي للغرفة الجوفية، يمر نفق منخفض بطول حوالي 15.2 متراً ليلتقي بجدار فارغ. وهذه الفتحات هي الوحيدة المعروفة في الهرم، باستثناء عدد قليل من المنافذ، والثقوب الاستكشافية، والممرات العمياء، والنفق المتعرج (B) الذي شقه المسلمون تحت قيادة الخليفة المأمون سليل النبي.



لو تم إغلاق الممر المؤدي إلى غرفة الملك وغرفة الملكة قبل آلاف السنين من العصر المسيحي، فإن أولئك الذين تم قبولهم لاحقاً في أسرار الهرم، لا بد أن يكونوا قد تلقوا أسرارهم في الممرات الجوفية غير المعروفة الآن. بدون هذه الممرات لم يكن هناك أي وسيلة للدخول أو الخروج، لأن مدخل السطح الرئيسي كان مغطى بالكامل بحجارة الغلاف. فإذا لم يتم إخفاؤه بكتلة أبو الهول أو أخفي في جزء من تلك الصورة، قد يكون المدخل السري إما في أحد المعابد المجاورة أو على جانبي هضبة الحجر الجيري.

توجه الانتباه إلى سدادات الجرانيت التي تملأ الممر الصاعد إلى غرفة الملكة والتي أجبر الخليفة المأمون عملياً على سحقها قبل أن يتمكن من شق طريقه إلى الغرف العلوية. يلاحظ سميث بأن مواقع الحجارة يدل على أنها وضعت في مكانها من الأعلى - مما جعل من الضروري لعدد كبير من العمال المغادرة من الغرف العليا. كيف فعلوا ذلك؟ يعتقد سميث أنهم نزلوا من خلال الجب (انظر الشكل)، وألقوا حجر المنحدر في مكانه وراءهم. ويدعي كذلك أن اللصوص ربما استخدموا الجب كوسيلة للدخول إلى الغرف العليا؛ فبعد أن وضع حجر المنحدر في سرير من الجبس، اضطر اللصوص إلى اختراقه، تاركين فتحة في المكان. السيد دوبري، المهندس المعماري الذي قضى سنوات في التحقيق حول الأهرامات، يختلف مع سميث، لأنه يعتقد أن الجب نفسه كان بمثابة ثقب لصوص، فهو أول محاولة ناجحة لدخول الغرف العليا من الغرفة الجوفية، ثم القسم الوحيد المفتوح من الهرم.

يعتمد السيد دوبري في استنتاجه على حقيقة أن الجب مجرد فتحة وأن الكهف ليس إلا غرفة غير متقنة الإنشاء، مما يثير التساؤل حول الدقة المعمارية التي بني بها الجزء المتبقي من الهرم! يحول قطر الجب أيضاً دون إمكانية حفره للأسفل؛ فيجب أن يكون قد فُتح من الأسفل، وكان الكهف ضرورياً لتزويد اللصوص بالهواء. من غير المعقول أن يحطم بناء الهرم أحد أحجارهم المنحدرة تاركين سطحه المكسور وفتحة في الجدار الجانبي ليهلكهم المثالي. إذا كان الجب عبارة عن فتحة لصوص، فقد يفسر سبب خلو الهرم عندما ولجه الخليفة المأمون وما حدث لغطاء التابوت المفقود. إن الفحص الدقيق لما يسمى بالغرفة الجوفية غير

المكتملة، والتي لا بد أن تكون قاعدة عمليات اللصوص، قد يكشف عن وجودهم أو يوضح المكان الذي جمعوا فيه الركام الذي يجب أن يتجمع نتيجة لعملياتهم. وعلى حين أنه ليس من الواضح تماماً المدخل الذي وصل منه اللصوص إلى الغرفة الجوفية، فمن غير المحتمل أن يستخدموا الممر الهابط.

هناك مشكاة تلفت الانتباه في الجدار الشمالي لغرفة الملكة والتي يصفها المرشد المحمدي بجلاء بأنها مزار. ومع ذلك، فإن الشكل العام لهذه المشكاة، حيث تتلاق جدرانها بسلسلة من التداخلات مثل تلك الموجودة في الهو الكبير، يشير إلى أنه تم تصميمه كممر في الأصل. لم تكن الجهود المبذولة لاستكشاف هذا الموضع مثمرة، لكن السيد دوبري يعتقد أن المدخل موجود هنا والذي من خلاله - إذا لم يكن الجب موجوداً آنذاك - خرج العمال من الهرم بعد إسقاط المقابس الحجرية في الممر الصاعد.

لقد ساهم مفسري الكتاب المقدس بعدد من المفاهيم العجيبة المتعلقة بالهرم الأكبر. فقد اعتبروا هذا الصرح القديم كخزنة يوسف (على الرغم من أن سعته ضئيلة بشكل ميؤوس منه)؛ أو بأن الهرم كان قد بني كقبر لفرعون الخروج، والذي ومن المؤسف لم يدفن هناك لأن جثته لم تنتشل من البحر الأحمر؛ وأخيراً كتأكيد سرمدى على عصمة النبوءات الواردة في النسخة المعتمدة من الانجيل!

## أبو الهول

على الرغم من أن الهرم الأكبر، كما أوضح إغناطيوس دونيلي، قد بُني على نمط من الهندسة المعمارية القديمة، والتي يمكن العثور على أمثلة عنها في كل جزء من العالم تقريباً، فإن تمثال أبو الهول مصري خالص. ينص اللوح بين ذراعيه على أن أبو الهول هو صورة لإله الشمس، هارماكيس، وقد نُحت بوضوح على شبه الفرعون الذي أقيم في عهده. تم ترميم النصب ونحته بالكامل بواسطة تحتمس الرابع<sup>(1)</sup>، نتيجة للرؤية التي ظهر فيها الإله وأعلن نفسه مضطهداً بسبب ثقل الرمال حول جسده. تم اكتشاف اللحية المكسورة لأبو الهول خلال الحفريات بين أيدي التمثال. أما الدرجات أمام أبو الهول وكذلك المعبد والمذبح بين يديه هي إضافات لاحقة، ربما رومانية، لأنه من المعروف أن الرومان أعادوا بناء العديد من الآثار المصرية. كان المقصود من الانخفاض في تاج الرأس، والذي كان يُعتقد ذات يوم أنه محطة لممر مغلق يؤدي من أبو الهول إلى الهرم الأكبر، أن يساعد في دعم غطاء الرأس المفقود الآن. غُرزت قضبان معدنية في جسد تمثال أبو الهول في محاولة عبثية لاكتشاف غرف أو ممرات داخل الجسد. الجزء الرئيسي من أبو الهول هو حجر واحد، ولكن تم بناء الأيدي الأمامية من

(1) تحتمس الرابع هو ابن أمنحتب الثاني والملكة تي - عاب، وهو الملك الثامن في الأسرة الثامنة عشر، وقد حكم من الفترة 1401 إلى 1391 ق.م. كان لأمنحتب الثاني خمسة أبناء يتسابقون لخلافة والدعم، حتى أدعى تحتمس الرابع أنه رأى الإله رع في نومه، وتفصيل هذا الحلم أن أبو الهول تحدث إلى تحتمس [1] وأخبره أنه إذا قام بإزالة الرمال المتراكمة على تمثاله وحافظ عليه مما يطمسه عن الأعين فإنه سيمنحه تاج مصر. وقد وجدت هذه الرؤيا مسجلة على " لوحة الحلم " التي وجدت بين أيدي تمثال أبو الهول، وهذه اللوحة تعتبر دليلاً على أن تحتمس لم يكن الوريث الحقيقي لعرش مصر وأن أخوته كانوا عقبه في سبيل توليه العرش مما جعله يختلق قصة الرؤيا كنوع من التحايل للاستيلاء على العرش بدون حق شرعي، وقد أزال بالفعل الرمال عن أبو الهول وأقام حوله سوراً بناه من اللبن.

حجارة صغيرة. يبلغ طول تمثال أبو الهول حوالي 61 متراً وارتفاعه 21 متر وعرضه 11.5 متراً عند الكتفين. يعتقد البعض أن الحجر الرئيسي الذي نحت منه، قد نقل من محاجر بعيدة بطرق غير معروفة، بينما يؤكد البعض الآخر أنه صخرة أصلية، وربما نتوء يشبه إلى حد ما الشكل الذي نحت لاحقاً. وقد تلاشت النظرية القائلة بأن كلاً من الهرم وأبو الهول تم بناؤهما من أحجار اصطناعية صنعت في ذات البقعة. يظهر تحليل دقيق للحجر الجيري أنه يتكون من كائنات بحرية صغيرة تسمى النيموليت<sup>(1)</sup>.

إن الافتراض الشائع بأن أبو الهول كان المدخل الحقيقي للهرم الأكبر، لم يتم إثباته. كريستيان يعرض هذه النظرية مستنداً في جزء منها على امبليخوس، على النحو التالي:

"كان أبو الهول المتربع في الجيزة، كما يقول مؤلف كتاب عهد الأسرار؛ بمثابة مدخل للغرف الجوفية المقدسة التي جرت فيها اختبارات المبتدئين. ويمكن تتبع هذا المدخل، الذي سدته في أيامنا هذه الرمال والقاذورات، بين القوائم العملاقة، وقد أغلقته في السابق بوابة برونزية لا يمكن فتحها إلا من قبل ساحر. لقد حفظها شيء من الاحترام العام؛ المشوب بنوع من الخوف الديني مما حافظ على حرمتها على نحو أفضل مما كانت ستفعله الحماية المسلحة. في داخل أبو الهول تقاطعت الممرات التي تؤدي إلى الغرف الجوفية للهرم الأكبر، ودون دليل فإن من يمضي في هذه المتاهة، سيعود ولا بد إلى نقطة البداية."

لكن ويا للأسف، لا يمكن العثور على الباب البرونزي المشار إليه، ولا يوجد أي دليل على وجوده على الإطلاق. على مر القرون حدثت العديد من التغييرات على التمثال العملاق، ولكن قد تكون الفتحة الأصلية قد أغلقت.

يعتقد جميع من درس الموضوع تقريباً أن الغرف الموجودة تحت الأرض تقع أسفل الهرم الأكبر. كتب روبرت بالارد قائلاً:

(1) حفرة النيموليت تكونت نتيجة تحجر كائن النيموليت وقد تم اكتشافها أول مرة في حجارة أهرام الجيزة وتتواجد عامة في الصخور الرسوبية في حوض البحر المتوسط، جاء اسم نيموليت من كلمة عملات صغيرة باللاتينية.

"كان لكهنة أهرامات بحيرة مورييس مساكنهم في الغرف الجوفية الكبيرة. ويبدو لي على الغالب بأن كهنة أهرام الجيزة قد كان لديهم ما يشبه ذاك. وقد أذهب أبعد من ذلك: - ربما كان بين هذه الكهوف ذاتها حيث حصلوا على الحجارة التي بنت الأهرامات. انني مقتنع، بأن الحفر العميق برأس من الألماس على عمق يمتد إلى مئة متر هو المطلوب لاختبار هذا". (انظر حل مشكلة الهرم).

نظرية السيد بالارد عن الغرف والمحاجر الواسعة تحت الأرض، تثير مشكلة مهمة في الهندسة المعمارية، فقد كان بناء الهرم بعيدون عن أن يهددوا دوام الهرم الأكبر من خلال وضع أكثر من خمسة ملايين طن من الحجر الجيري والجرانيت على أي أساس غير متين، ولذلك فمن المؤكد بأن هذه الغرف أو الممرات التي قد توجد أسفل المبنى غير ذات تأثير، مثل الممرات الموجودة داخل جسم الهيكل، والتي تشغل أقل من واحد من ست مائة من كتلة الهرم.

لقد نُصب أبو الهول بلا شك لأغراض رمزية بناء على رغبة الكهنة. كانت النظريات القائلة بأن التاج على جبينه كان في الأصل إصبع مزولة هائلة، وأن كلا من الهرم وأبو الهول قد استخدموا لقياس الوقت، والفصول، وتحديد الاعتدال الفصلي عبقرية بالطبع، ولكنها ليست مقنعة تماماً. إذا كان هذا المخلوق العظيم قد شُيّد لطمس الممر القديم المؤدي إلى المعبد الجوفي للهرم، فإن رمزيته ستكون هي الأنسب. وبالمقارنة مع الحجم الهائل للهرم الأكبر، فإن تمثال أبي الهول لا يكاد يذكر. وجهه المهشم، وبقايا الطلاء الأحمر الذي غطى الشكل الأصلي، مشوه إلى درجة يجعل من الصعب التعرف عليه. أنفه حطم على يد محمدي متعصب خشية أن يقود أتباع الرسول إلى الوثنية. إن طبيعة بنائه والإصلاحات الحالية الضرورية لمنع سقوط الرأس تشير إلى أنه عجز عن الديمومة مقارنة بالأزمان المتطاولة التي انقضت منذ إنشاء الهرم.

بالنسبة للمصريين، كان أبو الهول رمز القوة والذكاء. ونحت على الشكل الخنثوي للدلالة على أنهم أدركوا أن المنضمين والآلهة يتشاركون القوى الخلاقة الإيجابية منها والسلبية. كتب جيرالد ماسي<sup>(1)</sup>:

"هذا هو سر أبو الهول. أبو الهول المعروف في مصر مذكر في الأمام ومؤنث في الخلف. هكذا هي صورة سوت - تيفون، وهو نوع من القرن والذيل، ذكر من أمام وأنثى من الخلف. كان الفراعنة، الذين ارتدوا ذيل لبوة أو بقرة من الخلف، ذكور من المقدمة مع خلفيات مؤنثة، مثلهم كمثل الآلهة شملوا مجمل الوجود المزدوج في شخص واحد، مولود من الأم، ولكن من كلا الجنسين كطفل".

لقد سخر معظم الباحثين من تمثال أبو الهول، وبدون أي تنازل للتحري عن العملاق العظيم، حوّلوا انتباههم إلى سر الهرم الأكبر.

(1) جيرالد ماسي ( 1828 - 1907 ) شاعر ومؤلف ومحاضر إنجليزي وعالم مصريات، سمعة هذا الرجل الاستثنائية تستند على قدرته الفريدة للجمع بين الارتباطات والثقافات المختلفة في شعره.

### أوديب وأبو الهول

يرتبط أبو الهول المصري ارتباطاً وثيقاً بأسطورة أوديب اليونانية، فهو أول من حل اللغز الشهير الذي طرحه المخلوق الغامض، صاحب جسد الأسد المجنح ورأس امرأة ويقال لها هنا الهولة، والذي كررته على مسامع المارين على الطريق المؤدي إلى طيبة.

فكل من مرقب عرينها، وجهت له الهولة السؤال التالي: ما هو الشيء الذي يسير في الصباح على أربعة أقدام، في الظهر على قدمين، وفي المساء على ثلاثة أقدام؟ أولئك الذين فشلوا في الإجابة على اللغز أكلتهم. أعلن أوديب بأن الجواب هو الرجل، والذي في بدايته يكون طفلاً يحبو ثم شاباً يافعاً على قدميه ثم يهرم فيمشی على عصا بجانب قدميه فانهارت الهولة لمعرفة حل اللغز الرهيب، وألقت بنفسها من على الجرف وماتت.



لا تزال هناك إجابة أخرى على لغز أبو الهول، وهي إجابة أفضل وذلك باستعمال قيم فيثاغورث للأرقام. بجمع الأرقام 4 و 2 و 3 نحصل على 9، وهو العدد الطبيعي للإنسان والعوالم السفلية. 4 يمثل الرجل الجاهل، 2 المفكر، و 3 الرجل الروحي. تسير الإنسانية في طفولتها على أربعة أرجل، وتمضي الإنسانية المطورة على ساقين، وإلى قوة عقله، يضيف الما جوس المستنير عصا الحكمة إليه. لذلك فأبو الهول هو سر الطبيعة، وتجسيد للعقيدة السرية، وكل من لا يستطيع حل اللغز يهلك. تجاوز أبو الهول هو تحقيق للخلود الشخصي.

## أسرار الهرم

لطالما شاعت الفرضية بأن كلمة الهرم مستمدة من كلمة النار، مما يدل على أنها تمثل رمزاً للهب الإلهي الواحد، حياة كل مخلوق. يعتقد جون تايلور أن كلمة الهرم تعني مكيال القمح، على حين أن سميث يفضل المعنى القبطي "المقسوم على عشرة". وقد قبل المنضمون الشكل الهرمي كرمز مثالي للعقيدة السرية والمؤسسات التي أنشأت لنشرها. تعد الأهرامات نماذج معاكسة للجبال المقدسة، أو مكان الإله الأعلى، الذي كان يعتقد أنه يقف في "وسط" الأرض. يربط جون لوندي الهرم الأكبر بالأوليمبوس الأسطوري، على افتراض أن غرفه الجوفية تتوافق مع متاهات جهنم.

تعتبر القاعدة المربعة للهرم بمثابة تذكير دائم بأن بيت الحكمة يقوم على الطبيعة وعلى قوانينها الثابتة. كتب ألبرت بايك، زعم الغنوصيون، أن الصرح الكامل لعلمهم يقع على مربع زواياه هي: الصمت؛ العمق؛ الذكاء؛ الحقيقة. (انظر الأخلاق والعقيدة). تواجه جوانب الهرم الأكبر الاتجاهات الأربع الرئيسية، حيث يشير الأخير وفقاً لليفي إلى منتهى درجات الحرارة والبرودة (الجنوب والشمال) ومنتهى النور والظلام (الشرق والغرب). تمثل قاعدة الهرم كذلك العناصر أو المواد الأربعة والتي يتكون منها جسم الإنسان الرباعي. يقوم على كل جانب من جوانب المربع مثلث، يصور الطبيعة الإلهية ذات الثلاثة وجوه والتي تتوج كل طبيعة مادية. إذا تم اعتبار كل سطر أساسي مربعاً يصعد منه قوة روحية ثلاثية، فإن مجموع خطوط الوجوه الأربعة (12) والمربعات الافتراضية الأربعة (16) التي يشكل مجموعها



الأساس 28، وهو العدد المقدس للعالم السفلي. إذا أضيف هذا إلى السبعينات الثلاث التي تتكون منها الشمس (21)، فالمجموع 49، مربع 7 والذي هو عدد الكون.

رموز الأبراج الاثني عشر، تمثل حكام العوالم الدنيا، وتشير إليها الخطوط الاثني عشر للمثلثات الأربعة - وجوه الهرم. وسط كل وجه أحد وحوش حزقيال، ويصبح الشكل ككل شبيهاً بكروبيم. تنسب الغرف الثلاثة الرئيسية للهرم بالقلب والدماغ وجهاز التكاثر - المراكز الروحية للتوليفة البشرية. يشبه الشكل الثلاثي للهرم أيضاً الشكل الذي يتخذه الجسم أثناء التمارين التأملية القديمة. كما علمت الأسرار القديمة أيضاً أن الطاقات الإلهية النازلة من الآلهة تصب على قمة الهرم، والذي يشبه شجرة مقلوبة فروعها أدناها وجذورها في القمة. من هذه الشجرة المقلوبة، يجري نشر الحكمة الإلهية عن طريق التدفق من الجوانب لتشع على كل العالم.

لا يمكن تحديد حجم قمة الهرم الأكبر بدقة، لأنه وعلى الرغم من أن معظم الباحثين افترضوا أنها كانت في مكانها ذات مرة، إلا أنه لم يتبق منها أي أثر الآن. هناك ميل غريب بين صانعي الهياكل الدينية العظيمة إلى ترك إبداعاتهم غير مكتملة، مما يدل على أن الإله وحده هو الكامل. كانت القمة - إن وجدت - بحد ذاتها هرمًا صغيراً، غطيت قممها مرة أخرى بكتلة أصغر لنفس الشكل، وهكذا إلى ما لا نهاية. فالقمة هي مثال للهيكل بكامله. وهكذا، لنا أن نشبه الهرم بالكون على قمته الرجل؛ على العقل؛ حيث الروح هي قمة العقل، والإله - خلاصة الكل - قمة الروح. ككتلة خشنة وغير مكتملة، يؤخذ الرجل من المحجر ومن خلال الثقافة الغامضة للأسرار يتحول تدريجياً إلى قمة هرمية مثالية. يكتمل المعبد فقط عندما يصبح المنضم نفسه قمة حية تتركز من خلالها القوة الإلهية في الهيكل القائم أدناه.

يطلق والتر آدمز على الهرم الأكبر "منزل الأماكن الخفية"؛ وقد كان كذلك بالفعل، لأنه كان الحرم للحكمة ما قبل المصرية. أما للمصريين، فقد ارتبط الهرم الأكبر بهرمس، إله الحكمة والرسول ومشكاة النور الإلهي والذي عبد على أنه كوكب عطارد. تؤكد علاقة هرمس بالهرم من جديد على حقيقة أنه كان في الواقع المعبد الأعلى للإله الأسى غير المرئي. لم يكن الهرم

الأكبر منارة أو مرصداً أو قبراً، ولكن المعبد الأول للأسرار، أول هيكل أقيم كمستودع لتلك الحقائق السرية التي تشكل الأساس لجميع الفنون والعلوم. كان الشعار المثالي للكون الأصغر والكون الأكبر، ووفقاً للتعاليم السرية، قبر أوزوريس، إله النيل الأسود. لقد مثل أوزوريس مظهراً معيناً للطاقة الشمسية، وبالتالي فإن منزله أو قبره هو رمز للكون الذي دفن داخله وللصليب الذي صلب عليه.

عبر الممرات والغرف السرية للهرم الأكبر مر نور الأقدمين. لقد دخلوا بواباته كرجال، وخرجوا كآلهة. لقد كان مكان " الولادة الثانية "، و " رحم الاسرار "، والحكمة التي سكنته، تماثل الإله الساكن في قلوب الرجال. في مكان ما في أعماقه، يقيم كائن مجهول والذي كان يسمى " الفاتح "، أو " الواحد المستنير "، والذي ارتدى اللون الأزرق والذهبي حاملاً في يده المفتاح السباعي للخلود. كان هذا هو هيروفان صاحب وجه الأسد، الواحد المقدس، سيد الأسياذ، الذي لم يغادر بيت الحكمة أبداً والذي لم يره أحد من قبل سوى من اجتاز بوابات الطهارة والنقاء. في هذه الحجرات تقابل أفلاطون – عريض الأكتاف - وجهاً لوجه مع حكمة العصور المتمثلة في سيد البيت الخفي.

من كان السيد القاطن في الهرم العظيم، حيث دلت الحجرات الكثيرة على عوالم الفضاء؛ السيد الذي سيرى أولئك الذين " ولدوا من جديد "؟ لقد عرف وحده سر الهرم، لكنه غادر طريق الحكمة ليترك المنزل فارغاً. لقد توقف صدى تراتيل التمجيد عن ملئ فراغ الغرف بنغماته المكتومة؛ لم يعد المعتنق يمر عبر العناصر ويتجول بين النجوم السبعة؛ لم يعد المرشح يتلقى " كلمة الحياة " من شفاه الاحد الأبدي. لم يعد هناك شيء يمكن أن تراه عين الإنسان سوى قشرة فارغة - رمز سطحي للحقيقة الداخلية - حيث يسمى الرجال بيت الإله قبراً!

لقد تكشف الأسرار على يد الحكيم المستنير، سيد البيت السري. وكشفت القدرة على معرفة الروح الحارسة للمعتنق الجديد؛ وطريقة فك ارتباطها بجسده المادي. لقد شرحت العربة الإلهية؛ ولاكتمال ماغنوس أوبوس " أعظم ما أبدع "، تم الكشف عن الاسم الإلهي - وهو الاسم السري الذي يعجز عنه الوصف للإله الأسى، وهي المعرفة التي تدمج ذات الرجل وإلهه

في وعي واحد. بمنحه الاسم، أصبح المعتنق الجديد نفسه هرمًا، وفي داخل روحه يمكن لعددٍ لا يحصى من البشر، أن يتلقوا التنوير الروحي أيضاً.

في غرفة الملك مُثلت دراما " الموت الثاني ". هنا تم دفن المرشح، بعد صلبه على صليب الانقلابات والاعتدالات، حيث ووري في التابوت الكبير. هناك لغز عميق في جو ودرجة حرارة غرفة الملك: إنه برد شبيه بالموت والذي يخترق الجسد حتى نخاع العظم. كانت هذه الغرفة مدخلاً بين العالم المادي ومجالات الطبيعة المتسامية. وبينما كان جسده يرقد في التابوت، تسامت روح المبتدئ كما صقر برأس رجل من خلال العوالم السماوية، لاكتشاف أبدية الحياة والنور والحقيقة، فضلاً عن وهم الموت والظلام، والخطيئة. وهكذا، قد يشبه الهرم الأكبر بوابة سمح من خلالها الكهنة القدماء لعدد قليل بالعبور نحو تحقيق الكمال الفردي. تجدر الإشارة أيضاً إلى أنه إذا نقر على التابوت في حجرة الملك، فإن الصوت المنبعث ليس له نظير في أي مقياس موسيقي معروف. لربما تكون هذه النغمة قد شكلت جزءاً من هذه المجموعة من الظروف التي جعلت غرفة الملك مكاناً مثالياً لمنح أعلى درجة من الأسرار.

لا يعرف العالم الحديث سوى القليل عن هذه الطقوس القديمة. ينظر العالم واللاهوتي على حد سواء إلى الهيكل المقدس، يملئهم التساؤل عن الرغبة الأساسية التي ألهمت هذا العمل الشاق. لو كانوا لا يزالون يفكرون للحظة، فسيدركون أن هناك رغبة واحدة فقط في روح الإنسان قادرة على توفير الحافز المطلوب - أي الرغبة في معرفة وفهم وتبادل ضيق أخلاق البشر من أجل مدى أكبر من نطاق النور الإلهي. لذلك يقول الرجال عن الهرم الأكبر إنه المبنى الأكثر كمالاً في العالم، ومصدر الأوزان والمقاييس، وسفينة نوح الأصلية، وأصل اللغات، والحروف الهجائية، ومقاييس درجة الحرارة والرطوبة. قليلون يدركون، مع ذلك، أنه بوابة الأبدية.

على الرغم من أن العالم الحديث قد يعرف مليون سر، إلا أن العالم القديم كان يعرف واحداً - وكان أكبر من المليون؛ لأن ملايين الأسرار تولد الموت والكوارث والحزن والأنانية والشهوة والجشع، لكن السر الوحيد يمنح الحياة والنور والحقيقة. سيأتي الوقت الذي تكون فيه الحكمة السرية مرة أخرى هي الهيمنة الدينية والفلسفية السائدة في العالم. أما اليوم فهو في

يد العقيدة المهلكة. لقد بني برج بابل اللاهوتي الكبير، مع اختلاط الألسنة، من طوب الطين. من الرماد البارد للعقائد الخالية من الحياة، ستنبعث مثل العنقاء، الأسرار القديمة. لم تستجب أي مؤسسة أخرى تماماً للتطلعات الدينية للإنسانية، لأنه ومنذ تدمير الأسرار لم يكن هناك أبداً نظام ديني يمكن لأفلاطون الاشتراك فيه. إن كشف الطبيعة الروحية للإنسان هو علم دقيق بقدر علم الفلك أو الطب. ولتحقيق هذه الغاية، تم تأسيس الأديان في المقام الأول؛ ومن الدين جاء العلم والفلسفة والمنطق كطرق لتحقيق هذا الهدف الإلهي.

الإله الميت سيبعث ثانية! وستكتشف الغرفة السرية في بيت الأماكن الخفية. يجب أن يقف الهرم مرة أخرى باعتباره الشعار المثالي للتضامن والإلهام والطموح والقيامة والتجديد. وبما أن رمال الزمن تدفن الحضارة فوق الحضارة تحت ثقلها، سيبقى الهرم كميثاق ظاهر بين الحكمة الأبدية والعالم. قد يكون الوقت حان لسماع نداء المستنير مرة أخرى في ممراته القديمة، حيث ينتظر سيد البيت الخفي في صمت المكان لمجيء ذاك الرجل الذي يلقي جانباً مغالطات العقائد والأديان، ساعياً ببساطة نحو الحقيقة، والذي لن يرضيه البديل ولن يقتنع بالمزيف.



## إيزيس عذراء العالم

إنه لمن المناسب بشكل خاص عند البدء بدراسة الرموز الهرمسية؛ مناقشة رموز وسمات إيزيس الصاوية<sup>(1)</sup>. إنها إيزيس من صا الحجر، المشهورة بنقشها الظاهر على الجزء الأمامي من معبدها في تلك المدينة:

"أنا كل ما كان وما سيكون، وما كان لأحد فان من البشر أن يكشف غطائي"

يؤكد بلوتارخ أن العديد من الكتاب القدماء يعتقدون أن هذه الإلهة هي ابنة هيرمس. ورأى آخرون أنها كانت طفلة بروميثيوس. وقد امتاز أنصاف الآلهة هؤلاء بحكمهم الإلهية؛ وليس من المستبعد أن تكون القرابة بين هذه الآلهة مجرد مجاز. يترجم بلوتارخ اسم إيزيس ليعني الحكمة؛ أما جودفري هيجنز، فهو يقول بأن اسم إيزيس مستمد من العبرية "אלה" بمعنى المخلصة، ومن ἱερωσύνη اليونانية، التي تنقذ. ومع ذلك، فإن بعض المراجع، على سبيل المثال، ريتشارد باين نايت (كما ورد في كتابه اللغة الرمزية في الفن والأساطير القديمة)، يعتقد أن الكلمة من أصل شمالي، وربما اسكندنافي أو قوطي. ففي هذه اللغات، يُنطق الاسم **Isa**، بمعنى الجليد أو الماء في أقصى حالاته السلبية أو البلورية.

تظهر هذه الربة المصرية تحت العديد من الأسماء كمبدأ للخصوبة الطبيعية بين جميع أديان العالم القديم تقريباً. وقد كانت معروفة باسم الإلهة ذات العشرة آلاف اسم، وتحولت في

(1) صا الحجر إحدى قرى مصر، ولها تاريخ قديم منذ 4000 سنة قبل الميلاد. كانت عاصمة مصر خلال الأسرة المصرية السادسة عشرة الأسرة المصرية السابعة عشر. اسمها في عهد الفراعنة "صاو" وحرفها الإغريق إلى "سايس" Saïs.

المسيحية إلى العذراء مريم. إيزيس، وعلى الرغم من أنها ولدت جميع الكائنات الحية - وعلى رأسها الشمس - فهي لا تزال عذراء، وفقاً للمعتقدات الأسطورية. في الفصل الحادي عشر من الحمار الذهبي ينسب أبوليوس إلى الإلهة العبارة التالية المتعلقة بسلطاتها وصفاتها:

" انظر إلي، يا لوكيوسا لقد نادتي دعوتك، فجئت، أنا أم الطبيعة، وسيدة العناصر كلها، وخلية الأجناس، - أميرة الأرواح، وملكة الموتى، وربة السماء، جوهر الآلهة والإلهات. ضوء قبة السماء، ونسمة البحر الشافية، صمت الجحيم المفجع خاضع لإشارتي. أنا كائن، ومع ذلك فلي أشكال كثيرة، وشعائر متغيرة، أحظى بعبادة الكرة الأرضية كلها تحت أسماء متعددة. فأنا هناك عند الإفريقيين القدامى أم آلهة بسينوس، وهنا عند أهالي بلاس الاتيكيين منيرفا السكوروبية (الأثينية)، وأدعى عند أهالي جزيرة قبرص فينوس النافية، أما عند الرماة الكرتيين فاسمي هو ديانا الديكونية، وعند الصقليين ثلاثي اللغة أدعى بروسيرينا الستوجية، بينما أدعى كيريس الأكيسية عند الألوزين القدامى. بعضهم يدعواني جونو، وبعضهم الآخر بيلونا، هؤلاء هيكانه وأولئك رامنوزيا؛ أما الأثيوبيون، الذين يضيئهم إله الشمس فاسمي شروق وغروب، والمصريون بما لهم من حكمة قديمة فيعبدوني حسب شرائعهم الخاصة ويدعوني الملكة إيزيس".

يعتقد لو بلونجون<sup>(1)</sup> بأن إيزيس لها علاقة بحضارة المايا في أمريكا الوسطى، حيث كانت تعرف عندهم بالملكة مو. وعند الأمير كوه وجد المؤلف نفسه شهماً بأوزوريس، شقيق - زوج إيزيس. تقول نظرية لو بلونجون بأن حضارة المايا كانت أقدم بكثير من حضارة مصر. فبعد مقتل الأمير كوه، هربت أرملته، الملكة مو، خوفاً من حنق قتلته، ولجأت إلى مستعمرات المايا في مصر، حيث قبلت كملكة وأعطيت اسم إيزيس. ولربما كان لو بلونجون محقاً، ولكن تتلاشى أهمية وجود ملكة تاريخية محتملة عند مقارنتها بالعذراء الرمزية المجازية؛ وحقيقة أنها تظهر

(1) أوغستوس لو بلونجون (1826 - 1908) مصور فرنسي أمريكي وعالم آثار ومؤلف درس آثار ما قبل كولومبوس في أمريكا، ولا سيما آثار حضارة المايا في شمال شبه جزيرة يوكاتان.

بين العديد من الأجناس والشعوب المختلفة، مما يحط من قيمة النظرية بأنها كانت فرداً تاريخياً.





إيزيس ملكة السماوات

من كتاب تاريخ الفسيفساء للكنيسة العبرية

ينقل ديودوروس نقشاً مشهوراً وجد منحوتاً على عمود في نيسا، في شبه الجزيرة العربية، حيث وصفت إيزيس نفسها على النحو التالي: "أنا إيزيس، ملكة هذا البلد. وقد أرشدني ميركوري. لا يمكن لأحد خرق القوانين التي وضعتها. أنا الابنة الكبرى لزحل،

أقدم الآلهة، أنا زوجة وأخت أوزوريس الملك، أول من علمت الرجال زراعة القمح، أنا أم حورس الملك. مدينة تل بسطة<sup>(1)</sup> بنيت تكريماً لذكراي. فلتبتهجي يا مصر، ولتبتهجي أيتها الأرض التي ولدتي!"

---

<sup>(1)</sup> كانت تل بسطة "بويسطه" (بالمصرية القديمة "باستيت") مركزاً دينياً هاماً وإحدى عواصم مصر القديمة. ونظراً لموقعها على مدخل مصر الشرقي فقد واجهت أفواج القادمين من الشرق عبر سيناء، وعاصرت العديد من الفاتحين والغزاة. وقد تشرفت بأنها كانت معبراً ومقراً مؤقتاً للسيدة مريم العذراء ووليدها المسيح "عليهما السلام" عند قدومهما إلى مصر. والمعبودة العظيمة لتلك المدينة القديمة "بوياسيتيس" كانت القطة الرشيقة الإلهة باستيت إلهة الحب والخصوبة.

وفقاً لسيكستوس إمبيريكوس، فقد وقعت حرب طروادة للحصول على تمثال لإلهة القمر. لهذا فالقمر هو هيلينا، وليس امرأة، ناضل الإغريق والطوراديين على أبواب طروادة.

كما حاول العديد من المؤلفين إثبات أن إيزيس وأوزوريس ونيفتيس وتايفوس وأروريس (تحوت أو ميركوري) كانوا أحفاد الأب اليهودي الكبير نوح من جهة ابنه حام. لكن بما أن قصة نوح وفلكه هي قصة كونية تتعلق بإعادة توطين الرجال على الأرض في بداية كل فترة عالمية، فإن هذا يجعله من أقل الاحتمالات بأن تكون شخصيات تاريخية. وفقاً لروبرت فلود<sup>(1)</sup>، فإن الشمس لها ثلاث خصائص - الحياة والضوء والحرارة. تقوم هذه الصفات الثلاث بتنشيط وإحياء العوالم الثلاثة - الروحية والفكرية والمادية. لذلك، يقال "من ضوء واحد، ثلاثة أضواء"، أول ثلاثة خبراء ماسون. على جميع الاحتمالات، تمثل أوزوريس الجانب الثالث، أو المادي، للنشاط الشمسي، والذي من خلال تأثيرها تنتعش وتنشط الحياة النباتية والحيوانية على الأرض. أوزوريس ليست الشمس، لكن الشمس هي رمز للمبدأ الحيوي للطبيعة، الذي عرفه القدماء باسم أوزوريس. لذلك كان رمزها عيناً مفتوحة، تكريماً لعين الكون العظيم، الشمس. وعلى عكس المبدأ النشط المشع المتمثل في لهب النار والسمع والحركة كانت أوزوريس تمثل المبدأ السلبي والمتقبل للطبيعة.

أثبت العلم الحديث أن الأشكال التي تتراوح في حجمها من النظم الشمسية إلى الذرات تتكون من نوى مشعة موجبة تحيط بها أجسام سلبية تظهر عند انبثاق الحياة المركزية. من هذا الرمز لدينا قصة سليمان وزوجاته، لأن سليمان هو الشمس وزوجاته ومحظياته هن الكواكب والأقمار والكويكبات وغيرها من الأجسام المتقبلة داخل منزله - القصر الشمسي. إيزيس، ممثلة في سفر نشيد الأنشاد<sup>(2)</sup> من قبل خادمة القدس القاتمة، هي رمز للطبيعة

<sup>(1)</sup> روبرت فلود ( 1574 – 1637 ) طبيب إنجليزي بارز، يذكر كمنجم ورياضي وعالم كونيات. اشتهر بمجموعاته في الفلسفة الغامضة. قام بتبادل شهير للآراء مع يوهانس كيبلر فيما يتعلق بالمنهج العلمية والمحكمة للمعرفة.

<sup>(2)</sup> سفر نشيد الأنشاد هو أحد أسفار التناخ والعهد القديم ويعرف بنشيد أنشاد سليمان. الشخصيات الأساسية في السفر هي امرأة (وتدعى في أحد الآيات شوليث) ورجل، ومن خلال الحوار الذي يدور بينهما يتبين انتقالهما من مرحلة

الاستقبالية - المبدأ الأمومي المائي الذي يخلق كل الأشياء من تلقاء نفسه بعد تحقيق التشريب  
برجولة الشمس.

في العالم القديم كان العام 360 يوماً؛ وجمعت الأيام الخمسة الإضافية معاً من قبل إله الذكاء الكوني لتكون بمثابة أعياد ميلاد للآلهة والإلهات الخمسة الذين يطلق عليهم أبناء وبنات حام. في أول هذه الأيام الخاصة ولدت أوزوريس وفي رابعهم ولدت إيزيس (يظهر الرقم أربعة العلاقة التي تحملها هذه الإلهة للأرض وعناصرها). بينما ولد تايفوس، الشيطان المصري أو روح الخصم، في اليوم الثالث. غالباً ما يرمز للتايفوس بالتمساح. في بعض الأحيان يكون جسده مزيجاً من التمساح والخنزير. ترمز إيزيس إلى المعرفة والحكمة، ووفقاً لبلوتارخ فإن كلمة تايفوس تعني الفخر والعجرفة، واللذان هما أعداء التفاهم والحقيقة القاتلين. لقد تكشف هذا الجزء من الرمز.

بعد أن أصبح أوزوريس، الذي يرمز له هنا بالشمس، ملكاً على مصر أعطى لشعبه الاستفادة الكاملة من نوره الفكري، ثم واصل طريقه عبر السماء، وزار شعوب الدول الأخرى هادياً كل من اتصل به. يؤكد بلوتارخ كذلك أن الإغريق تعرفوا في أوزوريس على نفس الشخص الذي كانوا يقدسونه تحت أسماء ديونيسوس وباخوس. لكن وبينما كان بعيداً عن بلاده، تأمر شقيقه تايفوس، الشر، مثل لوكي اسكندنافيا، ضد إله الشمس لتدميره. جمع اثنين وسبعين متأمراً، ليحقق النهاية الشائنة بأكثر الطرق دقة. فقد كان يملك صندوقاً مزخرفاً صنع فقط بحجم جسم أوزوريس. جلب هذا الصندوق إلى قاعة الولائم حيث كانت الآلهة والإلهات تحتفل معاً. أعجب الجميع بالصندوق الجميل، ووعد تايفوس بإعطائه إلى الشخص الذي يناسب جسمه بشكل مثالي. واحداً تلو الآخر اضطجع الأرباب والريبات في الصندوق، ولكن

---

الغزل إلى مرحلة تحقيق الزواج، على سبيل المثال الرجل ينادي: "كالسوسن بين الشوك كذلك حبيبتي بين البنات"، والمرأة تجيب: "كالتفاح بين شجر الوعر، كذلك حبيبي بين البنين، تحت ظله اشتيت أن أجلس وثمرته حلوه لحلي"، وكذلك يحتوي على الكورس المتمثل ببنات اورشليم. وبالرغم من افتقار سفر نشيد الانشاد من المحتوى الديني، إلا أنه يمكن تفسيره كتمثيل مجازي للعلاقة بين الرب وإسرائيل أو المسيحيين، أو بين الرب والمسيح والروح الإنسانية، كالعلاقة بين الرجل وزوجته.

بخيبة أمل نهضوا ثانية، حتى حاول أوزوريس أخيراً، وفي اللحظة التي كان فيها مستلقياً في الصندوق، قام تايفوس ومساعدوه بوضع الغطاء وإغلاق الشقوق بالرصاص المصهور. ثم ألقوا الصندوق في النيل، ليحمله معه إلى البحر. يذكر بلوتارخ أن التاريخ الذي حدث فيه كان اليوم السابع عشر من شهر هاتور<sup>(1)</sup>، عندما كانت الشمس في كوكبة العقرب؛ ويا للمصادفة، فالعقرب هو رمز الغدر. كما كان الوقت الذي دخل فيه أوزوريس إلى الصندوق هو نفس الفصل الذي اعتلى فيه نوح الفلك للهروب من الطوفان.

يكشف بلوتارخ كذلك أن بان وساتيار (أرواح الطبيعة والعناصر) اكتشفا أولاً أن أوزوريس قد قتل. فانتشر النفير فوراً، ومن هذه الحادثة نشأت كلمة ذعر<sup>(2)</sup>، الذي يعني خوف أو دهشة العامة. إيزيس، عندما تلقت نبأ مقتل زوجها، والذي علمته من بعض الأطفال الذين رأوا القتلة وهم يرمون الصندوق، فرضت على نفسها الحداد وبدأت بالبحث عنه. اكتشفت إيزيس بعد بحث مطول بأن الصندوق قد طفا على ساحل جبيل؛ حيث استقر على أغصان شجرة، والتي نمت في وقت قصير بأعجوبة حول الصندوق. أدهش ذلك ملك ذلك البلد لدرجة أنه أمر بقطع الشجرة وصنع من جذعها عموداً لدعم سقف قصره. قامت إيزيس، بزيارة جبيل، حيث استعادت جثة زوجها، لكنها سرقت ثانية من قبل تايفوس، الذي قطعها إلى أربعة عشر جزءاً، ونشرها في جميع أنحاء الأرض. بدأت إيزيس، يملأها اليأس، بجمع بقايا زوجها المقطعة، لكنها لم تعثر إلا على 13 قطعة؛ أما الجزء الرابع عشر (القضيب) فأعادت تشكيله بالذهب، لأن الأصل سقط في نهر النيل وابتلعه سمكة. قتل تايفوس في وقت لاحق خلال معركة على يد ابن أوزوريس.

يعتقد بعض المصريين أن أرواح الآلهة قد انتقلت إلى السماء، حيث تألفت نجوماً. ومن المفترض أن روح إيزيس تتلألأ في نجمة الكلب، بينما أصبح تايفوس كوكبة الدب. ومع ذلك،

(1) هاتور هو الشهر الثالث في التقويم المصري. وفي التقويم الجريجوري يبدأ من 11 نوفمبر إلى 9 ديسمبر. واسم الشهر مشتق من حتحور رمز الجمال والحب لدى قدماء المصريين.

(2) يشير المؤلف هنا إلى كلمة panic في اللغة الإنجليزية.

من المشكوك فيه ما إذا كانت هذه الفكرة مقبولة بشكل عام. يجري الإشارة لها بغطاء رأسها الأصلي وهو عبارة عن كرسي العرش الفارغ لزوجها المقتول. تتمتع أغطية الرأس بالنسبة للمصريين بأهمية رمزية كبيرة، لأنها تمثل حالات للأجسام العائدة للمخلوقات الخارقة، وتستخدم بنفس الطريقة التي يتم بها استخدام الهالة في الفن الديني المسيحي. لاحظ فرانك هيجينز، وهو كاتب مهتم بالرموز الماسونية، أن أغطية الرأس المزخرفة لبعض الآلهة والفرعنة تميل إلى الخلف بنفس زاوية محور الأرض. كما ترمز العباءات والشارات والجواهر والزخارف الخاصة بالهياوفان القدماء إلى الطاقات الروحية التي تنبعث من جسم الإنسان. يعيد العلم الحديث اكتشاف العديد من الأسرار المفقودة للفلسفة الهرمسية؛ ومما يمكن قياسه من هذه العوامل: القدرة على قياس النمو العقلي، وصفات الروح، والصحة البدنية للفرد من خلال قياس جريان الطاقة الكهربائية شبه المرئية التي تتدفق عبر سطح جلد كل إنسان في جميع الأوقات خلال حياته. (للحصول على تفاصيل حول العملية العلمية لجعل الهالة الإنسانية مرئية، راجع الاتموسفير البشري للدكتور والتر كيلنر).

أحياناً يرمز لإيزيس برأس بقرة؛ وفي أحيانٍ أخرى تكون البقرة بأكملها هي رمزها. لعقت الآلهة الأولى لاسكندنافيين غذائها من كتل الجليد الذي وصلها من البقرة الأم (أودوملا)، التي ترمز إلى مبدأ التغذية الطبيعية والخصوبة بسبب حليها. في بعض الأحيان يتم تمثيل إيزيس كطير. غالباً ما تحمل في يدها العنخ<sup>(1)</sup>، رمز الحياة الأبدية، وفي اليد الأخرى الصولجان المزهر، رمزاً لسلطتها.

منح تحوت هيرمس مثلث العظمة، مؤسس المعرفة المصرية، الرجل الحكيم من العالم القديم، إلى كهنة وفلاسفة العصور القديمة الأسرار التي جرى الحفاظ عليها حتى يومنا هذا من خلال الأسطورة والخرافة. تخفي هذه الرموز والشخصيات الرمزية الصيغة السرية

(1) العنخ أو مفتاح الحياة هو رمز هيروغليفي مصري قديم كان يستخدم في الكتابة والفن لتمثيل كلمة " الحياة "، وبالتالي، يعد كرمز للحياة نفسها. استمر استخدامه من خلال المصريين الأقباط الذين قاموا بتكييفه كصليب ansata وهو نسخة من الصليب المسيحي مع حلقة دائرية مماثلة لحلقة العنخ. العلامة لها شكل صليب ولكن مع حلقة بيضاوية بدلاً من الشريط العلوي.

للتجدد الروحي والعقلي والمعنوي والجسدي المعروف باسم الكيمياء الروحية للروح (الخيمياء). انتقلت هذه الحقائق السامية إلى المعتنقين في مدارس الأسرار، ولكنها أخفيت عن المجدفين. فهؤلاء غير قادرين على فهم المبادئ الفلسفية المجردة، يعبدون الأصنام المنحوتة الملموسة التي كانت ترمز إلى هذه الحقائق السرية. تتجلى حكمة مصر في أبو الهول، الذي حافظ على سره مصوناً من عبث الباحثين لمائة جيل. إن الأسرار الهرمسية، الحقائق الروحية العظيمة مخفية عن العالم بجهل العالم، ومفاتيح المذاهب السرية للفلاسفة القدماء كلها، يرمز لها بالعدراء إيزيس. محجبة من الرأس إلى القدم، فهي تكشف حكمتها فقط للقلّة المجربة والمعتنقة الذين حصلوا على الحق في دخول حضورها المقدس، واستطاعوا تمزيق حجبا الغامضة، والوقوف وجهاً لوجه مع الحقيقة الإلهية.

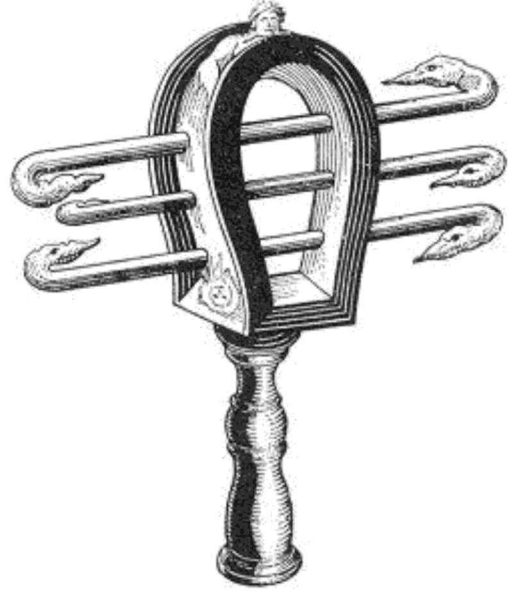
زينت تماثيل إيزيس بالشمس والقمر والنجوم والعديد من الشعارات المتعلقة بالأرض، والتي كان يعتقد أن إيزيس تحكمها (حيث جسدت بالروح الحارسة للطبيعة). كما تم العثور على العديد من صور الإلهة، حيث لا تزال علامات كرامتها ومكانتها محفوظة. وفقاً للفلاسفة القدماء، فقد جسدت الطبيعة العالمية، أم جميع المخلوقات؛ وهي تصور عموماً كامراً عارية جزئياً، وغالباً ما تكون حبلى، وأحياناً مغطاة بثياب فضفاضة إما باللون الأخضر أو الأسود، أو من أربعة ظلال مختلفة مختلطة بين الأسود والأبيض والأصفر والأحمر.

وصفها أبوليوس على النحو التالي:

"لقد انحط شعر متمواج فخم وانبسط فوق العنق الإلهي على نحو بديع، وقد استدار فوق الرأس الجليل إكليل من أزهار كثيرة ذات ألوان متعددة، وتراءى في وسطه فوق الجبين قرص دائري يشبه المرأة، بل يشبه نموذج القمر، ينطلق منه ضوء لامع. وقد تلوت عن يمينه ويساره أفاع متلاصقة، وتعلو ذلك سنابل فاخرة. وكان الثوب مصنوعاً من نسيج حريري ناعم ملون، يلتصق بياضه حيناً كالنهار، وصفوته الزعفرانية حيناً آخر، ثم الأحمر البرتقالي، وكان المعطف. وقد أعشى ضوءه عيني من بعيد - أسود كالليل، يشع بنور الحرير المعتم، امتد على شكل دائرة، ماراً تحت الإبط الأيمن إلى الكتف اليسرى، ينحدر منه شريط على شكل مكور، ويصل الأرض على صورة ثنيات، تظهر الثنية الخارجية أهداباً متموجة. وكانت النجوم اللامعة

متناثرة فوق أنسجته المطرزة وفوق مساحته نفسها، وفي وسطها بدر يقذف نيراناً ملتهبة. وما من طرف من أطراف المعطف الرائعة إلا تعلقت به أكاليل من أوراق الورد والثمار الناضجة. وكل ذلك إضافة إلى هذه التجهيزات المختلفة. كانت اليد اليمنى ماسكة بصنّج برونزي، له صفيحة منحنية ضيقة تشبه الحزام، علقت بها أعواد صغيرة، تصدر عنها نغمة ذات صرير، عندما تهزها الذراع ثلاث مرات. أما اليسرى فقد تلفت بها صحيفة ذهبية لها شكل السفينة، وقد نصبت هناك، حيث يبرز مقبضها، أفعى عنقها العريض المنتفخ وكانت القدمان السماويتان تنتعلان خفين مضافين من سعف نخلة النصر. بهذا الجمال البديع، الذي تفوح منها رائحة العطر العربي".





### السيستروم

"صمم السيستروم ليمثل لنا، وجوب الحفاظ على كل شيء في حالة هيجان مستمر، دون توقف أبداً عن الحركة؛ وأنه يجب أن تتم الإثارة والهز جيداً، فكلما بدأوا بالنعاس ازداد عمله، فعلى سبيل المثال، فإن صوت هذه السيستروم يعلو ويتردد الشر؛ ويقصد به هنا الانحلال ووضع العراقيل أمام مسار الطبيعة المنتظم؛ لذا فإن الخلق، عن طريق الحركة، يعيدها سيرتها الأولى. السطح الخارجي لهذا الجهاز محدب، حيث أن محيطه يحتوي على هذه الأوتار أو القضبان الأربعة [ثلاثة فقط معروضة]، والتي تصدر هذه القعقعة عندما تهتز - هذا الجزء من الكون الذي يخضع للخلق والفساد موجود داخل فضاء القمر؛ ومهما كانت الحركات أو التغييرات التي قد تحدث فيه، فكلها تتأثر بمجموعات مختلفة من الهينات الابتدائية الأربعة، النار والأرض والماء والهواء - علاوة على ذلك، فعلى الجزء العلوي من السطح المحدب للقنينة، تحت قطة ذات وجه بشري، كما حفر على الحافة السفلية، تحت تلك الأوتار المتحركة، وجه إيزيس، وعلى الجانب الآخر نفتيس - من خلال الوجوه التي تمثل رمزاً للخلق والفساد (والتي كما لوحظ بالفعل، ليست سوى حركة وتغيير العناصر الأربعة مع بعضها البعض)، " (من إيزيس وأوزوريس لبلوتارخ).

يشير اللون الأخضر إلى الغطاء النباتي الذي يغطي وجه الأرض، وبالتالي يمثل رداء الطبيعة. الأسود يمثل الموت والفساد على أنه الطريق إلى حياة وجيل جديدين. " لا أَحَدَ يُمَكِّنُهُ أَنْ يَرَى مَلَكُوتَ اللَّهِ إِلَّا إِذَا وُلِدَ مِنْ جَدِيدٍ " (يوحنا 3) الأبيض والأصفر والأحمر تدل على الألوان الرئيسية الثلاثة للطب الخيميائي، الهرمسي، الكوني بعد انتهاء السواد من التطهير.

كما أطلق القدماء اسم إيزيس على أحد أشكال الطب الغامضة، وبالتالي فإن الوصف الوارد هنا يرتبط إلى حد ما بالخيمياء، كما يشير حجابها أيضاً إلى أن القمر، أو رطوبة القمر – والفلسفة الكونية لعطارد والمادة العاملة للطبيعة في المصطلحات الخيميائية – لا تشع بنورها الخاص، ولكنها في نورها ونارها وقوتها الحيوية تعكس الشمس. إيزيس كانت صورة أو ممثلة لأعمال الحكماء العظيمة: حجر الفلاسفة؛ وإكسير الحياة؛ والعلاج الشافي.

لم تكن الكلمات الهرميوغليفية الأخرى التي وصفت فيها إيزيس بأقل إثارة للفضول مما أوردناه بالفعل، ولكن من المستحيل ذكرها كلها، لأن العديد من الرموز استخدمت بشكل متبادل من قبل هرامسة مصر. غالباً ما كانت الإلهة ترتدي على رأسها قبعة مصنوعة من أغصان السرو، للدلالة على حدادها على زوجها الميت وكذلك على الموت الجسدي الذي يصيب كل مخلوق للحصول على حياة جديدة للأجيال القادمة أو القيامة الدورية. زين رأس إيزيس في بعض الأحيان بتاج من الذهب أو إكليل من أوراق الزيتون، كعلامات واضحة على سيادتها كملكة للعالم وعشيقة للكون بأكمله. يشير تاج الذهب أيضاً إلى الديمومة للنور المنبعث من لهب الشمس والحيوية التي توزعها على كل فرد من خلال الدوران المستمر للعناصر، ويرمز هذا التداول إلى آلة السيستروم<sup>(1)</sup> الموسيقية التي تحملها في يدها. هذا الطيف يرمز أيضاً للنقاء التام.

(1) السيستروم (بالإنجليزية: Sistrum) هي آلة موسيقية تنتمي لعائلة الآلات الإيقاعية وترتبط ثقافياً بشكل رئيسي ببلاد مصر القديمة واليونان القديمة. وغالباً ما تصور في الفنون المرئية مثل النحت والفخار. وتتكون من مقبض وإطار معدني على شكل حرف U مصنوع من النحاس أو البرونز يبلغ عرضه من 30 إلى 76 سم يتخلله عوارض معدنية يمكن تحريكها

أما الثعبان الملتف بين أوراق الزيتون على رأسها، والذي يلتهم ذيله، يشير إلى أن هذا اللهب الشمسي قد تلوث بفساد الأرض الذي أحاط به، ويجب أن يتم إشباعه وتنقيته بواسطة سبع دورات كوكبية، أو التطهير الذي يسمى النسور المحلقة (مصطلحات خيميائية) من أجل تحويلها لمركبات صحية لاستعادة العافية. (هنا يتم التعرف على انبعاث الشمس كدواء لشفاء العلل البشرية). تتمثل دورات الكواكب السبعة في الطواف الذي يحصل في المحفل الماسوني؛ فمن خلال طواف الكهنة اليهود سبع مرات حول أسوار أريحا، والكهنة المحمديين سبع مرات حول الكعبة في مكة. من تاج الذهب، تشع ثلاثة قرون من الوفرة، الدالة على كرم هدايا الطبيعة العائدة إلى جذر واحد أصله في السماء (رأس إيزيس).

بهذا الشكل، يمثل علماء الطبيعة الوثنيين جميع القوى الحيوية للممالك الثلاث الدنيوية: الطبيعية - المعدنية، النباتية، والحيوانية (يعتبر الإنسان حيواناً). من أحد أذنها يتدلى القمر ومن الأخرى الشمس، للإشارة إلى أن هذين كانا الوكيل والمريض، أو مبادئ الأب والأم لجميع الأشياء الطبيعية؛ وأن إيزيس، أو الطبيعة، تستفيد من هذين النجمين لإيصال حيويتها إلى كامل ممالك الحيوانات والنباتات والمعادن. وعلى ظهرها تحمل الكواكب وعلامات البروج التي تساعد الكواكب في وظائفها. وهذا يدل على أن التأثيرات السماوية توجه مصائر أقدار ونطف كل الأشياء، لأنها تحكم كل الأشياء الدنيوية، والتي حولتهم إلى عوالم صغيرة صنعت على صورة الكون الأعظم.

تحمل إيزيس في يدها اليمنى سفينة شراعية صغيرة بدفتها وصارمها. في أعلى الصاري نرى إبريق ماء، مقبضه شكل كنعان انتفخ بالسم. هذا يشير إلى أن إيزيس تبخر بسفينة الحياة المليئة بالمشاكل والبؤس في محيط الزمن العاصف. يرمز المغزل إلى حقيقة أنها تنسج وتقطع خيط الحياة. كما تدل هذه الشارات أيضاً إلى أن إيزيس تزخر بالطوبة، والتي تغذي بها جميع الأجسام الطبيعية، مما يحفظها من حرارة الشمس عن طريق ترطيبها بالطوبة المغذية من الجو. الرطوبة تدعم الغطاء النباتي، ولكن هذه الرطوبة الدقيقة (أثير الحياة) دائماً ما تكون

---

وعلى هذه العوارض توجد حلقات صغيرة من المعدن الرفيع، وعند الاهتزاز تحدث الحلقات صوتاً يتدرج في الخشخشة من خفيف إلى صاخب.

مخلوطة ببعض السم الناتج عن الفساد أو الانحلال. والذي يجب أن ينقى بلامسته لنار الطبيعة غير المرئية. هذه النار تهضم وتكمل وتنشط هذه المادة، حتى تصبح الرطوبة دواءً شاملاً لشفاء وتجدد جميع الأجسام في الطبيعة.

يبدل الثعبان من جلده سنوياً وبالتالي يتجدد (رمز لقيامه الحياة الروحية من الطبيعة المادية). يحدث هذا التجدد للأرض في كل ربيع، عندما تعود روح الشمس الحية إلى بلدان نصف الكرة الشمالي. تحمل العذراء في يدها اليسرى سيستروم وصنج أو إطاراً مربعاً من المعدن، والذي عندما يضرب يرن بالنوتة الرئيسية للطبيعة (Fa)؛ قد تحمل أحياناً أيضاً غصن زيتون، للإشارة إلى الانسجام الذي تحافظ عليه بين عناصر الطبيعة بقواها المتجددة. بعمليات الموت والانحلال، فإنها تعطي الحياة للمخلوقات بأشكال متنوعة بفترات من التغيير الدائم. يمثل الصنج على شكل مربع بدلاً من الشكل المثلثي المعتاد، ليشير إلى أن كل الأشياء سيجري نقلها وتجديدها وفقاً لتناغم العناصر الأربعة.

يعتقد الدكتور سيجيسموند باكستروم<sup>(1)</sup> أنه إذا استطاع الطبيب أن يحقق الانسجام بين عناصر الأرض والنار والهواء والماء، ويوحدها في حجر (حجر الفلاسفة) الذي يرمز إليه بالنجمة السداسية، أو مثلثين متشابكين، فسيملك وسائل شفاء جميع الأمراض. كما ذكر الدكتور باكستروم، كذلك لا يوجد شك لديه بأن نار الطبيعة (الروح) الموجودة في كل مكان: "تقوم بكل شيء وهي الكل بالكل". من خلال الجاذبية، والنفور، والحركة، والحرارة، والتسامي، والتبخر، والنقص، والإثارة، والتخثر، والتثبيت، فإن النار العالمية (الروح) تشكل المادة، وتتجلى من خلال الخلق. أي فرد يستطيع فهم هذه المبادئ وتكييفها مع أقسام الطبيعة الثلاثة يصبح فيلسوفاً حقيقياً.

(1) سيجيسموند باكستروم (1805 - 1750) طبيب وجراح وفنان بارز، تظهر رسوماته للأشخاص والأماكن التي واجهها في رحلاته دقة الجراح والعالم بدلاً من يد فنان مدرب. كما كان مؤلفاً ومترجماً بارزاً لوثائق في الكيمياء وحول أخوية الصليب الوردي، والتي لا يزال العديد منها مطبوعاً.

يبرز من صدر إيزيس الأيمن حفنة من العنب ومن الأيسر كوز ذرة أو رزمة سنابل قمح ذهبية اللون. تشير هذه إلى أن الطبيعة هي مصدر الغذاء للحياة النباتية والحيوانية والبشرية، وتغذي كل شيء من نفسها. يشير اللون الذهبي للقمح (الذرة) إلى أنه في ضوء الشمس أو الذهب الروحي تختفي النطف الأولى للحياة.

على الزنار المحيط بالجزء العلوي من جسم التمثال يظهر عدد من الرموز الغامضة. يربط طرفي الحزام معاً من الأمام بأربع لوحات ذهبية (العناصر)، موضوعة على شكل مربع. هذا يدل على أن إيزيس، أو الطبيعة، المادة الأولى (مصطلحات خيمائية)، كانت جوهر - العناصر الأربعة (الحياة والضوء والحرارة والطاقة)، التي ولدت جوهر كل الأشياء. تمثل العديد من النجوم في هذا الحزام، مما يشير إلى تأثيرها في الظلام كما تأثير الشمس في النور. إيزيس هي العذراء التي خلدت في كوكبة العذراء، حيث وضعت أم العالم مع ثعبان تحت قدمها وتاج من النجوم على رأسها. على ذراعها تحمل حفنة من الحبوب وأحياناً إله الشمس الصغير.

وضع تمثال إيزيس على قاعدة من الحجر الداكن مزينة برؤوس الكباش. وداست بقدمها على عدد من الزواحف السامة. هذا يشير إلى أن الطبيعة لديها القدرة على التحرر من حموضة أو ملوحة جميع المواد المسببة للتآكل، والتغلب على جميع الشوائب من الفساد الأرضي الملصق بالأجسام. تشير رؤوس الكباش إلى أن أكثر الأوقات الميمونة لتوليد الحياة هي خلال الفترة التي تمر فيها الشمس في برج الحمل. وتشير الثعابين تحت قدمها إلى أن الطبيعة تميل إلى الحفاظ على الحياة وشفاء المرض من خلال طرد الشوائب والفساد. بهذا المعنى يتم التحقق من البدهييات المعروفة للفلاسفة القدماء وهي:

الطبيعة تحتوي على الطبيعة

تزدهر الطبيعة بطبيعتها

والطبيعة تغلب الطبيعة

لا يمكن تعديل الطبيعة إلا بطبيعتها.

لذلك، عند التفكير في تمثال إيزيس، يجب ألا يغيب عن البال الإحساس الغامض برموزه؛  
خلاف ذلك، ستظل العذراء لغزاً لا يمكن تفسيره.

من الحلقة ذهبية على ذراعها اليسرى يتدلّ خيط، علق في نهايته صندوق مليء بالفحم  
المشتعل والبخور. حملت إيزيس، أو تجسد الطبيعة، معها النار المقدسة، المحفوظة دينياً  
ليستمر احتراقها في معبد خاص من قبل العذارى البتول. هذه النار هي اللهب الحقيقي الخالد  
للطبيعة - أثيري، أساسي، مشكل للحياة. أما الزيت الذي لا ينفد؛ فهو بلسم الحياة، الذي  
أشاد به الحكماء والذي يشار إليه كثيراً في الكتاب المقدس، كما يُرمز إليه كثيراً على أنه وقود  
لهذه الشعلة الخالدة. من الذراع الأيمن للتمثال يتدلّ أيضاً خيط، ثبت في نهايته زوج من  
المكايل، للإشارة إلى دقة الطبيعة في أوزانها وقياساتها. غالباً ما يتم تمثيل إيزيس كرمز  
للعدالة، لأن الطبيعة متسقة إلى الأبد.



تحوت برأس كلب

أوروريس، أوتحوت، واحد من خمسة خالدين، والذين حموا الطفل حورس من غضب تايفوس بعد مقتل أوزوريس. كما قام بمراجعة التقويم المصري القديم فزاد السنة من 360 يوماً إلى 365 يوم. كان يسمى تحوت هيرمس "رأس الكلب" بسبب إخلاصه ونزاهته. يظهر متوجاً بالهالة الشمسية، حاملاً في يده مفتاح الحياة، رمز الحياة الأبدية، ومن ناحية أخرى رمز الثعبان المجروح الملتف حول العصا إلى كرامته كمستشار للآلهة.

تظهر العذراء العالمية أحياناً واقفة بين عامودين عظيمين – ياكين وبوعز<sup>(1)</sup> الماسونية – وهذا يرمز إلى حقيقة أن الطبيعة تديم التكاثر عن طريق القطبية. مجسدة للحكمة، تقف إيزيس بين أعمدة الأضداد، مما يدل على أن الفهم موجود دائماً في نقطة التوازن وأن الحقيقة غالباً ما تُصلب بين لصين من التناقض الواضح.

يشير لمعان الذهب في شعرها الداكن، أنها وعلى الرغم من كونها قمرية، فإن قوتها ترجع إلى أشعة الشمس، التي تمنحها البشرة النقية. عندما يشع القمر بنور الشمس المنعكس، فإن إيزيس، مثل عذراء الوحي، تتغطى بمجد الوهج الشمسي. يذكر أبوليوس أنه وأثناء نومه رأى الإلهة الجليلة إيزيس ترتفع من المحيط. لقد أدرك القدماء أن الأشكال الأساسية للحياة انبعثت أولاً من الماء، والعلم الحديث يتفق مع هذا الرأي.

<sup>(1)</sup> العمودان اللذان نصبهما الملك سليمان في هيكله وكانا من النحاس وصنعهما حيرام.





### المادونا المصرية

تظهر إيزيس وابنها حورس على ذراعها. متوجة بالجرم القمري، ومزينة بقرون الكباش أو الثيران. حورس كما هو معروف كان ابن إيزيس وأوزوريس، والذي كان إله الزمان والساعات والأيام، وهذا المدى الضيق من الحياة هو الوجود البشري. في جميع الاحتمالات، يمثل أبناء حورس الأربعة ممالك الطبيعة الأربعة. وكان حورس هو الذي انتقم في النهاية ممن قتل والده أوزوريس، تايفوس روح الشر.

يقول ويلز<sup>(1)</sup>، في مقدمته عن التاريخ، واصفاً الحياة البدائية على الأرض:

"وعلى الرغم من أن المحيط والمياه المد والجزر كانت مليئة بالحياة، إلا أن الأرض اليابسة فوق خط المد العالي كانت لا تزال، بقدر ما يمكننا التخمين، بركة صخرية بلا أثر للحياة". ويضيف في الفصل التالي: "أينما كان هناك ساحل كانت هناك حياة، وكانت تلك الحياة مستمرة في الماء ومعه كموطن لها ووسيطها وضرورتها الأساسية".

يعتقد القدماء أن النطف الكونية تنبع من بخار دافئ ورطب ولكن ناري، وأن إيزيس المحجبة، التي تمثل حجها البخار، هي رمز لهذه الرطوبة، وهي الوسيط لحركة النطف الشمسية، ويمثلها طفل في ذراعها. ونظراً لأن الشمس والقمر والنجوم تبدو غارقة في المحيط، ولأن الماء أيضاً يتلقى أشعته في نفسه، فقد كان يُعتقد أن البحر هو الأرض الخصبة لنطف الحياة، والذي يتم خلقه من مزيج من تأثيرات الأجرام السماوية. وبالتالي تمثل إيزيس في بعض الأحيان على أنها حامل.

في كثير من الأحيان رافق تمثال إيزيس تمثال لثور أسود وأبيض كبير. يمثل الثور إما أوزوريس الثور في برج الثور، أو أبيس، وهو العجل المقدس لأوزوريس بسبب علاماته وألوانه الغريبة. كان الثور وحشاً يمثل عبء الحياة بين المصريين. ومن ثم كان وجود الحيوان بمثابة تذكير بالعمل الذي تقوم به الطبيعة بصبر، حتى يصبح لجميع المخلوقات حياة وعافية. وغالباً ما يصاحب تمثال إيزيس هريوقراطيس، إله الصمت، ممسكاً فمه بأصابعه. وهذا يحذر الجميع بضرورة إخفاء أسرار الحكماء عن أولئك الذين لا يصلحون للتعرف عليها.

(1) هربرت جورج ويلز (بالإنجليزية: H. G. Wells) (1866 - 1946) روائي وكاتب قصص قصيرة بريطاني. من أشهر أعماله آلة الزمن، الرجل الخفي، جزيرة الدكتور مورو، حرب العوالم وأوائل الرجال على القمر. بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى نشر عام 1920 موجز تاريخ العالم في مجلدين ليكون من أول من كتب التاريخ متوجهاً إلى عامة الشعب. رغم الرواج لاقى كتابه هذا العديد من الانتقادات من مؤرخين محترفين، إلا أن أرنولد توينبي مدحه قائلاً أن هذا الكتاب من أفضل المقدمات في موضوع التاريخ.

كان لدى درويد بريطانيا والغال معرفة عميقة بشأن أسرار إيزيس وعبدوها تحت رمز القمر. يعتبر هيجنز أنه من الخطأ اعتبار إيزيس مرادفاً للقمر، فقد اختير القمر لتمثيل إيزيس بسبب هيمنته على الماء. واعتبر الدرويد أن الشمس والقمر والدا كل الأشياء. عن طريق هذه الرموز عبدوا الطبيعة العالمية.

تستخدم شخصية إيزيس في بعض الأحيان لتمثيل الفنون الغامضة والسحرية، مثل استحضر الأرواح والشعوذة والعلاج الطبيعي. في إحدى أساطيرها، قيل أن إيزيس استدعت إله الخلود الذي لا يقهر رع، ليخبرها باسمه السري والمقدس، وهو ما فعله؛ هذا الاسم يعادل الكلمة المفقودة في الماسونية. من خلال هذه الكلمة، يمكن للساحر أن يطلب الطاعة من الآلهة العليا غير المرئية. وقد برع كهنة إيزيس في استخدام قوى الطبيعة غير المرئية؛ لقد فهموا التنويم المغناطيسي، والممارسات المماثلة قبل وقت طويل من حلم العلم الحديث بوجودها.

يصف بلوتارخ متطلبات أتباع إيزيس بهذه الطريقة:

"ذلك أنه ليس طول اللحية، أو شظف العيش ما يصنع الفيلسوف، ولا الحلاقة المتكررة أو لبس الحرير كذلك ما يجعل الرجل تابعاً لإيزيس؛ لكنه وحده فقط الخادم أو التابع الحقيقي لهذه الإلهة، الذي بعد أن سمع بها، وتعرف عليها عن طريق أفعالها، سيبحث في هذه الأفعال عن الحقائق التي أخفيت، ويمحص الكل بإملاءات من العقل والفلسفة".

خلال العصور الوسطى، تغنى التوربادور ( المغنون الجوالون ) في أوروبا الوسطى بأساطير هذه الإلهة المصرية. حيث قاموا بتأليف السوناتات لأجمل امرأة في العالم؛ على الرغم من أن قلة قليلة اكتشفت هويتها، إلا أنها كانت صوفياً، عذراء الحكمة، التي سعى خلفها جميع فلاسفة العالم. تمثل إيزيس سر الأمومة، الذي اعترف به القدماء على أنه الدليل الأوضح على حكمة الطبيعة المطلقة وقوة الإله المطلقة. بالنسبة للباحثين المعاصرين فهي مثال للمجهول العظيم، وفقط أولئك الذين يكشفون حجمها سيكونون قادرين على حل أسرار الحياة والموت والتجدد.





أوزيريس ملك الموتى

غالباً ما يمثل أوزيريس والجزء السفلي من جسده موضوع في تابوت مومياء أو ملفوفاً بضمادات جنازية. تتكون روح الإنسان من ثلاثة أجزاء متميزة، جزء واحد فقط يتجسد في الشكل المادي. وكان جسد الإنسان يعتبر قبراً لهذه الروح المتجسدة، لذلك تم تمثيل أوزيريس، رمز الأنا المتجسدة، والنصف السفلي من جسده محتط، للإشارة إلى أنه كان الروح الحية للإنسان محاطاً بالشكل المادي الذي ترمز إليه حالة المومياء. هناك غرام بين مبدأ الرب النشط والمبدأ السلبي للطبيعة، ومن اتحاد هذين المبدأين يتم إنتاج الخلق العقلاني. فالإنسان مخلوق مركب: من والده (المبدأ النشط) يرث روحه الإلهية، نار الطموح - ذلك الجزء الخالد من نفسه الذي يبعث من طين الموت المحطم: ذلك الجزء الذي يبقى بعد انحلال الكائنات الطبيعية أو تجديدها. من أمه (المبدأ السلبي) يرث جسده - ذلك الجزء الذي تتحكم فيه قوانين الطبيعة: إنسانيته، وشخصيته البشرية، وشهواته، ومشاعره، وعواطفه. يعتقد المصريون أيضاً أن أوزيريس كان نهر النيل وأن إيزيس (أخته) كانت الأرض المتاخمة، التي غمرها النهر فحصدت منها الثمار والغلات. يعتقد أن مياه النيل العكرة هي سبب سواد أوزيريس، الذي رمز له بشكل عام بلون خشب الأبنوس.



## تحنيط الموتى في مصر

يلاحظ سيرفيوس<sup>(1)</sup>، في تعليقه على إنياذة فيرجيل بأن " الحكماء المصريين اهتموا بتحنيط أجسادهم، وإبداعها في سراديب الموتى، من أجل أن تحافظ الروح لفترة طويلة على صلتها بالجسد، فلا تغادره بسرعة، على حين أن الرومان، وبشكل معاكس، أسلموا بقايا موتاهم إلى نار الجنازة، بقصد عودة الشرارة الحيوية على الفور إلى العنصر العام، أو العودة إلى طبيعتها البكر ". ( برايسارد تحليل للأساطير المصرية).

لا توجد سجلات كاملة متاحة تعطي العقيدة السرية للمصريين فيما يتعلق بالعلاقة القائمة بين الروح أو النفس والجسد الذي سكنته. ولكن ومن المؤكد بشكل معقول بأن فيثاغورث، الذي كان قد اعتنق علومه في المعابد المصرية، عندما نشر مذهب التناسخ، تأثر، ولو جزئياً على الأقل، بالتعاليم المصرية. إن الافتراض الشعبي بأن المصريين كانوا يحنطون موتاهم من أجل الحفاظ على شكل الجسد عند القيامة، لا يمكن الدفاع عنه في ضوء المعرفة الحديثة فيما يتعلق بفلسفة الموت. في الفصل الرابع من كتابه الامتناع عن الطعام الحيواني، يصف فرفوربوس الصوري عادة مصرية بتطهير الموتى عن طريق إزالة محتويات تجويف البطن، ووضعها في صندوق منفصل. ثم يكرر الدعاء التالي الذي ترجمه يوفانتوس من اللغة المصرية: " يا شمس الآلهة، ويا جميع الآلهة الذين ينقلون الحياة إلى الناس، فلتقبلوني ولتوصلوني إلى الآلهة الأبدية لأعيش معها. فأنا طالما كنت أعبد بكل تقوى تلك الآلهة التي أشار إليّ بها والداي ما كنت أعيش في هذه الحياة، كما كرّمت دائماً أولئك الذين أنجبوا جسدي، أما فيما يتعلق

(1) سيرفيوس: هو نحوي عاش أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس، وكانت سمعته بكونه الرجل الأكثر تعلماً في جيله في إيطاليا؛ ألف مجموعة من التعليقات على أعمال فيرجيل.

بغيري من الرجال، فأنا لم أقتل أحداً أبداً، ولم أخن أمانة أبداً، ولم أرتكب أي عمل شائن آخر، لذلك إذا كنت قد اقترفت إثماً خلال حياتي، بأكل أو شرب أشياء غير مسموح بها، فأنا لم أخطئ من خلال نفسي، ولكن من خلال هذه " (مشيراً إلى البطن الذي يحوي على الأحشاء). وقد اعتبرت إزالة الأعضاء التي تم تحديدها كمواضع للشهية معادلة لتنقية الجسم من التأثيرات الشريرة لها.

وهذا ما فعله المسيحيون الأوائل عندما ترجموا النصوص المحفوظة لديهم؛ فقاموا بتخلييل جثث موتاهم بالمياه المالحة، بحيث أنه في يوم القيامة، قد تعود روح الموتى إلى جسد كامل ومحافظ عليه تماماً؛ اعتقاداً بأن الشقوق اللازمة لعملية التحنيط وإزالة الأعضاء الداخلية ستمنع عودة الروح إلى الجسد. هذا هو سبب دفن المسيحيين موتاهم دون اللجوء إلى طرق التحنيط الأكثر تفصيلاً التي استخدمها المصريون.

في كتابها<sup>(1)</sup> عن السحر المصري، تورد فلورنسا فار التكهينات التالية فيما يتعلق بالأغراض الباطنية وراء ممارسة التحنيط: " لدينا كل الأسباب لنفترض أن أولئك المعتنقين هم فقط الذين تم تحنيطهم، لأنه ومن المؤكد أن التحنيط في عيون المصريين قد منع التناسخ فعلياً. لقد كان التناسخ ضرورياً لاكتمال الروح عند أولئك الذين فشلوا في اجتياز اختبارات الاعتناق؛ ولكن بالنسبة لأولئك الذين لديهم الإرادة والقدرة على دخول الحرم السري، كان من النادر أن تكون هناك ضرورة لتحرير الروح، والذي يقال أنها قد تتأثر بفساد الجسد، لذلك جرى الحفاظ على جسد المعتنق بعد الموت كتميمة أو أساس مادي لتجلي الروح على الأرض ". خلال بداياته اقتصر التحنيط على الفرعون وغيره من أصحاب المنازل الملكية، حيث يفترض أنهم شاركوا في صفات أوزوريس العظيم، الإله الملك المصري المحنط.

(1) فلورنسا فار (1860 - 1917) مؤلفة، كاتبة ومُخرجة مسرحية، ممثلة وروائية بريطانية.





## الشمس، الإله الكوني

كانت عبادة الشمس أقدم وأشهر أشكال التعبير الديني. إن علم اللاهوت الحديث المعقد هو مجرد تفرعات وتضخيم لهذه المعتقدات الأصلية البسيطة؛ فعقل البدائي، معترفاً بالقوة النافعة للمدار الشمسي، كان يعبدها كوكيل للإله الأعلى. أما فيما يتعلق بأصل عبادة الشمس، يقدم ألبرت بايك العبارة الموجزة التالية في كتابه "الأخلاق والعقيدة":

" بالنسبة لهم [الشعوب الأصلية] كانت [الشمس] النار الفطرية للأجساد، نار الطبيعة. واهبة الحياة، الحرارة، والاشتعال، كانت لهم السبب الفاعل لكل الخلق، فدونها لم تكن هناك حركة، ولا وجود، ولا شكل. كانت لهم هائلة، وغير قابلة للتجزئة، وغير قابلة للذوبان، وحاضرة في كل مكان. كانوا بحاجة للنور، ولطاقاتها الخلاقة، التي شعر بها جميع الرجال، ولم يكن هناك خوف بالنسبة لهم أكثر من غيابها. تسببت تأثيراتها المتعددة في تعريفها كمبدأ للخير؛ وبراهما الهندوس، وميثراس الفرس، وأتون وأمون وبتاح وأوزوريس للمصريين، وبعل للكلدانيين وأدوناي للفينيقيين، وأدونيس وأبوللو لليونانيين. لقد أصبحت تجليات الشمس، مبدأ التجدد، صورة الخصوبة التي تديم وتجدد العالم."

في جميع دول العصور القديمة، كُرس مذابح ومعابد وقرايين لعبادة عين النهار. أنقاض هذه الأماكن المقدسة لا تزال باقية، ومن أبرزها أهرامات يوكاتان ومصر، وتكوينات الشعبان<sup>(1)</sup> عند

<sup>(1)</sup> تل الشعبان العظيم هو تكوين طوله ( 411 م )، من عصور ما قبل التاريخ يبلغ ارتفاعه متر واحد في مقاطعة آدامز، أوهايو. تل الشعبان هو أكبر تمثال للشعبان في العالم.

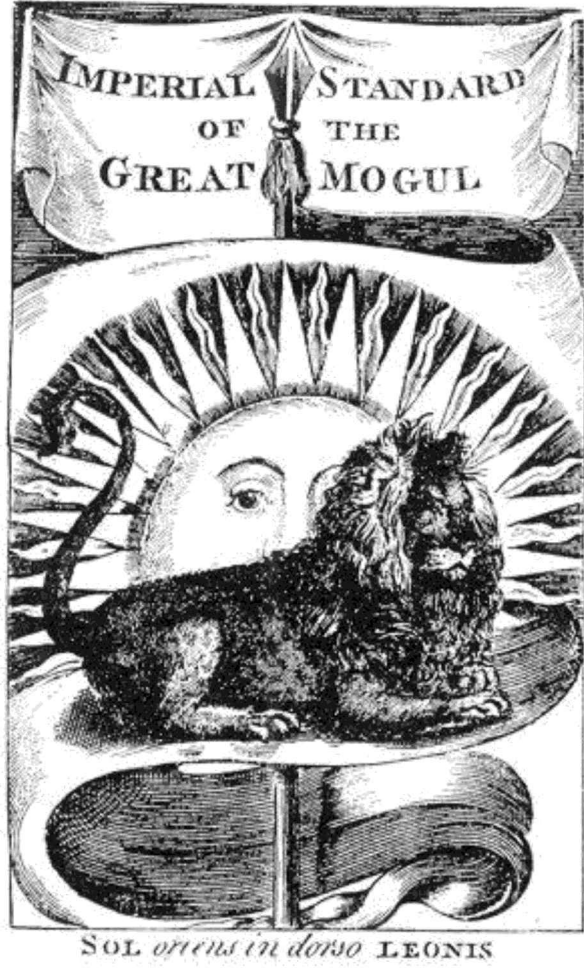
الهنود الأمريكيين، وزقورات<sup>(1)</sup> بابل وكلدان، والأبراج المستديرة<sup>(2)</sup> في أيرلندا، والحلقات الضخمة من الحجر في بريطانيا ونورماندي. برج بابل، الذي بني، وفقاً للكتاب المقدس، حتى يصل الرجل إلى الله، ربما كان مرصداً فلكياً.

كما كان العديد من الكهنة والأنبياء الأوائل، سواء الوثنيين أو المسيحيين، على دراية بعلم الفلك وعلم التنجيم؛ ومن الأفضل لفهم كتاباتهم، قراءتها في ضوء المعارف القديمة. مع نمو معرفة الإنسان بالقوانين الحاكمة للأجرام السماوية، أدخلت المبادئ والمصطلحات الفلكية في الأنظمة الدينية. أعطيت آلهة الوصاية عروش الكواكب، والأسماء السماوية التي سميت على اسم الآلهة المخصصة لهم. تم تقسيم النجوم الثابتة إلى الأبراج، وعبر هذه الأبراج تجولت الشمس وكواكبها، الأخيرة مع الأقمار المصاحبة لها.

---

(1) الزقورة وجمعها الزقورات وتقع معظمها في بلاد ما بين النهرين وهي عبارة عن معابد مدرجة كانت تبني في سوريا والعراق ثم إيران ومن أشهر الزقورات عالمياً هي زقورة أور في العراق قرب مدينة الناصرية.

(2) الأبراج المستديرة الأيرلندية ( تعني في الأيرلندية حرفياً " منزل الجرس " ) وهي أبراج حجرية من القرون الوسطى موجودة بشكل رئيسي في أيرلندا، واثنين في اسكتلندا وواحد على جزيرة مان. كما يشير اسمها فقد كانت في الأصل أبراجاً للأجراس، على الرغم من أنها ربما استخدمت لاحقاً لأغراض إضافية.



أسد الشمس

الشمس التي تشرق وراء الأسد أو، في علم التنجيم، في الجزء الخلفي من كوكبة الأسد، اعتبرت دوماً رمزاً للسلطة والحكم. يظهر رمز مشابه جداً للرمز أعلاه على علم بلاد فارس، التي كان شعبها دائماً من عبدة الشمس. وكثيراً ما ربط الملوك والأباطرة قوتهم

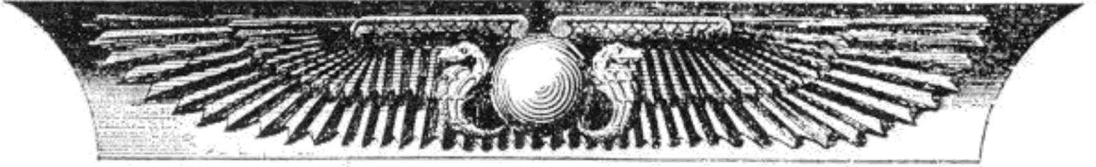
الأرضية بالقدرة السماوية للمدار الشمسي، وقبلوا الشمس، أوأحد وحوشها أوطيورها الرمزية، كرمز لهم. شاهد أسد المغول الكبيرونسورقيصر ونابليون.

## الثالوث الشمسي

اعتبرت الشمس - الأسى بين الأجرام السماوية المرئية - بالنسبة لعلماء الفلك في العصور القديمة، أعلى الآلهة وأصبحت رمزاً للسلطة العليا للخالق نفسه. من التفكير الفلسفي العميق في قوى ومبادئ الشمس، جاء مفهوم الثالوث كما هو مفهوم في عالم اليوم. إن مبدأ الثالوث اللاهوتي ليس خاصاً باللاهوت المسيحي أو الموسوي، ولكنه يشكل جزءاً واضحاً من عقيدة أعظم الديانات في العصور القديمة والحديثة؛ فقد كان لكل من الفرس والهندوس والبابليين والمصريين الثالوث الخاص بهم. في كل حالة، كان هذا الثالوث يمثل الشكل الأسى للذكاء. في الماسونية المعاصرة، يرمز للإله بمثلث متساوي الأضلاع، الأضلاع الثلاثة تمثل المظاهر الأساسية للواحد الأساسي، والذي يمثل هو نفسه بشعلة لهب صغيرة، ويسميه العبرانيين يود **Yod**. يعقوب بوهم<sup>(1)</sup>، الصوفي التوتوني، يسمي الثالوث الشهود الثلاثة، من خلال ذلك يصبح غير المرئي معروفاً للكون المرئي والملموس. أصل الثالوث واضح لأي شخص يراقب المظاهر اليومية للشمس؛ فهذا الجرم السماوي، وكونه رمزاً لكل النور، يمر بثلاث مراحل متميزة: الشروق، منتصف النهار، الغروب. لذلك قسم الفلاسفة حياة كل شيء إلى ثلاثة أجزاء متميزة: النمو والنضج والانحلال. بين غسق الفجر وشفق المساء يقع الظهر العالي للمجد المتألق. إن الرب الأب، خالق العالم، يرمز إليه بالفجر؛ ولونه أزرق، لأن الشمس

(1) يعقوب بوهم (1575 - 1624) هو فيلسوف ومتصوف ألماني كان له تأثير كبير على فريدريك هيجل الذي كان متصوفاً في شبابه تستهويه فكرة الفناء في الله. كان فيلسوفاً عصامياً فقد عمل إسكافياً، ولم يخطر على بال أحد أن هذا الإسكافي الذي يظل متهمكاً في ورشته الصغيرة بين الأحذية تشغل فكره مسائل الفلسفة والتصوف واللاهوت حتى أصدر كتاباً كان في البداية متداولاً بين أصدقائه فقط ولكن عندما داع صيته تم النج بصاحبه في السجن لما يحتويه من معتقدات صوفية تتنافى مع المسيحية.

المشرقة في الصباح محجوبة بضباب أزرق. الرب الابن الذي يشع لينشر شهادة أبيه أمام جميع العوالم، هو الجرم السماوي ظهراً، مشع ورائع، الأسد يهوذا، مخلص العالم ذو الشعر الذهبي، الأصفر هو لونه وقوته لا نهاية لها. الرب الروح القدس هو مرحلة الغروب، عندما يستقر الجرم الشمسي، الذي يرتدي اللون الأحمر المشتعل، للحظة على خط الأفق ثم يختفي في ظلام الليل ليتجول في العوالم السفلية ثم يرتفع لاحقاً منتصراً من عناق الظلام.



### الكرة المجنحة لمصر

هذا الرمز، الذي يظهر فوق أبراج أو أبواب العديد من القصور والمعابد المصرية، هو رمز لأشخاص الثلاثة المصريين. الأجنحة والثعابين والمدار الشمسي هي شارة لأمون ورع وأوزوريس.

بالنسبة للمصريين، كانت الشمس رمزاً للخلود، فبينما تموت كل ليلة، ترتفع من جديد مع كل فجر. لا تملك الشمس فقط هذا النشاط النهاري، ولكن لديها أيضاً حجها السنوي، وخلال ذلك الوقت تمر بشكل متتابع من خلال المنازل السماوية الاثني عشر، وتبقى في كل منها لمدة ثلاثين يوماً. يضاف إلى ذلك مبادرة محورية أو مبادرة الاعتدالين، حيث تتراجع حول البروج خلال الاثني عشر برجاً، بمعدل درجة واحدة كل اثنين وسبعين سنة.

فيما يتعلق بالمرور السنوي للشمس عبر الاثني عشر منزلاً في السماء، روبرت هيويت براون<sup>32</sup>، يقول ما يلي:

"الشمس، وهي تتابع طريقها بين هذه "الكائنات الحية" في البروج، فقد قيل بلغة رمزية، أنها إما أن تفترض طبيعة البرج الذي تدخله أو تنتصر عليها، فتصبح الشمس ثوراً في برج الثور، وكان يعبد على هذا النحو من قبل المصريين تحت اسم أبيس، ومن قبل الآشوريين باسم بعل. وأصبحت الشمس في برج الأسد صائد – الأسود هرقل، والرامي في برج القوس؛ أما في برج الحوت، كانت السمكة - داجون<sup>(1)</sup>، أو فيشنو، إله الأسماك للفلسطينيين والهنودوس".

يكشف التحليل الدقيق للأنظمة الدينية الوثنية عن أدلة كثيرة على حقيقة أن كهنتها خدموا القوة الشمسية، وأن إلههم الأعلى كان في جميع الحالات هذا النور الإلهي. يرى جودفري هيجنز، بعد ثلاثين عاماً من البحث في أصل المعتقدات الدينية، أن:

(1) دَجُون أو داجون أو دجن أو داجونا إله قديم انتشرت عبادته في آشور القديمة منذ النصف الثاني من الألف الثالث قبل الميلاد وعرف الإله الآشوري داجان في بلاد آشور حتى بوقت سابق لعهد سرجون ملك الإمبراطورية الآشورية.



"كل آلهة العصور القديمة قد حلت نفسها في النار الشمسية، أحياناً كإله هي نفسها، وأحياناً كرمز أو شيكينة<sup>(1)</sup> لهذا المبدأ الأعلى، المعروف باسم الكائن الخالق أو الإله".

ارتدى الكهنة المصريون في العديد من احتفالاتهم جلود الأسود، والتي كانت رمزاً للدوران الشمسي، نظراً لكون الشمس مرتفعة، وكريمة، ولحسن الحظ توضع في كوكبة الأسد، التي تحكمها والتي كانت في أحد الأزمنة حجر الزاوية لقبة السماء. مرة أخرى، هرقل هو الإله الشمسي، حيث قام هذا الصياد العظيم بأعماله الاثني عشر، كما الشمس، في عبور المنازل الاثني عشر لبروج السماء، تؤدي أثناء رحلتها اثني عشر عملاً أساسياً نافعا للرجال وللطبيعة بشكل عام؛ وقد ارتدى هرقل، مثل الكهنة المصريين، جلد أسد كحزام. شمشون، البطل العبري، وكما يشير الاسم أيضاً إله شمسي؛ إن معركته مع الأسد النوبي، ومعاركه مع الفلسطينيين، الذين يمثلون قوى الظلام، وإنجازه البارز في حمل بوابات غزة، تشير جميعها إلى جوانب النشاط الشمسي. كما كان لدى العديد من الشعوب القديمة أكثر من إله شمسي واحد. في الواقع، كان من المفترض أن تتشارك جميع الآلهة والإلهات، جزئياً على الأقل بالسطوع الشمسي.

كما أن الزخارف الذهبية التي استخدمها كهنة أديان العالم المختلفة هي مرة أخرى إشارة خفية إلى الطاقة الشمسية، كما تيجان الملوك أيضاً. في العصور القديمة، كان للتيجان عدد من النقاط الممتدة إلى الخارج مثل أشعة الشمس، لكن التيجان الحديثة في كثير من الحالات، إما أنها أزلت النقاط أو أحالت جهتها نحو الداخل، ثم جمعتهما معاً، ووضع الجرم السماوي أو الصليب في النقطة التي تلتقي فيها. حمل العديد من الأنبياء والفلاسفة والشخصيات القديمة صولجاناً، تحمل نهايته العليا تمثيلاً للعالم الشمسي محاطاً بالأشعة المنبعثة. كانت كل ممالك الأرض مجرد نسخ من ممالك السماء، وكانت ممالك السماء هي أفضل رمز للمملكة الشمسية، حيث كانت الشمس هي الحاكم الأعلى، والكواكب مجلس خصوصيته،

(1) في القبالة، حضرة الله، أو الشيكينة (عبرية وتعني السكن أو النزول) هي الترجمة لكلمة عبرية تعني "مسكن" أو "تسوية" ويشير إلى مسكن أو استقرار الوجود الإلهي لله. هذا المصطلح غير موجود في الكتاب المقدس، وهو من الأدب الحاخامي. والمعنى المجازي هو حضر الله بين جماعات تنشطه مثل المعابد أو الهيكل أو خلال الصلوات.

وكل الطبيعة موضوعات إمبراطوريته. ارتبطت العديد من الآلهة بالشمس. يعتقد الإغريق أن أبولو، وباخوس، وديونيسوس، ساباسيوس، هرقل، جايسون، يوليسيس، زيوس، أورانوس، وفولكان شاركوا إما الصفات المرئية أو غير المرئية للشمس. اعتبر الترويجيون بالدر الجميل إلهاً شمسياً، وغالباً ما يرتبط أودين بالجرم السماوي، بسبب عينه الواحدة خاصة. بين المصريين، كان لأوزوريس ورع وأنوبيس وهيرمس وحتى آمون الغامض نفسه نقاط تشابه مع القرص الشمسي. كانت إيزيس أم الشمس، وحتى تيفون المدمرة كان من المفترض أن تكون شكلاً من أشكال الطاقة الشمسية. تمحورت أسطورة الشمس المصرية أخيراً حول شخص إله غامض يدعى سيرابيس. كانت آلهة أمريكا الوسطى، تيزكاتليبوكا وكيتركواتل، وعلى الرغم من ارتباطهما بالرياح أيضاً، بلا شك آلهة شمسية. في الماسونية، تحتوي الشمس على العديد من الرموز. أحد التعبيرات عن الطاقة الشمسية هو سليمان، واسمه **SOL - OM - ON** هو اسم النور الأسى بثلاث لغات مختلفة. حيرام أبيف الكلداني، هو أيضاً إله شمسي، وقصة هجومه وقتله من قبل الأشرار لها تفسيرها الشمسي، سيتم العثور عليها في فصل أساطير هرمس. وكمثال بارز على الجزء المهم الذي تلعبه الشمس في رموز وطقوس الماسونية تحدث جورج أوليفر، في قاموسه عن رموز الماسونية، على النحو التالي:

"تشرق الشمس من الشرق، حيث الشرق هو مكان السيد المبارك، وحيث أن الشمس هي مصدر كل ضوء ودفع، لذا يجب على المعلم المبارك أن يبعث الحياة في الأخوة ويدفهم في عملهم. بين قدماء المصريين كانت الشمس رمز العناية الإلهية".

زين الهيروفان بالكثير من إشارات دالة ترمز للطاقة الشمسية. كما يدل التطيرز المذهب لأشعة الشمس على الجزء الخلفي من ملابس الكهنوت الكاثوليكي، على أن الكاهن هو أيضاً مبعوث وممثل سول إنفكتوس (باللاتينية **Sol Invictus**) أي الشمس التي لا تقهر أو بالكامل إله الشمس الذي لا يقهر.

## المسيحية والشمس

لأسباب اعتقد أنها كافية بلا شك، وجد أولئك الذين أرخوا حياة وأعمال يسوع أنه من المستحسن تحويله إلى إله شمسي. فنسي يسوع التاريخي؛ وارتبطت تقريبا جميع الحوادث البارزة المسجلة في الأناجيل الأربعة بحركات أو مراحل أو وظائف الأجرام السماوية.

من بين الرموز الأخرى التي استعارتها المسيحية من العصور الوثنية هي قصة إله الشمس الجميل ذو العيون الزرقاء، والذي ينسدل شعره الذهبي على كتفيه، ويتسربل من رأسه إلى أخمص قدميه باللون الأبيض الناصع ويحمل بين ذراعيه حمل الله، رمز الاعتدال الربيعي. هذا الشاب الوسيم قد ركب من أبولو وأوزوريس وأورفيوس وميثراس وباخوس، لأنه يمتلك خصائص معينة مشتركة مع كل من هذه الآلهة الوثنية.

قسم فلاسفة اليونان ومصر حياة الشمس خلال السنة إلى أربعة أجزاء. لذلك رمز للرجل الشمسي بأربع شخصيات مختلفة. عندما يولد في الانقلاب الشتوي، رمز لإله الشمس كرضيع تمكن بطريقة غامضة من الهروب من قوى الظلام التي تسعى إلى تدميره بينما كان لا يزال في مهد الشتاء. الشمس، وكونها ضعيفة في هذا الموسم من السنة، لم يكن لديها أشعة ذهبية (أو خصلات شعر)، لكن بقاء الضوء خلال الظلام في فصل الشتاء يرمز إليه بخصلة شعر واحدة صغيرة تزين رأس الطفل السماوي. (ومع حدوث ولادة الشمس في برج الجدي، حيث غالباً ما كان يتم تمثيلها على أنها ترضع من ماعز).

في الاعتدال الربيعي، تنمو الشمس لتصبح شابة جميلة؛ شعرها الذهبي يتبدل على شكل حلقات على كتفيها ونورها، كما قال شيلر، يمتد إلى جميع أجزاء اللانهاية. في الانقلاب

الصيفي، تصبح الشمس رجلاً قوياً، كث اللحية، يرمز إلى حقيقة أن الطبيعة في هذه الفترة من السنة هي الأقوى والأكثر خصوبة. عند الاعتدال الخريفي، تم تصوير الشمس كرجل مسن، منحني الظهر؛ خصلات شعره يعلوها بياض الشيب؛ و متجهزاً للغياب في تيه ظلام الشتاء.

وهكذا، خصص اثني عشر شهراً للشمس كمدة حياتها. خلال هذه الفترة، انتقلت عبر البروج الاثني عشر في مسيرة انتصار رائعة. عندما جاء السقوط، دخلت مثل شمشون، إلى منزل دليلة (برج العذراء)، حيث قُطعت أشعتها وفقدت قوتها. في الماسونية، يرمز إلى أشهر الشتاء القاسية بثلاثة قتلة سعوا إلى تدمير إله النور والحقيقة.

واحتفل بمجيء الشمس بكل الفرح والحبور، حيث كان وقت رحيلها بمثابة زمن للحزن واليأس. هذا الجرم الساطع المشع في النهار، النور الحقيقي " الذي ينير درب كل رجل يأتي إلى العالم "، الراعي الأعلى، الذي بعث كل شيء من بين الأموات، الذي أطعم الجموع الجائعة، الذي أزال برد العاصفة، والذي بعث بعد الموت مرة أخرى وأعاد كل الأشياء إلى الحياة - هذه الروح الأعلى للإنسانية والعمل الخيري المعروفة بالمسيح، فادي العالمين، المولود الوحيد للآب، والكلمة التي صنعت الجسد، ورجاء المجد.

## مولد الشمس

خصص الوثنيون يوم 25 ديسمبر عيد ميلاد للرجل الشمسي. ففرحوا، واحتفلوا، وتجمعوا في مواكب، وقربوا أضحياتهم في المعابد؛ فظلمة الشتاء قد انتهت وعاد ابن النور المجيد إلى نصف الكرة الشمالي. بجهد الأخير، مزق إله الشمس القديم منزل الفلسطينيين (أرواح الظلام) ومهد الطريق للشمس الجديدة، التي ولدت في ذلك اليوم من أعماق الأرض وسط الوحوش الرمزية في العالم السفلي.

فيما يتعلق بموسم الاحتفال هذا، يقول معلم فنون مجهول في كلية باليول في أكسفورد في أطروحته العلمية "البشر، أصلهم ومصيرهم":

"كان لدى الرومان أيضاً مهرجانهم الشمسي، وألعابهم تكريماً لولادة إله النهار، وقد حدث ذلك في اليوم الثامن قبل كاليند<sup>(1)</sup> يناير - أي في 25 ديسمبر. سيرفيوس في تعليقه على المقطع 720 من الكتاب السابع من الإنياذة، حيث يتحدث فيرجيل عن الشمس الجديدة قائلاً أن الشمس وبشكل صحيح، تكون جديدة في الثامن من كاليند يناير - أي في 25 ديسمبر. في زمن ليون الأول<sup>(2)</sup> قال بعض آباء الكنيسة إن "ما جعل (عيد الميلاد) مكرماً، ليس ولادة يسوع

<sup>(1)</sup> هو اليوم الأول من كل شهر في التقويم الروماني. كلمة تقويم الإنجليزية calendar مشتقة من هذه الكلمة.

<sup>(2)</sup> البابا ليون الأول: كان أسقف روما من 440 إلى 461، انعقد مجمع خلقيدونية سنة 451م والذي يُعتبر من أهم المجامع، إذ نجم عن هذا المجمع انشقاق أدى إلى ابتعاد الكنائس المشرقية (القبطية والأرمنية والسريانية) عن الشركة مع الكنيستين الرومانية والبيزنطية، الكنائس المشرقية رفضت اصطلاح "طبيعتين" الذي كان يوازي عندهم لفظة

المسيح، ولكن كما عبروا عن ذلك، ولادة الشمس الجديدة ". وهو نفس اليوم الذي تم فيه الاحتفال بميلاد الشمس التي لا تقهر (**Natalis solis invicti**) في روما، كما يمكن رؤيته في التقويمات الرومانية، المنشورة في عهد قسطنطين وجولييان (ترنيمة للشمس، ص. 155) هذا اللقب "**Invictus**" هو نفسه الذي أعطاه الفرس للإله نفسه الذي عبده باسم ميثرا، الذي ولد في مغارة، تماماً كما يتم تمثيله على أنه ولد في اسطبل باسم المسيح من قبل المسيحيين".

وفيما يتعلق بالعيد الكاثوليكي المتعلق بالحبل بلا دنس<sup>(1)</sup> لمريم؛ ودلالاته الفلكية يضيف المؤلف نفسه:

"في نهاية الثمانية أشهر، عندما تجاوز إله الشمس بعد زيادته، العلامة الثامنة، يمتص العذراء السماوية في مساره الناري، لتختفي وسط نور ومجد ابنها، وهذه الظاهرة، التي تحدث كل عام في منتصف أغسطس تقريباً، أدت إلى مهرجان لا يزال موجوداً، والذي يفترض فيه أن أم المسيح - مما أدى إلى وضع حياتها الأرضية جانباً - مرتبطة بمجد ابنها، لتستقر بجواره في

---

شخصين. وكانوا يفضلون عليها تعابير أخرى وردت عند البابا كيرلس مثل عبارة "طبيعة واحدة" في قولته الشهيرة: طبيعة واحدة للإله الكلمة المتجسد.

(1) الحبل بلا دنس أو سيدة الحبل بلا دنس أو سيدتنا التي حُبل بها بلا دنس، هي عقيدة مسيحية تختص مريم العذراء، وقد أقرت رسمياً في حبرية البابا بيوس التاسع عام 1854، وتنص أن العذراء مريم قد ولدت من دون أن ترث الخطيئة الأصلية، أي خطيئة آدم وحواء التي يرثها الجنس البشري؛ وذلك ليس بطاقتها الذاتية بل كما ينص منطوق العقيدة: باستحقاقات ابنها يسوع المسيح، أي أن يسوع قد خلصها هي الأخرى كسائر المسيحيين إنما بنوع فريد قبل تبشيره وصلبه، وذلك منذ اللحظة الأولى التي تشكلت بها في بطن أمها؛ ولا تشير العقيدة إلى أن الحبل قد تم دون وجود اتصال جنسي، لكنها تشير إلى أن الروح القدس قد طهر مريم من الخطيئة الأصلية منذ اللحظة الأولى التي تشكلت فيها؛ والهدف من العقيدة هو تبرئة العذراء من أي علاقة بالخطيئة؛ أي أنها ظاهرة تماماً ليس لها خطية أصلية أو شخصية منذ اللحظة الأولى التي حُبل بها وحتى وجودها كنسان، نظراً للمكانة التي ستحتلها مريم بأن تكون أمّاً لله.

السماء. التقويم الروماني لكولوميل<sup>(1)</sup> يشير إلى موت أو اختفاء العذراء في هذه الفترة، كما أن الشمس تمر في برج العذراء في اليوم الثالث عشر قبل كاليند سبتمبر. هذا هو المكان الذي وضع فيه الكاثوليك عيد الافتراض، أو لم شمل العذراء وابنها. وهذا العيد كان يسمى في السابق عيد مرور العذراء. وفي مكتبة الآباء الانجيلية لدينا سرد لمرور العذراء المقدسة. كما يثبت الإغريق والرومان القدماء عيد افتراض آستريا<sup>(2)</sup>، التي هي أيضاً العذراء نفسها، في ذلك اليوم.

هذه الأم العذراء، التي ولدت إله الشمس قد حافظت عليها المسيحية بأمانة، وما هي إلا تذكير بالنقش المتعلق بنموذجها المصري إيزيس، الظاهر في معبد سايس: " الثمرة التي أنجبها هي الشمس ". وعلى حين أن العذراء كانت مرتبطة بالقمر عند الوثنيين الأوائل، فلا شك أنهم فهموا أيضاً مكانتها ككوكبة في السماء، لأن جميع الشعوب القديمة تقريباً تنسبها كأم للشمس، وأدركوا وأنه على الرغم من أن القمر لا يمكن أن يشغل هذا المنصب، فإن علامة برج العذراء يمكن، وقد فعلت، أن تلد الشمس في اليوم الخامس والعشرين من ديسمبر. يقول ألبرتوس ماغنوس، " نحن نعلم أن برج العذراء السماوية يرتفع في الأفق في اللحظة التي ثبت فيها ولادة ربنا يسوع المسيح ".

وبين بعض الفلكيين العرب والفرس، فإن النجوم الثلاثة التي تشكل سيف حزام الجبار<sup>(3)</sup> تعد هي المجوس الثلاثة الذين جاءوا لتكريم إله الشمس الصغير. مؤلف البشر، أصلهم

(1) كولوميل: كاتب عاش في كنف الإمبراطورية الرومانية ما بين سنتي 4 وحوالي 70 ميلادي. اشتهر بكتابه De Re Rustica عن الزراعة الذي ألفه في حوالي اثني عشر مجلدًا.

(2) آستريا في الميثولوجيا الإغريقية، هي آلهة العدالة عند اليونانيين القدماء. وفضلاً عن تجسيدها للعدالة، فقد تم ربطها أيضاً بالبراءة والنقاء. قيل بأنها إحدى بنات زيوس.

(3) نطاق الجبار أو حزام الجبار في الفلك ( بالإنجليزية: Orion's Belt أو The Belt of Orion ) هو نظام نجمي في كوكبة الجبار. هذا النظام النجمي يتكون من ثلاثة نجوم شديدة اللمعان وهم النطاق والنظام والمنطقة. وبينما تبدو تلك الثلاثة نجوم قريبة من بعضها عند رؤيتها من الأرض ولكن المسافات بينها أطول من بعدها الظاهري، فيبعد المنطقة عنا نحو

ومصيرهم يورد المعلومات التالية: " في برج السرطان، الذي تسامى إلى الزوال عند منتصف الليل، نجد كوكبة نجمية أطلق عليها القدماء مسييه<sup>(1)</sup>. في الشمال، نرى نجوم الدب، والتي أسماها العرب مارثا وماري<sup>(2)</sup>، وكذلك نعش لعازر. " وهكذا تجسدت الباطنية الوثنية في المسيحية، على الرغم من ضياع مفاتيحها. تتبع الكنيسة المسيحية بشكلٍ أعمى تلك التقاليد الوثنية، وعندما تسأل عن السبب؛ تُعطى تفسيرات سطحية وغير مرضية، إما نسياناً أو تجاهلاً للحقيقة التي لا جدل فيها، بأن كل دين يقوم على المذاهب السرية لأسلافه.

---

900 سنة ضوئية، ويبعد النظام عنا نحو 1340 سنة ضوئية ويبعد النطاق عنا نحو 820 سنة ضوئية. وبأخذ في الاعتبار عن بعد تلك النجوم وما تصدره من أشعة فوق البنفسجية فضياء نجم النطاق وحدة أشد نوراً 100.000 مرة من درجة ضياء الشمس.

(<sup>1</sup>) مسييه 44 أو م44 ( بالإنجليزية: Beehive Cluster أو M44 أو ( طبقاً للفهرس العام الجديد NGC 2632 )) هو تجمع نجمي مفتوح في كوكبة السرطان قريب من المجموعة الشمسية ويضم مجموعة كبيرة من النجوم. وتظهر المجموعة كأحد السدم في الليالي المظلمة، ولذلك فهذا التجمع النجمي معروف منذ قديم الأزل. وقد وصفه الفلكي بطليموس " بأنه سحابة مجسمة في صدر كوكبة السرطان "، كما كان التجمع من أول التجمعات التي قام جاليليو بدراستها.

(<sup>2</sup>) يسوع في بيت مارثا ومريم ( يشار إليه أيضاً باسم المسيح في بيت مارثا وأسماء متنوعة أخرى )، ويشير إلى جزء من الكتاب المقدس في حياة يسوع تظهر فقط في إنجيل لوقا ( لوقا 10: 38 - 42 )، حيث يزور يسوع منزل لعازر ومارثا وماري من بيت عنيا، حيث يختلط هذا الأخير عادة في تقاليد العصور الوسطى الكاثوليكية مع مريم المجدلية، على الرغم من أن العهد الجديد ربما يعني شخصاً مختلفاً.



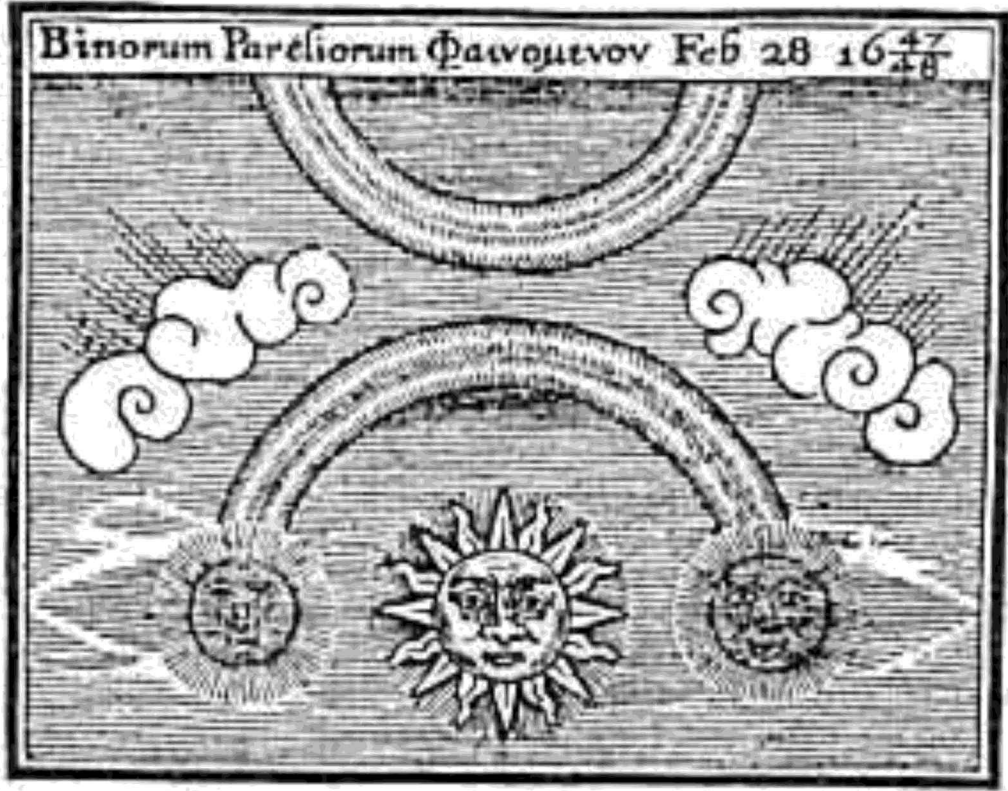
## الشموس الثلاثة

قسم الحكماء القدماء المدار السماوي مثل طبيعة الإنسان، إلى ثلاثة أجسام منفصلة؛ فوفقاً لهم، هناك ثلاث شمس في كل نظام شمسي، تشبه مراكز الحياة الثلاثة عند كل فرد. تسمى هذه الشموس الثلاثة: الشمس الروحية، الشمس الفكرية، والشمس المادية (يرمز لها الآن في الماسونية بثلاث شموع). تتجلى الشمس الروحية في قوة الرب الأب، وتشبه الشمس الفكرية حياة الرب الابن، أما الشمس المادية فهي وسيلة التجلي أو الروح القدس. كما تم تقسيم طبيعة الإنسان من قبلهم أيضاً إلى ثلاثة أجزاء متميزة: الروح والنفس والجسد. حيث تكشف جسده المادي وحيويته بتأثير الشمس المادية؛ وتثير طبيعته الروحية الشمس الروحية؛ أما طبيعته الفكرية فتشير إلى نور النعمة الحقيقي - شمس الروح. كما أن مسارات هذه الأجرام الثلاثة في السماء تتماشى والتفسيرات المقدمة للحقيقة الغريبة بأن مدارات الكواكب ليست دائرية ولكنها إهليلجية.

لطالما اعتبر الكهنة الوثنيون النظام الشمسي كرجل بالغ، وأشاروا للتشابه في مراكز النشاط الثلاثة، لمراكز الحياة الرئيسية الثلاث في جسم الإنسان: الدماغ والقلب وجهاز التكاثر. يصف تجلي السيد المسيح ثلاث خيام اجتماع، أكبرها في المركز (القلب)، وأخرى أصغر في كلا الجانبين (الدماغ وجهاز التكاثر). من الممكن أن الفرضية الفلسفية لوجود الشموس الثلاث مبنية على ظاهرة طبيعية غريبة حدثت عدة مرات في التاريخ؛ ففي السنة الحادية والخمسين بعد المسيح، شوهدت ثلاث شمس في السماء، وفي السنة السادسة والستين، وفي السنة التاسعة والستين شوهدت شمسين معاً. ووفقاً لوليام ليلي، فبين عامي 1156-1648 تم تسجيل عشرين حالة مماثلة.

اعترافاً بالشمس كولي الأمر الأساسي للعالم المادي، يعتقد الهرامسة أن هناك شمساً روحية تلبى احتياجات الجزء غير المرئي والإلهي من الطبيعة - البشرية والكونية. عن هذا الموضوع، كتب براكسلوس العظيم:

"هناك شمس أرضية، هي مبعث كل الدفء، وكل من يستطيع أن يرى قد يرى الشمس؛ وأولئك المكفوفين الذين لا يرونها سيشعرون بحرارتها. وهناك شمس سمردية هي مصدر كل الحكمة، وأولئك الذين تحركت حواسهم الروحية سيرون تلك الشمس ويكونون واعين لوجودها؛ لكن أولئك الذين لم يبلغوا الوعي الروحي، قد يشعرون بقدرتها من الداخل بما يسمى الحدس".



### الشموس الثلاث

يظهر الوصف التالي لهذه الظاهرة في رسالة كتبها إرميا شاكولي في لانكشاير، 4 مارس 1648: - "يوم الاثنين 28 فبراير الماضي، ظهر نظيرات للشمس على كلا الجانبين، تفصل بينها مسافة عنها. تقديراً، حوالي عشر درجات؛ استمروا في نفس المسافة للسمت، أو نفس الارتفاع فوق الأفق الذي كانت عليه الشمس؛ ومن هذه النظائر يظهر أن هناك بعض الأشعة الساطعة، وعلى عكس تلك التي ترسلها الشمس من وراء سحابة فهي أكثر إشراقاً. وأجزاء من هذه المنطقة ذات النظائر التي كانت تجاه الشمس، اتخذت ألواناً ممتزجة، حيث كان اللون الأخضر والأحمر هو الأكثر انتشاراً. فوقعهم كان يشاهد بصعوبة قوس قزح؛ مقعرنحو الشمس، ونهاياته يبدو أنها تلامس النظائر، وفوق كل ذلك، في هواء شفاف ظهر قوس قزح آخر واضح جميل بألوان متعددة؛ وكان أكثر قرباً من الأفق، ولحد ما بدا أقل قطراً من الآخر، لقد كانا موجودان ظهراً لظهر، ولكن بينهما فاصل جميل. عندما ظهر القمر الكامل اختفوا، تاركين أولئك الذين رأوهم يملأهم الرعب والذهول."



أعطى بعض باحثي نظام الصليب الزهري تسميات خاصة لهذه المراحل الثلاث للشمس: الشمس الروحية التي أطلقوا عليها فولكان، الشمس الروحانية هي المسيح والفكرية هي لوسيفر؛ والشمس المادية هي ديمورجوس يهوه<sup>(1)</sup> اليهودي. يمثل لوسيفر هنا العقل الفكري دون إضاءة العقل الروحي؛ لذلك فهو "النور الكاذب". النور الكاذب يتم التغلب عليه أخيراً واستبداله بنور الروح الحق، المسيح. تعد العمليات السرية التي ينقل من خلالها العقل لوسيفر إلى عقل المسيح أحد أسرار الخيمياء العظيمة، وترمز إليها عملية تحويل المعادن الأساسية إلى الذهب. في كتاب نادر عن الرموز السرية لنظام الصليب الزهري؛ يعرّف فرانز هارتمان<sup>(2)</sup> الشمس كيميائياً على أنها:

"رمز الحكمة. مركز القوة أو قلب الأشياء؛ الشمس هي مركز للطاقة ومخزن للطاقة، وكل كائن حي يحتوي في ذاته على مركز للحياة، والذي قد يشع ليكون شمساً. في قلب التجدد، تنمو القوة الإلهية بتأثير نور اللوغوس، إلى شمس تنير عقله".

في ملاحظة جانبية يزيد الكاتب نفسه وصفه بالقول:

(1) يهوه (بالعبرية: יהוה). هو اسم الله المذكور في التوراة وفي العهد القديم في الكتاب المقدس. وفي سفر الخروج المكتوب بيد النبي موسى، فهو حسب التقاليد اليهودية اسم الله العلم الذي دعا به أبو الأنبياء النبي إبراهيم، وليس الهاً خرافياً أو أسطورياً. أما أصل الاسم العبري فمن الجذر هاوه أي يَكُون أو يَصْبِر وهو فعل الكينونة في اللغات السامية القديمة. وفي الصرف والنحو العبراني مثل العربي يكون باسم فاعل ويعني حرفياً المكوّن أو المصبّر. وفي علم الآلهة القديمة يقال انه في الأساس إله من العصر البرونزي تم توظيفه في الديانة اليهودية. وبالرغم من كتابة الاسم في التوراة العبرية إلا أنه من تقاليد اليهود بان يحرم عليهم لفظ هذه الكلمة فيتم استبدالها عند القراءة بأدوناي أو هاشيم، ويسمح لرئيس الكهنة بنطقها أثناء قراءته للتوراة في يوم الغفران فقط وذلك أثناء تواجده في قدس الأقداس.

(2) فرانز هارتمان (1838 – 1912) طبيب ألماني، عرف بأنه أهم كاتب عن الثيوصوفية والأنظمة السرية في زمنه.

"الشمس الدنيوية هي صورة أو انعكاس للشمس السماوية غير المرئية؛ الأولى في عالم الروح هي مثل الثانية في عالم المادة؛ لكن الأخيرة تتلقى قوتها من الأولى".

ولكن في معظم الحالات، تتفق أديان العصور القديمة على أن الشمس المرئية المادية كانت انعكاساً وليس مصدراً للطاقة. تمثل الشمس أحياناً كدرع يحمل على ذراع إله الشمس مثل فراي الإله الاسكندنافي الشمسي. عكست هذه الشمس نور الشمس الروحية غير المرئية، والتي هي المصدر الحقيقي للحياة والنور والحقيقة. الطبيعة الفيزيائية للكون استقباليه، عالم من التأثيرات. والأسباب الخفية لهذه الآثار تنتمي إلى العالم الروحي؛ ومن ثم فإن العالم الروحي هو مجال السببية؛ أما العالم المادي هو مجال الآثار؛ بينما العالم الفكري - أو الروحاني - هو مجال الوسيط. وهكذا، يُدعى المسيح، الفكر الأعلى المتجسد وطبيعة الروح، بـ "الوسيط" الذي وبحكم موقعه وقوته، يقول:

"لا يأتي أحد إلى الآب إلا بي" (1).

فالشمس بالنسبة للنظام الشمسي، كالروح لجسد الرجل؛ طبيعته وأعضائه ووظائفه هي كواكب تحيط بالحياة المركزية (أو الشمس) وتعيش على فيضها. تنقسم الطاقة الشمسية في الإنسان إلى ثلاثة أجزاء تسمى روح الإنسان الثلاثية الأبعاد، ويقال أن كل هذه الطبائع الروحية الثلاثة متألقة ومتسامية، وباتحادها تشكل اللاهوت في الرجل. تعكس الطبيعة الإنسانية السفلية ثلاثية الأوجه - التي تتكون من جسده المادي، وطبيعته العاطفية، وكيانه

(1) يوحنا 6:14 (فَأَجَابَهُ يَسُوعُ: «أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ. لَا يَأْتِي أَحَدٌ إِلَى الْآبِ إِلَّا بِِي»). هذا المفهوم أساسي للاهوت المسيحي والآلية الأساسية التي تحدد بها الميثافيزيقا المسيحية الفصل بين المبادئ اللاهوتية لليهودية السابقة والأديان الإبراهيمية الأخرى، ويؤكد أن الدين المسيحي هو الطريق أو الطريقة الوحيدة التي يحصل بها المرء على مغفرة الخطايا، بما يتفق مع الإيمان المسيحي بالخطيئة الأصلية، وبالتالي الحياة الأبدية للروح بعد وفاة الجسد البدني. التفسيرات الأكثر ليبرالية ترى هذه الآية على أنها ابتهاج وليست وصية إلزامية، معتقدة أن أي إنسان سيحصل على مكافأة أبدية شريطة أن يعيش حياة أخلاقية ويعامل الآخرين وفقاً لمبادئ القاعدة الذهبية. تدعو بعض التفسيرات إلى التطور الشخصي والنمو تجاه المسيح، بمعنى نحو وحدة أكبر وتواصل مع البشر الآخرين، في حين أن الطوائف الأرثوذكسية تفسر الآية بأمانة أكبر للنص على أنها وصية إلزامية يجب أن يؤمن بها كل من يرغب في الخلاص، أو مواجهة الدمار الأبدي.

العقلية - ضوء ألوهيته الثلاثية وتشهد على ذلك في العالم المادي. أجساد الرجل الثلاثة يرمز لها بالمثلث المتساوي الأضلاع. أما طبيعته الروحية الثلاثية فتمثل بمثلث مقلوب. هذان المثلثان، عندما اتحدا في النجمة السداسية، سماها اليهود " نجمة داود<sup>(1)</sup> "، " خاتم سليمان<sup>(2)</sup> "، وهي معروفة أكثر اليوم باسم " نجمة صهيون ". ترمز هذه المثلثات إلى الأكوان الروحية والمادية المرتبطة ببعضها البعض في دستور المخلوق البشري، الذي يتشارك في كل

(1) نجمة داود وتسمى بالعبرية ماجين داوود بمعنى " درع داود " وتعتبر من أهم رموز الشعب اليهودي. هناك الكثير من الجدل حول قدم هذا الرمز فهناك تيار مقتنع بأن اتخاذ هذا الشعار كرمز لليهود يعود إلى زمن داود، ولكن هناك بعض الأدلة التاريخية التي تشير إلى أن هذا الرمز استخدم قبل اليهود كرمز للعلوم الخفية التي كانت تشمل السحر و الشعوذة وهناك أدلة أيضا على أن هذا الرمز تم استعماله من قبل الهندوس ضمن الأشكال الهندسية التي استعملوها للتعبير عن الكون، وكانوا يطلقون على هذه الرموز تسمية ماندالا، وهناك البعض ممن يعتقد أن نجمة داود أصبحت رمزاً للشعب اليهودي في القرون الوسطى و لكن تم استخدامها فعليا من قبل اليهود في القرن الثاني عشر، وإن هذا الرمز حديث مقارنة بالشمعدان السباعي الذي يعتبر من أقدم رموز بني إسرائيل. كما استعملها المسلمون في إمارة قرمان كعلم لهم. في عام 1948 ومع إنشاء دولة إسرائيل تم اختيار نجمة داود لتكون الشعار الأساسي على العلم الإسرائيلي.

(2) خاتم سليمان هو الخاتم المنسوب إلى الملك سليمان في التقاليد اليهودية في العصور الوسطى وفي السحر والتنجيم الإسلامي والغربي. غالباً ما تم تصويره على شكل نجمة خماسية أو سداسية. وهذا الشكل الأخير معروف أيضاً باسم نجمة داود في التقاليد اليهودية. أعطى هذا الخاتم سليمان القدرة على حكم الشياطين، والجن، والتحدث إلى الحيوانات. أصبح ينظر إليه على أنه تميمة أو تعويذة، أو رمزاً أو شخصية في السحر في العصور الوسطى وعصر النهضة، وعند الصوفية، وفي الخيمياء. تطورت أسطورة خاتم سليمان في المقام الأول من قبل الكتاب العرب في العصور الوسطى، الذين رووا أن الله نقش الخاتم ثم أعطي للملك مباشرة من السماء. كان الخاتم مصنوعاً من النحاس والحديد. في إحدى الحكايات حصل شيطان - أشماداي أو صخر - على ملكية الخاتم وحكم بدلاً من سليمان لمدة أربعين يوماً. يبدو أن تحديد تصميم الخاتم على شكل سداسي قد نشأ من تقاليد عربية من العصور الوسطى. تظهر النجمة السداسية بشكل بارز في الأدب اليهودي الباطني اعتباراً من أوائل العصور الوسطى، وقد افترض بعض المؤلفين أن فكرة خاتم سليمان قد تسبق الإسلام، وتعود إلى التقليد الحاخامي الباطني المبكر، أو إلى الخيمياء المبكرة في اليهودية الهلنستية في مصر في القرن الثالث، ولكن لا يوجد دليل على ذلك، ويفترض معظم العلماء أن الرمز دخل تقليد القبالة لإسبانيا في العصور الوسطى من الأدب العربي. على النقيض من ذلك، يبدو أن ترميزه كنجمة خماسية نشأ في التقليد الغربي لسحر عصر النهضة - الذي تأثر بدوره بقوة بالتنجيم العربي واليهودي في العصور الوسطى.

من الطبيعة واللاهوت. تشارك الطبيعة الحيوانية للإنسان في الأرض؛ طبيعته الإلهية في السماوات؛ أما طبيعته البشرية فتمثل الوسيط.



## مخلوقات الشمس السماوية

أتباع تنظيم الصليب الوردي والمتنورين، يصفون الملائكة، ورؤساء الملائكة، والمخلوقات السماوية الأخرى، بالشموس الصغيرة، كونهم مراكز للطاقة المشعة المحاطة بتيار من قوة الحق. من هذا الانهمار للتدفقات من القوة، اشتق الاعتقاد الشائع بأن الملائكة لها أجنحة. هذه الأجنحة هي مراوح للضوء تشبه الهالة، والتي من خلالها تدفع المخلوقات السماوية نفسها من خلال الجواهر الدقيقة للعوالم الفوقية.

يتفق الباطنيون الحق في إنكارهم لنظرية أن الملائكة ورؤساء الملائكة يتخذون أشكال البشر، كما هو موضح في كثير من الأحيان. لأن شخصية الإنسان ستكون عديمة الفائدة تماماً في المواد الأثيرية التي تظهر من خلالها. لطالما ناقش العلم احتمالية أن تكون الكواكب الأخرى مأهولة؛ وتستند الاعتراضات على الفكرة إلى الحجة القائلة بأن الكائنات البشرية لا يمكن أن تعيش في بيئات المريخ والمشتري وأورانوس ونبتون. فشلت هذه الحجة في مراعاة قانون الطبيعة العالمي للتكيف مع البيئة؛ حيث أكد القدماء أن الحياة نشأت من الشمس، وأن كل شيء عند الاستحمام في ضوء المدار الشمسي قادر على امتصاص عناصر الحياة الشمسية وإشعاعها لاحقاً كنباتات وحيوانات. يعتبر أحد المفاهيم الفلسفية أن الشمس هي الوالد وأن بقية الكواكب تعيش كأجنة لا تزال متصلة بالجسم الشمسي عن طريق الحبل السري الأثيري الذي هو بمثابة قناة لنقل الحياة والتغذية إلى الكواكب.

علّمت بعض الأنظمة السرية بأن الشمس تسكنها مجموعة من المخلوقات ذات الأجسام المكونة من أثير روحاني مشع، لا يختلف في طبيعته عن الكرة المتوهجة الفعلية للشمس نفسها. لم يكن للحرارة الشمسية تأثير ضار عليها، لأن خلاياها تكيفت بما يكفي للتوافق مع

معدل الاهتزاز الهائل للشمس. تشبه هذه المخلوقات الشموس المصغرة، كونها أكبر بقليل من طبق العشاء في الحجم، على الرغم من أن بعض الأقوياء أكبر بكثير. لونها هو اللون الأبيض الذهبي للشمس، ومنهم ينبعث أربعة جداول من الحق، والتي غالباً ما تكون ذات طول كبير وفي حركة مستمرة. كما يلاحظ خفقان غريب في كل أنحاء الكرة الأرضية يمكن رده إلى تلك الجداول المنبثقة. إن أعظم هذه المجالات وأكثرها إضاءة هو رئيس الملائكة ميخائيل، ونظام الحياة الشمسية بأكمله، الذي يشبه ويسكن في الشمس، يطلق عليه المسيحيون المعاصرون "رؤساء الملائكة" أو "أرواح النور".



سوريا، حاكم الشمس

من كتاب موربانثيون الهندوسي.

يصف مور هذا التمثال على النحو التالي: " يبلغ ارتفاعه تسع بوصات، ويمثل الإله المجيد الذي يحمل سمات فشنو، وهو جالس على ثعبان ذي سبعة رؤوس؛ عربته يجرها حصان بسبعة رؤوس، يقودها أرون الذي لا يملك أرجلاً، تجسيدا للفجر، أو أوروبا".

## الشمس في الرموز الخيمائية

الذهب هو معدن الشمس وقد اعتبره الكثيرون بمثابة نور الشمس المتبلور. عندما يذكر الذهب في الشؤون الخيمائية، فقد يقصد به المعدن نفسه أو الجرم السماوي الذي هو مصدر أو روح الذهب. يرتبط الكبريت بسبب طبيعته النارية أيضاً بالشمس.

بما أن الذهب كان رمزاً للروح وكانت المعادن الأساسية تمثل الطبيعة الدنيا للإنسان، فقد أطلق على بعض الخيميائيين اسم " عمال المناجم " وجرى تصويرهم يحملون معاول ويحفرون في الأرض بحثاً عن المعدن الثمين - تلك السمات الدقيقة للشخصية المدفونة في تراب المادية والجهل؛ كما يوضح الماس المخفي في قلب الكربون الأسود نفس المبدأ. استخدم المتنورون لؤلؤة مخبأة في قشرة محار في قاع البحر للدلالة على القوى الروحية، وهكذا أصبح الباحث عن الحقيقة صائد اللؤلؤ: فذاك الذي يغوص في بحر الوهم المادي بحثاً عن الفهم، أطلق عليه المنضمون "لؤلؤة ذات ثمن عظيم".

عندما ذكر الخيميائيون أن كل شيء حيوي وغير حيوي في الكون يحتوي على بذور الذهب، فإنهم يعنون بذلك أنه حتى حبيبات الرمل تمتلك طبيعة روحية، لأن الذهب هو روح كل شيء. فيما يتعلق ببذور الذهب الروحي فلدى نظام الصليب الوردي قناعة بهذه البديهة المهمة: البذرة لا فائدة منها وعاجزة ما لم يتم وضعها في المصفوفة المناسبة. يعلق فرانز هارتمان على هذه البديهة بهذه الكلمات المضيئة:

"لا يمكن للروح أن تتطور وتتقدم بدون جسد مناسب، لأن الجسد المادي هو الذي يوفر المواد اللازمة لتطورها".

لم يكن الغرض من الخيمياء هو صنع شيء من لا شيء ولكن بدلاً من ذلك تخصيص ورعاية البذور الموجودة بالفعل، إن عملياتها لم تخلق الذهب في الواقع، بل جعلت بذرة الذهب تنمو وتزدهر. كل شيء موجود له روح - بذرة الألوهية في داخله - والبعث ليس عملية محاولة وضع شيء لم يكن موجوداً فيه من قبل؛ البعث يعني في الواقع تكشف عن اللاهوت الموجود في كل مكان في الرجل، فهذا اللاهوت قد يلمع كشمس ويضيء كل من يتصل به.

## شمس منتصف الليل

أبوليوس عندما وصف انضمامه قال: "في منتصف الليل رأيت الشمس تشع نوراً رائعاً". كانت شمس منتصف الليل أيضاً جزءاً من سر الخيمياء؛ فقد رمزت إلى روح الإنسان المشرقة خلال ظلام الكائنات البشرية. كما أشارت أيضاً إلى الشمس الروحية في النظام الشمسي، والتي يمكن أن يراها الباطني أيضاً عند منتصف الليل منيرة كما تشع عند الظهر، فتجلب الأرض المادية قوة لعرقلة أشعة هذا الجرم الإلهي. لقد قال البعض بأن الأنوار الغامضة التي أضاءت معابد الأسرار المصرية خلال ساعات الليل هي انعكاس لأشعة الشمس الروحية التي جمعتها القوى السحرية للكهنة. قد يشير الضوء الغريب الذي يرى عشرة أميال تحت سطح الأرض بواسطة - أنا الرجل - في ذلك الرمز الماسوني الرائع **Etidorhpa**<sup>(1)</sup> (**Aphrodite** مكتوبة بالعكس) إلى شمس منتصف الليل الغامضة للطقوس القديمة.

غالباً ما كانت المفاهيم البدائية المتعلقة بالحرب بين مبادئ الخير والشر مبنية على تناوب الليل والنهار. فخلال العصور الوسطى، اقتصرت ممارسات السحر الأسود على ساعات الليل، وأولئك الذين خدموا روح الشر أطلق عليهم اسم السحرة السود، بينما أولئك الذين خدموا روح الخير أطلق عليهم السحرة البيض. ارتبط الأسود والأبيض بالليل والنهار، والصراع اللانهائي بين النور والظلام في أساطير مختلف الشعوب.

<sup>(1)</sup> Etidorhpa، أو نهاية الأرض: التاريخ الغريب للكائن الغامض ورواية رحلة رائعة هو عنوان رواية علمية رمزية أو خيال علمي كتبها جون أوري لويد، عالم الصيدلة وصانع الأدوية في سينسيناتي، أوهايو. والتي نشرت عام 1895. وتكررت فيها عبارة: أنا الرجل الذي تبحث عنه.

الشيطان المصري تيفون، رمز له كجزء من التمساح وجزء من خنزير لأن هذه الحيوانات ضخمة وأرضية في المظهر والمزاج. منذ أن بدأ العالم، خافت الكائنات الحية من الظلام؛ أما تلك المخلوقات القليلة التي تستخدمه كدرع لمناوراتها عادة ما تكون مرتبطة بروح الشر؛ وبالتالي ترتبط القطط والخفافيش والضفادع والبوم بالسحر. في أجزاء معينة من أوروبا، لا يزال يعتقد أن السحرة السود في الليل يتخذون أجساد الذئاب ويتجولون ناشرين الدمار، ومن هذا المفهوم نشأت قصص المستنبيين. الثعابين، ولأنها عاشت تحت الأرض، فقد ارتبطت بأرواح الظلام. ونظراً لأن المعركة بين الخير والشر تتمحور حول استخدام القوى الخلاقة للطبيعة، فإن الثعابين المجنحة تمثل بعث الطبيعة الحيوانية للرجل أو أولئك العظماء الذين اكتمل عندهم هذا البعث. بين المصريين، غالباً ما تظهر أشعة الشمس منتهية بأيدي الرجال؛ حيث سيجد الماسونيون صلة بين هذه الأيدي ومخلب الأسد الشهير الذي يرفع كل الأشياء إلى الحياة بقبضته.

## الألوان الشمسية

النظرية القائلة بوجود ثلاثة ألوان أولية وأربعة ألوان ثانوية هي نظرية بحثة، لأنه ومنذ بدايات التاريخ كان من المعروف أن هناك سبعة ألوان وليس ثلاثة ألوان أساسية؛ كما أن العين البشرية قادرة على رؤية ثلاثة منها فقط. وبالتالي وعلى الرغم من أنه يمكن تصنيع اللون الأخضر من خلال الجمع بين الأزرق والأصفر، إلا أنه يوجد أيضاً أخضر حقيقي أو أساسي ليس مركباً. يمكن أن يثبت ذلك عن طريق إظهار الطيف الضوئي بمنشور. وجد هلمهولتز<sup>(1)</sup> أن ما يسمى بالألوان الثانوية للطيف لا يمكن فصلها إلى ألوانها الأساسية المفترضة. وبالتالي فإن اللون البرتقالي للطيف، إذا مر من خلال منشور ثان، لا ينقسم إلى الأحمر والأصفر ولكنه يبقى برتقالياً.

يرمز الضمير والذكاء والقوة بشكل ملائم إلى الألوان الأزرق والأصفر والأحمر. علاوة على ذلك، تتوافق التأثيرات العلاجية للألوان مع هذا المفهوم، لأن اللون الأزرق هو لون كهربائي لطيف ومهدئ؛ الأصفر، لون حيوي ومصقول؛ والأحمر، لون مثير وباعث للدفع. وقد ثبت أيضاً أن المعادن والنباتات تؤثر على بنية الرجل وفقاً لألوانها. وبالتالي تنتج الزهرة الصفراء بشكل عام دواء يؤثر على الرجل بطريقة مشابهة للضوء الأصفر أو النغمة الموسيقية مي. كما ستؤثر

<sup>(1)</sup> هِرْمَان فُون هِلْمُهولْتز ( 1821 - 1894 ) طبيب وعالم فيزيائي ورياضي ألماني. درس فيزيولوجيا عمل العين والأذن، وقام بإنجازات هامة في مجالي الطب والفيزياء وعلى وجه الخصوص في الكهرباء المغناطيسية. تنسب إليه تسمية طاقة هلمهولتز، كفيلسوف، فهو معروف بفلسفته للعلوم والأفكار حول العلاقة بين قوانين الإدراك والقوانين الفيزيائية، وعلم الجماليات، والأفكار حول القوة الحضارية للعلوم.



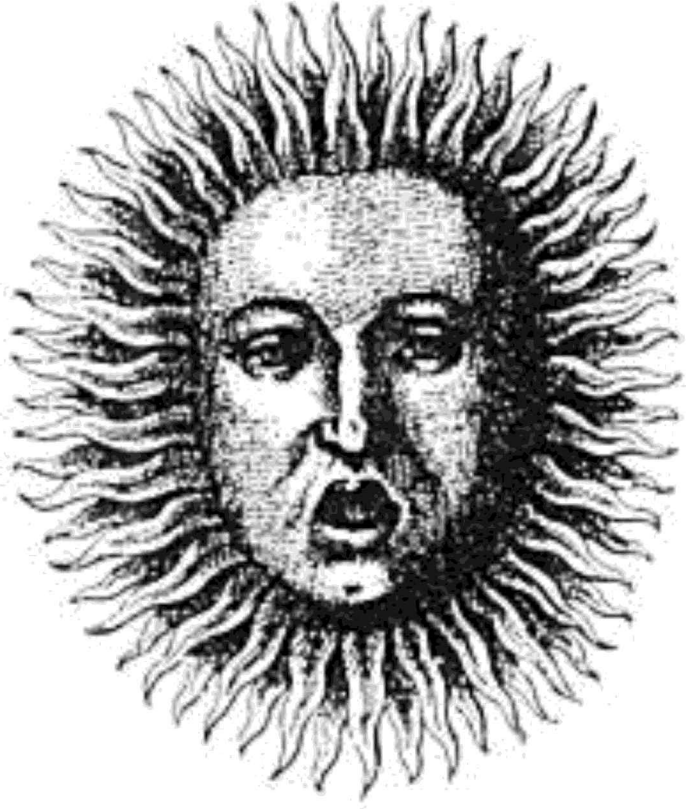
الزهرة البرتقالية بطريقة مشابهة للضوء البرتقالي، وكونها أحد ما يسمى بالألوان الثانوية، تتوافق إما مع النغمة الموسيقية ري أو تناغم دو ومي.

لقد تصور القدماء بأن روح الإنسان تتوافق مع اللون الأزرق، والعقل مع اللون الأصفر، والجسد مع اللون الأحمر. وبالتالي فإن السماء زرقاء، والأرض صفراء، والجحيم - أو العالم السفلي - أحمر. يرمز الحال الناري للجحيم إلى طبيعة المجال أو مستوى القوة التي يتكون منها. في الأسرار اليونانية، كان المجال غير العقلاني يعتبر دائماً أحمر، لأنه يمثل الحالة التي يكون فيها الوعي مستعبداً من شهوات وعواطف الطبيعة السفلية. في الهند، تم تصوير بعض الآلهة - عادة سمات فيشنو - بجلد أزرق للدلالة على طبيعتهم الإلهية والفوق الأرضية. وفقاً للفلسفة الباطنية، فالأزرق هو اللون الحقيقي والمقدس للشمس. الظلال البرتقالية - الصفراء الواضحة لهذا الجرم السماوي ناتجة عن إشعاعها مغموراً في مواد العالم الوهمي.

في الرمزية الأصلية للكنيسة المسيحية، كانت الألوان ذات أهمية كبيرة ونظم استخدامها وفقاً لقواعد محددة بعناية. لكن ومنذ العصور الوسطى، أدى الإهمال الذي تم استخدام الألوان به إلى فقدان معانيها الرمزية الأعماق. في جانبها الأساسي، يدل اللون الأبيض أو الفضي على الحياة والنقاء والبراءة والفرح والنور؛ الأحمر، معاناة وموت المسيح وقديسيه، وكذلك الحب الإلهي والدم والحرب أو المعاناة؛ الأزرق يشير إلى الكرة السماوية وحالات التقوى والتأمل. الأصفر أو الذهبي، المجد والخير؛ الأخضر يعني الخصوبة والشباب والازدهار؛ البنفسجي يشير للتواضع والمودة العميقة والحزن؛ الأسود يرمز للموت والدمار والإذلال. في فن الكنيسة المبكر، كشفت ألوان الجلباب والحلي أيضاً عما إذا كان القديس قد استشهد، وكذلك طبيعة العمل الذي قام به لاستحقاق التقديس.

بالإضافة إلى ألوان الطيف، هناك عدد كبير من موجات الألوان الاهتزازية، بعضها منخفض جداً والبعض الآخر مرتفع جداً بحيث لا يمكن تسجيله بواسطة الجهاز البصري البشري؛ وإنه لمن المروع التفكير في جهل الإنسان الهائل فيما يتعلق بمشاهد الفضاء المجردة هذه. كما في الماضي، استكشف الرجل قارات مجهولة، لذلك في المستقبل، مسلحاً بأدوات غريبة

مصممة لهذا الغرض، سوف يستكشف هذه الثوابت المعروفة للضوء واللون والصوت  
والوعي.



الوجه الشمسي.

تظهر هالة الشمس هنا على شكل بدة الأسد. هذا التذكير الخفي بحقيقة أنه في نفس الوقت الذي يحدث فيه الانقلاب الصيفي، تكون الشمس في برج الأسد، الأسد السماوي.



## دائرة البروج وأبراجها

من الصعب في هذا العصر تقدير الأثر العميق الذي أحدثته دراسة الكواكب والنجوم والأبراج على أديان وفلسفات وعلوم العصور القديمة. ولا بد من وجود سبب كافٍ جعل مجوس فارس يطلقون على النجوم النواظر. كما كرم المصريين خصوصاً بسبب كفاءتهم في حساب قوة وحركة الأجسام السماوية وتأثيرها على مصائر الأمم والأفراد. وقد اكتشفت أطلال المراصد الفلكية البدائية في جميع أنحاء العالم، على الرغم من أنه في كثير من الحالات لا يدرك علماء الآثار الحديثون الغرض الحقيقي الذي أقيمت من أجله هذه الهياكل. وعلى الرغم أن التلسكوب لم يكن معروفاً لعلماء الفلك القدماء، فقد أجروا العديد من الحسابات المذهلة بأدوات قطعت من كتل الجرانيت أو صنعت من صفائح نحاسية أو برونزية. في الهند، لا تزال هذه الأدوات قيد الاستخدام، وهي تتمتع بدرجة عالية من الدقة؛ ففي جايبور، راجبوتانا، الهند، لا يزال هناك مرصد يتكون من المزولة الحجرية الضخمة قيد التشغيل. كما يتكون المرصد الصيني الشهير على جدار بكين من أدوات برونزية ضخمة، بما في ذلك تلسكوب على شكل أنبوب مجوف بدون عدسات.

نظر الوثنيون إلى النجوم ككائنات حية، قادرة على التأثير على مصائر الأفراد والأمم والأجناس. إن اعتقاد الأحبار اليهود الأوائل بأن الأجرام السماوية تشارك في صنع أقدار الرجال هو أمر واضح لأي دارس للتوراة، ففي سفر القضاة على سبيل المثال:

"مِنَ السَّمَاوَاتِ حَارَبُوا. الْكَوَاكِبُ مِنْ حُبِّهَا حَارَبَتْ سَيْسَرًا"

كان للكلدان والفينيقيون والمصريون والفرس والهندوس والصينيون أبراجهم التي كانت متشابهة إلى حد كبير في الطابع العام، وقد صنفت المراجع المختلفة كل من هذه الحضارات بأنها مهد التنجيم وعلم الفلك. كان لدى هنود أمريكا الوسطى والشمالية أيضاً فهم للبروج، لكن أنماط وأرقام العلامات اختلفت في العديد من التفاصيل عن تلك الموجودة في نصف الكرة الشرقي.

كلمة ( **Zodiac** ) وتعني دائرة البروج مشتقة من اليونانية **zákōs**، والتي تعني " دائرة الحيوانات"، أو كما يعتقد البعض، " الحيوانات الصغيرة". هذا هو الاسم الذي أطلقه علماء الفلك الوثنيين القدامى على مجموعة من النجوم الثابتة البالغ عرضها حوالي 16 درجة، وهي تطوق الأرض على ما يبدو. يشير روبرت هيويت براون<sup>32</sup>، إلى أن الكلمة اليونانية **zodiakos** تأتي من **zo - on**، وتعني " حيوان "؛ كما أن هذه الكلمة الأخيرة مشتقة مباشرة من المصرية القديمة، **zo** وتعني الحياة، **on** وتعني الوجود.

قسّم الإغريق، وشعوباً أخرى تأثرت بثقافتهم، دائرة البروج إلى اثني عشر قسماً، يبلغ عرض كل منها ست عشر درجة وطولها ثلاثين درجة. وكانت تسمى ببيوت البروج؛ حيث تمر الشمس خلال رحلتها السنوية عبر كل من هذه الأقسام، ولحظوا مخلوقات خيالية في مجموعات النجوم التي تحدها هذه المستطيلات؛ ولأن معظمها كانت حيوانات - أو أجزاء من حيوانات - في الشكل، أصبحت تعرف فيما بعد باسم الأبراج، أو علامات البروج<sup>(1)</sup>.

هناك نظرية شائعة تتعلق بأصل مخلوقات البروج، مفادها أنها كانت نتاج خيال الرعاة، الذين يحرسون قطعانهم في الليل، فيشغلون عقولهم بتتبع أشكال الحيوانات والطيور في السماء. هذه النظرية لا يمكن الدفاع عنها، ما لم يُنظر إلى " الرعاة " على أنهم كهنة الرعي في العصور القديمة. كما أنه من غير المحتمل أن تكون علامات البروج مستمدة من مجموعات النجوم التي تمثلها الآن، ومن المحتمل جداً أن تكون المخلوقات المخصصة للمنازل الاثني

(1) يجب أن نشير إلى أن هذه التعبيرات متعلقة بأصول الكلمات اللاتينية ومعانيها.

عشر رمزية لصفات وطاقة الشمس بينما تحتل أجزاء مختلفة من حزام البروج. حول هذا الموضوع كتب ريتشارد باين نايت:

" إن المعنى الرمزي، الذي استخدمت بعض الحيوانات للدلالة عليه، كان مجرد خاصية معينة جرى تعميمها؛ وبالتالي يمكن اختراعها أو اكتشافها بسهولة من خلال العملية الطبيعية للعقل: ولكن مجموعات النجوم، التي سميت باسم حيوانات معينة، ليس لها أي تشابه مع تلك الحيوانات؛ وبالتالي فهي مجرد علامات اتفاقية، اعتمدت لتمييز أجزاء معينة من السماوات، والتي ربما كانت مكرسة لتلك السمات المعنية التي تمثلها على التوالي."

وترى بعض المراجع أن دائرة الأبراج قسمت في الأصل إلى عشرة (بدلاً من اثني عشر) منزلاً، أو "صروحاً شمسية"، ففي العصور الأولى كان هناك معياران منفصلان - أحدهما شمسي والآخر قمري - يستخدمان لقياس الأشهر والسنوات والمواسم. تتكون السنة الشمسية من عشرة أشهر يتكون كل منها من ستة وثلاثين يوماً، وخمسة أيام مقدسة للآلهة. تتكون السنة القمرية من ثلاثة عشر شهراً، عدد أيام كل منها ثمانية وعشرين، مع ترك يوم واحد. وغالباً ما كانت الأبراج الشمسية في ذلك الوقت تتكون من منازل من ست وثلاثين درجة لكل منها.

اعتبرت علامات البروج الست الأولى من الاثني عشر علامة كريمة خيرة، لأن الشمس احتلتها أثناء عبور نصف الكرة الشمالي. وكانت السنوات الستة آلاف التي حكم خلالها أهورا مزدا بخير وسلام، حسب ما اعتقده الفرس، رمزاً لهذه العلامات الست. واعتبرت الستة الثانية ذات غل، لأنه وبينما كانت الشمس ترحل عبر نصف الكرة الجنوبي، حل الشتاء عند الإغريق والمصريين والفرس. لذلك فإن هذه الأشهر الستة ترمز إلى الستة آلاف سنة من البؤس والمعاناة التي سببتها العبقرية الشريرة لأهرمان، الإله الفارسي، الذي سعى إلى الإطاحة بقوة أهورا مزدا.

أولئك الذين يعتقدون أنه وقبل مراجعتها من قبل الإغريق، كانت دائرة البروج تتكون من عشر علامات فقط، قدموا أدلة لإثبات أن برج الميزان أدخل في البروج بتقسيم كوكبة برج العقرب (والتي كانت في ذلك الوقت علامة واحدة) إلى قسمين، وبالتالي إنشاء "التوازن" عند نقطة

التوازن بين العلامات الشمالية الصاعدة والعلامات الجنوبية الهابطة. حول هذا الموضوع، يقول إسحاق ماير:

"نعتقد أن علامات الأبراج كانت عشرة في البداية، ومثلت رجلاً أو إلهاً ضخماً كامل الذكورة؛ وبعد ذلك جرى تغييرها، مما أدى لإضافة العذراء فصارت الأبراج أحد عشر برجاً؛ بعد ذلك اشتق من العقرب برج الميزان، فحصل التوازن، جاعلاً أبراج الزمن الحاضر اثني عشر برجاً".

في كل عام، تقطع الشمس المسافة بالكامل حول البروج وتعود إلى النقطة التي بدأت منها - الاعتدال الربيعي - وكل عام تقصر قليلاً عن تشكيل دائرة كاملة في السماء. ونتيجة لذلك، فإنها تعبر خط الاستواء خلف البقعة في علامة البروج بقليل حيث عبرت العام الماضي. تتكون كل علامة من البروج من ثلاثين درجة، وعندما تفقد الشمس حوالي درجة واحدة كل اثنين وسبعين عاماً، تتراجع كوكبة واحدة كاملة (أو علامة) بعد 2160 سنة، وخلال البروج بأكملها في حوالي 25920 سنة. (لا توافق المراجع على هذه الأرقام). تسمى هذه الحركة التراجعية بادئة الاعتدال؛ وهذا يعني أنه في غضون حوالي 25920 سنة، والتي تشكل سنة (شمسية أو أفلاطونية) عظيمة، يحتل كل واحد من الأبراج الاثني عشر موقعاً ثابتاً في الاعتدال الربيعي لما يقرب من 2160 سنة، ثم ينتقل لموضع البرج الذي يسبقه.

عند القدماء، كانت الشمس ترمز دائماً إلى شكل وطبيعة الكوكبة التي مرت من خلالها في الاعتدال الربيعي؛ فعلى مدى 2000 عام تقريباً، عبرت الشمس خط الاستواء في الاعتدال الربيعي في كوكبة الحوت (السمكتان). وعلى مدى 2160 سنة قبل ذلك، عبرت كوكبة برج الحمل (الكبش). قبل ذلك كان الاعتدال الربيعي في علامة الثور. من المحتمل أن يكون تخصيص الثور لهذه الكوكبة لأنه كان يستخدم من قبل القدماء لحرث الحقول، والموسم الذي خصص للحرث يتوافق مع الوقت الذي وصلت فيه الشمس إلى مقطع من السماء يدعى برج الثور.



يصف ألبرت بايك التقديس الذي شعر به الفرس لهذا البرج، وطريقة إظهاره في ثيابهم كالتالي:  
 "في كهف زرادشت، كانت الشمس والكواكب ممثلة، بالأحجار الكريمة والذهب، كما كانت  
 الأبراج ظاهرة أيضاً؛ وقد ظهرت الشمس، مشرقة في الجزء الخلفي من برج الثور".  
 في كوكبة الثور يمكن العثور على "الأخوات السبعة" - الثريا<sup>(1)</sup> المقدسة - الشهيرة للماسونية،  
 ظاهرة كنجوم سبعة في الطرف العلوي من السلم المقدس.

في مصر القديمة وخلال هذه الفترة - عندما كان الاعتدال الربيعي في كوكبة برج الثور - كرس  
 الثور أيبس لإله الشمس، والذي كان يعبد من خلال المكافئ الحيواني للكوكبة السماوية التي  
 حملها بحضوره وقت عبوره إلى نصف الكرة الشمالي. وهذا هو معنى القول القديم بأن الثور  
 السماوي "كسر بيضة السنة بقرنيه".

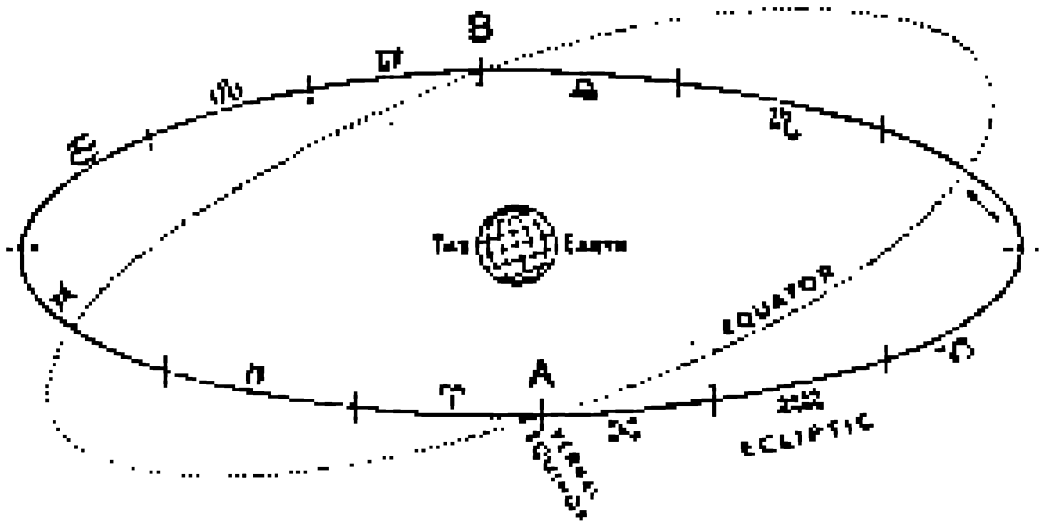
يشير سامبسون أرنولد، في كتابه "علم الفلك الأسطوري للأقدمين"، إلى نقطتين مهمتين  
 للغاية بشأن الثور في الرمزية المصرية. فهو يرى أن حركة الأرض التي نعرفها كتناوب القطبين  
 قد أدت إلى تغير كبير في الوضع النسبي لخط الاستواء وشريط البروج، وهو يعتقد أنه في  
 الأصل تعامد شريط البروج مع خط الاستواء، حيث يكون برج السرطان مقابل القطب  
 الشمالي وبرج الجدي مقابل القطب الجنوبي، لذلك فمن الممكن أن يحاول الرمز الثعباني  
 الملتوي حول البويضة إظهار حركة الشمس فيما يتعلق بالأرض في ظل هذه الظروف. يقوم  
 السيد بشرح متاهة كريت<sup>(2)</sup>، واسم أبراكسيس، والصيغة السحرية أبراكادبرا، من بين أمور  
 أخرى لإثبات نظريته، وفيما يتعلق بهذه الصيغة فهو يقول:

(1) الثريا أو الشقيقات السبع هي عنقود نجمي مفتوح يقع في كوكبة الثور فوق كتف الجبار الأيمن، وهو أحد ألمع وأشهر  
 العناقيد النجمية المفتوحة. يتكوّن العنقود من نجوم فتية زرقاء ساخنة، تكوّنت كلّها في نفس الوقت تقريباً.

(2) قصر التيه أو المتاهة: الأرض التي يتوه فيها السالك ولا يكاد يعرف فيها طريقاً. ويراد بها في الأساطير مبنى التيه ذو  
 الممرات الفرعية المعقدة الذي بناه دايدالوس للملك مينوس ملك كريت، حسب الأسطورة الإغريقية، وأراد مينوس أن  
 يجعل منها سجناً للوحش الذي يسمى المينتور. إذ كان يضغى بسبعة من شباب أثينا، وسبع عذارى لهذا الوحش كل سنة.

"لكن يجري الاحتفال بالاختفاء التدريجي البطيء للثور بسعادة بالغة في سلسلة التلاشي من الرسائل الأدبية المعبرة بشكل رقيق عن الحقيقة الفلكية العظيمة. فأبراكادبرا هي الثور، الثور الوحيد. تقسم الجملة القديمة إلى أجزاء على النحو التالي: أبر - كاد - برا. أبر هي الثور، الثور الوحيد. كاد هو أحد أسماء الشمس، حيث تسطع وحدها، وهو النجم الوحيد الذي يمكن رؤيته عند رؤيته. أما برا فتعني ليكن، بينما تكرر الاسم يحذف حرفاً، حتى يختفي كل شيء، وتلك هي أبسط طريقة، ولكنها الأكثر إرضاءً والتي كان من الممكن ابتكارها للحفاظ على ذكرى الحقيقة؛ واسم سيرايبس، الممنوح للثور في الحفل أعلاه يضعها بلا أدنى شك في هذا الموضع. وهذه الكلمة (أبراكادبرا) تختفي خلال أحد عشر مرحلة متناقصة. وما هو مميز صورة سيرايبس لأسد بثلاثة رؤوس، مع أحد عشر ثعباناً ملتفاً على نفسه تتفرع عن هذا الأسد، وتشكل هذه الثعابين مثلثاً مشابهاً للخط المتناقص الذي شكلته الخطوط المتناقصة لأبراكادبرا".

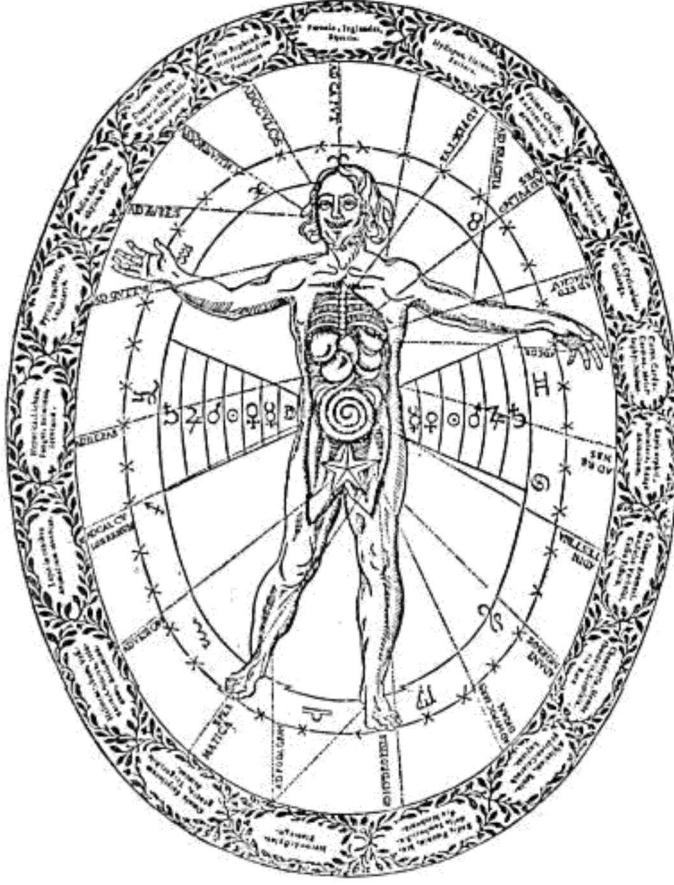
يظهر كل دين في العالم تقريباً علامات للتأثير الفلكي. فالعهد القديم لليهود، وكتابات التي طغت عليها الثقافة المصرية، ليس إلا كتلة من الرموز الفلكية والنجمية. كما يمكن تتبع جميع أساطير اليونان وروما تقريباً للمجموعات النجمية، ويرى بعض الكتاب أن الأحرف الأبجدية العبرية الأصلية التي يبلغ عددها اثنان وعشرون حرفاً قد اشتقت من المجموعات النجمية، وأن الكتابة النجمية على جدار السماء تشير إلى كلمات مكتوبة، حيث النجوم الثابتة تمثل الحروف الساكنة، والكواكب تمثل الحروف المتحركة. وتتداخل هذه النجوم والكواكب في مجموعات مختلفة دائماً، مما يشكل تهجئة للكلمات التي، وعند قراءتها بشكل صحيح، تنبأ بالأحداث المستقبلية.



الاعتدالات والانقلابات الشمسية

يتقاطع مستوى البروج مع خط الاستواء السماوي بزاوية  $23^{\circ} 28'$  تقريباً. تسمى نقطتا التقاطع (A و B) الاعتدال.





مخطط يوضح العلاقة بين جسم الإنسان والكون الخارجي

من أديب المصري<sup>(1)</sup> لكيرتشر. تظهر على أطراف الزينة مجموعات من أسماء الحيوانات ومعادن وخضروات، وتظهر علاقتها بالأجزاء المقابلة من جسم الإنسان بالخطوط المنقطة. تشير الكلمات المكتوبة بحروف كبيرة على الخطوط المنقطة إلى أي عضو أو مرض أو عشبة أو مادة أخرى ذات صلة. وتظهر المواقف الميمونة فيما يتعلق بالوقت من السنة من خلال علامات البروج،

(1) هو العمل الأسمى في علم المصريات لأنثاسيوس كيرتشر. نُشرت المراجع الثلاثة الكاملة للرسوم التوضيحية والمخططات المزخرفة في روما خلال الفترة 1652-1654. استشهد كيرتشر بمصادر من علم التنجيم الكلداني، القبالا العبرية، الأساطير اليونانية، رياضيات فيثاغورث، الخيمياء العربية وفقه اللغة اللاتينية.

حيث يقسم كل بيت بالصلبان إلى أقسامه الثلاث. ويجري التأكيد على هذا التأثير بشكل أكبر من خلال سلسلة من علامات الكواكب الموضوعة على جانبي الشكل.

بما أن الشريط البروجي يمثل مسار الشمس عبر الأبراج، فسينتج عنه ظواهر الفصول، وكما نعلم فقد كانت النظم القديمة لقياس السنة مبنية على الاعتدالات والانقلابات. لقد بدأ العام دائماً بالاعتدال الربيعي، الذي احتفل به في 21 مارس ابتهاجاً بال لحظة التي عبرت فيها الشمس خط الاستواء شمالاً فوق قوس البروج؛ كما تم الاحتفال بالانقلاب الصيفي عندما وصلت الشمس إلى أقصى موقع لها في الشمال، وكان اليوم المحدد لذلك هو 21 يونيو. وبعد ذلك الوقت تبدأ الشمس بالتزول نحو خط الاستواء، عائدة إلى الجنوب عند الاعتدال الخريفي، 21 سبتمبر، ثم تصل الشمس إلى أقصى موقع لها جنوباً في الانقلاب الشتوي، 21 ديسمبر.

خصصت أربعة من علامات البروج بشكل دائم للاعتدالات والانقلابات. وعلى الرغم من أن العلامات لم تعد تتوافق مع الأبراج القديمة التي تم تعيينها لها، والتي من خلالها اشتقت أسمائها، إلا أنها مقبولة من قبل علماء الفلك الحديثين كأساس للحساب. لذلك يقال أن الاعتدال الربيعي يحدث في كوكبة برج الحمل (الكبش)، وإنه من المناسب أن يتم وضع الكبش على قمة جميع الهائم التي تشكل القطيع السماوي الذي يشكل مجموعة الأبراج. ولقرون قبل زمن المسيح، كان الوثنيون يقدسون هذه الكوكبة. يقول جودفري هيجينز:

"كانت تسمى هذه الكوكبة حمل الرب، ودعيت أيضاً بالملخص، وقد قالوا بأنه ينقذ البشرية من خطاياهم، وكان دائماً مُشرِّفاً بتسمية "دومينوس" أو "اللورد". وكان يطلق عليه حمل الرب الذي يزيل خطايا العالم، أما المصلين الذين توجهوا له، فقد كان دعائهم: يا حمل الله، الذي يزيل خطيئة العالم، فلترحمنا، ولتمنحنا سلامك".

لذلك، فحمل الله هو إشارة للشمس، التي قيل أنها تولد من جديد كل عام في نصف الكرة الشمالي في برج الكبش، وعلى الرغم من الاختلاف الحالي بين علامات البروج ومجموعات النجوم الفعلية، فإنها ترتفع بالفعل في برج الحوت، كما يقع الانقلاب الصيفي في برج

السرطان، الذي أطلق عليه المصريون الجعران - خنفساء، رأس مملكة الحشرات والمقدسة عند المصريين كرمز للحياة الأبدية - ومن الواضح أن كوكبة السرطان تمثلها هذه المخلوقات الغريبة لأن الشمس، بعد مرورها عبر هذا المنزل، تمضي إلى الورا، أو تنزل عبر قوس البروج، كما أن السرطان هو رمز التجدد، فهو بيت القمر، الأم العظيمة لكل الأشياء، وراعية قوى الحياة للطبيعة. وتسمى ديانا، إلهة القمر لليونانيين، أم العالم. فيما يتعلق بعبادة المبدأ الأنثوي أو الأمومي، يكتب ريتشارد باين نايت:

" من خلال جذب أو سحب مياه المحيط، ستكون بطبيعة الحال صاحبة السيادة على الرطوبة؛ ومن الظاهر أنها تعمل بفعالية على أجساد النساء، وعلى قدم المساواة يبدو أنها راعية ومنظومة التغذية والتكاثر السلبي، حيث قيل أنها تلقت حورياتها، أو تجسدها التابعة من المحيط؛ وغالباً ما يمثلها رمزياً سرطان البحر، وهو حيوان له خاصية فصل أي طرف مصاب أو مشوه بشكل عفوي عن جسده، واستنساخ آخر في مكانه ". (اللغة الرمزية للفن والأساطير القديمة).

هذه العلامة المائية، وكونها رمز لمبدأ الطبيعة الأمومية، فقد اعترف بها الوثنيون كأصل كل الحياة، وكانت موطناً طبيعياً وثابتاً للقمر. كما أن الاعتدال الخريفي يحدث في كوكبة الميزان (التوازنات)، لقد كانت هذه التوازنات ماثلة فبدأ العالم حجه إلى بيت الشتاء؛ وقد وضعت كوكبة الميزان في البروج لترمز إلى قوة الاختيار، والتي من خلالها يمكن للإنسان أن يزن مسألة مقابل أخرى. منذ ملايين السنين، عندما كان الجنس البشري في طور التكوين، كان الإنسان مثل الملائكة، الذين لا يعرفون الخير ولا الشر؛ وقد انحدر لحالة معرفة الخير والشر عندما أعطته الآلهة بذور الطبيعة العقلية. من ردود الفعل العقلية للرجل على بيئته، يقطر نتاج التجربة، والذي يساعده بعد ذلك على استعادة مكانته المفقودة بالإضافة إلى الذكاء الفردي. قال باراسيلسوس: " الجسد يأتي من العناصر، والنفوس من النجوم، والروح من الإله. كل ما يمكن للعقل أن يتصوره يأتي من النجوم [أرواح النجوم، وليس الأبراج المادية] ".

تسمى كوكبة الجدي، التي يحدث فيها الانقلاب الشتوي نظرياً، بيت الموت، لأنه في فصل الشتاء تكون كل أنواع الحياة في نصف الكرة الشمالي في أدنى مدى لها. والجدي مخلوق



مركب، برأس وجسم ماعز وذيل سمكة، في هذه الكوكبة، تكون الشمس أقل قوة لها في النصف الشمالي من الكرة الأرضية، وبعد اجتياز هذه الكوكبة، تبدأ على الفور في الازدياد. ومن هنا قال الإغريق أن جوبيتر (اسم إله الشمس) قد أرضعته معزة. نظرة جديدة ومختلفة عن رمزية البروج يقدمها جون كول في مقال حول البروج الدائرية في دندرا<sup>(1)</sup> في مصر:

"يمثل رمز الماعز الذي ينبعث من جسم سمكة [الجدي]، بأكبر قدر من الملاءمة، المباني الجبلية في بابل التي ترتقي من موضعها المنخفض والمستنقي؛ قرني الماعز يرمزان إلى المدينتين نينوى وبابل، الأولى المبنية على دجلة، والأخيرة على الفرات؛ لكن كلاهما خاضع لسيادة واحدة".

غالباً ما يطلق على الفترة التي تبلغ 2160 عاماً اللازمة لتراجع الشمس خلال أحد الأبراج عصرًا. وفقاً لهذا النظام، حصل العصر على اسمه من العلامة البرجية التي تمر خلالها الشمس عاماً بعد عام وهي تعبر خط الاستواء في الاعتدال الربيعي. ومن هذا الترتيب اشتقت مصطلحات عصر الثور، عصر الحوت، عصر الدلو، عصر الحمل. خلال هذه الفترات، أو العصور، تأخذ العبادة الدينية شكل البرج السماوي الموافق - والتي يقال أن الشمس تحملها كشخصية بنفس الطريقة التي تفترض بها الروح جسداً. هذه العلامات الاثني عشر هي جواهر صدر الشمس ويضيء نورها منها، واحدة تلو الأخرى.

بالنظر إلى هذا النظام، يغدو بسهولة فهم لماذا تم اعتماد بعض الرموز الدينية خلال العصور المختلفة من تاريخ الأرض؛ خلال 2160 سنة كانت الشمس في كوكبة برج الثور، فقليل أن الإله الشمسي يفترض جسد أبيس، وأصبح الثور مقدساً لأوزوريس. خلال عصر الحمل، كان الحمل يُقدس وكان الكهنة يُدعون بالرعاة، وقرب الأغنام والماعز أضحيات على المذابح، وعين كبش فداء ليحمل خطايا بنو إسرائيل.

(1) دندرا قرية تابعة لمركز قنا في مصر. يوجد بها واحد من أهم معابد قدماء المصريين، وهو معبد هاتور أو معبد دندرا.

خلال عصر الحوت، كانت الأسماك رمزاً للألوهية وأطعم إله الشمس الجموع سمكتين صغيرتين. ولذلك وضع على غلاف كتاب إنمان<sup>(1)</sup> " العقائد القديمة " الإلهة إيزيس وسمكة على رأسها. وكان الإله المخلص الهندي، كريشنا، في أحد تجسّداته يلقي من فم سمكة. ولا يُشار إلى يسوع غالباً على أنه صياد للرجال فحسب، بل كما يكتب جون لوندي:

" كلمة سمكة هي اختصار لهذا العنوان بالكامل، يسوع المسيح، ابن الرب، المخلص، والصليب؛ أو كما يعبر القديس أوغسطين عن ذلك: إذا جمعت الحروف الأولية للكلمات اليونانية الخمس، **Ιησοῦς Χριστός Θεου Υἱὸς Σωτὴρ**، والتي تعني يسوع المسيح، ابن الله، المخلص، ستشكل كلمة **ΙΧΘΥΣ**، السمكة، حيث كلمة المسيح تفهم بطريقة باطنية، لأنه كان قادراً على العيش في هاوية هذا الموت كما في عمق المياه، أي بدون خطيئة."

يحتفل العديد من المسيحيين بيوم الجمعة، وهو يوم مقدس للعدراء (فينوس)، حيث سيأكلون السمك وليس اللحم. ولطالما كانت علامة السمكة واحدة من أقدم رموز المسيحية؛ وعند رسمها على الرمال، فهي رسالة تبلغ المسيحيين بالجوار أن مسيحياً آخر موجود بالقرب. يدعى برج الدلو علامة حامل الماء، أو الرجل الذي يحمل دلواً من الماء على كتفه كما هو مذكور في العهد الجديد. ويظهر هذا أحياناً على هيئة شخصية ملائكية، يُفترض أنها أنثوية، إما تصب الماء من جرة أو تحملها على كتفها. بين الشعوب الشرقية، غالباً ما يتم استخدام الجرة وحدها كرمز. يصف إدوارد أبهام<sup>(2)</sup>، في كتابه تاريخ وعقيدة بوذا، برج الدلو بأنه " على شكل قدر لونه بين الأزرق والأصفر؛ هذه العلامة هي البيت الوحيد لزحل ".

<sup>(1)</sup> كان توماس إنمان ( 1820 - 1876 ) جراحاً في مستشفى ليفربول الملكي، وقد نشر خلال حياته العديد من الأوراق الطبية. كما كان أيضاً يهوى علم الأساطير، ونشر العديد من الكتب حول الوثنية القديمة والرمزية المسيحية الحديثة.

<sup>(2)</sup> إدوارد أبهام ( 1776-1834 ) كان انجليزياً كاتباً وأثرياً ومستشرقاً.

عندما اكتشف هيرشل<sup>(1)</sup> كوكب أورانوس (يُسمى أحياناً باسم مكتشفه)، خصص النصف الثاني من علامة برج الدلو لهذا العضو الإضافي في عائلة الكواكب. تظهر المياه المتدفقة من جرة برج الدلو تحت اسم " مياه الحياة الأبدية " عدة مرات في الرموز. لذلك وبكل هذه العلامات تتحكم الشمس في طريقها بكل شكل من أشكال العبادة التي يقدمها الإنسان إلى الإله الأعلى.

هناك نظامان متميزان للفلسفة الفلكية. أحدهم، البطلمي، مركزه الأرض: حيث تعتبر الأرض مركز النظام الشمسي، الذي تدور حوله الشمس والقمر والكواكب. من الناحية الفلكية، نظام مركزية الأرض غير صحيح، ولكن منذ آلاف السنين أثبت دقته عند تطبيقه على الطبيعة المادية للأشياء الأرضية. تكشف دراسة متأنية لكتابات المنجمين العظماء ومخططاتهم حقيقة أن العديد منهم كانوا على دراية بطريقة أخرى لترتيب الأجرام السماوية.

أما النظام الآخر للفلسفة الفلكية فيقول بمركزية الشمس، وهذا يضع الشمس في مركز النظام الشمسي، حيث تنتهي بشكل طبيعي، وحيث تدور الكواكب وأقمارها حولها. ومع ذلك، فإن الصعوبة الكبيرة التي يواجهها نظام مركزية الشمس هي أنه، ونظراً لكونه جديد نسبياً، لم يكن هناك وقت كاف لتجربته بنجاح وتصنيف تأثيرات مختلف جوانبه وعلاقاته. علم التنجيم الذي يدور حول نظرية مركزية الأرض، كما يوحي اسمه، يقتصر على الجانب الأرضي من الطبيعة، على حين يمكن استخدام علم التنجيم الذي يدور حول مركزية الشمس لتحليل الكليات الفكرية والروحية العليا للإنسان.

<sup>(1)</sup> فريدريك ويليام هيرشل ( 1738 – 1822 ) عالم فلك وملحن بريطاني من أصل ألماني. اتبع هيرشل خطوات أبيه فانضم للفرقة الموسيقية العسكرية التابعة لهانوفر، قبل هجرته إلى بريطانيا العظمى عن عمر يُناهز التاسعة عشر، وهو شقيق العالم كارولين هيرشل. أصبح مشهوراً لاكتشافه كوكب أورانوس، وقمره الرئيسيين تيتانيا، وأوبيرون، بالإضافة إلى قمر زحل. وقد كان أيضاً أول من اكتشف وجود الأشعة تحت الحمراء. وألف واشتهر بسمفونياته الأربعة والعشرين، وعدداً من القطع الموسيقية التي لحنها.

النقطة المهمة التي يجب تذكرها هي أنه عندما قيل أن الشمس في علامة معينة في البروج، كان القدماء يعنون حقاً أن الشمس احتلت العلامة المعاكسة وألقت أشعتها الطويلة حتى البرج الذي توجوها فيه. لذلك، عندما يقال أن الشمس في برج الثور، فهذا يعني (فلكياً) أن الشمس في علامة عكس برج الثور، وهو برج العقرب. أدى هذا إلى مدرستين فلسفتين متميزتين: واحدة تؤمن بمركزية الأرض وبالظاهر، والأخرى تؤمن بمركزية الشمس وبالباطنية. وفي حين كان الجمهور الجاهل يعبد المنزل حيث تنعكس الشمس، والذي في الحالة الموصوفة أعلاه سيكون الثور، فإن الحكيم يقدس منزل الشمس الفعلي، والذي سيكون العقرب، أو الثعبان، رمز السر الروحي الخفي. هذه العلامة لها ثلاثة رموز مختلفة: أكثرها شيوعاً هو العقرب، والذي كان القدماء يعتبرونه رمزاً للخداع والتضليل. الرمز الثاني (والأقل شيوعاً) للبرج هو الثعبان، والذي غالباً ما يستخدمه القدماء رمزاً للحكمة.

وربما يكون أندر رمز لبرج العقرب هو النسر؛ فترتيب نجوم الكوكبة أقرب منه إلى طائر محلق منه إلى العقرب. العقرب، كونه علامة على بدء السحر، فإن النسر الطائر - ملك الطيور - يمثل أعلى نوع من العقارب وأكثرها روحية، حيث يتجاوز الحشرة السامة للأرض، ونظراً لأن العقرب والثور يتعاكسان معاً في البروج، فغالباً ما تكون رمزيتهما متداخلة بشكل وثيق. يقول بلانكيت في كتابه التقاويم القديمة والأبراج:

"إن العقرب (كوكبة برج العقرب المعاكس لبرج الثور) ينضم إلى مئرا في هجومها على الثور، ودائماً يوجد عفريت الاعتدال الربيعي والخريفي في مواقف مبهجة وحزينة".

المصريون والآشوريون والبابليون، الذين عرفوا الشمس على أنها ثور، اعتبروا الأبراج سلسلة من الأخاديد، التي جر خلالها الثور السماوي الكبير محراث الشمس. ومن ثم قدم الناس الأضاحي وقادوا عبر الشوارع عجول رائعة مزينة بالورود ومحاطة بالكهنة وبراقصات المعابد والموسيقيين. لم تشارك النخبة الفلسفية في هذه الاحتفالات الوثنية، ولكنها دافعت عنها باعتبارها الأكثر ملاءمة لأنواع الفكر التي تشكل كتلة السكان. امتلك هؤلاء القلة فهماً أعمق بكثير، كما شهد ثعبان الحكمة.





### الدائرة البرجية في دندرا

أقدم دائرة برجية معروفة هي تلك الموجودة في دندرا في مصر، وهي الآن في حوزة الحكومة الفرنسية. يصف السيد جون كول هذا الشكل البرجي الرائع على النحو التالي: "يبلغ قطر الرصيبة التي نحتت فيها الأبراج أربعة أقدام وتسع بوصات، وهي محاطة بدائرة أخرى ذات محيط أكبر بكثير، تحتوي على أحرف هيروغليفية؛ وهذه الدائرة محاطة بمربع يبلغ طول ضلعه سبعة أقدام وتسع بوصات. تمثل النجوم التي تكون الأبراج المختلطة مع بعضها بشكل حلزوني، وأطراف هذا اللولب بعد دورة واحدة هي الأسد والسرطان. لا شك أن الأسد على رأسه، ويبدو أنه يدوس على أفعى، وذيله يحمل امرأة. بعد الأسد مباشرة، يأتي برج العذراء التي تحمل أكواز الذرة، كما نرى ميزانين لتحقيق التوازن، وفوقهما في ميدالية صورة هربوقراطيس<sup>(1)</sup>، يلي ذلك

<sup>(1)</sup> هربوقراطيس: إله الصمت والأسرار والسرية في الديانة الهلنستية التي طوّرت في الإسكندرية البطلمية (ويعد أيضاً تجسيد للأمل وفقاً لبلوتارخ).

العقرب والقوس، الذي أعطاه المصريون أجنحة، ووجهين. بعد القوس نجد على التوالي، الجدي، الدلو، الحوت، الكبش، الثور، والجوزاء. وجرى ختم موكب البروج هذا بالسرطان، سرطان البحر".

غالباً ما يرمز للشمس بأشعة على شكل لبدة شعناء. وفيما يتعلق بالأهمية الماسونية لبرج الأسد، فقد كتب روبرت هيويت براون<sup>32</sup> :

"في 21 يونيو، عندما تصل الشمس إلى الانقلاب الصيفي، تظهر كوكبة الأسد - كونها 30 درجة قبل الشمس - لتقود الطريق، ويساعد بمخلبه القوي في رفع الشمس إلى قمة قوس البروج. هذه الصلة المرتبة بين كوكبة الأسد وعودة الشمس إلى ذروة قوتها ومجدها، في أعلى القوس الملكي للسماء، كان السبب الرئيسي الذي جعل هذه الكوكبة تحظى باحترام وتقديس القدماء. وقد ميز المنجمون برج الأسد بأنه "بيت الشمس الوحيد"، وعلموا أن العالم خلق بينما كانت الشمس في ذلك البرج. لقد كان هذا البرج مثار إعجاب أهل الشرق والغرب - من المصريين حتى المكسيكيين - كما كان رئيس الدرويد البريطاني يُصور أسداً." (علم اللاهوت وعلم الفلك الماسوني).

عندما يكتمل تأسيس عصر الدلو بدقة، ستكون الشمس في برج الأسد، وكما لوحظ من الشرح السابق في هذا الفصل فيما يتعلق بالتمييز بين علم التنجيم المتمركز حول مركزية الأرض ومركزية الشمس؛ فسترتفع الديانات السرية في العالم مرة أخرى بقبضة مقلب الأسد. (لعازر، هلمّ خارجاً)<sup>(1)</sup>.

ولا بد من القول بأن قدم دائرة البروج لا زال وسيبقى محل نزاع. فالادعاء بأنها نشأت بضعة آلاف من السنين فقط قبل عصر المسيح يعد خطأ فادحاً من جانب أولئك الذين سعوا إلى تجميع البيانات المتعلقة بأصلها. يجب أن تكون دائرة البروج قديمة بما يكفي للوصول إلى ذلك الزمن، عندما تزامنت علاماتها ورموزها تماماً مع مواقع الأبراج والنجوم في السماء، التي تمثل

(1) يوحنا 43:11



مخلوقاتها المختلفة في وظائفها الطبيعية، السمات البارزة لنشاط الشمس خلال كل من الأشهر الاثني عشر.

يعتقد أحد المؤلفين، بعد سنوات عديدة من الدراسة العميقة حول هذا الموضوع، أن مفهوم الإنسان عن دائرة البروج يبلغ من العمر خمسة ملايين سنة على الأقل. وفي كل الاحتمالات، فهي واحدة من كثير من الأشياء التي يدين بها عالم اليوم للحضارات الأطلسية أو الليمورية<sup>(1)</sup>. قبل ما يقرب من عشرة آلاف سنة لمولد المسيح، مرت عصور حيث جرى قمع كل أنواع المعرفة، فدمرت الرقم، وهدمت الآثار، وطمس كل ما يتعلق بالحضارات السابقة. فقط عدد قليل من السكاكين النحاسية وبعض رؤوس الأسهم والمنحوتات الخام على جدران الكهوف تشهد على تلك الحضارات التي سبقت عصر الدمار هذا. هنا وهناك بقيت بعض الهياكل الضخمة مثل سلسلة التماثيل الغربية في جزيرة الفصح<sup>(2)</sup>، والتي تعد دليلاً على فقدان الفنون والعلوم التي أنشأتها الأعراق الفانية. الجنس البشري قديم للغاية؛ لكن العلم الحديث يحسب عمره بعشرات الآلاف من السنين، أما المنجمون فيقدرونه بعشرات الملايين. هناك مقولة قديمة مفادها أن "أما الأرض قد أنبتت العديد من الحضارات من ظهرها"، وليس مما ينافي المنطق أن مبادئ علم التنجيم وعلم الفلك قد تطورت قبل ظهور أول رجل أبيض بملايين السنين.

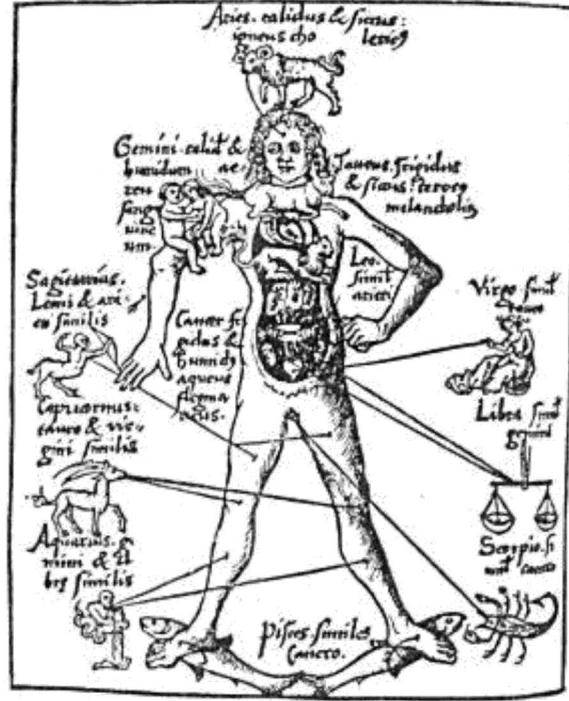
(1) ليموريا: هذا الاسم من المفترض ان يرجع إلى القارة المفقودة، التي تقع في المحيط الهندي والمحيط الهادي. هذه الفكرة نشأت في القرن التاسع عشر حين بدأت بعض الكتابات والدراسات بالبحث عن هذه الحضارة المفقودة. هناك بعض الكتابات تظهر ليموريا بشكل مختلف مع بعض الاختلافات في التفاصيل إلا أن العلم والتاريخ يشترك بالاعتقاد بأن القارة وجدت في عصور ما قبل التاريخ ولكنها غرقت في المحيط بسبب التغيرات الجيولوجية.

(2) مواي هي تسمية محلية لمجموعة من التماثيل الضخمة المصنوعة من حجر البازلت بجزيرة القيامة وهي إحدى جزر بولينيسيا وقد أقيمت بين عامي 1250 و1500. وتتراوح أطوالها بين 2 م و 9م ومعدل وزنها 14 طن وقد يصل بعضها إلى 80 طن. ومن الملفت للنظر أن هذه التماثيل تتجه في غالها إلى داخل الجزيرة. لا يظهر من تماثيل المواي سوى الرأس والرقبة أحيانا لكن تم التَّفْطَنُ لأنَّ لكل تماثيل تقريبا يدان وجذع. وتحتوي ظهورها على نقوش يُعتقد أنَّها ترمز إلى لغة قديمة.

كان لدى علماء السحر في العالم القديم فهم رائع لمبدأ التطور؛ لقد أدركوا أن الحياة كلها في مراحل مختلفة من الصيرورة. كانوا يعتقدون أن حبيبات الرمل كانت في طريقها إلى أن تصبح إنساناً بالوعي ولكن ليس بالضرورة بالشكل؛ وأن المخلوقات البشرية كانت في طريقها لتصبح كواكب؛ وأن الكواكب كانت في طريقها لأن تصبح أنظمة شمسية؛ وأن الأنظمة الشمسية كانت في طريقها إلى أن تصبح سلاسل كونية؛ وما إلى ذلك إلى ما لا نهاية. واحدة من المراحل بين النظام الشمسي والسلسلة الكونية كانت تسمى البروج؛ لذلك علموا أنه في وقت معين ينقسم النظام الشمسي إلى دائرة البروج. أصبح بيت البروج عروشاً لاثني عشر هرمية سماوية، أو حسب مقالة أحد التعاليم القديمة: عشرة أنظمة إلهية. علّم فيثاغورث أن 10، أو وحدة النظام العشري، كانت الأكثر مثالية بين جميع الأرقام، ورمز إلى الرقم عشرة بواسطة **tetractys**، وهو ترتيب لعشر نقاط على شكل مثلث متساوي الأضلاع.

عين نظار النجوم الأوائل، بعد تقسيم البروج في منازلها، النجوم الثلاثة الأكثر سطوعاً في كل كوكبة ليكونوا الحكام المشتركين لهذا المنزل، ثم قسموا المنزل إلى ثلاثة أقسام كل منها يتكون من عشر درجات أطلقوا عليها اسم ديكانز، والتي قسمت بدورها إلى نصفين، مما أدى إلى تقسيم البروج إلى اثنين وسبعين ديكانز من خمس درجات لكل منهما. على كل من هؤلاء الاثني عشر وضع العبرانيون مخلوقاً سماوياً أو ملاكاً، ومن هذا النظام نتج ترتيب القبالة للاثنيين والسبعين اسماً مقدساً، والذي يتوافق مع اثنين وسبعين زهرة وحلية ولوز، على الشمعدان السباعي لخيمة الاجتماع، واثنين وسبعين رجلاً الذين اختيروا من القبائل الإثني عشر لتمثيل بني إسرائيل.

العلامتان الوحيدتان اللتان لم يتم ذكرهما بالفعل هما الجوزاء والقوس. تمثل كوكبة الجوزاء بشكل عام طفلين صغيرين، ولدا حسب ما يظن القدماء، من البيضة التي ربما كسرها الثور بقرونه.



الكون الأصغر

اعتقد الوثنيون أن البروج شكلت جسد رجل الكون الأكبر. قسمت هذه الهيئة، التي أطلقوا عليها الكون الأكبر، إلى اثني عشر جزءاً رئيسياً، كان أحدها تحت سيطرة القوى السماوية التي تتراجع في علامات البروج. ثم واعتقاداً بأن النظام الكوني بأكمله قد تجسد في جسد الإنسان، والذي أطلقوا عليه الكون الأصغر، فقد طوروا هذا الشكل المؤلف لـ "الرجل الواقف المشرح في التقويم" من خلال تخصيص برج لجميع الاثني عشر جزء رئيسياً من جسم الإنسان.

قد تكون القصص المتعلقة بكاستور وبولوكس<sup>(1)</sup>، ورومولوس وريموس، نتيجة لتضخيم أساطير هذا التوأم السماوي. لقد تعرضت رموز الجوزاء للعديد من التعديلات، فالذي استخدمه العرب كان الطاووس؛ ولكن لا يزال اثنان من النجوم الهامة في كوكبة الجوزاء يحملان اسم كاستور وبولوكس. من المفروض أن يكون برج الجوزاء راعياً للعبادة القضيبية، والمسلتان أو العمودان، أمام المعابد والكنائس تنقل نفس الرمزية التوأمية.

يتكون برج القوس مما أطلق عليه الإغريق القدماء القنطور - مخلوق مركب، والذي كان النصف السفلي من جسمه على شكل حصان، بينما النصف العلوي كان بشراً. يظهر القنطور بشكل عام مع قوس وسهم في يديه، مصوباً بعيداً نحو النجوم. ومن ثم، فإن القوس يمثل مبدئين متميزين: الأول يمثل التطور الروحي للإنسان، لأن الشكل البشري ينهض من جسد الوحش؛ وثانياً هو رمز الطموح والإلهام، فالقنطور يصوب سهمه على النجوم، لذا فإن كل مخلوق بشري يستهدف مكاناً أعلى مما يمكنه الوصول إليه.

ألبرت تشورشوارد، في كتابه علامات ورموز الرجل البدائي، يلخص تأثير البروج على الرمزية الدينية كما يلي:

"الانقسام هنا لاثني عشر جزءاً، البروج الاثني عشر، اثنا عشر قبيلة من بني إسرائيل، اثنا عشر بوابة للسماء ذكرت في سفر الرؤيا، واثنى عشر مدخلاً أو بوابة في الهرم الأكبر، قبل أن نصل أخيراً إلى أعلى قسم، واثنى عشر رسولاً في المذاهب المسيحية، والنقاط الاثني عشر الأصلية والمثالية في الماسونية".

<sup>(1)</sup> كاستور وبولوكس هما آلهة أشقاء توأم في الميثولوجيا الإغريقية والرومانية، وكنا يعرفان باسم ديوسكوري؛ والدتهم هي ليدا في حين أن والد كاستور هو تينداريوس ملك إسبرطة بينما بولوكس هو ابن زيوس بعد أن تمكن من إغواء ليدا بعد أن ظهر لها بشكل بجنة وقد ذكر أنهم ولدوا من بيضة مع شقيقاتهن هيلين الطروادية وكليتيمنيسيتر. في المعتقدات اللاتينية تم وضع كل من كاستور وبولوكس رمزاً لبرج الجوزاء.

يعتقد القدماء أن نظرية صلب الإنسان على صورة الإله يجب أن تُفهم حرفياً؛ فأكدوا أن الكون كان كائناً عظيماً لا يختلف عن الرجل، وأن كل مرحلة ووظيفة للجسم العالمي لها مقابل عند الرجل. لكن أعلى مفتاح للحكمة الذي لقنه الكهنة للمبتدئين الجدد هو ما أطلقوا عليه قانون القياس؛ لذلك، وبالنسبة للقدماء، كانت دراسة النجوم علماً مقدساً، لأنهم رأوا في حركات الأجرام السماوية النشاط المستمر للأب اللانهائي.

غالباً ما انتقد فيثاغورث بشكل لا يستحقه، لإصداره ما يسمى عقيدة التناسخ، أو انتقال الأرواح. هذا المفهوم كما يتم تداوله بين العوام كان مجرد غطاء لإخفاء حقيقة مقدسة. يعتقد المتصوفون اليونان أن الطبيعة الروحية للإنسان انحدرت إلى الوجود المادي من درب التبانة - أرض البذور للأرواح - من خلال إحدى البوابات الاثنتي عشر لمجموعة البروج العظيمة. لذلك قيل أن الطبيعة الروحية تتجسد في شكل المخلوق الرمزي، الذي أقامه الفلكيون المجوس لتمثيل مختلف الأبراج. إذا تجسدت الروح في برج الحمل، قيل أنها ولدت في جسد كبش؛ وإذا حصل ذلك في برج الثور، قيل أنها ولدت في جسد الثور السماوي. وهكذا كان جميع البشر يرمزون إلى اثني عشر مخلوقاً غامضاً من خلال الطبيعة التي تمكنوا من تجسدها في العالم المادي. لم تكن نظرية الانتقال قابلة للتطبيق على الجسم المادي المرئي للإنسان، بل بالأحرى على الروح غير المادية غير المرئية التي تتجول على طول مسار النجوم والافتراض التسلسلي لأشكال حيوانات البروج المقدسة.

في الكتاب الثالث من رياضيات يوليوس فيرميكوس ماتيرنوس<sup>(1)</sup> يظهر المقتطف التالي فيما يتعلق بمواضع الأجرام السماوية في وقت إنشاء الكون السفلي:

(1) كان يوليوس فيرميكوس ماتيرنوس كاتباً لاتينياً ومنجماً بارزاً تلقى تعليماً وثنياً كلاسيكياً جعله على دراية باللغة اليونانية. عاش في عهد قسطنطين الأول (306 إلى 337 م) وخلفائه. جعلته حياته المهنية الثلاثية محامياً عاماً ومنجماً وأخيراً مدافعاً عن المسيحية.

"وفقاً لأسقليبيوس<sup>(1)</sup>، وبالتالي أنوبيوس، والذين منحهم الآله عطارده أسرار علم التنجيم، فإن أصل العالم هو كما يلي: تكونت الشمس في الجزء الخامس عشر من الأسد، القمر في الجزء الخامس عشر من السرطان، زحل في الجزء الخامس عشر من الجدي، المشتري في الجزء الخامس عشر من القوس، المريخ في الجزء الخامس عشر من برج العقرب، الزهرة في الجزء الخامس عشر من الميزان، الزئبق في الجزء الخامس عشر من برج العذراء، وخارطة الأبراج في الجزء الخامس عشر من السرطان. وبالتالي توافقاً مع هذا النسب، وظروف النجوم هذه، والشهادات التي يقدمونها تأكيداً لهذا النسب، فإنهم يرون أن مصائر الرجال تتحدد وفقاً للترتيب أعلاه، فأنت لن تعثر على أي شيء في أخلاق الرجال يتعارض مع أصل العالم المذكور أعلاه."

إن الأعمار السبعة للإنسان تقع تحت سيطرة الكواكب وفق الترتيب التالي: الرضاعة مع القمر، الطفولة مع عطارد، المراهقة مع الزهرة، النضج مع الشمس، الكهولة مع المريخ، الشيخوخة مع المشتري، العجز والفناء مع زحل.

(1) أسقليبيوس هو بطلٌ وإلهٌ للطب في الميثولوجيا الإغريقية. يمثل أسقليبيوس جانب الشفاء من الفنون الطبية؛ وبناته هن: هيجيا ("النظافة"، إلهة الصحة الجيدة والنظافة والصحة العامة)، آياسو (إلهة التعافي من المرض)، أسيسو (إلهة عملية الشفاء)، أغليا (إلهة توهج الصحة الجيدة)، وباناسيا (إلهة الدواء العام والعلاج العام الشامل). كان مرتبطاً مع الإله الروماني فيديوفيس وإمخوتب المصري. كان واحداً من أبناء أبولو، وتشارك معه لقب ("الشافئ"). عصا أسقليبيوس، يلتف حولها الثعبان، هي رمز للطب اليوم.



خطة هيرومس الهيروغليفية للأبراج القديمة

تحتوي الدائرة الداخلية على هيملفتا الهيروغليفي، الإله المثلث وعديد الأشكال. نرى في النطاقات الستة متحدة المركز المحيطة بالدائرة الداخلية (من الداخل إلى الخارج): (1) أرقام منازل البروج بالأرقام وكذلك بالكلمات؛ (2) الأسماء الحديثة للمنازل (3) الأسماء اليونانية أو المصرية للالهة المصرية المخصصة للمنازل؛ (4) صور هذه الالهة. (5) علامات البروج القديمة أو المعاصرة، وفي بعض الأحيان الصنفان معاً؛ (6) عدد المساكن أو التقسيمات الفرعية للمنازل.









الكاملة من الأحداث متتالية وفقاً للطقوس تماماً. ومن المؤكد أنه ما من سبب آخر جعلهم يعدوا ويصفوا بالتفصيل الدليل حول هذه الطقوس، إلا ليستعمل في المستقبل لإجراء هذه الطقوس. كما علموا أيضاً ما امتلكته الهرمية من خلال غضب إلهي - والذي تم ابتكاره كنظام رمزي لعرض أسرارهم، والتي دونوها على لوح إيزيس، أمام أعين أولئك الذين قُبِلوا في قدس الأقداس، لتعليم طبائع الآلهة وأنواع القرابين الموصوفة. وبما أن كل أمر من أوامر الآلهة له رموزه الخاصة، وإيماءاته، وأزيائه، وزخارفه، فقد اعتقدوا أنه من الضروري مراعاة هذه التفاصيل عند كل موضع للعبادة، حيث لم يوجد شيء أكثر فعالية للفت الانتباه الحميد للآلهة. وهكذا تضمنت معابدهم، البعيدة عن مساكن الرجال المعتادة، تمثيلات لكل أشكال الطبيعة تقريباً. أولاً، على الرصيف يرمزون إلى الاقتصاد المادي للعالم، باستخدام المعادن والحجارة وأشياء أخرى مناسبة، بما في ذلك تيارات صغيرة من الماء. أظهرت الجدران العالم النجسي، وعالم العفاريت. في المركز كان المذبح، لاقتراح انبثاق العقل الأعلى من المركز، وهكذا شكل الداخل بأكمله صورة لكون العوالم. وقد كان الكهنة عند تقديم الذبائح يرتدون ثياباً مزينة بأشكال مماثلة لتلك المنسوبة إلى الآلهة، كما كانت أجسادهم عارية جزئياً مثل تلك الآلهة، وجردوا أنفسهم من كل أشكال العناية المادية بكل عفة ونزاهة ممكنة. كانت رؤوسهم محجبة للإشارة إلى امتلائها بالأشياء الأرضية. كما حلق شعر رؤوسهم وأجسادهم، لأنهم اعتبروا الشعر زائدة عديمة الفائدة. على رؤوسهم حملوا نفس الشارة التي تنسب إلى الآلهة، وبالتالي اعتبروا أنهم تحولوا إلى نفس المخلوق الذي رغبوا دوماً في التمايز معه. فعلى سبيل المثال، من أجل دعوة روح الكون إلى العالم، فقد وقفوا أمام التمثال الموضح في وسط اللوح، مرتدين نفس الرموز التي يرتديها هذا التمثال ومرافقيه، وقدموا أضحياتهم. وبهذه الأضحيات ترافقها المطابقة، اعتقدوا أنهم لفتوا انتباه الإله إلى صلاتهم. وكذلك فعلوا أيضاً فيما يتعلق بمناطق أخرى من اللوح، اعتقاداً منهم بالضرورة أن الطقوس المناسبة التي يتم تنفيذها بشكل صحيح ستستحضر الإله المطلوب. ومن الواضح أن هذا هو أصل علم العرافة والوساطة. عندما يصدح الوتر الذي يعزف عليه بصوت متناغم، تستجيب الأوتار المجاورة أيضاً على الرغم من عدم لمسها، وبالمثل، فإن الفكرة التي عبروا عنها من خلال أفعالهم المتزامنة بينما كانوا يعبدون الرب توافقت مع الفكرة الأساسية، ومن خلال اتحاد فكري، أعيدت إليهم سليمة غير مشوهة، وبالتالي حصلوا على فكرة الأفكار. ومن هنا وكما انبثقت في نفوسهم، فقد فكروا في هبة النبوة والعرافة، حيث كانوا يعتقدون أن بإمكانهم التنبؤ بالأحداث المستقبلية، والشروع الوشيكة، وما إلى ذلك. ففي العقل الأعلى، حيث كل شيء متزامن وغير مكاني، سيكون المستقبل موجوداً في هذا العقل؛ فظنوا أنه حين ينغمس العقل البشري مع الأسى من خلال التأمل، فسيتمكنون من خلال هذا الاتحاد من معرفة المستقبل كله. يتكون كل ما يمثله لوحنا تقريباً من التمانم التي، ومن خلال الأفعال الموصوفة أعلاه، ستلهمهم في ظل الظروف الموصوفة، بفضل الآلهة الأسى وتمكنهم من الحصول على الخير وتجنب الشر. كما اعتقدوا أنه يمكنهم بهذه الطريقة السحرية التأثير على علاج الأمراض؛ فيمكن حث العفريت على الظهور لهم أثناء النوم وعلاجهم أو تعليمهم علاج المرضى. بهذا الاعتقاد، استشاروا الآلهة حول كل نوع من الشكوك والصعوبات، وبينما كانوا يقومون بهذه الطقوس، مع التأمل بعمق في الذات الإلهية؛ وبينما كانوا منتشين بهذا، فقد صدقوا بأن الرب ومن خلال علامة أو إيماءة، سيتواصل معهم، سواء كانوا نائمين أو مستيقظين، فيما يتعلق بصدق أوزيف المسألة في النقطة التي يبحثون عن جواب لها".

احتوت نسخة خطية لتوماس تايلور على الفقرة المدهشة التالية:

"انضم أفلاطون للأسرار الكبرى في سن 49 عاماً، وجرت عملية الانضمام في إحدى القاعات تحت الأرض للهرم الأكبر في مصر. شكل لوح بيمبو لإيزيس المذبح، حيث وقف أفلاطون الإلهي أمامها، ليحصل على ما كان دائماً له، ولكن مراسيم الأسرار استحضرت من حالة النوم. بهذا التسامي، وبعد ثلاثة أيام في القاعة الكبرى، استقبله هيروفان الهرم (يشاهد الهيروفان فقط من قبل أولئك الذين اجتازوا الأيام الثلاثة، الدرجات الثلاث، الأبعاد الثلاثة) وأعطى شفاهاً أعلى التعاليم الباطنية، كل منها مصحوباً برمزه الموافق. بعد إقامة لمدة ثلاثة أشهر أخرى في حجرات الهرم، أرسل أفلاطون إلى العالم لينشئ النظام العظيم، كما كان فيثاغورث وأورفيوس قبله."

قبل نهب روما<sup>1</sup> عام 1527، لم يكن هناك ذكر تاريخي للوح إيزيس. وفي ذلك الزمان، وقع هذا اللوح في حيازة صانع أقفال أو حداد، والذي قام ببيعه بسعر باهظ إلى الكاردينال بيمبو، وهو تاجر مشهور ببحثه عن اللقى الأثرية، ومؤرخ لجمهورية البندقية، وبعد ذلك أمين لمكتبة سانت مارك. بعد وفاته في عام 1547، استحوذ آل مانتوا على لوح إيزيس، والذي ظل في متحفهم حتى عام 1630، عندما استولت قوات فرديناند الثاني على مدينة مانتوا؛ حيث افترض العديد من الكتاب الأوائل حول هذا الموضوع أن الجنود الجيلة أذابوا اللوح ليحصلوا على الفضة التي يحتوي عليها. ومع ذلك، كان الافتراض خاطئاً، فقد وقع اللوح في يد الكاردينال بافا، الذي قدمه إلى دوق سافوي والذي قدمه بدوره إلى ملك سردينيا. عندما غزا الفرنسيون إيطاليا عام 1797 نقل اللوح إلى باريس. في عام 1809، قال ألكسندر لينوار، الذي كتب عن لوح إيزيس، أنه كان معروضاً في المكتبة الوطنية. عندما أعلن السلم بين البلدين أعيد

<sup>1</sup> جرى احتلال روما أو نهب روما في أيار 1527 من جنود الإمبراطور الروماني شارل الخامس المتمردين.

ثانية إلى إيطاليا. في دليله لشمال إيطاليا، يصف كارل بيديك موقع لوح إيزيس في مركز المعرض الثاني 2 في متحف آثار تورين.

جرى استنساخ أمين للوح الأصلي عام 1559 من قبل إينا فيكو البارمي<sup>(1)</sup> وقام دوق بافاريا بمنح نسخة من النقش إلى متحف الهيروغليفية. يصف أنناسيوس كيرتشر اللوح بأن حجمه يبلغ خمسة أشبار طولاً وأربعة عرضاً. يقول ويستكوت أن قياسه 50 × 30 بوصة. وقد صُنع من البرونز وزُخِرَ بالمينا ورصع بالفضة، ويضيف فوسبروك: "لقد نقش الأشكال بشكل سطحي للغاية، وأحيط معظمها بخيوط من الفضة".

إن أولئك المطلعين على المبادئ الأساسية للفلسفة الهرمسية، سيدركون في لوح إيزيس مفاتيح اللاهوت الكلداني والمصري واليوناني. يعترف البينديكتي العالم، الأب مونتفكون في كتابه الآثار، بعدم قدرته على التعامل مع تعقيدات رموزه؛ لذلك فهو يشك في أن الشارات الموجودة على اللوح لها أي أهمية تستحق النظر فيها وسخر من كيرتشر، معلناً أن شرحه أكثر غموضاً من اللوح نفسه. قام لورنزو بينجوريا<sup>(2)</sup> باستنساخ اللوح في مقال وصفي عام 1605، لكن تفسيراته المتطورة الخجولة أظهرت جهله فيما يتعلق بالتفسير الفعلي للأرقام.

ناقش كيرتشر في كتابه أوديب المصري المنشور عام 1654، المشكلة بشكل مميز؛ كونه كان مؤهلاً لمثل هذه المهمة بسبب سنوات أمضاها في البحث في المسائل المتعلقة بالمذاهب السرية للعبور القديمة، وبمساعدة مجموعة من العلماء البارزين، حقق كيرتشر الكثير لكشف

<sup>(1)</sup> كان إينا فيكو ( 1523 - 1567 ) نقاشاً إيطالياً. ولد في بارما وتخصص في النقوش الغرائبية على اللوحات العتيقة. عمل نقوشاً لكوسميرو دي ميتشي دوق توسكانا الكبير ولاحقاً ألفونسو الثاني دوق فيرارا.

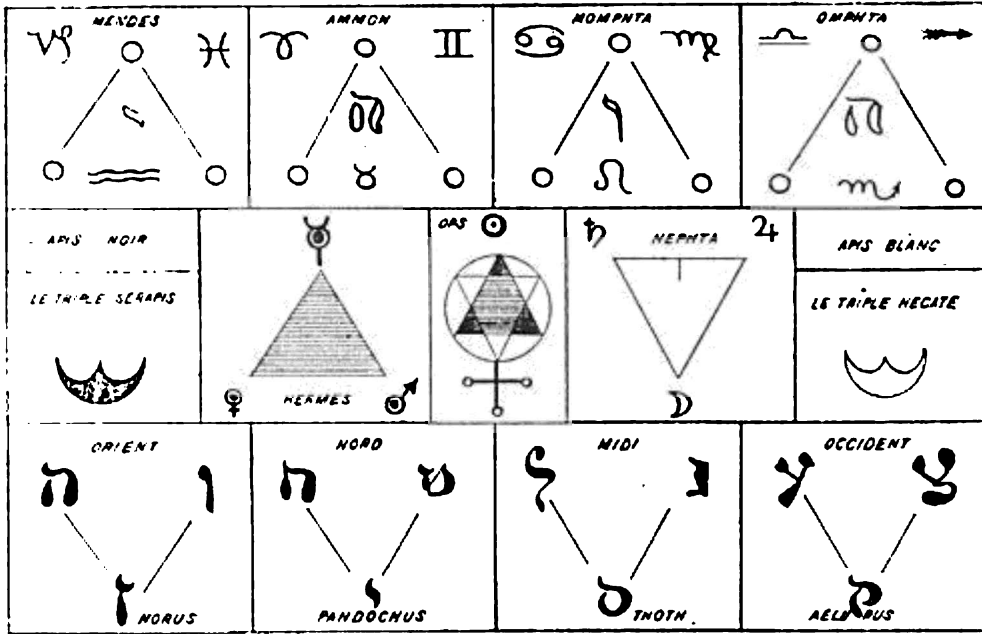
<sup>(2)</sup> لورنزو بينجوريا ( 1571 – 1631 ) كان مؤرخاً إيطالياً، وعالم آثار، وقسيس.

أسرار اللوح، ومع ذلك، فقد استعصى عليه السر الرئيسي، كما لاحظ إلفاس ليفي بذكاء في كتابه "تاريخ السحر". كتب ليفي:

علم اليسوعيون المتنورون، أنه يحتوي على المفتاح الهيروغليفي للأبجدية المقدسة، على الرغم من أنهم لم يكونوا قادرين على الذهاب أبعد في التفسير. فهو مقسم إلى ثلاث حجيرات متساوية؛ أعلاه تقع المنازل الاثني عشر السماوية، وأدناه توزيع العمل [فترات العمل] على مدار العام، بينما يوجد في المنتصف واحد وعشرون علامة مقدسة تشير إلى حروف الأبجدية، وفي وسط كل شيء يوجد صورة لإينكس<sup>(1)</sup> كلية الأشكال وهي جالسة، شعار الكينونة العالمية ويقابلها يود العبري، أو ذلك الحرف الفريد الذي تتشكل منه جميع الحروف الأخرى. كما تظهر إينكس يحيطها الثعبان ثلاثي الرؤوس، ليقابل الحروف الأم الثلاث للأبجدية المصرية والعبرية. على اليمين نجد ثالث سيرابيس؛ أما على اليسار فنرى نيفتيس وهيئات<sup>(2)</sup>، لتمثيل النيران النشطة والخامدة، الثابتة والمتقلبة، والمثيرة للنار والتي تنبع بالماء.

(1) إينكس بحسب الميثولوجيا الإغريقية القديمة، كانت حورية جبال أكادية.

(2) هيئات هي إلهة في الميثولوجيا والديانة الإغريقية القديمة، عادةً ما تُظهر ممسكة بمشعلين أو مفتاح، وصُورت في الحقب الأحدث بشكل ثلاثي. ترتبط بتقاطعات الطرق والمداخل والضوء والسحر والشعوذة والدراية بالأعشاب والنباتات السامة والأشباح.



### مفتاح ليفي للوح بيمبو

"إن لوح بيمبو، هو مفتاح كتاب تحوت القديم، الذي نجا إلى حد ما من مر القرون؛ وقد صورلنا كمجموعة بطاقات التاروت؛ التي لا تزال قديمة نسبياً. بالنسبة له كان كتاب تحوت سيرة ذاتية للتعاليم الباطنية عند المصريين بعد انحطاط حضارتهم، حيث تبلورت هذه التقاليد في شكل يشبه التاروت. بعد أن أصبح التاروت منسياً جزئياً أو كلياً أو اسئ فهمه، سقطت رموزه المصورة في أيدي العرافين المخزية والمهرجين الذين يسلون العامة بالعباب البطاقات. تتكون مجموعة أوراق التاروت من 78 بطاقة، 22 منها تشكل مجموعة خاصة من الأوراق الاربعة، التي نقشت عليها صور؛ 56 المتبقية تتكون من أربعة حزم من 10 أرقام وأربع بطاقات محكمة، ملك، ملكة، الفارس، والولد. الحزم هي السيوف (العسكرية)، الكؤوس (الكهنة)، الصولجانات (الزراعة)، والشيكل أو العملات المعدنية (التجارة). وهذا يجيب على التوالي لنمط تسميتنا للأوراق: البسطلوني، القلوب، السنك والديناري. هدفنا هو 22 بطاقة، وهذه تشكل السمة الخاصة للحزمة وهي مستمدة من الهروغليفية؛ وتمثل الـ 22 حروفاً للأبجدية العبرية والأبجديات المقدسة الأخرى، التي تقع بشكل طبيعي في ثلاث فئات: ثلاثي الأمهات، وسبع أزواج، وخمس من الحروف البسيطة. كما أنها تعتبر ثالوثاً من السبعات وواحداً منفصلاً، نظام من التلقين والتهينة".





كل زوج من الثلاثيات بالاشتراك مع المركز ينتجان سباعيات، ويوجد سباعية في المركز. توفر السباعيات الثلاث العدد المطلق للعوالم الثلاثة، بالإضافة إلى العدد الكامل للحروف البدائية، التي تضاف إليها علامة تكميلية، كالصفر بالنسبة للأرقام التسعة.<sup>(1)</sup>

قد يُفسر شرح ليفي بما يعني أن الواحد والعشرون شكلاً في مركز اللوح، تعني الواحد والعشرين ورقة الرئيسية لبطاقات التاروت<sup>(1)</sup>. فإذا كان الأمر كذلك، أليس بطاقة الصفر، هي سبب الكثير من الجدل، التاج المجهول للعقل الأسفى، التاج الذي يرمز إليه الثالث الخفي في الجزء العلوي من العرش في وسط اللوح؟ ألا يمكن أن يكون الرمز الأول لهذا العقل الأعلى، يُشار إليه من قبل المشعوذ أو الساحر مع رموز العوالم السفلية الأربعة المنشورة على طاولة أمامه: العصا، السيف، الكأس، والعملة المعدنية، وبالتالي، فإن بطاقة الصفر لا تنتمي إلى أي من غيرها من البطاقات، ولكنها في الواقع نقطة البعد الرابع التي تنبثق منها جميعاً وبالتالي يتم تقسيمها إلى واحد وعشرين بطاقة (الحروف)، والتي عندما تجمع مع بعضها البعض، تنتج الصفر. التشفير الذي يظهر على هذه البطاقة سيثبت هذا التفسير، لأن الدائرة، تمثل رمزاً للمجال العلوي الذي تصدر عنه جميع العوالم والقوى والحروف الدنيا.

جمع ويستكوت بعناية جميع النظريات الهزيلة للغاية التي قدمتها المراجع المختلفة، وفي عام 1887 نشر مجلده النادر للغاية في هذه الأيام، والذي يحتوي على الوصف التفصيلي الوحيد للوح، والذي ينشر باللغة الإنجليزية، منذ أن قام همفري بترجمة وصف مونتفكون

(1) أوراق التاروت عبارة عن مجموعة من الأوراق تظهر واحداً وعشرين ورقة رابحة، وورقة خاصة تُدعى "المهرج" بالإضافة إلى المجموعة الاعتيادية للأوراق التي توجد في أوراق اللعب العادية. بطاقات التاروت تستخدم في معظم أوروبا للعب ألعاب أوراق التاروت. في الدول التي تتحدث الإنجليزية حيث لا تُعرف ألعاب التاروت على نطاق واسع، تُوظف أوراق التاروت بشكل رئيسي لأغراض العرافة.

الذي لا قيمة له عام 1721. بعد شرح تحفظه على كشف ليفي والذي كان من الأفضل تركه مخفياً، يلخص ويستكوت تفسيره للوح على النحو التالي:

"يوضح مخطط ليفي، الذي يشرح به سر اللوح، المنطقة العليا مقسمة إلى الفصول الأربعة من السنة، لكل منها ثلاث علامات على البروج، وقد أضاف الاسم المقدس الرباعي الحروف، **Tetragrammaton**<sup>(1)</sup>، فعُين يود لبرج الدلو وذاك سهيل، وعُين هو لبرج الثور وهو أبيس، وعُين واو لبرج الأسد وهو الشمس، وعُين هي للتايفوس. لاحظ التوازي الملائكي، رجل، ثور، أسد، ونسر. يتم العثور على الشكل الرابع إما كعقرب أو نسر اعتماداً على النية الصالحة أو النية الطالحة: الأبراج الشعبية تحل الأفعى محل العقرب.

المنطقة السفلى التي ينسبها إلى الأحرف العبرية الاثني عشر البسيطة، ثم قرننها بالجهات الأربع للأفق، كما قارن دائرة يتزيرا<sup>(2)</sup>.

المنطقة الوسطى ينسبها إلى القوى الشمسية وقوى الكواكب؛ ففي القسم الوسط نرى في الأعلى الشمس، وأوبيس<sup>(3)</sup> المميزة، وأسفلها ختم سليمان فوق صليب؛ نجمة سداسية مكونة من مثلثين، أحدهما فاتح والآخر قاتم، والمجموع يشكل نوعاً من رمز معقد لفينوس. كما يعطي لإبيمورفوس الكواكب المظلمة الثلاثة، فينوس، عطارد، والمريخ الموضوعة حول مثلث متساوي الأضلاع، والذي يشير إلى النار. إلى ثالث نيفتيس يعطي ثلاثة كواكب منيرة، زحل، القمر، والمشتري، حول مثلث مقلوب يشير إلى الماء. هناك صلة ضرورية بين الماء، وقوة الأنثى،

(1) وتعني باليونانية المكون من أربعة أحرف، ويقصد به يهوه، وهو اسم الله في الكتاب المقدس من إسرائيل. الأحرف الأربعة، مقروءة من اليمين إلى اليسار، هي يود، هو، واو بالإنجليزية (yodh, he, waw and he).

(2) يتزيرا العالم الثالث بين أربعة عوالم في شجرة القبالة للحياة.

(3) أوبيس: ربه الكثرة في الميثولوجيا الرومانية.

والمبدأ السلبي، والبيناه<sup>(1)</sup>، والسيفروت<sup>(2)</sup> الأم، والعروس. لاحظ أن العلامات القديمة للكواكب كانت كلها تتكون من صليب، قرص شمسي وهلال: فينوس صليب تحت قرص الشمس، عطارد قرص بهلال فوقه وصليب أدناه، زحل هو صليب تلمس أدنى نقطة له قمة الهلال؛ المشتري هو الهلال الذي تلمس أدنى نقطة له الطرف الأيسر للصليب: كل هذه ألغاز عميقة. لاحظ أن ليفي في لوحه الأصلي نقل سيرابيس وهيئات، ولكن ليس أبيس الأبيض وأبيس الأسود، ربما لأن رأس بس<sup>(3)</sup> مرتبط معه ومتوافق مع هيئات. لاحظ أنه بعد إحالة 12 حرفاً بسيطاً إلى الأسفل، يجب أن تتوافق السبعة المزدوجة مع المنطقة المركزية للكواكب، ثم الثلاثي الكبير **A.M.S.** الحروف الأم التي تمثل الهواء والماء والنار لا تزال في الصورة، حول **S** توجد إينكس المركزية، أو يود، من قبل **Ophionian** ثلاثية الثعبان وأسد أبو الهول. كلمة أبيس التي أوردها ليفي في المركز هي لاتينية، الأرض، عفريت الأرض؛ وغالباً ما يتم تصوير الآلهة الإغريقية أوبيس، ريا، أو سيبييل كإلهة جالسة في عربة تجرها الأسود؛ على رأسها تاج صغير، وهي تحمل مفتاحاً.

المقالة التي نشرها بالفرنسية ألكسندر لينوار<sup>(4)</sup> عام 1809، على الرغم من فضولها وأصالتها، فهي تحتوي على القليل من المعلومات الحقيقية عن اللوح، حيث سعى المؤلف إلى

(1) القسم الثالث من شجرة القبالة للحياة.

(2) تعني الانبثاق أو الفيض، هي فكرة في القبالة اليهودية تتناول العشر صفات التي انبثقت عن النور الأبدي (عين سوف) والتي من خلالها يكشف الله حقيقته بخلق العوالم الروحية والمادية وسلسلة من العوالم الميتافيزيقية العليا.

(3) بس هو أحد الآلهة المصرية القديمة، وكان يحظى بشعبية كبيرة خلال الدولة الحديثة. ويمثل بصورة قزم منتفخ الوجنتين وله ذقن تشبه المروحة وترتسم على وجه علامات الوجوم لتثير الرعب في نفوس الأشرار، وفي بعض الأحيان وخاصة ابتداء من الأسرة الثامنة عشر كان بس يصور ولديه زوجين من أجنحة الصقر.

(4) ألكسندر لينوار (1761 - 1839) عالم آثار فرنسي. علم نفسه بنفسه، وكرس نفسه لإنقاذ الآثار والتماثيل والمقابر التاريخية في فرنسا من ويلات الثورة الفرنسية.

إثبات كونه تقويم مصري أو مخطط للتنجيم. ونظراً لأن كل من مونتفكون ولينوار - في الواقع جميع الكتاب حول هذا الموضوع منذ عام 1651 - إما أنهم بنوا أعمالهم على عمل كيرتشر أو تأثروا به بشكل كبير، فقد ترجم المقال الأصلي بدقة أخيراً (ثمانون صفحة من المقال اللاتيني العائد للقرن السابع عشر). اللوح في بداية هذا الفصل هو استنساخ أمين صنعه كيرتشر من الأصلي الذي وجد في متحف الهيروغليفية، وكانت الأحرف والأرقام الصغيرة المستخدمة لتعيين الأشكال إضافة لتوضيح تعليقاته، وسيتم استخدامها للغرض نفسه في هذا العمل.

مثل جميع الآثار الدينية والفلسفية تقريباً، كان لوح بيمبو لإيزيس موضوعاً لكثير من الجدل، ففي حاشية وايت العاجز عن التمييز بين الحقيقة والوهم حول أصل اللوح، فإنه يردد مشاعر ويلكنسون الباطني المشهور الآخر: "[اللوحة] الأصلي حديث للغاية، وليس لنا إلا أن نسميه تزييفاً". من ناحية أخرى، يدافع إدوارد وينكلمان<sup>(1)</sup>، الرجل العالم الفذ، عن أصالة وقدم اللوحي. يكشف النظر الصادق للوح عن حقيقة واحدة ذات أهمية قصوى: أنه وعلى الرغم من أن الذي صمم اللوح لم يكن بالضرورة مصرياً، إلا أنه كان باطنياً من أعلى مرتبة، وكان على دراية كاملة بالمبادئ الغامضة للأسرار.

<sup>(1)</sup> إدوارد وينكلمان (1838 – 1896) مختص في دراسات القرون الوسطى، مؤرخ، وأستاذ جامعي ألماني.

MEDES			WINTER			AMMON			SPRING			MOMPHTA			SUMMER			OMPHTA			AUTUMN		
MEDES	MECHIR	CANDUS	PHANEOOTH	ICHTON	PHARMUTHI	AMMON	PACHONS	APIS	PAONI	GEMINI	EP:PHI	HERMANUBIS	MESORI	MOMPHTA	THOTH	ISIS	PADPHI	OMPHTA	ATNYR	TYPHON	CHOIAK	NEPHTHA	TYBI
P	S	V				X	Z	A				B	C	E				F	G				H
ANUS	ISIS					TRIAD OF IBIMORPHOS			OPHIONIAN TRIAD			TRIAD OF NEPHTHA			MNEVIS OSIRIS								
G	I	N				MASCULINE			CENTRAL			FEMININE			P								
						ACTIVE			IYNX			PASSIVE			OF								
						O Q F			V S W			X Y Z			SCRAPIS								
						L M N									Z, H Q								
EAST GATE			NORTH GATE			SOUTH GATE			WEST GATE														
HORUS			PANDOGHUS			THOTH			ALURUS														
λ m n			ξ ο ζ			τ φ χ			ψ F H														

### مفتاح وسيتكنسون للوح بيمبو

أعلن زرادشت أن الرقم ثلاثة يلمع في جميع أنحاء العالم؛ حيث كشف عن ذلك في لوح بيمبو بواسطة سلسلة من الثلاثيات التي تمثل الدوافع الخلاقية. كتب ألكسندر لينوار عن لوح بيمبو: "إن لوح بيمبو، كعمل فني ليس ذا أهمية كبيرة. إنه مجرد تركيبة، باردة وغير ذات أهمية، تعطي أرقامها التي رسمت بإيجاز ووضعت بشكل منهجي قرب بعضها البعض، ولكنها تحوي القليل من الانطباع عن الحياة. ولكن، وعلى العكس من ذلك؛ نفهم بعد فحصها غرض من أبدعها، حيث نفتتح تقريباً بأن لوح بيمبو صورة للكرة السماوية مقسمة إلى أجزاء صغيرة لاستخدامها بشكل عام. وفقاً لهذه الفكرة، يمكننا أن نستنتج أن لوح بيمبو كان في الأصل مقدمة لمجموعة تتبع أسرار إيزيس؛ وقد نقشت على النحاس من أجل استخدامها في احتفالية البدء.

## رمزية لوح بيمبو

يستند التفسير الوجيز التالي للوح بيمبو بالضرورة إلى ملخص لكتابات كيرتشر، ويكمّله معلومات أخرى تم جمعها من قبل المؤلف الحالي اعتماداً على كتابات أسرار الكلدان والعبرانيين والمصريين واليونانيين. صممت معابد المصريين بحيث أن ترتيب الغرف والديكورات والأواني يشتمل على أهمية رمزية، كما هو موضح في الهيروغليفية التي أظهرت ذلك. بجانب المذبح، الذي عادة ما يكون في وسط كل غرفة، وضعوا وعاءاً للماء من النيل، والذي يتدفق ويخرج من خلال أنابيب غير مرئية. هنا أيضاً وضعوا صوراً متسلسلة للآلهة، مصحوبة بنقوش سحرية. في هذه المعابد، وباستخدام الرموز والأحرف الهيروغليفية، أرشد المبتدئين في أسرار الطبقة الكهنوتية.

كان لوح إيزيس في الأصل مائدة أو مذبحاً، وكانت شعاراته جزءاً من الأسرار التي شرحها الكهنة. وكانت الطاولات مخصصة لتكريم مختلف الآلهة والإلهات؛ في هذه الحالة كرمّت إيزيس. اختلفت المواد التي صنعت منها الطاولات حسب الكرامات النسبية للآلهة؛ الموائد المكرسة للمشترى وأبولو كانت من ذهب؛ تلك التي كانت لديانا وفينوس وجونو من الفضة؛ تلك التي كانت للآلهة العليا الأخرى من الرخام؛ أما تلك الأقل ألوهية فمن الخشب. كما صنعت ألواح أخرى من المعادن المقابلة للكواكب التي تحكم السماوات المختلفة. وكما ينتشر الطعام داخل الجسم من طاولة الوليمة، انتشرت على هذه المذابح المقدسة الرموز التي، وعند فهمها، تغذي الطبيعة غير المرئية للرجل. يلخص كيرتشر في مقدمته رمزية اللوح كما يلي:

"إنه يلقي في المقام الأول، دستور العالم الثلاثي - نموذجي، فكري، وعقل. يظهر الإله الأعلى متحركاً من المركز إلى المحيط في كون يتكون من كل من الأشياء المعقولة وغير الحية، وكلها تنشط بواسطة القوة العليا الوحيدة التي يسمونها عقل الآب والممثلة برمز ثلاثي. كما يظهر هنا أيضاً ثلاث ثلاثيات للواحد الأسمى، وكل منها يظهر إحدى سمات تريمورتى<sup>(1)</sup> الأولى. هذه الثلاثيات تسمى الأساس، أو قاعدة كل الأشياء؛ وفي اللوح أيضاً ترتيب لتلك المخلوقات الإلهية التي تساعد العقل الآب في السيطرة على الكون. هنا [ في الجزء العلوي] سيُرى حكام العالم، كل منهم بشاراته النارية، الأثيرية، والمادية. هنا أيضاً [في الجزء السفلي] آباء المصادر، الذين عليهم واجب رعاية وحفظ مبادئ كل شيء، والاهتمام بديمومة قوانين الطبيعة المصونة. هذه هي آلهة المجالات وتلك التي تتجول من مكان إلى آخر، عاملة مع جميع المواد والأشكال، مجموعة معاً كشخصيات من كلا الجنسين، وقد تطلعوا نحو إلههم الأعلى".

لوح إيزيس الذي يقسم أفقياً إلى ثلاثة أقسام، قد تمثل المخطط الأرضي للغرف التي أعطيت أسرار إيزيس فيها. وتنقسم اللوحة المركزية إلى سبعة أجزاء أو غرف أصغر، والجزء السفلي فيه بوابتين، واحدة عند كل طرف. يحتوي الجدول بأكمله على خمسة وأربعين شخصية ذات أهمية مبدئية، وعدد من الرموز الأقل أهمية. جمعت الخمس وأربعون شخصية رئيسية في خمسة عشر ثلاثية، أربعة منها في القسم الأعلى، وسبعة في الوسط، وأربعة في الجزء السفلي. وفقاً لكل من كيرتشر وليفي؛ تقسم الثلاثيات بالطريقة التالية:

(1) تريمورتى (كلمة سنسكريتية تعني الأشكال الثلاثة) وهي عقيدة هندوسية تقول بأن الوظائف الكونية الثلاث من خلق وحفظ وتدمير مجسدة في براهما وفيشنا وشيفا على الترتيب. وتدعى هذه الآلهة الثلاثة "الثالوث الهندوسي" أو "الثالوث الأعظم". لكن غافين فلود يعتبر العبارات غير دقيقة ويقول إن براهما وفيشنا وشيفا، يشار لها أحياناً بشكل خاطئ كثالوث هندوسي.

القسم العلوي	القسم الأوسط	القسم السفلي
1. $P, S, V$ ثلاثية منديس (1).	1. $G, I, K$ ثلاثية إيزيس.	1. $\lambda, M, N$ ثلاثية حورس.
2. $X, Z, A$ ثلاثية أمون.	2. $L, M, N$ ثلاثية هيكات.	2. $\xi, O, \Sigma$ ثلاثية باندوئش.
3. $B, C, D$ ثلاثية موفيت.	3. $O, Q, R$ ثلاثية إيمورفوس.	3. $T, \Phi, X$ ثلاثية ثاويست.
4. $F, G, H$ - ثلاثية أموفيت.	4. $V, S, W$ ثلاثية أوفيون.	4. $\Psi, F, H$ ثلاثية إيلوريس.
	5. $X, Y, Z$ ثلاثية نيفتيس.	
	6. $\zeta, \eta, \theta$ ثلاثية سيرايس.	
	7. $\gamma, \delta, \varepsilon$ ثلاثية أوزوريس.	

(1) منديس الاسم اليوناني لمدينة دجدة المصرية القديمة ( بالعربي: تل الربع). تقع المدينة في دلتا النيل الشرقية وكانت عاصمة منطقة خوم المصرية السفلى السادسة عشرة. وخلال حكم الأسرة التاسعة والعشرين، كانت منديس أيضاً عاصمة مصر القديمة، وقد كانت مدينة شهيرة جذبت انتباه معظم الجغرافيين والمؤرخين القدماء، بما في ذلك هيرودوت.





يكتب كيرتشر عن هذه الثلاثيات الخمس عشر:

"تختلف الأشكال عن بعضها البعض في ثمانية نواحٍ مهمة للغاية، أي وفقاً للشكل والموضع والإيماءة والتصرف واللباس وغطاء الرأس والعصا، وأخيراً وفقاً للغة الهيروغليفية المكتوبة حولهم، سواء كانت هذه زهوراً أو شجيرات أو حروفاً صغيرة أو حيوانات".

هذه الطرق الرمزية الثمانية لتصوير القوى السرية للأشكال هي تذكير دقيق بالحواس الروحية الثمانية للإدراك، والتي يمكن من خلالها فهم النفس الحقيقية للرجل. وللتعبير عن هذه الحقيقة الروحية، استخدم البوذيون عجلة بثمانية أسياف، متسامين بوعيمهم عبر المسار الثماني النبيل. تحتوي الحدود المزخرفة التي تضم الأقسام الرئيسية الثلاثة للجدول، على العديد من الرموز التي تتكون من الطيور والحيوانات والزواحف والبشر والأشكال المركبة. وبحسب إحدى القراءات للوح، يمثل هذا الحد العناصر الأربعة؛ فالمخلوقات كائنات عنصرية. وبحسب قراءة أخرى للوح، يمثل هذا الحد المجالات النموذجية، وفي إفريزها للأشكال المركبة، نرى أنماط تلك الأشكال والتي ستظهر لاحقاً في مجموعات مختلفة في العالم المادي. الزهور الأربعة في زوايا اللوح - ولأن أزهارها تواجه دائماً الشمس وتتبع مجراها عبر السماء - هي شعارات مقدسة لهذا الجزء الدقيق من طبيعة الرجل، والتي تسعد في مواجهة خالقها.

وفقاً للعقيدة السرية للكلدان، ينقسم الكون إلى أربع حالات أو مجالات: نموذجية، فكرية، فلكية، وعنصرية؛ وكل منها يكشف عن الأخرى؛ العليا تحكم الدنيا، والدنيا تستقبل تأثير العليا. اعتبرت النموذجية مرادفة لعقل الثالوث الإلهي. تضمنت هذه الألوهية غير المادية، والأبدية جميع المظاهر الدنيا للحياة - كل ما كان، أو كائن، أو يجب أن يكون. داخل العقل الكوني، توجد كل الأشياء الروحية أو المادية كأشكال أصلية، أو أشكال تفكير إلهية، والتي تظهر في الجدول بسلسلة من التشابهات السرية.

في المنطقة الوسطى من الجدول يظهر الجوهر الروحي المتجسد الذي يحتوي على جميع الأشكال - مصدر وجوهر كل الأشياء. من هذا نرى العوالم السفلية مثل تسعة انبثاقات في

مجموعات من ثلاثة. وضع في اعتبارك بهذا الصدد التشابه مع سيفروت القبالا، أو المجالات التسعة الصادرة عن التاج. إن حكام الكون الاثني عشر (ثلاثيات منديس، أمون، موفيت، وأموفيت) - هم وسائل لتوزيع التأثيرات الخلاقة، والذين يظهرون في المنطقة العليا من اللوح - ويتم توجهم في أنشطتهم من خلال أنماط العقل الإلهي الموجودة في المجال البدائي؛ لذلك فإن النماذج الأولية هي أنماط مجردة تصاغ في العقل الإلهي ويتم التحكم بها من خلال جميع الأنشطة السفلية. في المنطقة السفلية من اللوح نجد مصادر الأب، حرس البوابات العظيمة للكون. وهذه تقوم بتوزيع التأثيرات المنحدرة على العوالم الدنيا من الأوصياء أعلاه.

في لاهوت مصر، فإن الخير له الأسبقية وتشارك كل الأشياء في طبيعته بدرجة أعلى أو أقل. الخير يبحث عنه الجميع. إنه السبب الرئيسي للأسباب. إن الخير منتشر ذاتياً، وبالتالي فهو موجود في كل شيء، لأنه لا شيء يمكن أن ينتج ما لا يمتلكه في حد ذاته. يوضح اللوح أن الكل في الرب وأن الرب في الكل؛ أن الكل في الكل وكل واحد في الكل. في العالم الفكري، هناك نظراء روحانيون غير مرئيين للمخلوقات التي تعيش في العالم الأولي؛ لذلك فإن الأدنى يكشف الأعلى، والجسدي يعلن عن الروحي، وغير المرئي، يتجلى في أعماله. لهذا السبب صنع المصريون صوراً للمواد الموجودة في العالم المحسوس الأدنى لتكون بمثابة نماذج واضحة للقوى العليا غير المرئية. بالنسبة إلى الصور الدنيا، قاموا بتخصيص فضائل الآلهة غير القابلة للفساد، وبالتالي أظهروا بعمق أن هذا العالم ليس إلا ظل الإله، الصورة الخارجية للجنة في الداخل؛ كل ما يوجد في المجال البدئي غير المرئي يظهر في العالم المادي المحسوس بنور الطبيعة.

العقل البدئي والخلق - أولاً من خلال مؤسسته الأبوية وبعد ذلك من خلال الآلهة الثانوية التي تسمى الذكوات - سكبت كل قواها اللاهائية من خلال التبادل المستمر بين الأعلى والأدنى. في رمزياتهم القضائية، استخدم المصريون النطفة لتمثيل المجالات الروحية، لأن كل منها يحتوي على كل ما يخرج منه. كما اعتبر الكلدان والمصريون أن كل ما هو نتيجة يسكن في قضية نفسه، ويتحول إلى هذه القضية كما اللوتس للشمس. وبناءً على ذلك، فإن الذكاء الأسفى، ومن خلال مؤسسته الأبوية، أوجد الضوء أولاً - العالم الملائكي؛ ومن هذا الضوء،

تم إنشاء تسلسلات هرمية غير مرئية للكائنات التي يطلق عليها البعض النجوم؛ ومن النجوم تشكلت العناصر الأربعة والعالم المحسوس. وهكذا الكل في الكل، على حسب نوع كل منها. جميع الأجسام أو العناصر المرئية موجودة في النجوم غير المرئية أو العناصر الروحية، وتوجد النجوم بنفس الطريقة في تلك الأجسام؛ النجوم في الملائكة والملائكة في النجوم؛ الملائكة في الرب والرب في كل شيء. لذلك، كلهم إلهيون في الإلهية، ملائكيون في الملائكة، وجسديون في العالم المادي، والعكس صحيح. فكما البذرة ليست إلا الشجرة المطوية، فالعالم هو الإله.

يقول برقلس:

"كل خاصية للألوهية تتخلل كل الخلق وتسلم نفسها لجميع المخلوقات الدنيا."

إن أحد مظاهر العقل الأسى هي قوة التكاثر حسب الأنواع التي يمنحها لكل مخلوق بحيث يصبح الجزء الإلهي. وبالتالي فإن النفوس، السماوات، العناصر، الحيوانات، النباتات والحجارة تولد نفسها كل حسب نوعه، ولكن جميعها تعتمد على مبدأ الخصب الوحيد الموجود في العقل الأسى، وتتجلى القوة المخصصة، على الرغم من كونها واحدة، بشكل مختلف من خلال المواد المختلفة، ففي المعدن نجد الصلابة، وفي النبات تتجلى بالحيوية، وفي الحيوان تتجلى بالوعي، وهي تضيف الحركة على الأجرام السماوية، والعقيدة لنفوس البشر، والفكر في الملائكة، والقدرة العليا للإله. وهكذا يُرى أن جميع الأشكال وجدت من مادة واحدة، وكل الحياة من قوة واحدة، وجميعهم يتعايشون في الطبيعة الأسى.

لقد شرح أفلاطون هذه العقيدة أولاً، وقد حددها تلميذه أرسطو بهذه الكلمات:

"نقول أن هذا العالم المحسوس هو صورة لآخر. لذلك وبما أن هذا العالم حي، فكم بالأحرى يجب أن يكون هذا الآخر حياً. \* \* \* لذا، فوق المزايا النجمية، تقف السموات الأخرى التي يجب تحقيقها، مثل سماء هذا العالم؛ وهذه السماوات أبعد، لأنها من نوع أسى وأكثر إشراقاً واتساعاً؛ وهي ليست بعيدة عن بعضها البعض مثل سمائنا، لأنها غير مادية. كما يوجد أيضاً أرض، ليست من مادة غير حية، ولكنها تنبض بالحياة الحيوانية وجميع الظواهر الأرضية الطبيعية مثل أرضنا، ولكن من أنواع أخرى أكثر إتقاناً، وهناك نباتات وحيوانات وسماء متدفقة.

هناك حيوانات مائية ولكن من الأنواع النبيلة. كما يوجد أيضاً هواء والحياة المناسبة له، وكلها لا تفتى. وعلى الرغم من أن الحياة هناك مماثلة لحياتنا، إلا أنها أكثر نبلاً، لأنها فكرية ودائمة وغير قابلة للتغيير. وإذا اعترض أي شخص وسأل، كيف عرفت عن النباتات وغيرها في العالم أعلاه مما ذكرت، يجب أن نجيب بأنه ليس لديهم وجود مادي، لأنهم خُلِقوا من قبل الخالق الأساسي في حالة مطلقة ودون مظهر خارجي. فهم بالتالي، في نفس حالة العقل والروح؛ إنهم لا يعانون من أي عيب مثل الهدر والفساد، حيث أن الكائنات مليئة بالطاقة والفرح، لأنهم يعيشون في حياة سامية، وكونهم من ينبوع واحد ونوعية واحدة، فتتناغم كل المذاقات الحلوة والعمور الرقيقة والألوان والأصوات في كمال. ولا يتحركون بعنف حول بعضهم البعض ولا يختلطون ولا يفسدون بعضهم البعض، لكن كل منهم يحافظ بشكل مثالي على شخصيته الأساسية؛ البسيطة ولا يتكاثرون كما تفعل الكائنات الجسدية".

في وسط اللوح يوجد عرش عظيم مع صورة أنثى جالسة تمثل إيزيس، ولكنها تسمى هنا أينكس عديدة الأشكال. تعرف أينكس بأنها "ذكاء إرسال". وقد أعلن بعض آخر أنها رمز للعقل العالمي. فوق رأس الإلهة يوجد عرش ثلاثي التاج، وتحت قدمها مسكن المادة. التاج الثلاثي هنا يرمز إلى ألوهية الثلاث، الذي دعاه المصريون بالعقل الأعلى، ووصفوه بأنه "مخفي وغير مكشوف". وفقاً للنظام العبراني القبلا، قسمت شجرة السيفروت إلى قسمين، جزء علوي غير مرئي وسفلي مرئي. يتكون الجزء العلوي من ثلاثة أجزاء والجزء السفلي من سبعة أجزاء، وكانت السيفروت الثلاث التي لا تدرك تسمى التاج، الذي تشكله ثلاثية، الحكمة، والفهم والمعرفة؛ ولكنها مجردة للغاية بحيث تستعصي على الفهم، لذلك كانت المجالات السبعة السفلية التي انبثقت منها في تناول الوعي البشري.

يحتوي القسم المركزي على سبع ثلاثيات من الشخصيات؛ والتي تمثل السيفروت السفلي، وكلها تنبثق من التاج المخفي الثلاثي على العرش. يكتب كيرتشر:

"إن العرش يشير إلى انتشار العقل الأعلى الثلاثي على طول المسارات العالمية للعوالم الثلاثة. وبين هذه المجالات الثلاثة غير الملموسة يظهر الكون المحسوس، الذي يسميه بلوتارخ "بيت القرون" ويدعوه المصريون، البوابة العظمى للآلهة. الجزء العلوي من العرش في وسط اللهب

المنتشر على شكل ثعبان، مما يشير إلى أن العقل الأعلى مليء بالضوء والحياة الأبدية وغير القابلة للفساد، بعيداً عن كل اتصال مادي. لكن كيف ينقل العقل الأعلى ناره إلى جميع المخلوقات المنصوص عليها في رمزية الجدول؛ يتم توصيل النار الإلهية من خلال القوة العالمية للطبيعة التي تجسدها عذراء الكون إيزيس، والمقصودة هنا إينكس، أو الفكرة العالمية المتعددة الأشكال."

يتم استخدام كلمة فكرة هنا بالمعنى الأفلاطوني. " حيث اعتقد أفلاطون أن هناك أشكالاً أبدية لكل الأشياء الممكنة التي توجد دون مادة؛ ولهذه الأشكال الأبدية وغير المادية أعطى اسم الأفكار. بالمعنى الأفلاطوني، كانت الأفكار هي الأنماط التي صاغ بها الإله الظاهر أو الشكل العالمي."

يصف كيرتشر الأرقام الـ 21 في القسم المركزي على النحو التالي:

" يتم عرض سبع ثلاثيات رئيسية، تقابل سبعة عوالم متفوقة، في القسم المركزي من اللوح. كلها تنشأ من النموذج الأصلي الناري غير المرئي [التاج الثلاثي للعرش]. الأول، ثلاثية أوفيون **VSW**، تتوافق مع العالم الحيوي والناري وهي أول عالم فكري، يدعوه القدماء الأثيرون. يقول زرادشت عن ذلك: " أي حكام صارمين لهذا العالم! ". الثاني، أو **OQR** ثلاثية إيمورفوس؛ تتوافق مع العالم الفكري الثاني، أو الأثيري، وتهتم بمبدأ الرطوبة. والثالث، أو **XYZ** ثلاثية نيفتيس؛ تتوافق مع العالم الفكري والثالث وهو مهتم بالخصوبة، هذه الثلاثيات تعود للعوالم الأثرية، وتتوافق مع الأب المؤسس. ثم تتبع الثلاثيات الثلاثة من العوالم المادية أو المحسوسة، والتي يتطابق أولهما مع العوالم الفلكية، **GIK** و **γδε**، وهي أوزوريس وإيزيس، الشمس والقمر، يشار إليهما بالثورين، ويتبعهما ثالوث هيكتات **LMN**، وسيرايس **ζηθ**، المقابلة للعوالم تحت الأرضية والجوفية، تلك سبعة عوالم من الجن الأولي والتي تحكم الكون الطبيعي. يقتبس بسيلوس<sup>(1)</sup> عن زرادشت:

(1) كان مايكل بسيلوس أو بسيلوس (1017 - 1078) راهباً يونانياً بيزنطياً وكاتباً وفيلسوفاً وسياسياً ومؤرخاً.

"عَلَّمَ المصريين والكلدان، أن هناك سبعة عوالم متجسدة (أي عوالم تحكمها القوى الفكرية)؛ الأول هو من النار النقية؛ والثاني والثالث، والرابع، أثيرية؛ أما الخامس والسادس والسابع فهي مادية.. السابع هو الذي يسمى الأرض والكاره للنور، ويقع تحت القمر، ويشمل في حد ذاته مادة تسمى الأساس. تشكل هذه العوالم السبعة، بالإضافة إلى التاج غير المرئي، العوالم الثمانية."

يظن أفلاطون أنه من الضروري أن يعرف الفيلسوف كيف تترتب الدوائر السبع تحت الدائرة الأولى بحسب المصريين. ثالث النار الأول يشير إلى الحياة؛ والثاني الماء، الذي يحكم فوق الإلهيات العديدة الأشكال؛ والثالث هو الهواء الذي تحكمه نيفتيس، فمن النار خلقت السماوات والأرض من الماء وكان الهواء هو الوسيط بينهما، وفي السيفروت يتزيرا يقال أنه من الثلاثة نشأت السبعة، أي الارتفاع، العمق، الشرق، الغرب، الشمال، والجنوب، والهيكل المقدس في المركز يحتويها جميعاً. أوليس الهيكل المقدس في المركز هو العرش العظيم لروح الطبيعة المتعددة التكوين الظاهر في وسط اللوح؟ ما هي الثلاثيات والقوى السبع التي تحكم العالم؟ يقول بسيلوس:

"لقد عبد المصريون ثالث الإيمان والحقيقة والمحبة؛ والنوافير السبع هي: الشمس كحاكم ينبوع المادة؛ ثم ينبوع الملائكة؛ ثم ينبوع الحواس، الاختيار، البرق، الانعكاسات، والشخصيات غير المعروفة. وهم يقولون أن أعلى ينبوع المادة هي ينبوع أبولو وأوزوريس وميركوري - ينبوع مراكز العناصر. وهكذا، فهموا الشمس كحاكم للعالم الشمسي؛ بواسطة رئيس الملائكة المادي؛ العالم القمري؛ يحكمه ينبوع الحواس؛ عالم زحل بالاختيار؛ المشتري بواسطة البرق؛ المريخ بالانعكاسات؛ عالم الزهرة من خلال ينبوع الشخصيات. كل ذلك موضح من خلال الأشكال الموجودة في الجزء الأوسط من اللوح."

يحتوي القسم العلوي على اثني عشر علامة للأبراج مرتبة في أربع ثلاثيات. ويمثل الشكل المركزي في كل مجموعة واحدة من العلامات الأربع الثابتة للبروج؛ S علامة برج الدلو، Z برج الثور، C الأسد، G العقرب، وتسمى هذه الأبراج بالأبناء. في التعاليم السرية للشرق الأقصى

هذه الشخصيات الأربعة - الرجل، الثور، الأسد، والنسر - يطلق عليها الكرات المجنحة أو المهرجا الأربعة التي تقف على زوايا الخلق. والعلامات الأساسية الأربعة؛ **P** برج الجدي، **X** برج الحمل، **B** السرطان، **F** الميزان - تسمى بالقوى. أما الأبراج العامة الباقية؛ **V** برج الحوت، **A** الجوزاء، **E** برج العذراء، **H** القوس، فتسمى عقول الأسياد الأربعة. وهذا يفسر معنى الكرات المجنحة في مصر؛ فالشخصيات المركزية الأربعة - الدلو، الثور، الأسد، والعقرب (التي يطلق عليها حزقيال الشاروبيم) - هي الكرات، والعلامات الأساسية والشائعة على كلا الجانبين هي الأجنحة، وبالتالي فإن اثني عشر علامة لأبراج السماء يمكن ترميزها بأربع كرات أرضية، لكل منها جناحان.

ويعتقد المصريون أيضاً بالثلاثية السماوية على أنها العالم (الأب) يصدر منه الثعبان (العقل) والأجنحة (القوى). هذه القوى الاثني عشر هي صنّاع العالم، وينبع منها الكون الأصغر، وسر الحيوانات المقدسة الاثني عشر - تمثل في الكون الأجزاء الاثني عشر من العالم وفي الإنسان الأجزاء الإثني عشر من جسم الإنسان. تشريحياً، قد ترمز الأشكال الاثني عشر في القسم العلوي إلى التلايف الاثني عشر للدماغ والأشكال الاثني عشر في القسم السفلي إلى الأعضاء المتعلقة ببروج السماء، لأن الإنسان هو مخلوق يتكون من اثني عشر حيواناً مقدساً، تقع تحت السيطرة المباشرة للحكام أو القوى الاثني عشر الموجودة في الدماغ.

وعثر على تفسير أكثر عمقاً في التناظر بين الأشكال الاثني عشر في الجزء العلوي والاثني عشر في الجزء السفلي. وهذا يوفر مفتاحاً لواحد من أكثر الأسرار القديمة غموضاً - العلاقة القائمة بين البروج العظيمة (الثابت منها والمتحول). يوصف البرج الثابت بأنه شكل ذو اثني عشر سطح، التي تمثل الجدران الخارجية للفضاء المجرد؛ ومن كل سطح منها تتجسد قوة روحية عظيمة، تشع إلى الداخل، كواحدة من التسلسلات الهرمية للبروج المتحولة، وهي مجموعة تقوم بالطواف حول ما يسمى البروج الثابتة، وداخل هذه البروج المتحولة يتم افتراض مختلف الهياكل الكوكبية والعناصر. يمكن القول إن البروج الثابتة الكبيرة تمثل الغلاف الجوي، وتمثل البروج المتحولة الرتتين، والبروج تحت الأرضية تمثل الجسد. يتم استنشاق الهواء الروحي الذي يحتوي على الطاقات الحيوية للقوى الإلهية الاثني عشر



للأبراج الثابتة العظيمة بواسطة الرثتين الكونيتين - البروج المتحولة - ويتم توزيعها من خلال تكوين الحيوانات المقدسة الاثني عشر التي هي أجزاء وأعضاء الكون المادي. وتكتمل الدورة الوظيفية عندما يحصل الزفير للانسياب السام للعوالم السفلية التي تجمعها البروج المتحولة إلى الأبراج الثابتة العظيمة، حيث يتم تطهيره من خلال تمريره عبر الطبيعة الإلهية للإثني عشر برجاً.

ونلاحظ أن اللوح ككل عرضة للعديد من التفسيرات. فإذا تم قبول حدود اللوح بأشكاله الهرموجليفية كمصدر روحي، فإن العرش في المركز يمثل الجسد المادي الذي تتجسد فيه الطبيعة البشرية. وحسب وجهة النظر هذه، يصبح اللوح بأكمله رمزاً لأعضاء الإنسان، مع حدوده كطرف خارجي أو قشرة للبيضة الأورفية. وإذا قبل العرش كرمز للمجال الروحي، فإن الحدود تمثل العناصر، وتصبح الأقسام المختلفة المحيطة بالمنطقة المركزية رمزية للعوالم أو المجالات المنبثقة من المصدر الإلهي الواحد. وإذا اعتبر اللوح كأساس مادي بحث، يصبح العرش رمزاً للنظام التكاثري ويكشف اللوح عن العمليات السرية لعلم التخلق كما تطبق على تكوين العوالم المادية. وإذا رغبتنا في الحصول على تفسير فيزيولوجي وتشريحي بحث، يصبح العرش المركزي القلب، والعقل هو ثلاثي إبيمورفوس، ثلاثية نيفتيس جهاز التكاثر، والهرموجليفية المحيطة بالأجزاء المختلفة تمثل مختلف أعضاء الجسم البشري. من وجهة النظر التطورية، تصبح البوابة المركزية نقطة الدخول والخروج؛ هنا أيضاً توضح عملية الانضمام، حيث يتم في النهاية جلب المرشح بعد المرور بنجاح من خلال المحن المختلفة إلى حضرة روحه، وهو وحده القادر على كشف النقاب عنها.

إذا كان الكون هو الموضوع، فإن الجزء المركزي يمثل العوالم الروحية، والجزء العلوي العوالم الفكرية، والجزء السفلي العوالم المادية. وقد يرمز الجزء المركزي أيضاً إلى العوالم التسعة غير المرئية، ويميز المخلوق T الطبيعة الفيزيائية - موطن قدم إيزيس، روح الحياة العالمية. في ضوء الخيمياء، يحتوي الجزء المركزي على المعادن وقوانين العمليات الخيمائية.

الشكل الجالس على العرش هو ميركوري الكوني - " حجر الفلاسفة<sup>(1)</sup> " ؛ أما المظلة المشتعلة للعرش أعلاه هي الكبريت الإلهي؛ ومكعب الأرض تحته هو الملح العنصري.

تمثل الثلاثيات الثلاث - أو مؤسسة الأب - في الجزء المركزي المراقبين الصامتين، الأصول الثلاثة غير المرئية لطبيعة الإنسان؛ الجزء ان على كلا الجانبين هما الطبيعة الدنيا الرباعية للرجل. في الجزء المركزي 21 شخصية؛ وهذا الرقم مقدس للشمس - التي تتكون من ثلاث قوى عظمى، لكل منها سبع سمات - وقسمة 21 حسب القبالة يصبح 3، أو الثالوث العظيم.

حتى الآن، ثبت أن لوح إيزيس مرتبط مباشرة بالغنوصية المصرية، لأنه في بردي غنوصي محفوظ في مكتبة بودليان هناك إشارة مباشرة إلى الآباء أو الأبناء الإثني عشر الذين يوجد منهم 12 ينبوع. كما أن الجزء السفلي يمثل العالم السفلي حيث يتم التأكيد على ذلك بشكل أكبر من بوجود البوابات - بوابة الشرق العظيمة وبوابة الغرب العظيمة - لأنه في اللاهوت الكلداني تشرق الشمس وتغرب من خلال البوابات في العالم السفلي، حيث تتجول خلال ساعات الظلام. ولأن أفلاطون قضى مدة ثلاثة عشر عاماً يتلقى تعليمات المجوس باثينيس، أو كوبس، سيكتونوبيس، سيبينش، وبالتالي فلسفته يتخللها النظام الثلاثي الكلداني والمصري. إن لوح بيمبو هو عرض تخطيطي لما يسمى بالفلسفة الأفلاطونية، لأنه في تصميمه يجسد نظرية الكون الكوني الباطني والخلق. لذلك تعد تعليقات برقلس على لاهوت أفلاطون الأكثر قيمة لتفسير هذا اللوح. كما تحتوي مبادئ العرافة الكلدانية لزرادشت أيضاً على العديد من التلميحات إلى المبادئ الإلهية التي تعرض في اللوح.

(1) حجر الفلاسفة ( باللاتينية: lapis philosophorum ) هو مادة اسطورية يُعتقد أنها تستطيع تحويل الفلزات الرخيصة ( كالرصاص ) إلى ذهب ويمكن استخدامه في صنع إكسير الحياة.

ثيوغونيا<sup>(1)</sup> هيسود<sup>(2)</sup> تحتوي على رواية كاملة لإسطورة الكون اليونانية. تركت أفكار الكون الأورفية تأثيرها على مختلف أشكال الفلسفة والدين - اليونانية والمصرية والسورية - التي اتصلت بها. كان رأس الرموز الأورفية البيضة الدنيوية التي انبثق منها الضوء. يعتبر توماس تايلور أن البيضة الأورفية مرادفة للخليط من المحدود واللامحدود التي ذكرها أفلاطون في فيليبوس<sup>(3)</sup>. علاوة على ذلك، تعد البيضة ثالث ثلوث ذكي والرمز المناسب للديمورجوس؛ والذي جسده الأدنى هو بيضة الكون السفلي.

أعلن يوسابيوس<sup>(4)</sup>، أن المصريين أقروا بخلق أو مبدع واحد للكون واحد باسم سنيف وقد عبده كتمثال بشري وبشرة زرقاء داكنة، حاملاً في يده حزاماً وصولجان، مرتدياً على رأسه ريشة ملكية، ومخرجاً بيضة من فمه. وعلى الرغم أن لوح بيمبو مستطيل الشكل، فإنه يدل

---

(1) ثيوغونيا ( باليونانية: Θεογονία ) وتعني " أنساب أو مولد الآلهة " هي قصيدة كتبها هسيود وتصف أصول وأنساب آلهة اليونان، وقام بتأليفها حوالي العام 700 قبل الميلاد. وهي مكتوبة باللهجة الملحمية من اليونانية القديمة.

(2) هِسْيُود أو هزيبود أو هسيودوس، شاعر إغريقي مشهور، يظن الباحثون أنه عاش بين 750 و650 قبل الميلاد، أي في زمان هوميروس تقريباً. يُعد عموماً أول شاعر كتابي في التراث الغربي يُعد نفسه شخصية فردية لها دور فعال في الموضوع الذي يكتب عنه. عزا كتاب قدماء إلى هسيود وهوميروس ابتداء عادات دينية يونانية. يعدّه الباحثون المتأخرون مصدراً مهماً لميثولوجيا اليونانيين، وتقنياتهم الزراعية، وأفكارهم الاقتصادية المبكرة ( ويُعد أحياناً أول اقتصادي في التاريخ )، وعلمهم الفلكي القديم، وأدوات قياس الوقت القديمة.

(3) فيليبوس ( باليونانية: Φίληβος )، هو أحد الحوارات السقراطية الباقية والذي كتب في القرن الرابع قبل الميلاد والذي كتبه الفيلسوف الإغريقي أفلاطون. المتحدث الرئيسي في الحوار هو سقراط، والمتحدثون الآخرون هم فيليبوس وبروتارخوس. يدافع فيليبوس عن حياة البهجة والمتعة، والتي يصفها سقراط بأنها مثل حياة المحار، لا يكاد يشارك بشيء في الدنيا، ويدافع عنه بروتارخوس، الذي تعلم فن الحجج من السفسطائيين. أغلب المخطوطات تضع عنواناً فرعياً على العمل هو " بما يتعلق بالمتعة والأخلاق "، أو بعبارة أخرى يتساءل عن أفضل طريقة للحياة. ولكن هناك أجزاء كبيرة في الحوار تتعامل مع الجدليات وعلم الوجود ولا علاقة لها بالمتعة والأخلاق، أو إذا كان لها صلة، فتكون غير مباشرة.

(4) يوسابيوس القيصري ( 265 - 339 م ) أصبح أسقف القيصريّة في 314م. وكثيراً ما يشار إليه أنه أبو التاريخ الكنسي بسبب عمله في تسجيل تاريخ الكنيسة المسيحية في وقت مبكر، لا سيما وقائع التاريخ الكنسي.

فلسفياً على البيضة الأورفية للكون بمحتوياته. في المذاهب الباطنية، يكون الإنجاز الفردي الأسمى هو كسر البيضة الأورفية، وهو ما يعادل عودة الروح إلى النيرفانا<sup>(1)</sup> - الحالة المطلقة - للصوفية الشرقية.

يحتوي كتاب البانثيون الجديد لصامويل بويس<sup>(2)</sup> على ثلاث لوحات تظهر أقساماً مختلفة من لوح بيمبو؛ ومع ذلك فإنها لا تقدم مساهمة ذات شأن في شرح الموضوع. وقد خصص أنطوان بانيير في كتابه تفسير أساطير القدماء، فصلاً للنظر في لوح بيمبو؛ وبعد مراجعة استنتاجات من سبقه يخلص إلى ما يلي: "أرى أنه: كان وفاءً لنذر؛ كرسه أمير أو شخص مهم لإيزيس، كتقدير لمصالح اعتقد أنها منحتها له".

---

(1) مفهوم النيرفانا في البوذية الجاينية: هي حالة الخلو من المعاناة. تعتبر ال (نيرفانا) هي حالة الانطفاء الكامل التي يصل إليها الإنسان بعد فترة طويلة من التأمل العميق، فلا يشعر بالمؤثرات الخارجية المحيطة به على الإطلاق، أي أنه يصبح منفصلاً تماماً بذهنه وجسده عن العالم الخارجي، والهدف من ذلك هو شحن طاقات الروح من أجل تحقيق النشوة والسعادة القصوى والقناعة وقتل الشهوات، ليبتعد الإنسان بهذه الحالة عن كل المشاعر السلبية من الاكتئاب والحزن والقلق وغيرها.

(2) صموئيل بويس (1702 - 1749) كان شاعراً وكاتباً أيرلندياً؛ قدرت أشعاره الدينية وأعيد طبعها في زمنه.



## عجائب العصور القديمة

من الممارسات الشائعة التي انتشرت بين المصريين الأوائل، والإغريق، والرومان؛ وضع مصابيح مضيئة في قبر موتاهم هدية لإله الموت. بل ربما اعتقد أيضاً أن المتوفى يمكنه استخدام هذه المشاعل ليعثر على طريقه عبر وادي الظل. في وقت لاحق عندما أصبحت العادة راسخة بشكل عام، لم تدفن المصابيح فحسب، بل أيضاً منمنمات من الطين المحروق مع الموتى. ووضعت بعض المصابيح في أوعية دائرية لحمايتها؛ وقد سجلت حالات عثر فيها على الزيت الأصلي يملأ هذه المصابيح، في حالة حفظ مثالية، بعد أكثر من 2000 عام. هناك أدلة كثيرة على أن العديد من هذه المصابيح كانت تشتعل عندما يغلق القبر، وقد قيل أن منها من كان لا يزال يشتعل عندما تم فتح القبور بعد مئات السنين. كانت إمكانية تحضير وقود يتجدد بنفس السرعة التي يتم استهلاكها فيه مصدر جدل كبير بين مؤلفي العصور الوسطى. وبعد الأخذ بالاعتبار الأدلة الموجودة، فمن المحتمل جداً أن الكهنة والخيميائيين القدماء صنعوا مصابيح تحترق، إن لم يكن إلى أجل غير مسمى، فعلى الأقل لفترات طويلة من الزمن.

كتبت العديد من المراجع حول موضوع المصابيح المشتعلة باستمرار. ويقدر ويستكوت عدد الكتاب الذين ناقشوا هذا الموضوع بمئة وخمسين، بينما تظن بلافاتسكي أنه أكثر من 173. وبينما تختلف الاستنتاجات التي توصل إليها مؤلفون مختلفون، فإن الغالبية تعترف بوجود هذه المصابيح الاستثنائية. فقط قلة أكدوا أن المصابيح ستحترق إلى الأبد، لكن كثير كانوا على استعداد للاعتراف بأنها قد تبقى مشتعلة لقرون عدة دون تجديد الوقود. اعتبر البعض أن ما يسمى بالمشاعل الدائمة مجرد مقتنيات من الكهنة الوثنيين المكررة، على حين اعترف كثير،

بأن المصابيح اشتعلت بالفعل، ولكن بتأكيد كاسح على أن الشيطان كان يستخدم هذه المعجزة الواضحة ليوقع الصادقين في حباله وبالتالي سوق أرواحهم للهلكة. بهذا الشأن، يظهر اليسوعي، أناسيوس كيرتشر، الذي يمكن الاعتماد عليه عادةً، تضارباً لافتاً. في كتابه أوديب المصري يقول:

" القلة من هذه المصابيح المشتعلة التي عثر عليها؛ ليست سوى أجهزة الشياطين، انني أظن أن جميع المصابيح الموجودة في مقابر الأمم مكرسة لعبادة آلهة ما، وقد كانت من هذا النوع، ليس لأنها اشتعلت، أو تم الإبلاغ عن اشتعالها بلهب دائم، ولكن لأن الشيطان ربما وضعها هناك، بنية خبيثة، للحصول على مصداقية جديدة لعبادة كاذبة."

بعد أن اعترف بأن مراجع موثوقة تدافع عن وجود مصابيح مشتعلة باستمرار، وأن الشيطان قد صنعها، أعلن كيرتشر بعد ذلك أن النظرية بأكملها يائسة ومستحيلة، وصنفها مع الحركة الأبدية<sup>(1)</sup> وحجر الفلاسفة. بعد أن قام بالفعل بحل المشكلة بشكل يرضيه، قام كيرتشر بحلها مرة أخرى - ولكن بشكل مختلف - بالكلمات التالية:

"يوجد في مصر رواسب غنية بالأسفلت والبترول؛ ما الذي فعله هؤلاء الزملاء الأذكاء [الكهنة] إذن، قاموا بتوصيل مخزون النفط عبر قناة سرية بمصباح واحد أو أكثر، مزود بفتائل من الأسبستوس! كيف يمكن لهذه المصابيح أن تستمر بالاشتعال بشكل دائم؟ في رأيي هذا هو حل اللغز الخارق للطبيعة حول ديمومة اشتعال هذه المصابيح القديمة."

يوافق مونتفكون بشكل عام على الاقتباسات السابقة لكيرتشر، معتقداً أن المصابيح الدائمة الأسطورية للمعابد هي اختراعات ميكانيكية مأكرة. ويضيف أيضاً أن الاعتقاد بأن المصابيح ستشتعل إلى أجل غير مسمى في القبور كان نتيجة للحقيقة الجديرة بالملاحظة، أنه في بعض الحالات تتدفق أبخرة تشبه الدخان من مداخل السرايب المفتوحة حديثاً؛ ليفترض

(1) الحركة الأبدية هي حركة الأجسام المستمرة إلى الأبد. آلة الحركة الأبدية هي آلة افتراضية تستطيع العمل إلى ما لا نهاية دون حاجتها إلى مصدر للطاقة. يستحيل وجود هذا النوع من الآلات، إذ تتعارض مع قانوني الديناميكا الحرارية الأول والثاني.

الأشخاص في وقت لاحق - عندما يعثرون على مصابيح متناثرة على الأرضية - أنها كانت مصدر الأبخرة.

هناك العديد من القصص المثيرة للاهتمام فيما يتعلق باكتشاف المصابيح المشتعلة باستمرار في أجزاء مختلفة من العالم. في مقبرة على طريق أبيان التي فتحت خلال بابوية بولس الثالث، عثر على مصباح ظل مشتعلًا في قبو مغلق بإحكام منذ ما يقرب من 1600 عام؛ ووفقاً لرواية كتبها معاصر لذلك الحدث، فقد عثر على جثة - جثة فتاة شابة وجميلة ذات شعر ذهبي طويل - تطفو في سائل شفاف غير معروف؛ وقد حوفظ عليها جيداً كما لو كان موتها قد وقع قبل بضع ساعات. حول الجزء الداخلي من القبو كان هناك عدد من الأشياء المميزة، والتي تضمنت عدة مصابيح، أحدها مشتعل. أعلن أولئك الذين دخلوا القبر أن الريح التي دخلت السرداب بسبب فتح الباب أطفأت المصباح، وتعذر إعادة إشعاله ثانية. يعيد كيرتشر نسخ مرثية، "ابنتي تولوليا"، التي يُظن أنها وجدت في القبر، ولكن وكما أعلن مونتفكون؛ فهي لم تكن موجودة أبداً في القبر، وأضاف الأخير بأنه وعلى الرغم من عدم العثور على أدلة قاطعة، يعتقد أن الجثة بشكل عام هي جثة تولوليا<sup>1</sup> ابنة شيشرون.

كما تم اكتشاف مصابيح مستمرة الاشتعال، في جميع أنحاء العالم؛ وليس فقط في دول البحر الأبيض المتوسط، ولكن أيضاً في الهند والتبت والصين وأمريكا الجنوبية، حيث

<sup>1</sup> توليا، ويشار إليها أحياناً بمودة باسم Tulliola (توليا الصغيرة)، كانت الطفلة الأولى والابنة الوحيدة للخطيب والسياسي الروماني ماركوس توليوس شيشرون. ما هو معروف عن حياة توليا هو من رواية بلوتارخ عن شيشرون والرسائل التي كتبها شيشرون للآخرين. ولا سيما إلى والدتها وأصدقائه، تزوجت عدة مرات وتطلقت، توفيت توليا بعد شهر واحد من ولادة ابنها الثاني، الذي نجا. كتب أصدقاء شيشرون وزملاؤه رسائل تعزية إلى الخطيب المفجوع؛ وقد نجا بعض هذه الرسائل. أظهرت زوجته الثانية، التي كانت تشعر بالغيرة دائماً من الاهتمام الذي أغدقه زوجها على ابنته، القليل من التعاطف، مما دفع شيشرون إلى طلاقها. تم التعرف على قبر اكتشف في روما على أنه مكان دفن توليا. زعمت تقارير الاكتشاف أن الجثة في الداخل بدت وكأنها دفنت في ذلك اليوم بالذات، وزعموا أنهم عثروا على مصباح مشتعل منذ زمن دفينها، قبل أكثر من 1500 عام.



أضيفت إلى سجلات المشاعل التي تحترق باستمرار دون وقود. وقد اختيرت الأمثلة التالية عشوائياً من القائمة المهيبة للمصابيح الدائمة الاشتعال التي وجدت في مختلف العصور.

كتب بلوتارخ عن مصباح احترق على باب معبد كوكب المشتري آمون؛ وقد صرح الكهنة أنه بقي مشتعلاً لقرون دون وقود. كما وصف القديس أوغسطين مشعلاً دائماً، محمياً في معبد مكرس للزهرة في مصر، لا يمكن للريح أو الماء أن يطفئاه؛ وقد كان يعتقد أنه من عمل الشيطان. كما عثر على مصباح مشتعل في أنطاكية في عهد الإمبراطور جستنيان؛ كان موجوداً فوق بوابة المدينة، ومغلقاً بإحكام لحمايته من العناصر، وقد أثبت التاريخ أن المصباح كان يحترق منذ أكثر من 500 عام، لكن الجنود دمروه.

خلال العصور الوسطى المبكرة عثر على مصباح في إنجلترا والذي احترق منذ القرن الثالث بعد المسيح، ويعتقد أن النصب التذكاري الذي يحتويه هو قبر والد قسطنطين الكبير. كما تم اكتشاف فانوس بالقرب من روما عام 1401، والذي عثر عليه في قبر بالاس<sup>(1)</sup>، ابن إيفاندر، الذي خلده فيرجيل في الإنياذة. وضع المصباح على رأس الجسم، وقد احترق بتوهج ثابت لأكثر من 2000 عام.

في عام 1550 م في جزيرة نسيس، في خليج نابولي، فتح قبو رخامي رائع وعثر فيه على مصباح لا يزال مشتعلاً وضع هناك قبل بداية العصر المسيحي. كما وصف باوسانياس<sup>(2)</sup> مصباحاً

(1) في الأساطير الرومانية، كان بالاس ابن الملك إيفاندر. وفي المعركة، ثبت بالاس أنه محارب شجاع، لكنه يقتل بشكل مأساوي في نهاية المطاف من قبل تورنوس، الذي يأخذ غمد سيفه.

(2) باوسانياس، رحالة وجغرافي يوناني من القرن الثاني قبل الميلاد، عاش أثنان عهود الأباطرة الرومانيين هادريان وأنطونيوس بيوس وماركوس أوريليوس. اشتهر بعمله "وصف اليونان"، وهو عمل طويل وصف فيه المؤلف حال اليونان قديماً مستعيناً بملاحظاته الشخصية.

ذهبياً جميلاً في معبد مينيرفا والذي احترق بثبات لمدة عام دون التزود بالوقود أو تقليص الفتيلا، يقام حفل ملء المصباح سنوياً، ويقاس الوقت بالمراسم.

ووفقاً لأخوية الجوع<sup>(1)</sup>، عُثر على سرداب كريستيان روزنكروتز<sup>(2)</sup> عند فتحه بعد 120 عاماً من وفاته، مضاء بشكل يخطف الألباب بمشعل دائم الاحتراق يتدلى من السقف. كما تسبب نوما بومبيليوس<sup>(3)</sup>، ملك روما والساحر ذو القوة الكبيرة، في تدمير مصباح دائم خلال انشائه قبة معبد تكريماً لوجود العنصر الخالد.

في إنجلترا، عُثر على قبر غريب، يحتوي على آلة ذاتية الحركة، تتحرك عندما يدوس دخيل حجارة معينة في أرضية السرداب. في ذلك الوقت كان الجدل حول الصليب الوردي في ذروته، لذلك تقرر أن ذلك القبر كان عائداً لهم. وكان أحد الريفين السذج قد اكتشف القبر ودخله، ليجد المكان مضاء ببراعة بمصباح معلق من السقف. أثناء سيره، أدى وزنه إلى انخفاض بعض

(1) Fama Fraternitatis: هو بيان لأخوية الصليب الوردي نشره مجهول عام 1614، يحكي البيان قصة الأب (يشار إليه فيما بعد في النص باسم "CRC") وحجته المشؤوم إلى القدس؛ ووصايته اللاحقة من قبل الحكماء السريين في الشرق، حكماء (ذمار) في شبه الجزيرة العربية، الذين تعلم منهم المعرفة الباطنية القديمة التي شملت دراسة الفيزياء والرياضيات والسحر والقبالا؛ وعودته عبر مصر وفاس، ووجوده في إسبانيا. يُعتقد في السحر والتنجم أن هذا الحج يشير إلى خطوات تحويل العمل العظيم.

(2) كريستيان روزنكروتز: شخصية تنتهي للأساطير، وربما مجازية، ويعد مؤسس أخوية الصليب الوردي، جرى تقديمه في ثلاث بيانات تم نشرها في وقت مبكر من القرن السابع عشر.

(3) نوما بومبيليوس ثاني حكام روما بين عامي 715 - 673 قبل الميلاد ولد يوم وضع رومولوس أساسات روما ودعاه الرومان ليخلف رومولوس لتقواه وطيبته، لم يكن شخصية عسكرية عكس سلفه بل كان مؤسساً للقيادة الرومانية حيث بنى المعابد ووضع التقويم الديني، إلا أن هذا في الحقيقة حدث على مدى فترات عديدة وليس على يد رجل واحد، وقد عشق حورية، وعن طريق مزيج من الخمر والعسل استطاع أن يأسر شخصيتين إلهيتين أظهرتا له التنبؤات والسحر. ربما تكون هذه الشخصية موجودة في التاريخ، أما الكتب الأربعة عشر في الفلسفة والدين التي تنسب إليه والتي عثر عليها عام 181 ق. م فهي مزيفة على الأغلب.

أحجار الأرضية؛ فبدأت شخصية جالسة في دروع ثقيلة بالحركة؛ وميكانيكياً نهض على قدميه وضرب المصباح بهراوة حديدية، مما أدى إلى تدميره بالكامل، وبالتالي منع اكتشاف المادة السرية التي حافظت على اللهب. المدة التي اشتعل فيها المصباح غير معروفة، ولكن من المؤكد أنها استمرت لعدد كبير من السنوات.

ومن المعروف أنه بين المقابر بالقرب من ممفيس<sup>(1)</sup> وفي معابد البراهمة<sup>(2)</sup> في الهند عثر على مشاعل في غرف مغلقة؛ ولكن التعرض المفاجئ للهواء أدى إلى إخمادها وتسبب في تبخر الوقود.

ويعتقد الآن أن فتائل هذه المصابيح الدائمة كانت مصنوعة من الأسبستوس<sup>(3)</sup> المضفور أو المنسوج، والذي يطلق عليه صوف الكيمائيون سمندل<sup>(4)</sup>، وأن الوقود كان أحد منتجات البحوث الكيميائية. حاول كيرتشر استخراج النفط من الأسبستوس، مقتنعاً بأن الزيت المستخرج منها سيزود المصباح بوقود غير قابل للتلف؛ مثلما المادة نفسها غير قابلة للتدمير

(1) منف أو منفر أو ممفيس مدينة مصرية قديمة من ضمن مواقع التراث العالمي، أسسها عام 3200 قبل الميلاد الملك نارمر وكانت عاصمة لمصر في عصر الدولة القديمة (الأسرات 3 - 6) وكانت فيها عبادة الاله بتاح، ومكانها الحالي مدينة البدرشين محافظه الجيزة على بعد 19 كم جنوب القاهرة، وكانت منف معروفة باسم " الجدار الأبيض " حتى القرن السادس والعشرين قبل الميلاد إلي أن أطلق عليها المصريون اسم " من نفر " وهو الاسم الذي حرفة الإغريق فصار ممفيس ثم أطلق العرب عليها " منف ".

(2) البراهمة اسم يُطلق على أفراد الطبقة العليا، وهي طبقة الكهنوت أو رجال الدين، عند الهندوس.

(3) الأسبستوس أو الأميانت أو الحَرِيرُ الصَّخْرِيُّ أو حَجَرُ القَتِيلِ أو الصَّخْرُ الحَرِيرِيُّ مجموعة معادن من زمرة الترموليت، تتكون من ألياف تستخرج من مناجم خاصة، وهي مواد غير عضوية تحتوي على العديد من المعادن الطبيعية التي يدخل في تركيبها أملاح السيليكات إلا أنها تختلف عن بعضها في التركيب الكيميائي والخواص الطبيعية لاختلاف كميات الماغنسيوم والحديد والصدويوم والأوكسجين والهيدروجين فيها.

(4) نوع من القماش المنسوج الموصوف بأنه كتان غير قابل للاحتراق، أو صوف السمندل. وهو ظاهرة موصوفة علمياً في العديد من الثقافات على مدى أكثر من 1500 عام، حيث تغمر قطعة قماش في النار وتظهر ليس فقط غير محترقة، ولكن مطهرة. من المعروف أن هذه الأقمشة منسوجة باستخدام ألياف من الأسبستوس المعدني.

بالنار، لكنه وبعد قضاء عامين في العمل التجريبي غير المثمر، خلص إلى أن المهمة كانت مستحيلة الإنجاز.

جرى الحفاظ على عدة تركيبات لصنع الوقود للمصابيح ونشرتها بلافاتسكي في كتابها كشف النقاب عن إيزيس، بما يكفي المرء ليفهم بشكل عام هذه العملية:

" أضف الكبريت مع الشب إلى بوراكس البندقية البلوري على شكل مسحوق؛ وتخلط باستعمال النبيذ وتصفى، ويكرر ذلك حتى يذوب الكبريت مثل الشمع دون أي دخان، ثم تنشر على طبق ساخن من النحاس الأصفر؛ هذا من أجل تحضير الوقود، ولكن يتم تحضير الفتيل بهذه الطريقة: اجمع خيوط أو عروق الأسبستوس، بحيث تكون بطول وسمك إصبعك الصغير، ثم ضعها في كوب زجاجي، وقم بتغطيتها بالكبريت المشبع المذكور سابقاً، ثم ضع الزجاج في الرمل لمدة أربع وعشرين ساعة، ولا بد أن يكون الرمل ساخناً لدرجة أن الكبريت قد ينفجر في أي لحظة، وبالتالي يتم فتح الفتيل وممسحه، في كوب مثل صدفة الإسكالوب، بحيث يمكن وضع جزء منه فوق كتلة الكبريت المحضر؛ ثم ضع هذا الزجاج على الرمال الساخنة، يجب أن تذوب كتلة الكبريت، حتى يوضع طرف الفتيل في الوقود، وعندما يشتعل، سيحترق بلهب دائم ويمكنك وضع هذا المصباح في أي مكان تريده."

## عرافات الإغريق

تضمنت عبادة أبولو إنشاء وصيانة أماكن للعرافة؛ والتي يمكن للآلهة من خلالها التواصل مع البشر والكشف عن المستقبل لأولئك الذين يستحقون مثل تلك النعمة. يزخر التاريخ المبكر لليونان بروايات عن الأشجار المتكلمة والأثمار والتماثيل والكهوف التي اتخذت فيها الحوريات أو حوريات الغابات أو الشياطين، مساكن لها في أجساد العرافات. وفي حين حاول المؤلفون المسيحيون إثبات أن الوحي الشيطاني غرضه تضليل الرجال، إلا أنهم لم يجرؤوا على مهاجمة فكرة العرافات، بسبب الإشارات المتكررة إليها في كتاباتهم المقدسة. فلو كانت أحجار العقيق على أكتاف الكاهن الأكبر لإسرائيل تعلن من خلال ومضاتها إرادة يهوه، عندها يمكن لليمامة السوداء، الممنوحة مؤقتاً قدرة الكلام، أن تنطق بالفعل للعرافة في معبد المشتري أمون. وإذا استطاعت ساحرة إندور<sup>(1)</sup> أن تستحضر ظل صموئيل، الذي بدوره أعطى النبوءات لشاول، أفلا يمكن لكاهنة أبولو أن تستدعي شبح ولها لتتنبأ بمصير اليونان؟

أشهر عرافات العصور القديمة كنّ: دلفي، دودونا، تروفونيوس، ولاتونا. وكانت أشجار البلوط التي تتحدث إلى دودونا هي الأقدم. لكن وعلى الرغم من أنه من المستحيل الرجوع إلى نشأة نظرية النبوءة الشفوية، فمن المعروف أن العديد من الكهوف والمغارات التي انتشرت في بلاد الإغريق، كانت مقدسة قبل ظهور الثقافة اليونانية بوقت طويل.

(1) في الكتاب العبري، ساحرة إندور هي امرأة استشارها الملك شاول لاستحضار روح النبي صموئيل في الفصل الثامن والعشرين من سفر صموئيل الأول، ليقدم له النصح ضد الفلسطينيين في إحدى المعارك بعد فشل محاولاته السابقة لاستشارة الإله عن طريق الأنبياء المقدسين. غاب ذكر الساحرة عن الأحداث الواردة في أحد الأسفار القانونية الثانية وهو سفر يشوع بن سيراخ.

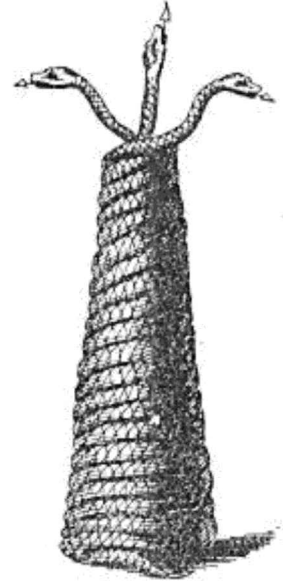
تظل عرافة أبولو في دلفي أحد الألغاز التي لم يتم حلها منذ القدم. يظن ألكسندر وايلدر أن اسم دلفي من دلفوس، الرحم؛ وقد اختير هذا الاسم من قبل الإغريق بسبب شكل الكهف والمنفذ المؤدي إلى أعماق الأرض. كان الاسم الأصلي للعرافة هو بايثو، وقد سميت كذلك لأن غرفها كانت مسكناً للثعبان العظيم بايثون، وهو مخلوق مخيف انسل من الوحل الذي خلفه الفيضان المتراجع الذي أهلك جميع البشر باستثناء ديوكاليون وبورا. أبولو، الذي تسلق جبل برناسوس، قتل الثعبان بعد قتال طويل، وألقى بالجثة في كهوف العرافة. منذ ذلك الوقت، أعطى إله الشمس، الملقب بأبولو الثعبان، النبوءات من فتحات الكهف العميقة. مع ديونيسيوس تقاسم شرف كونه راعي دلفي.

بعد هزيمته من قبل أبولو، بقيت روح بايثون في دلفي كممثل لقاهره، وبمساعدة فيضه، تمكنت الكاهنة من أن تصبح على تواصل مع الإله. كان من المفترض أن الأبخرة المتصاعدة من شقوق الكهف تنشأ من جسم بايثون المتحلل. اسم باثينيوس ( عرافة ) المعطى للإناث اللائي يشرحن النبوءات، يعني حرفياً الشخص الذي وقع في خبل ديني بسبب استنشاق أبخرة تنبعث من مادة متحللة. ومن المهم أيضاً ملاحظة أن الإغريق يعتقدون أن عرافة دلفي هي سرّة الأرض، مما يثبت أنهم اعتبروا الكوكب إنساناً هائلاً؛ بحيث تكون العلاقة بين مبدأ الوحي الشفهي والأهمية الغامضة للسرة، سرّاً مهماً ينتمي إلى الأسرار القديمة.

ومع ذلك، فإن العرافة أقدم بكثير مما يشير إليه الشرح السابق. ربما اخترع الكهنة قصصاً من هذا القبيل لشرح الظواهر لأولئك الأشخاص الفضوليين الذين لم يُعتبروا جديرين بالتنوير فيما يتعلق بالطبيعة الباطنية الحقيقية للعرافة. كما يعتقد البعض أن شق دلفي اكتشفه كاهن هايبيوريان. ولكن تاريخ الكهف المقدس يعود في القدم قدر ما سجل التاريخ المكتوب، حيث قدم أشخاص من جميع أنحاء اليونان والدول المحيطة لسؤال الشيطان الذي سكن في شق يشبه المدخنة. كان الكهنة والكاهنات يحرسونه عن كثب ويخدمون الروح التي سكنت فيه، وأناروا للرجال بهبة النبوءة درهم.

قصة الاكتشاف الأصلي للعرافة على النحو التالي بقدر ما نعرف: كان الرعاة الذين يسوقون قطعانهم على جبل برناسوس، مندهشين من غرابة سلوك الماعز التي تجولت بالقرب من

فجوة كبيرة في الجنوب الغربي. قفزت الحيوانات كما لو أنها تحاول الرقص، وأصدرت صرخات غريبة لا مثيل لها من قبل؛ وأخيراً اقترب أحد الرعاة، لمعرفة سبب هذه الظاهرة، من الفتحة التي كانت تنبعث منها أبخرة سامة. فأصابته على الفور نشوة تنبؤية، فرقص وغنى بأعلى الأصوات الجامحة، وتنبأ بأحداث مستقبلية. اقترب آخرون من الشق وحصلت لهم نفس النتيجة. انتشرت شهرة المكان، وتعرف الكثير على المستقبل عن طريق استنشاق أبخرة هذا الشق، التي تدخل الرجل في بهجة حتى حافة الهذيان.



قاعدة دلفي الثلاثي

من الآثار لمونتفوكون.

شكلت الثعابين التي تلتف على بعضها القاعدة لمقعد الكاهنة، حيث الرؤوس هي الأقدام الثلاثة للحامل ثلاثي الأرجل. لكن من المستحيل الحصول على معلومات مرضية عن شكل وحجم حامل دلفي الشهير. تستند النظريات المتعلقة به (في معظمها) إلى حوامل زخرفية صغيرة تم اكتشافها في مختلف المعابد.





الحامل الثلاثي الأرجل كما يظن

من كتاب لمحات من القدم لبومونت.

وفقاً لبومونت، فالشكل أعلاه هو الأكثر أصالة للحامل الثلاثي لدلفي الموجود؛ ولكن بما أن الحامل ثلاثي القوائم قد تغير بشكل كبير خلال حياة العرافة، فإن الاستنتاجات المتسرعة غير حكيمة. في وصفه للحامل ثلاثي الأرجل، يقسمه بومونت إلى أربعة أجزاء: (1) إطار ثلاثي، (2) حوض مصدر للصدى مثبت في الإطار؛ (3) قاعدة أو طاولة مسطحة تجلس عليها البيثيا؛ (4) غطاء على شكل مخروطي على الطاولة أخفى الكاهنة تماماً، وأسفله كان صوتها يبرز بأصداً غريبة وجوفاء. لقد بذلت محاولات لربط حامل دلفي بتابوت العهد اليهودي، حيث شبه الإطار ثلاثي الأرجل بتابوت العهد؛ اللوحة المسطحة أو الطاولة بمقعد الرحمة؛ والغطاء المخروطي بخيمة الاجتماع نفسها. يختلف هذا المفهوم بالكامل عن المفهوم المقبول عموماً، لكنه يكشف عن تشابه هام بين الرمزية اليهودية واليونانية.



بعض أولئك الذين جاؤوا، لم يكونوا قادرين على السيطرة على أنفسهم، وكان لديهم قوة مؤقتة مثل المجانين، فخلّصوا أنفسهم من أولئك الذين أرادوا إيقافهم، وقفزوا إلى الفتحة فهلكوا. ومن أجل منع الآخرين من القيام بالمثل، نصب جدار حول الشق وعينت كاهنة للعمل كوسيط بين الإله وأولئك الذين جاءوا للسؤال. وفقاً لمراجع لاحقة، نصب حامل ثلاثي من الذهب، مزخرف بمنحوتات لأبولو على شكل **python**، الثعبان الكبير، فوق الشق، وأعد مقعد خصيصاً فوقه، بحيث يصعب على الشخص الجالس عليه، أن يسقط في الهوة تحت تأثير الأبخرة المتصاعدة. قبل هذا الوقت بقليل، جرى تداول قصة أن أبخرة العرافة قد نشأت من الجسد المتحلل للبايثون. فمن الممكن أن تكون العرافة قد كشفت عن أصلها الفعلي.

لعدة قرون خلال تاريخها المبكر، كرست بكر بتول لخدمة العرافة؛ كان يطلق عليها بيثيا، حيث تشكل ذلك النظام الشهير المعروف الآن باسم كهنوت بيثيا. من المحتمل أنه تم اختيار النساء لتلقي النبوءات لأن طبيعتهن الحساسة والعاطفية تستجيب بسرعة أكبر وبشكل كامل إلى "أبخرة الحماس". قبل الوقت المحدد بثلاثة أيام للتواصل مع أبولو، تبدأ الكاهنة العذراء حفل التطهير؛ فتستحم في بئر كاستاليان، وتمتنع عن جميع المواد الغذائية، وتشرب فقط من نافورة كاسوتيس، التي أدخلت إلى المعبد عبر أنابيب مخفية، قبل تركيب الحامل الثلاثي، كما كانت تمضغ بضع أوراق من شجرة الخليج المقدسة.

لقد قيل أن الماء قد مزج بأنواع من المؤثرات على العقل لاستحضار رؤى مشوهة، أو أن كهنة دلفي كانوا قادرين على تصنيع غاز مبهج، ثم قاموا بمد أنابيب تحت الأرض، ليطلقوه في عمود العرافة عدة أقدام تحت سطح الأرض. ومع ذلك، لم يثبت أي من هذه النظريات، ولا يفسر هذا بأي حال من الأحوال دقة التنبؤات.

عندما تكمل الكاهنة الشابة عملية التطهير، كانوا يلبسونها ثياباً مقدسة، ثم تقاد إلى الحامل ثلاثي القواعد، حيث تجلس عليه، محاطة بأبخرة سامة تتصاعد من شق الكهف. وتدرجياً،

عندما تستنشق الأبخرة، يقع التغيير فيها. كان الأمر كما لو أن روحاً مختلفة تدخل جسدها، فتصارع، وتمزق ملابسها، وتصرخ صرخات متواصلة. بعد فترة يتوقف صراعها؛ عندما تصبح هادئة، تبدو كما لو أن الألهة امتلكتها، وبأعين مثبتة على الفضاء وبجسد جامد، تتلو كلمات النبوءة.

كانت التنبؤات عادة تأتي على شكل جمل سداسية، ولكن الكلمات غالباً ما كانت غامضة، وأحياناً غير مفهومة. يتم تسجيل كل صوت يصدر عنها، وكل حركة من جسدها، بعناية من قبل الهوسي الخمسة، أو الرجال المقدسين، الذين عينوا ككتبة للحفاظ على أدق التفاصيل لكل عرافة. عين الهوسي مدى الحياة، كما اختيروا من نسل ديكاليون المباشر.



أبولو البيثيان

من كتاب تاريخ الألهة

كان أبولو، الأخ التوأم لديانا، ابن جوبيتر ولاتونا. وقد ولد كامل البلوغ. كان يعتبر أول طبيب ومؤلف موسيقى وأغاني، كما أشاد به اليونانيون لكونه مخترع القوس والسهم. أعيد بناء معبد أبولو الشهير في دلفي خمس مرات. كان المعبد الأول مبنياً من أغصان الغار فقط. والثاني كان مشابهاً للأول إلى حد ما؛ والثالث من النحاس والرابع والخامس على الأرجح من الرخام كبير الحجم وذا جمال رائع. لا توجد عرافة أخرى في اليونان تعادل في روعتها عرافة دلفي في أوج قوتها. وقد ذكر في الكتاب أن المعبد كان يحتوي على العديد من تماثيل الذهب والفضة الصلبة، والزخارف الرائعة، والأدوات القيمة ذات الصنعة البارعة، التي تبرع بها الأمراء والملوك الذين جاءوا من جميع أنحاء العالم المتحضر للتشاور مع روح أبولو الساكنة في هذا الملاذ الآمن.

بعد أن تسلم النبوءة، تبدأ البيثيا في الصراع مرة أخرى، حتى تحررها الروح. ثم تنقل إلى غرفة الراحة، حيث تبقى حتى زوال النشوة العصبية.

يصف امبليخوس، في أطروحته عن الأسرار، كيف أن روح العرافة هي شيطان ناري، وأنه حتى أبولو نفسه - سيطر على البيثيا وتجلّى من خلالها:

"لكن النبوة في دلفي، سواء أعطت النبوءة للبشر من خلال روح نارية خفيفة، والتي تنفجر من فم الكهف؛ أو كانت جالسة في الحرم على الحامل الثلاثي، أو على كرسي بأربعة أقدام، تصبح مقدسة للرب؛ أيّاً كانت الحالة، فهي تتوحد تماماً مع الروح الإلهية، وتضاء بشعاع من النار الإلهية. وعندما يتصاعد لهيب النار من فم الكهف، فهي تستنشق الأبخرة هناك تماماً، حتى تمتلئ بروعة إلهية. عندما تضع نفسها على كرسي الرب، تصبح متكيفة مع قوته التنبؤية؛ ومن كلتا هاتين العمليتين التحضيريتين، تصبح مملوكة بالكامل للإله، وبعد ذلك يصبح حاضراً معها ويضيئها بطريقة تميزها عن النار، والروح، والمقعد. باختصار، عن جميع الأشكال المرئية للمكان، سواء كانت مادية أو مقدسة".

من بين المشاهير الذين زاروا أوراكل دلفي كان بليناس<sup>(1)</sup> الخالد من تيانا وتلميذه داميس. قدم هداياه، وبعد أن توج بإكليل من الغار وأعطى فرعاً من نفس النبات ليحمله في يده، مر وراء تمثال أبولو المنتصب أمام مدخل الكهف، ونزل إلى حرم العرافة. كانت الكاهنة متوجة أيضاً بإكليل من الغار ورأسها معصوب برباط من الصوف الأبيض. سألها عما إذا كانت الأجيال القادمة ستذكر اسمه؛ فأجابت البيثيا بالإيجاب، لكنه سيبقى دوماً مفترئاً عليه. غادر بليناس الكهف غاضباً، لكن الزمن أثبت دقة التنبؤ، لأن آباء الكنيسة الأوائل كرسوا اسمه بكونه المسيح الدجال.

(1) بليناس الحكيم (ولد تقريباً في 15 م وتوفي 100 م تقريباً)، فيلسوف من المدرسة الفيثاغورية، لا يعرف عنه إلا القليل وقد كان الكيمائيون العرب يجلونه كثيراً واعتبروه أول من تكلم في الطلسمات.

سلمت الرسائل التي قدمتها الكاهنة البتول إلى فلاسفة العرافة، الذين كان من واجهم تفسيرها وتطبيقها. ثم سلمت الرسائل إلى الشعراء، الذين ترجموها من فورهم إلى قصائد جميلة ونثر مسبوك، بحيث أصبحت التصريحات التي يفترض أن أبولو أدلى بها متاحة للجمهور.

تواجد رمز الثعبان كثيراً حول وفي معبد دلفي؛ فالحامل الثلاثي للمقعد الذي جلست عليه بيثيا يتشكل من الأجسام الملتوية لثلاث ثعابين عملاقة. ووفقاً لبعض المراجع، كانت إحدى العمليات المستخدمة لإنتاج النشوة النبوية هي إجبار الكاهنة الشابة على التحديق في عيون ثعبان. مفتونة وشبه منومة، تحدثت بصوت الإله.

على الرغم من أن الكاهنات البيثيات الأوائل كن دائماً من الخدم - وبعضهن ما زلن في سن المراهقة - فقد سن قانون في وقت لاحق، بأن النساء اللواتي تجاوزن الخمسين سنة فقط هن من يجب أن يكن لسان حال العرافة. ارتدت هؤلاء النساء الأكبر سناً ملابس الفتيات الصغيرات، وخضعن لنفس الاحتفالية مثل البيثيات الأوائل. ربما كان التغيير نتيجة غير مباشرة لسلسلة من التدنيس والاعتداءات التي حاقت بالكاهنات العذرات الشابات.

خلال التاريخ المبكر لعرافة دلفي، نطق الإله فقط في كل عيد ميلاد سابع لأبولو؛ لكن ومع مرور الوقت، أصبح الطلب كبيراً لدرجة أن البيثيا اضطرت إلى الجلوس على الحامل ثلاثي الأرجل كل شهر. حددت الأوقات التي اختيرت للاستشارة والسؤال، بالقرعة أو عن طريق تصويت كهنة معبد. ومن المسلم به عموماً أن تأثير عرافة دلفي على الثقافة اليونانية كان بناءً بشكل عميق. ويلخص جيمس غاردنر تأثيره بالكلمات التالية:

"كشفت ردودها الكثير من الطغاة وتنبأت بمصيرهم. بوسائلها أنقذ العديد من المخلوقات غير السعيدة من الدمار، ووجهت العديد من البشر المحتارين نحو الدرب الصحيح. لقد شجعت المؤسسات المفيدة، وعززت تقدم الاكتشافات المفيدة، وكان تأثيرها الأخلاقي يميل إلى جانب الفضيلة، وتأثيرها السياسي لصالح تقدم الحرية المدنية."

وترأست عرافة دودونا كهانة جوبيتر، الذي نطق بالنبوءات من خلال أشجار البلوط والطيور ومزهريات من النحاس الأصفر. لاحظ العديد من الكتاب أوجه التشابه بين طقوس دودونا والكهنة الدرويد في بريطانيا والغال. وقد أضاءت يمامة عرافة دودونا الشهيرة، على فروع شجر البلوط المقدس، وهي لم تكتف فقط بالحديث المطول بلسان يوناني في الفلسفة والدين، بل أجابت أيضاً على استفسارات أولئك الذين قدموا من أماكن بعيدة للتشاور معها.

وقفت الأشجار " المتكلمة " معاً، لتشكل بستاناً مقدساً. عندما رغب الكهنة في الحصول على إجابات لأسئلة مهمة، وبعد تطهير دقيق وجاد، جلسوا في البستان، ثم توجهوا نحو الأشجار، طالبين إجابة من الإله الذي سكن فيها. عندما طرحوا تساؤلاتهم، تحدثت الأشجار بأصوات بشر، وكشفت للكهنة المعلومات المطلوبة. يؤكد البعض أنه لم يكن هناك سوى شجرة واحدة تتحدث – شجرة بلوط أو زان انتصبت في قلب البستان القديم. وبسبب الاعتقاد أن جوبيتر سكن هذه الشجرة، فقد كان يطلق عليه أحياناً **Phegonæus**، أو الذي يعيش في شجرة زان.





جوبيترالدودوني

دعي جوبيترالدودوني نسبة لمدينة دودونا في إبيروس ، بالقرب من هذه المدينة وجدت تلة تغطيها بكثافة أشجار البلوط والتي كانت منذ أقدم العصور مقدسة لجوبيتر. كرم البستان لاعتقاد اليونان أن حوريات الغابات والحوريات تسكن في أعماقه. على أشجار البلوط والزنان علق العديد من سلاسل أجراس البرونز الصغيرة التي كانت ترن ليل نهار عندما تآرجح الرياح فروع الشجر. يؤكد البعض أن يمامة دودونا المتحدثة المشهورة كانت في الواقع امرأة، لأنه في ثيساليا دعيت كلاً من المتنبنات واليمام **Peleiadas**. من المفترض أن المعبد الأول لدودونا أقامه ديوكاليون وأولئك الذين نجوا من الفيضان العظيم معه، لهذا اعتبرت عرافة دودونا الأقدم في اليونان.



أما الأكثر غرابة في عرافة دودونا فقد كانت المزهريات " المتكلمة ". والتي كانت مصنوعة من النحاس الأصفر، وقد صممت بعناية شديدة بحيث أنها عندما تُضرب تصدر صوتاً يمتد لساعات. وصف بعض الكتاب صفاً من هذه المزهريات وأعلنوا أنه إذا ضربت إحداها، فستنتقل اهتزازاتها إلى كل المزهريات الأخرى وسيتبع ذلك صخب مرعب. يصف مؤلفون آخرون مزهرية واحدة كبيرة، منتصبة على عمود، وبجواره عمود آخر، عليه تمثال طفل يحمل سوطاً. وفي نهاية السوط كان هناك عدد من الحبال المتأرجحة المليئة بكرات معدنية صغيرة، وتسببت الرياح التي هبت بلا انقطاع خلال المبنى المفتوح، في قرع الكرات للمزهرية. ثم يجري ملاحظة عدد وشدة التأثيرات وترددات المزهرية بعناية، ليقوم الكهنة بتسليم النبوءات وفقاً لذلك.

عندما اختفى بشكل غامض الكهنة الأصليون من سيلوي<sup>(1)</sup>، باشرت ولعدة قرون ثلاث كاهنات تفسير المزهريات وجلسن للسؤال في منتصف الليل أمام الأشجار المقدسة. وكان من المتوقع أن يقدم رعاة الكاهنات القرابين والأضحيات.

كان كهف تروفونيوس<sup>(2)</sup> هو مصدر آخر مميز للعرافة، والذي كان على جانب تلة ذات مدخل صغير لدرجة أنه بدا من المستحيل على إنسان الدخول. بعد أن قدم المستشار هداياه أمام تمثال تروفونيوس وارتدى الملابس المقدسة، صعد التل إلى الكهف، حاملاً في يده كعكة من العسل. وجلس عند حافة الكهف، ثم دلى قدميه في الكهف، عندئذ جُر جسده بالكامل بسرعة إلى الكهف، والذي وصفه أولئك الذين دخلوه بأن له أبعاد فرن متوسط الحجم. عندما تكتمل النبوءة والوحي، يطرد المستشار، والذي عادة ما يكون مصاباً بالهذيان، بالقوة من الكهف، مخرجاً أقدامه أولاً.

(1) مدينة يونانية

(2) كان تروفونيوس إلهاً يونانياً أو بطلاً أسطورياً

بالقرب من كهف العرافة، ظهر ينبوعان على بعد بضعة أقدام من بعضهما البعض. أولئك الذين هم على وشك دخول الكهف شربوا أولاً من هذه الينابيع، والتي يبدو أن مياهها تمتلك خصائص غامضة غريبة. الأول احتوى على ماء النسيان، وكل من شرب منه نسي أحزانه الدنيوية، وتدفقت من الينبوع الثاني المياه المقدسة للذكرى، لأنها مكنت أولئك الذين نهلوا منها، من تذكر تجاربهم أثناء وجودهم في الكهف بعد خروجهم منه.

على الرغم من أن مدخله تميز بمسلتين نحاسيتين، إلا أن الكهف، المحاط بجدار من الحجارة البيضاء والذي أخفي في قلب بستان من الأشجار المقدسة، لم يك ذا مظهر مهيب. وليس هناك شك في أن أولئك الذين دخلوه مروا بتجارب غريبة، لأنهم اضطروا إلى أن يتركوا في المعبد المجاور وصفاً كاملاً لما رأوه وسمعوه أثناء وجودهم في الكهف. كانت النبوءات على شكل أحلام ورؤى، مصحوبة بآلام شديدة في الرأس، والبعض لم يتعاف تماماً من الآثار اللاحقة لهذيانهم. فسرت التلاوة المشوشة لتجاربهم من قبل الكهنة حسب السؤال الذي سيرد عليه. وفي حين أن الكهنة ربما استخدموا بعض الأعشاب غير المعروفة لإنتاج أحلام أو رؤى الكهف، فإن مهارتهم في تفسيرها شيء خارق للمألوف. قبل التشاور مع الروح في الكهف، كان من الضروري التضحية بكبش لشجرة الكهف، ثم سيقدر الكهنة بالتسلسل، هل كان الوقت الذي اختير مناسباً، وهل نالت الأضحية القبول.



تروفونيوس من ليباديا

كان تروفونيوس وشقيقه أغامديز مهندسين معماريين مشهورين. أثناء بناء قبو كنز لنبييل، ابتكرا ترك حجراً واحداً متحركاً حتى يتمكنوا من الدخول سراً وسرقة الأشياء الثمينة المخزنة هناك. وضعت مصيدة من قبل المالك، الذي اكتشف المؤامرة، ووقع فيها أغامديز، ولمنع انفضاح أمره قطع تروفونيوس رأس شقيقه وهرب. ملاحقاً بشدة اختبأ في بستان ليباديا حيث انفتحت الأرض وابتلعت. بعد ذلك أصبحت روح تروفونيوس هي روح العرافة في البستان وكهوفه. يعني الاسم تروفونيوس "أن تكون متحمساً أو مستثاراً". وقد قيل أن التجارب الرهيبة التي مر بها المستشارين في الكهوف، قد أثرت عليهم لدرجة أنهم لم يتسموا مرة أخرى. كان النحل الذي يرافق تماثيل تروفونيوس مقدساً لأنه قاد المبعوثين الأوائل إلى موقع العرافة. يقال أن الشكل أعلاه هو تماثيل تروفونيوس الذي وضع على قمة تل العرافة وقد أحيط بأوتاد مدببة بشكل حاد لا يمكن لمسها.

## عجائب الدنيا السبع

كان العديد من النحاتين والمهندسين المعماريين في العالم القديم منضوين للأسرار، وخاصة الإيلوسية منها. منذ فجر التاريخ، شكّل قاطعوا الحجر والأخشاب طبقة ظللتها السماء. ومع انتشار الحضارة ببطء على الأرض، بنيت المدن وهجرت؛ ونصبت المعالم التذكارية للأبطال منذ سحيق الزمن إلى وقتنا الحاضر، كما بنيت المعابد للآلهة في كل بقاع الأمم التي ألهمتها.

وقد أثبتت الأبحاث بأن بناء هذه المدن والآثار والنحاتين الذين نقشوا الوجوه الغامضة للآلهة لم يكونوا فقط سادة حرفهم، ولكن لا يملك أحد في العالم اليوم معرفة تضاهي معرفتهم. إن المعرفة العميقة بالرياضيات وعلم الفلك المتجسدة في العمارة القديمة، والمعرفة العميقة بالتشريح التي تكشف في التماثيل اليونانية، تثبت أن هؤلاء المصممين امتلكوا عقولاً فذة، وقد تعمقوا في الحكمة التي شكلت أركان الأسرار. وهكذا تأسست نقابة البنائين، أسلاف الماسونيين في عصرنا، والذين عند توظيفهم لبناء القصور أو المعابد أو النصب، أو نحت التماثيل للأثرياء، أخفى مهندسوها المعماريون والفنانون المذهب السري في أعمالهم، ولكن العالم يدرك اليوم أن أولئك كانوا سادة خبراء في الأسرار، ويستحقون الحصول على لقب الماسونيين.

عجائب الدنيا السبع، وبينما يظهر أنها صممت لأسباب متنوعة، فقد كانت بالفعل نصباً تذكارية لتخليد أركان الأسرار؛ كانت هياكل رمزية، وضعت في بقع غريبة، ولا يمكن الشعور بالغرض الحقيقي من هذه النصب إلا من قبل المنضوين. لاحظ ليفي الاتصال الملحوظ بين هذه العجائب السبعة والكواكب السبعة. فقد تم بناء عجائب الدنيا السبع من قبل أبناء

الأرملة تكريماً لجن الكواكب السبع؛ وإن رمزيتها السرية متطابقة مع أختام الوحي السبعة والكنائس السبع في آسيا.

1. عملاق رودس، هو تمثال نحاسي عملاق يبلغ ارتفاعه حوالي 109 أقدام وتطلب بناءه أكثر من اثني عشر عاماً، وهو من عمل الفنان المبدع شارس من ليندوس. النظرية الشعبية – التي قبلت لمئات من السنين - أن التمثال وقف وكل قدم تتوضع على أحد جانبي مدخل ميناء رودس؛ وأن السفن الداخلة أو المغادرة لا بد أن تمر بين قدميه، لم تثبت أبداً. لسوء الحظ، ظل التمثال قائماً 56 عاماً، حتى ألقي به في البحر زلزال عام 224 قبل الميلاد. وقد كانت الأجزاء المدمرة من التمثال مرمية حول الميناء لأكثر من 900 عام، حتى بيعت أخيراً إلى تاجر يهودي، حمل المعدن بعيداً على ظهر 700 جمل. يعتقد البعض أن النحاس حول إلى أسلحة، بينما يظن البعض الآخر أنه حول إلى أنابيب تصريف. هذا الشكل المذهل للعملاق، مع تاج من أشعة الشمس ومصباح مشتعل، يعني في الأسرار رجل الشمس المجيد؛ المخلص العالمي.

2. عرض المهندس المعماري كريسفرون، في القرن الخامس قبل الميلاد، على المدن الأيونية خطة لإقامة نصب تذكاري مشترك لإلهة الرعي، ديانا. المكان المختار كان أفسس، وهي مدينة تقع جنوب سميرنا؛ أقيم المبنى من الرخام، وكان السقف مدعوماً بـ 127 عموداً، يبلغ ارتفاع كل منها 60 قدماً ويزن أكثر من 150 طناً. دمر المعبد بالسر الأسود حوالي 356 قبل الميلاد، لكن العالم يثبت الجريمة البغيضة على الأداة التي استخدمت للتدمير - رجل مختل عقلياً يدعى هيروستراوس. وقد بني المعبد لاحقاً، لكن الرموز فقدت. المعبد الأصلي، المصمم على شكل مصغر للكون، كان مخصصاً للقمر، الرمز الغامض للتجديد.

3. عند نفيه من أثينا، ذهب فيدياس - أعظم النحاتين اليونان - إلى أولمبيا في مقاطعة إليس وأقام تمثاله الهائل زيوس، رئيس آلهة اليونان. لا يوجد وصف دقيق لهذه التحفة الفنية الآن؛

فقط عدد قليل من العملات القديمة والتي تعطي فكرة غير كافية عن مظهره العام. تم صنع جسد التمثال من العاج، بينما صنعت العباءة التي يرتديها زيوس في التمثال من الذهب الخالص؛ وفي يمينه، من المفترض أن يكون ممسكاً لكرة أرضية يعلوها تمثال إله النصر، وفي يسراه صولجان يعلوه نسر. كان رأسه لرجل كهل، ملتج بشدة، ومتوج بإكليل زيتون. كان التمثال جالساً على عرش مزين بشكل متقن. كما يوحي اسمه، خصص النصب لروح كوكب المشتري، وهو واحد من السبعة لوجوس والذي ينحني أمام إله الشمس.

4. يضم ليفي معبد سليمان إلى عجائب الدنيا السبع، مما يمنحه المكان الذي تشغله منارة الإسكندرية. صممت وبنيت فاروس، المسماة تبعاً للجزيرة التي تقع عليها، بواسطة سوستراتوس في عهد بطليموس (283 - 247 قبل الميلاد). توصف بأنها من الرخام الأبيض وارتفاعها أكثر من 600 قدم. حتى في ذلك العهد القديم وصفت بأنها كلفت تقريباً ما يقرب من مليون دولار. أضيئت المشاعل في الجزء العلوي منها والتي أمكن رؤيتها لأميال في البحر. دمرها زلزال في القرن الثالث عشر، ولكن بقاياها ظلت مشاهدة حتى عام 1350 م. كونها الأعلى ارتفاعاً من بين جميع العجائب، فقد خصصت بشكل طبيعي لرحل، أبو الآلهة والنور الحقيقي للبشرية جمعاء.

5. كان الضريح في هليكارناسوس نصباً رائعاً أقامته الملكة أرتيميزيا تخليداً لذكرى زوجها القتيل، الملك موسولوس، والذي اشتقت منه كلمة ضريح **mausoleum**. كان من صمم المبنى هما ساتيروس وبيثاس، ووظف أربعة نحّاتين عظماء لتزيين الصرح. قسم المبنى، الذي يبلغ طوله 114 قدماً وعرضه 92 قدماً، إلى خمسة أقسام رئيسية (الحواس) ويعلوه هرم (الطبيعة الروحية للإنسان). ارتفع الهرم 24 درجة (رقم مقدس)، وعلى القمة انتصب تمثال للملك موسولوس في عربة، وكان طوله 9 أقدام و9 بوصات. لقد بذلت محاولات عدة لإعادة



بناء النصب الذي دمره زلزال، ولكن لم ينجح أي منها. كان هذا النصب مكرساً لكوكب المريخ وقد تم بناؤه من قبل السادة لتنوير العالم.

6. حدائق سميراميس في بابل - المشتهرة باسم الحدائق المعلقة - التي بنيت داخل أراضي قصر نبوخذ نصر، بالقرب من نهر الفرات. وقد بنيت على شكل هرم أعلاه كان يوجد خزان لري الحدائق. بنيت الحدائق حوالي 600 قبل الميلاد، ولكن اسم المهندس فقد واندثر، وقد كانت ترمز لمستويات العالم غير المرئي، وكُرسَت لفينوس إلهة الحب والجمال.

7. يبقى الهرم الأكبر هو الأسى بين معابد الأسرار. لكي يفي الهرم لرمزيته الفلكية، فيجب أن يكون قد بني قبل 70000 سنة. كان الهرم قبراً لأوزوريس، ويعتقد أن الآلهة نفسها بنته، وربما كان المهندس هو هيرمس الخالد. إنه نصب لعطارد، رسول الآلهة، والرمز العالمي للحكمة والرسالات.



## حياة وفلسفة فيثاغورث

بينما كان منيسارخوس والد فيثاغورث، في مدينة دلفي لمسائل تتعلق بعمله كتاجر، قرر وزوجته بارثينس، استشارة عرافة دلفي حول ما إذا كانت المصائر مواتية لرحلة العودة إلى سوريا؛ عندما جلست البيثيا (نبية أبولو) على الحامل الثلاثي الذهبي فوق فتحة التثاؤب، لم تجب على السؤال الذي طرحه، لكنها أخبرت الرجل بأن هناك طفلاً في بطن زوجته، وأنها ستنجب ابناً كان مقدراً له أن يتفوق على كل الرجال في الجمال والحكمة، والذي سيسهم طوال حياته في خدمة البشرية. أعجب منيسارخوس بعمق النبوة لدرجة أنه غير اسم زوجته إلى بيثيا، تكريماً للكهنة البيثية. عندما ولد الطفل في صيدا الفينيقية، كان - كما بشرت العرافة ابناً. سعى الوالدان ابنهما **Pythagoras** فيثاغورث، لأنهما اعتقدا أن العرافة قد بشرت به.

انتشرت العديد من الأساطير الغربية بشأن ولادة فيثاغورث؛ فقد أكد البعض أنه لم يكن بشراً؛ بل كان أحد الآلهة الذين اتخذوا جسماً بشرياً ليتمكن من القدوم إلى العالم وإرشاد الجنس البشري. كان فيثاغورث واحداً من حكماء ومخلصي العصور القديمة، الذين تم تأكيد مفهومهم الطاهر. في كتابه **Anacalypsis**، يقول جودفري هيجنز:

"إن الطرف اللافت الأول الذي يتفق فيه تاريخ فيثاغورث مع تاريخ يسوع هو أنهما كانا من مواطني نفس البلد تقريباً؛ الأول وُلد في صيدا، والأخير في بيت لحم، كلاهما في سوريا، كما تم

إبلاغ والد فيثاغورث ووالد يسوع نبوءة أن زوجتهما ستنجبان ابناً، والذي سيكون راعياً للبشرية. كما أن كلاهما قد ولد بينما كانت والدتهما تقيمان بعيداً عن الوطن، فيوسف وزوجته غادرا إلى بيت لحم لدفع الضريبة، وسافر والد فيثاغورث من ساموس، مقر إقامته، إلى صيدا، لشؤونه التجارية. كانت بيثيا والدة فيثاغورث، على صلة بشيخ أبولو، أو روح الإله، (بالطبع يجب أن يكون هذا شبحاً مقدساً، وكما الروح القدس) الذي ظهر لزوجها، وأخبره أنه يجب ألا تكون لديه علاقة جسدية مع زوجته خلال حملها. ويبدو أن هذه القصة هي نفس القصة المتعلقة بيوسف ومريم. لهذه الظروف الغريبة، كان فيثاغورث معروفاً بنفس لقب يسوع، أي ابن الإله؛ وكان العامة يفترضون أنه تحت تأثير الإلهام الإلهي."

ولد هذا الفيلسوف الشهير في وقت ما بين 600 و590 قبل الميلاد، وقدر عمره بما يقرب من مائة عام. تشير تعاليم فيثاغورث إلى أن كان على دراية تامة بمفاهيم الباطنية الشرقية والغربية، وسافر إلى حيث يوجد اليهود فلحقه الحاخامات أسرار تقاليد موسى مشرع إسرائيل، وفي وقت لاحق قامت مدرسة الأسينيون بشكل رئيسي لغرض تفسير رموز فيثاغورث. لقد بدأ فيثاغورث في الأسرار المصرية والبابلية والكلدانية، على الرغم من أن البعض يعتقد أنه كان تلميذاً لزرادشت، إلا أنه من المشكوك فيه ما إذا كان معلمه الذي حمل هذا الاسم هو نبي الفرس الموقر. وبينما تختلف روايات رحلاته، يتفق المؤرخون على أنه زار العديد من البلدان ودرس عند العديد من الأساتذة.

"بعد أن اكتسب كل ما كان من الممكن له أن يتعلمه من الفلاسفة اليونان، حيث من المفترض أنه أصبح مبتدئاً في الأسرار الإيلوسية، ذهب إلى مصر، وبعد عدة محاولات قبولت بالفرض، نجح أخيراً في تأمين الانضمام إلى أسرار إيزيس، على يدي كهنة طيبة. ثم شق هذا المبتدئ "الجريء طريقه إلى فينيقيا وسوريا حيث منح أسرار أدونيس، وعبر إلى وادي الفرات، وتأخر هناك طويلاً بما يكفي ليصبح ضليعاً، بالتقاليد السرية للكلدان، الذين لا يزالون

يسكنون على مقربة من بابل. وأخيراً، قام بمغامرته التاريخية الأعظم عبر ميديا وبلاد فارس إلى هندوستان حيث بقي عدة سنوات كطالب وبدأ في تعلم البرهمية في إليفانتا<sup>(1)</sup> والورا<sup>(2)</sup>.

[انظر إلى كتاب فرانك هيجينز<sup>32</sup>: الماسونية في القدم] وفي نفس الكتاب يضيف المؤلف بأن اسم فيثاغورث لا يزال محفوظاً في سجلات البراهمة تحت اسم **Yavancharya**، المعلم الأيوني.

قيل أن فيثاغورث كان أول رجل يطلق على نفسه لقب فيلسوف. وفي الواقع، يدين العالم له بكلمة الفيلسوف؛ فقبل ذلك الوقت كان الحكماء يطلقون على أنفسهم حكماء، وهو ما يفسر على أنه يعني أولئك الذين يعرفون. كان فيثاغورث أكثر تواضعاً، فصاغ كلمة فيلسوف، الذي عرفه بأنه الشخص الذي يحاول أن يجد.

وبعد عودته من رحلاته، أسس فيثاغورث مدرسة، أو كما يطلق عليها أحياناً، جامعة في كروتونا، مستعمرة دوريان في جنوب إيطاليا. عند وصوله إلى كروتونا، كان يُنظر إليه شزراً، لكن وبعد وقت قصير سعى أولئك الذين يشغلون مناصب مهمة في المستعمرات المحيطة للحصول على مشورته في الأمور الهامة. وقد جمع حوله مجموعة صغيرة من التلاميذ الصادقين الذين لقنهم الحكمة السرية التي كشف عنها له، وكذلك أساسيات الرياضيات الخفية والموسيقى وعلم الفلك، والتي اعتبرها الأساس الثلاثي لجميع الفنون والعلوم.

<sup>(1)</sup> كهوف إليفانتا. تقع في جزيرة إليفانتا في بحر العرب وتبعد حوالي 10 كم شرق مدينة مومباي الهندية. حسب النقوش المنحوتة في تلك الكهوف فإن بنائها يعود إلى ما بين القرن الخامس والقرن الثامن الميلاديين. تعتبر كهوف إليفانتا من أشهر معالم الهند لكونها عبارة عن كهوف صناعية منحوتة في الصخر بدقة واحترافية ولضمها لعدد كبير من الكنوز التاريخية والتحف الأثرية والفنية. وكانت تلك الكهوف مخصصة لعبادة الإلهة شيفا.

<sup>(2)</sup> الورا هو موقع أثري يبعد 29 كلم شمال غرب مدينة أورانغباد في ولاية ماهاراشترا الهندية

عندما بلغ فيثاغورث الستين، تزوج من إحدى تلميذاته، ونتج سبعة أطفال عن الاتحاد. كانت زوجته امرأة قادرة بشكل ملحوظ، فهي لم تلهمه فقط خلال سنوات حياته، لكن وبعد اغتياله استمرت في نشر مذهبه.

كما هو الحال في كثير من الأحيان مع العباقرة، تكبد فيثاغورث بصراحته عداوة سياسية وشخصية. كان أحدهم من أولئك الذين جاءوا للانضمام وجرى رفضهم، فعزم على تدمير كل من الرجل وفلسفته. بدعاية كاذبة، قلب هذا الشخص الساخط عقول الناس العاديين ضد الفيلسوف؛ ودون سابق إنذار، نزلت مجموعة من القتل على مجموعة صغيرة من المباني حيث سكن المعلم العظيم وتلاميذه، فأحرقوا المباني وقتلوا فيثاغورث.

روايات موت الفيلسوف لا تتفق؛ حيث يقول البعض أنه قتل مع تلاميذه؛ وآخرون قالوا أنه وعند هروبه من كروتونا مع مجموعة صغيرة من الأتباع، حوصر وأحرق حياً من قبل أعدائه في كوخ صغير، حيث قررت المجموعة الراحة ليلاً. يقول البعض الآخر أنه وعندما وجدوا أنفسهم محاصرين في المبنى المحترق، ألقي التلاميذ أنفسهم في النيران، جاعلين أجسادهم جسراً هرب منه فيثاغورث، ليموت كسير القلب، بعد وقت قصير أسفاً على العقم الظاهر لجهوده لخدمة وتنوير البشرية. حاول تلامذته الباقون نشر عقائده، لكنهم تعرضوا للاضطهاد من كل جهة، ولم يبق سوى القليل جداً إلى يومنا هذا، ليشهد على عظمة هذا الفيلسوف.

يقال أن تلاميذ فيثاغورث لم يخاطبوه أبداً باسمه المباشر، ولكن دائماً باسم السيد أو ذاك الرجل؛ وقد يكون هذا عائداً لأن اسم فيثاغورث - كما كان معتقداً، يتكون من عدد معين من الحروف المرتبة بشكل خاص وهي ذات أهمية مقدسة كبيرة. قامت مجلة وورد بطباعة مقال بقلم براتر، يظهر أن فيثاغورث خاطب مرشحيه عن طريق صيغة معينة مخبأة داخل أحرف اسمه. قد يفسر هذا سبب احترام كلمة فيثاغورث بشدة.

بعد وفاة فيثاغورث، تفككت مدرسته تدريجياً، لكن أولئك الذين نهلوا من تعاليمها ظلوا يقصدون ذكرى الفيلسوف العظيم، فهم خلال حياته كانوا يقصدون الرجل نفسه. ومع مرور

الوقت، أصبح يُنظر إلى فيثاغورث كإله وليس كرجل، وكان تلامذته المتناثرين مرتبطين معاً بإعجابهم المشترك بالعبقريّة السامية لمعلمهم. يروي إدوارد شور، في كتابه فيثاغورث وألغاز دلفي، الحادثة التالية كدليل على رابطة الزمالة التي توحد أعضاء مدرسة فيثاغورث:

أصيب أحدهم بالمرض والفقر، فأحسن إليه صاحب نزل، وأثناء موته، ترك علامات غامضة (النجمة الخماسية بلا شك) على باب النزل وقال للمضيف، لا تخف، سيدفع أحد إخوتي ديوني. بعد مرور عام، عندما مر أحد الغرباء بهذا النزل، رأى العلامات وقال للمضيف، أنا فيثاغورثي؛ أحد إخوتي مات هنا؛ أخبرني بما أدين لك بسببه.

يعطي هيجنز، خلاصة ممتازة لمبادئ فيثاغورث في المخطط التالي:

"تعد تعاليم فيثاغورث ذات أهمية فائقة بالنسبة إلى الماسون، حيث أنها ثمرة اتصاله مع كبار الفلاسفة في العالم المتحضر بأسره إلى يومه، ويجب أن يكون ذلك بالاتفاق التام، نابذين جميع الخلافات. وبالتالي، فإن الموقف الحازم الذي قدمه فيثاغورث، دفاعاً عن التوحيد الخالص، هو دليل كاف على فكرة وحدة الإله؛ وهي السر الأعلى لجميع الأسرار القديمة وذلك صحيح إلى حد كبير. لقد كانت مدرسة فيثاغورث الفلسفية إلى حد ما، سلسلة من البدايات، لأنه جعل تلاميذه يمشون عبر سلسلة من الدرجات ولم يسمح لهم أبداً بالاتصال معه نفسه حتى وصلوا إلى أعلى الدرجات. وفقاً لرواة سيرته، كانت درجاته ثلاثة عدداً. الأولى، ما يتعلق بـ "الرياضي"، حيث يؤكد على تلاميذه إتقان الرياضيات والهندسة، والذي كان حينذاك - كما هو الحال الآن إذا تم غرس الماسونية بشكل صحيح - هو الأساس الذي قامت عليه جميع المعارف الأخرى. الثانية، درجة "النظري"، التي تعاملت مع التطبيقات السطحية للعلوم الدقيقة. وأخيراً درجة "المختار"، التي سمحت للمرشح بالعبور إلى الأمام، في ضوء التنوير الكامل التي كان قادراً على استيعابه. قسم تلاميذ مدرسة فيثاغورث إلى تلاميذ الصفوف الخارجية، وأصحاب السر، بعد اجتيازهم الدرجة الثالثة وامتلاكهم الحق في الحكمة السرية. الصمت والسرية والطاعة غير المشروطة كانت مبادئ أساسية لهذا النظام العظيم."







### فيثاغورث، الفيلسوف الأول

خلال صغره، كان فيثاغورث تلميذاً لفيثاغورث وهرموداماس، واشتهر وهو في سن المراهقة بوضوح مفاهيمه الفلسفية. بطول تجاوز ستة أقدام، فقد كان جسده مثالياً كجسد أبولو. كان فيثاغورث تجسيدا للجلال والمهابة، وفي حضوره شعر الرجال بالتواضع والخوف. مع تقدمه في العمر، زادت قواه الجسدية بدلاً من أن تتضاءل، لذا عندما اقترب من بلوغ القرن عمراً، كان في الواقع في ذروة الحياة. كان تأثير هذه الروح عظيماً على من حوله، لدرجة أن كلمة مدح من فيثاغورث ملأت تلاميذه بالنشوة، وقد انتحروا أحدهم، لأن السيد أصيب بغضب على شيء فعله. تأثر فيثاغورث بهذه المأساة لدرجة أنه لم يتكلم أبداً إلا بلطف مع أوعن أي شخص.



## أساسيات فيثاغورث

اعتبرت دراسة الهندسة والموسيقى وعلم الفلك ضرورية لفهم عقلائي للرب أو الإنسان أو الطبيعة، ولم يستطع أحد أن يرافق فيثاغورث كطالب ما لم يكن على دراية تامة بهذه العلوم. جاء الكثير سعيًا للقبول في مدرسته؛ وكان يتم اختبار كل متقدم في هذه المواضيع الثلاثة، فإذا وجد جاهلاً لأي منها، كان يرفض على وجه السرعة.

لم يكن فيثاغورث متطرفاً. لقد علّم الاعتدال في كل شيء بدلاً من الإفراط في أي شيء، لأنه يعتقد أن فائض الفضيلة كان في حد ذاته رذيلة. كان من بين أقواله المفضلة: " يجب أن نتجنب بأقصى جهدنا، ولو كان بترًا بالنار والسيوف، وبجميع الوسائل الأخرى، من الجسد المرض؛ من الروح الجهل؛ من البطن الشبع؛ من المدينة الفتنة، من العائلة الخصام، ومن كل شيء، الغلو ". ويعتقد فيثاغورث أيضاً أنه لا توجد جريمة مساوية لجريمة الفوضى.

جميع الرجال يعرفون ما يريدون، لكن القليل منهم يعرف ما يحتاج إليه. حذر فيثاغورث تلاميذه أنه عندما يصلون لا يجب عليهم الصلاة من أجل أنفسهم؛ وأنه عندما يطلبون شيئاً من الآلهة، لا يجب أن يطلبوا أشياء لأنفسهم، لأنه لا يوجد أحد يعرف ما هو جيد بالنسبة له، ولهذا السبب من غير المرغوب فيه أن يطلب أشياء، إذا تم الحصول عليها، ستثبت أنها ضارة فقط.

كان إله فيثاغورث موناد، أو الإله الذي هو كل شيء. ووصف الإله بأنه العقل الأعلى الموزع في جميع أنحاء الكون - مادة كل شيء، وذكاء كل شيء، والقوة في كل شيء. كما أعلن أن حركة الإله تكون دائرية، وأن جسده يتكون من جوهر النور، وطبيعة الإله من جوهر الحقيقة.

كما أعلن فيثاغورث أن تناول اللحوم يخيم على كليات التفكير. وبينما لم يُدِن استخدامها ولم يمتنع عنها تماماً، فقد أعلن أنه يجب على القضاة الامتناع عن تناول اللحوم قبل المحاكمة، حتى يحصل أولئك الذين مثلوا أمامهم على أكثر القرارات صدقاً وذكاءً. عندما قرر فيثاغورث (كما فعل في كثير من الأحيان) أن يعتكف في هيكل الغله لفترة طويلة للتأمل والصلاة، تزود بالطعام والشراب المعد خصيصاً له. تكون الطعام من أجزاء متساوية من بذور الخشخاش والسمسم، وغلاف بصل البحر الذي استخرج منه العصير، وزهرة النرجس، وأوراق الملوخية، ومعجون الشعير والبالزاء؛ والتي خلطها مع إضافة العسل البري. ليحصل على مشروب، أخذ بذور الخيار والزبيب المجفف (مع إزالة البذور) وزهور الكزبرة وبذور الملوخية والريلين والجبن المكشوف والقشدة، فمزجها معاً محلاة بالعسل البري. ظن فيثاغورث أن تلك كانت حمية هرقل أثناء تجواله في الصحراء الليبية وفقاً للصيغة التي أعطتها الإلهة سيريس نفسها لهذا البطل.

كانت الطريقة المفضلة للشفاء بين الفيثاغورثيين باستخدام الكمادات؛ وقد عرف هؤلاء أيضاً الخصائص السحرية لأعداد كبيرة من النباتات. قدر فيثاغورث بشدة الخصائص الطبية للبصل البحري، ويقال أنه كتب مجلداً كاملاً حول هذا الموضوع؛ رغم أن هذا العمل، وغيره غير معروف في الوقت الحاضر. اكتشف فيثاغورث أن الموسيقى تمتلك قوة علاجية كبيرة، فأعد أنغاماً خاصة لكثير من الأمراض. ويبدو أنه جرب أيضاً اللون، وحقق نجاحاً كبيراً. نتجت إحدى عملياته العلاجية الفريدة عن اكتشافه للقيمة العلاجية لمقاطع معينة من الأوديسة وإلياذة لهومر؛ حيث تسببت قراءة هذه المقاطع للأشخاص الذين يعانون من أمراض معينة بالتخلص من الألم. كان يعارض الجراحة بجميع أشكالها، كما اعترض على الكي؛ فلم يكن يسمح بتشويه جسم الإنسان، لأن هذا الجسد في تقديره كان مقدساً فهو مسكن الآلهة.

علّم فيثاغورث أن الصداقة هي الأكثر واقعية والأفضل بين جميع العلاقات. وأعلن أنه في الطبيعة توجد صداقة للجميع؛ الآلهة مع الرجال؛ المذاهب مع المذاهب الأخرى؛ الروح للجسد؛ الجزء العقلاني مع الجزء غير العقلاني؛ الفلسفة لنظريتها؛ الرجال لبعضهم

البعض؛ المواطنين لبعضهم البعض؛ وتلك الصداقة كانت موجودة بين الغرباء، وبين الرجل وزوجته، وأولاده، وخدمه. كانت جميع الروابط بدون صداقة أغلال، ولم يكن هناك فضيلة في الحفاظ عليها.

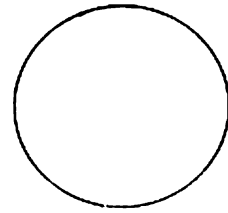
يعتقد فيثاغورث أن العلاقات كانت في الأساس عقلية وليست جسدية، وأن شخصاً غريباً يملك فكراً يماثله، كان أقرب إليه من شخص تربطه به صلة الدم، لكن وجهة نظره تخالفه. عرف فيثاغورث المعرفة بأنها ثمرة التراكم العقلي؛ وكان يعتقد أنه يتم الحصول عليها بطرق عديدة، ولكن بشكل أساسي من خلال الملاحظة. كانت الحكمة هي فهم مصدر أو سبب كل الأشياء، وهذا لا يمكن تأمينه إلا من خلال السمو بالفكر إلى نقطة يدرك فيها الحدس ماهو غير مرئي، ظاهرياً من خلال المرئي، وبالتالي يصبح قادراً على التوفيق بين روح الأشياء بدلاً من أشكالها. كان المصدر النهائي الذي يمكن للحكمة إدراكه هو الموناد، الذرة الدائمة الغامضة للفيثاغوريين.

كما علّم فيثاغورث أن كلا من الإنسان والكون خُلقا على صورة الرب؛ وأن كلاهما يملكان نفس الصورة، ففهم أحدهما يجعل من السهل فهم ومعرفة الآخر. كما علّم أن هناك تفاعلاً مستمراً بين الرجل الكبير (الكون) والإنسان (الكون الصغير). ويعتقد فيثاغورث أن جميع الأجسام الفلكية كانت على قيد الحياة، وأن أشكال الكواكب والنجوم كانت مجرد أجسام تغلف النفوس والعقول والأرواح، بنفس الطريقة التي يكون بها الشكل البشري المرئي المركبة المغلفة لكائن روحاني غير مرئي وهو الفرد الواعي. كما اعتبر فيثاغورث الكواكب آلهة رائعة تستحق العشق واحترام الإنسان. كل من هذه الآلهة، مع ذلك، اعتبر خاضعاً للسبب الأوحده الأول، والتي توجد جميعها فيه مؤقتاً، كما يوجد الفناء وسط الخلود.

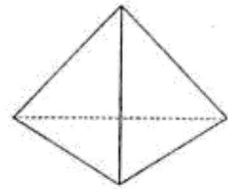
الرمز Y الفيثاغورثي الشهير يدل على قوة الاختيار، وكان يستخدم في الأسرار كرمز لمفترق الطرق. ينقسم الجذع المركزي إلى جزأين، أحدهما يتفرع إلى اليمين والآخر إلى اليسار؛ أما الذي على اليمين فكان يسمى الحكمة الإلهية، وأما الفرع إلى اليسار فقد دعي الحكمة الأرضية. الشباب، الذي يجسده المرشح، يمضي في درب الحياة، الذي يرمز إليه الجذع المركزي Y، حتى يصل إلى النقطة التي ينقسم فيها المسار. يجب على المبتدئ بعد ذلك اختيار

ما إذا كان سيأخذ المسار الأسير، اتباعاً لإملاءات طبيعته الدنيا، فيدخل في دوامة من الحماسة والجهل تقوده إلى الفناء، أو ما إذا كان سيأخذ الطريق الأيمن، ثم ومن خلال النزاهة والعمل والاخلاص، يستعيد الاتحاد في نهاية المطاف مع الخلود في المجالات العلى.

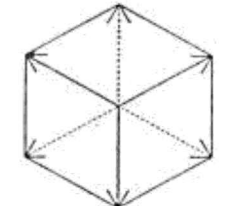
المجسمات الهندسية المتناظرة



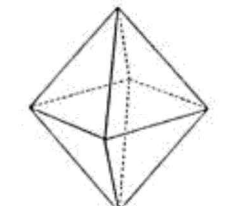
1



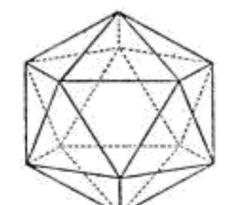
2



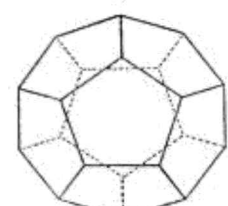
3



4



5



6

أضيفت إلى المجسمات المتناظرة الخمسة للقدمات الكرة (1)، الأكثر مثالية بين جميع الأشكال. المجسمات الخمسة عند فيثاغورث هي: رباعي الأسطح (2) وله أربعة مثلثات متساوية الأضلاع كوجوه؛ المكعب (3) وله ستة مربعات كوجوه؛ المثلث السطوح (4) وله ثمانية مثلثات متساوية الأضلاع كوجوه؛ المسدس المجسم (5) وله عشرين مثلث متساوية الأضلاع كوجوه؛ والاثني عشر خماسي الشكل (6) وله اثني عشر خماسي الشكل كوجوه



غالب الظن أن فيثاغورث حصل على مفهومه عن  $\Psi$  من المصريين، الذين أدرجوا في بعض طقوسهم الأولية مشهداً واجه فيه المرشح شخصيتين أنثويتين؛ إحداهما، المحجبة بخمار أبيض، والتي تحثه على الدخول إلى قاعات التعلم؛ الأخرى، المزينة بالمجوهرات، والتي ترمز إلى الكنوز الأرضية، وتحمل في يديها صينية عنب (رمزاً للضوء الكاذب)، ساعية لإغرائه إلى درب الفناء. ولا يزال هذا الرمز محفوظاً بين بطاقات التاروت، حيث يطلق عليه مفترق الطرق. كما كانت العصا المتشعبة رمزاً للحياة لدى عديد من الأمم، ووضعت في الصحراء إشارةً إلى وجود المياه.

فيما يتعلق بنظرية التقمص كما نشرها فيثاغورث، فهناك اختلافات في الرأي. وفقاً لأحد الآراء، فقد قال فيثاغورث أن البشر الذين أصبحوا خلال وجودهم الأرضي بسبب أفعالهم مثل الحيوانات، سيعودون إلى الأرض مرة أخرى على شكل بهائم تشبه أفعالهم، وبالتالي، يعود الشخص الخجول أرنباً أو غزالاً؛ بينما يعود الشخص القاسي على شكل ذئب أو حيوان مفترس آخر؛ والشخص الماكر سيرجع كثعلب. ومع ذلك، فإن هذا المفهوم لا يتناسب مع مخطط فيثاغورث العام، ومن الأرجح أنه أعطي معنىً مجازي، بدلاً من المعنى الحرفي، فكان القصد منه نقل فكرة أن البشر يصبحون متوحشين عندما يسمحون لرغباتهم الدنيا ونزعاتهم المدمرة بالسيطرة عليهم. ومن المحتمل أن يُفهم مصطلح "التقمص" على أنه ما يُسمى بالتناسخ الأكثر شيوعاً، وهو مبدأ لا بد وأنه اتصل به بشكل مباشر أو غير مباشر في الهند ومصر.

ويقال أن فيثاغورث قبل نظرية الظهورات المتتالية للطبيعة الروحية في الشكل البشري في حاشية لتاريخ ليفي عن السحر:

"لقد كان بطلاً مهماً لما كان يسمى عقيدة التقمص، أي ما يُفهم على أنه انتقال الروح إلى أجسام متعاقبة. فهو نفسه كان (أ) أيثاليديس، ابن عطارد؛ (ب) إيفهوروبوس، ابن بانثوس،

الذي مات على يد مينيلوس في حرب طروادة؛ (ج) هيرموتيموس، نبي كلازومينا، إحدى مدن أيونيا؛ (د) صياد متواضع؛ وأخيراً (هـ) فيلسوف ساموس."

كما علّم فيثاغورث أيضاً؛ أن كل نوع من المخلوقات كان لديه ما سماه ختماً، قدمه له الرب، وأن الشكل المادي لكل منها كان انطباع هذا الختم على شمع المادة الفيزيائية. وهكذا ختم كل جسد بكرامة نمطه الإلهي. كما اعتقد فيثاغورث أن الإنسان سيصل في نهاية المطاف إلى حالة حيث يتخلى عن طبيعته البشرية، ليعمل في جسد من الأثير الروحاني، والذي قد يكون المجال الثامن؛ ومن هنا كان له أن يصعد إلى عالم الخلود، حيث ينتهي بالحق الإلهي.

وقد علّم فيثاغورث أن كل شيء في الطبيعة يمكن تقسيمه إلى ثلاثة أجزاء؛ وأنه لا يمكن لأي شخص أن يصبح حكيمًا حقاً دون أن يرى أي مشكلة على أنها ثلاثية الشكل. فقال: "أنشئ المثلث، وسيحل ثلثا المشكلة". علاوة على ذلك، "تتكون كل الأشياء من ثلاثة". ووفقاً لوجهة النظر هذه، قسم فيثاغورث الكون إلى ثلاثة أجزاء، سماها العالم الأسى، العالم العلوي، والعالم السفلي. كان الأسى، جوهرًا روحياً خفياً ومختلطاً ينتشر في جميع الأشياء وبالتالي فهو المستوى الحقيقي للإله الأسى نفسه، فالإله كلي الوجود، كلي القدرة، كلي العلم. وكلا العالمين السفليين كانا موجودين في طبيعة هذا المجال الأعلى.

كان العالم العلوي موطناً للخلود، كما كان المكان الذي تعيش فيه النماذج الأصلية، أو الأختام؛ والتي لا تشارك طبائعهم بأي شكل من الأشكال مادة الأرض، لكنهم يلقون بظلالهم على الأعماق (العالم السفلي)، فلا يمكن التعرف عليهم إلا من خلال ظلهم. كان العالم الثالث، أو الدنيا، موطناً لتلك المخلوقات التي تشاركت الصيغة المادية، أو عملت في تشكيل صيغ مادية. ومن ثم، كان هذا المجال بيت الآلهة الفانية، قوى الشر، الملائكة الذين يعملون مع الرجال؛ والشياطين الذين يشتركون في طبيعة الأرض؛ وأخيراً البشر والممالك السفلية، تلك المنتمية للأرض مؤقتاً ولكنها قادرة على التسامي للمجالات العلى بالعقل والفلسفة.

لا يعتبر الفيثاغورثيين 1 و2 أرقاماً، لأنهما يمثلان المجالين الفائتين. لذلك، تبدأ أرقام فيثاغورث بـ 3، المثلث، و4، المربع، ويتم إضافة هذه إلى 1 و2، فينتج 10، العدد الأعظم

من كل الأشياء، النموذج الأصلي للكون. كانت العوالم الثلاثة تسمى أوعية، الأول هو وعاء المبادئ، والثاني هو وعاء الذكاء، والثالث، أو الأدنى، هو وعاء الكميات.

اعتبر فيثاغورث، والمفكرون اليونان من بعده، المجسمات الصلبة المتناظرة ذات أهمية قصوى؛ فلكي تكون متماثلة أو منتظمة تماماً، يجب أن يكون لها عدد متساوٍ من الوجوه تلتقي في كل من زواياها، ويجب أن تكون هذه الوجوه مضلعات منتظمة متساوية، أي هي الأشكال التي تكون أضلاعها وزواياها متساوية. وربما يرجع الفضل إلى فيثاغورث بالاكتشاف العظيم بأن هناك خمسة فقط من هذه المجسمات المتناظرة.

\*\*\* الآن، يعتقد اليونانيون أن العالم [الكون المادي] يتكون من أربعة عناصر - الأرض والهواء والنار والماء - وبشكل لا مفر منه وصل العقل اليوناني للاستنتاج بأن أشكال جسيمات العناصر كانت مجسمات صلبة متناظرة. فكانت جزيئات الأرض مكعبة، فالمكعب هو المادة الصلبة العادية التي تمتلك أكبر قدر من الاستقرار؛ وكانت جزيئات النار رباعية الاسطح؛ لأنه الأبسط، وبالتالي الأخف وزناً؛ وكانت جزيئات الماء عشرينية السطوح للسبب المعاكس تماماً؛ بينما كانت جزيئات الهواء، كوسيط بين العنصرين الأخيرين، ثمانية السطوح. كان متعدد السطوح الاثنا عشري، بالنسبة لهؤلاء الرياضيين القدماء، الأكثر غموضاً بين الأجسام المتناظرة؛ حيث كان من الصعب بناءه، فقد احتاجوا لرسم دقيق للخماسي المنتظم الذي يتطلب تطبيقاً متقناً لنظرية فيثاغورث العظيمة؛ ومن هنا استنتجوا، كما قال أفلاطون، أن (متعدد السطوح الاثنا عشري) هو الذي استخدمه الإله في تتبع خطة الكون". ستانلي؛ معتقدات الوثنيين.

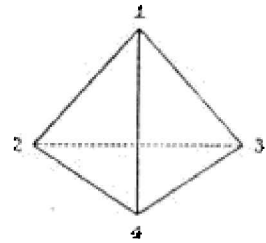
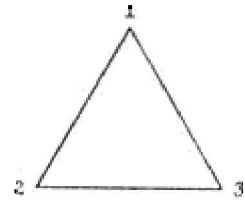
لم يشير ستانلي للعنصر الخامس في الأسرار القديمة، والذي سيجعل التشابه بين المجسمات المتناظرة والعناصر كاملاً. دعي هذا العنصر الخامس، أو الأثير، من قبل الهندوس أكاسا؛ وكان مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بالأثير الافتراضي للعلم الحديث، وهو المادة المتداخلة التي تتخلل جميع العناصر الأخرى وتعمل كمذيب مشترك وقاسم مشترك لها. كما يشير (متعدد السطوح الاثنا عشري) بمهارة إلى اثني عشر خالداً والذين ظهروا على سطح الكون، وأيضاً إلى التلايف الاثني عشر للدماغ البشري - مراكب هؤلاء الخالدين في طبيعة الإنسان.

ويروى أن أحد السادة الفيثاغورثيين، وبعد أن شرب من نبع معين في أحد الأيام، أعلن أن روح الماء قد توقعت للتو حدوث زلزال كبير؛ وفي اليوم التالي - تحققت النبوءة. من المحتمل جداً أن يكون فيثاغورث قد امتلك قوة منومة، ليس فقط على الإنسان ولكن أيضاً على الحيوانات؛ فقد تسبب في قيام طائر بتغيير مسار رحلته، كما أوقف دبا عن تخريبه للمزارع، وجعل ثوراً يغير نظامه الغذائي، من خلال ممارسة التأثير العقلي. كما وهب أيضاً البصيرة الثاقبة، حيث كان قادراً على رؤية الأشياء عن بعد ووصف الأحداث التي لم تتحقق بعد بدقة.

وعلى حين أن فيثاغورث، وفقاً لآخرين عاصروه، قد مارس العرافة (ربما الحسابية)، فلا توجد معلومات دقيقة بشأن الأساليب التي استخدمها. ويعتقد أنه امتلك عجلة مميزة، يمكن من خلالها التنبؤ بالأحداث المستقبلية، كما تعلم ميكانيكا السوائل من المصريين. وكان يعتقد أن النحاس لديه قوى تنبؤية، شفوية، لأنه حتى عندما كان كل شيء ثابتاً، كان هناك دائماً صوت هدير في الأوعية النحاسية. وقد أقام ذات مرة صلاة لروح نهر؛ فخرج من الماء صوت قال فيثاغورث أحبيك. وقيل أنه كان قادراً على التسبب في دخول الشياطين في الماء وتعكير سطحه، ومن خلال هذه الاستثارات توقع بعض الأشياء.

1

1 ————— 2



علاقة الشكل والرقم

علم فيثاغورث أن النقطة ترمز إلى قوة الرقم 1، والمستقيم إلى قوة الرقم 2، والسطح لقوة الرقم 3، والمجسم لقوة الرقم 4.

## رموز أقوال فيثاغورث

جمع امبليخوس تسعةً وثلاثين من الأقوال الرمزية لفيثاغورث وفسرها؛ وقام توماس تايلور بترجمتها من اليونانية. كان المثل الحكيم أحد الأساليب المفضلة للتعليم المستخدمة في جامعة فيثاغورث في كروتونا. ستجد عزيزي القارئ أدناه عشرة من أكثر هذه الأمثال شهرة، مع توضيح موجز لمعانيها المخفية.

i. اترك الطرق العامة، وامش في دروب منعزلة. بهذا يجب أن نفهم أن أولئك الذين يرغبون في الحكمة يجب أن يبحثوا عنها في عزلة.

ii. تحكم في لسانك قبل كل شيء، متبعاً الآلهة. يحذر هذا القول المأثور الرجل من أن كلماته، بدلاً من تمثيله، ستسيء تمثيله، وأنه عندما يشك فيما يجب أن يقول، يجب أن يبقى صامتاً دائماً.

iii. إذا هبت الريح، فتعشق الصوت. يذكر فيثاغورث تلاميذه أن صوت الإله يسمع في صدى العناصر، وأن جميع الأشياء في الطبيعة تظهر بالانسجام أو الإيقاع أو النظام أو لأمر الإله.

iv. ساعد صديقك في تحمل أعبائه؛ ولكن لا تساعد في إزاحتها. يُطلب من الطالب مساعدة المجتهد ولكن ليس مد يد العون لأولئك الذين يسعون إلى التهرب من مسؤولياتهم، لأنه من الخطايا العظيمة تشجيع الخمول.

.v لا نتحدث في شؤون فيثاغورث دون نور. لقد حذر العالم هنا من أنه لا ينبغي أن يحاول تفسير أسرار الإله وأسرار العلوم دون تنوير روحي وفكري.

.vi بعد أن تغادر منزلك لا تستدر، لأن الغضب سيكون مرافقك. يحذر فيثاغورث أتباعه بأن أي شخص يبدأ البحث عن الحقيقة، وبعد أن يتعلم شيئاً من الأسرار، فلا يثبطن من عزمته، ويحاول العودة مرة أخرى إلى طرق الرذيلة والجهل السابقة، لأنه سيعاني بشكل مؤلم؛ فمن الأفضل ألا تعرف شيئاً عن اللاهوت؛ من أن تتعلم قليلاً ثم تتوقف دون تعلم كل شيء.

.vii أطعم الديك، ولكن لا تضح به؛ لأنه مقدس للشمس والقمر. أخفي درسان رائعان في هذه الأمثال. الأول هو تحذير من ذبح الكائنات الحية قرايين للآلهة، لأن الحياة مقدسة ويجب على الإنسان ألا يتلفها، حتى كذبيحة للإله. والثاني يحذر الإنسان من أن جسد الإنسان المشار إليه هنا بالديك؛ مقدس للشمس (الإله) والقمر (الطبيعة)، ويجب حمايته والحفاظ عليه كأعلى وسيلة تعبير للإنسان؛ كما حذر فيثاغورث تلاميذه من الانتحار.

.viii لا تدخل السنونو إلى منزلك. هنا يحذر الباحث عن الحقيقة من السماح للأفكار المنجرفة، بولوج ذهنه؛ أو الأشخاص الجهلة بالدخول في حياته. يجب عليه أن يحيط نفسه بالمفكرين الملمهين بعقلانية والعاملين بوعي.

.ix لا تمد يدك اليمنى بسهولة لأي شخص. هنا يحذر التلميذ؛ كي يحفظ مشورته الخاصة، وعدم تقديم الحكمة والمعرفة (يده اليمنى) لغير القادرين على تقديرها. تمثل اليد هنا الحقيقة التي ستغضب أولئك الذين سقطوا بسبب الجهل. ولكن وبما أن العديد من الضالين لا يرغبون في الحكمة، فإنهم سيقطعون اليد الممدودة لهم بلطف. الوقت وحده يمكن أن يؤثر على خلاص الغوغاء الجهلة.

X. عند النهوض من ملأءات السرير، قم بلفها معاً واطمس انطباع الجسم. وجه فيثاغورث تلاميذه الذين استيقظوا من نوم الجهل إلى حالة اليقظة بالذكاء، للتخلص من ذكرياتهم عن ظلامهم الروحي السابق. فالرجل حكيم عندما يعبر، لا يترك وراءه أي شكل قد يستخدمه الآخرون الأقل ذكاءً، كقالب لصب الأصنام.

أشهر ما نسب لفيثاغورث الحكم الذهبية، ولكن فيما يتعلق بصحة هذا النسب؛ فهناك عنصر من الشك. تحتوي الحكم الذهبية على ملخص موجز لنظام الفلسفة الفيثاغورثي بأكمله؛ والذي يشكل أساس المذاهب التربوية لكرتونا، أو كما اشتهرت أكثر، المدرسة المائلة. تفتتح هذه الحكم بنصح القارئ بمحبة الإله، وتكريم الأبطال العظماء، واحترام الشياطين والعناصر الأساسية. ثم تحت الرجل على التفكير بعناية وبجدية فيما يتعلق بحياته اليومية، وتفضيل كنوز العقل والروح على مراكمة سلع الأرض. كما وعدت الحكم الرجل بأنه إذا ارتفع فوق طبيعته المادية الدنيا والتزم بضبط النفس، فسيكون مقبولاً في نهاية المطاف أمام الآلهة، وسيُعاد اتحادها معه، ليشارك في خلودها. (من المهم ملاحظة أن أفلاطون دفع ثمناً باهظاً لبعض مخطوطات فيثاغورث التي أنقذت من دمار كروتونا).



## الفلك الفيثاغورثي

وفقاً لفيثاغورث، تحدد مكان كل جسم في الكون؛ من خلال الكرامة الأساسية لذلك الجسم. كان المفهوم الشائع في عصره هو أن الأرض تحتل مركز النظام الشمسي؛ وأن الكواكب، بما في ذلك الشمس والقمر، تدور حول الأرض؛ وأن الأرض نفسها كانت مسطحة ومربعة. على عكس هذا المفهوم، وبغض النظر عن الانتقادات، أعلن فيثاغورث أن النار أهم العناصر؛ وأن المركز أهم جزء في الجسد؛ وتاماماً كما كانت نيران فيستا<sup>(1)</sup> في وسط كل منزل، لذا كان في وسط الكون مجال ملتهب من الإشعاع السماوي؛ هذا العالم المركزي سماه برج المشتري، كرة الوحدة، الموناد الكبير، ومذبح فيستا.

ونظراً لأن الرقم المقدس 10 يرمز إلى مجموع جميع الأجزاء واكتمال كل الأشياء، كان من الطبيعي أن يقسم فيثاغورث الكون إلى عشرة مجالات، ويرمز لها بعشر دوائر متحدة المركز. تبدأ هذه الدوائر في المركز بكرة النار الإلهية، ثم تأتي الكواكب السبعة والأرض وكوكب آخر غامض يسمى أنتيخثون، والذي لم يكن مرئياً أبداً. تختلف الآراء حول طبيعة هذا الكوكب؛ فيعتقد كليمنت الإسكندراني أنه يمثل كتلة السماوات؛ في حين رأى آخرون أنه يمثل القمر؛ لكنه على الأرجح، كان المجال الثامن الغامض للأقدمين، الكوكب المظلم الذي تحرك في نفس مدار الأرض ولكنه كان دائماً مخفياً عن الأرض بجرم الشمس، حيث يتعارض تماماً مع الأرض في جميع الأوقات. هل هذا هو ليليث الغامض الذي تكهن به المنجمون لفترة طويلة؟

(1) كانت النار المقدسة لفيستا؛ تشير للشعلة الأبدية المقدسة في روما القديمة.

قال إسحاق ماير: "يعتقد فيثاغورث أن كل نجم كان عالماً له مجالاته الخاصة، مع مدى هائل يحيط به، من الأثير".

كما كان تلاميذ فيثاغورث يقدسون كوكب الزهرة، لأنه كان الكوكب الوحيد المنير بما يكفي ليلقي الظل. كنجم الصباح، تكون الزهرة مرئية قبل شروق الشمس، ونجم المساء تنير فوراً بعد غروب الشمس؛ وبسبب هذه الصفات؛ أعطيت عدداً من الأسماء من قبل القدماء: فلأنها ترى في السماء عند غروب الشمس، كان يطلق عليها فيسبر، ولأنها ترى قبل شروق الشمس، كان يطلق عليها النور المزيف، نجمة الصباح، أو لوسيفر، ويعني حامل الضوء. وبسبب هذه العلاقة بالشمس، صار يشار إلى هذا الكوكب أيضاً باسم فينوس وعشتروت وأفروديت وإيزيس وأم الآلهة. ومن الممكن أنه وفي بعض مواسم السنة؛ وفي خطوط عرض معينة، يمكن اكتشاف حقيقة أن الزهرة قد تشاهد كهلال دون عون التلسكوب. وهذا يفسر الهلال الذي يُرى غالباً مع إلهات العصور القديمة، التي لا تتوافق قصصها مع مراحل القمر.

إن المعرفة الدقيقة التي امتلكها فيثاغورث بعلم الفلك؛ قد حصل عليها بلا شك في المعابد المصرية، لأن كهنتها قد فهموا العلاقة الحقيقية بين الأجسام السماوية منذ آلاف السنين قبل الكشف عن هذه المعرفة للعالم غير الجاهل. وحقيقة أن المعرفة التي اكتسبها في المعابد مكنته من تقديم تأكيدات تطلبت ألفي عام للتحقق منها؛ يثبت سبب تقدير أفلاطون وأرسطو بشدة لعمق الأسرار القديمة. في خضم الجهل بالعلم آنذاك؛ ودون مساعدة من أي أدوات حديثة، اكتشف الفلاسفة الكهنة الأساسيات الحقيقية لديناميكيا الكون.

وقد عثر على تطبيق مثير للاهتمام لعقيدة فيثاغورث بشأن المجسمات الهندسية كما شرحها أفلاطون في القانون. يقول مؤلفه المجهول:

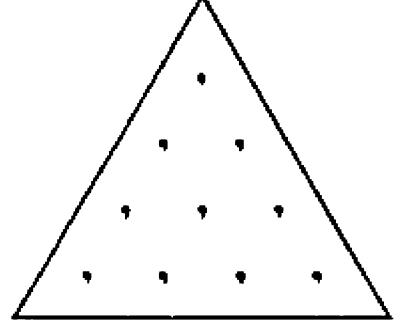
"جميع الفلاسفة القدامى تقريباً ابتكروا نظرية توافقية فيما يتعلق بالكون، واستمرت هذه الممارسة حتى اختفى النمط القديم للفلسفة".

كيبيلر (1596)، ولإظهار العقيدة الأفلاطونية، بأن الكون يتكون من المجسمات المتناظرة الخمس؛ اقترح القاعدة التالية. "الأرض هي دائرة، ومقياس كل شيء. وعلى مدارها، يوجد

مجسم اثني عشر مزدوج؛ والدائرة التي تحتوي على هذا ستكون المريخ؛ وعلى المدار مكعب؛ الكرة التي تحتويه ستكون المشتري. الآن لو مثلت الأرض بمجسم ذو عشرين وجهاً؛ فالدائرة ستحتوي الزهرة؛ الزهرة؛ لو مثلت بمجسم ثماني الوجوه؛ فالدائرة فيه ستحتوي عطارد."

بالطبع لا يمكن أن تؤخذ هذه القاعدة على محمل الجد كبيان حقيقي لنسب الكون، فهي لا تحمل أي تشابه حقيقي مع النسب التي نشرها كوبرنيكوس في بداية القرن السادس عشر؛ ومع ذلك، كان كيبلر فخوراً جداً بصيغته، وقال إنه يقدرها أكثر من إمارة ساكسونيا. كما تمت الموافقة عليها من قبل هذين المرجعين البارزين، تيخو<sup>(1)</sup> وغاليليو، اللذان فهما بوضوح تلك الصيغة. لم يقدم كيبلر نفسه أبداً أدنى تلميح للكيفية التي يجب بها تفسير صيغته الثمينة. "فعلم الفلك الأفلاطوني لم يكن معنياً بالدستور المادي للأجرام السماوية، لكنه اعتبر النجوم والكواكب في المقام الأول كنقاط محورية للذكاء الإلهي. فإذا كان الفلك الفيزيائي يعتبر علم "الظلال" فإن علم الفلك الفلسفي يعد علم "الحقائق".

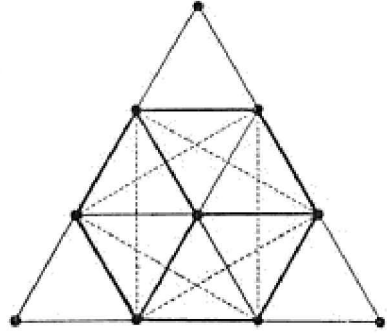
(1) تيخو براهي فلكي دنماركي (1546. 1601)



### النقاط العشرة

يقول ثاون<sup>(1)</sup> الأزميري أن النقاط العشر، أو **tetractys** حسب فيثاغورث، كانت رمزاً ذا أهمية قصوى، لأنها كشفت سر الطبيعة العالمية للعقل المميز. أقسم الفيثاغورثيين اليمين التالي: "نقسم بذاك الذي أعطى روحنا العشر نقاط، والتي فيها ينبوع وجذر الطبيعة النابضة."

(1) ثَاوُن الأَزْمِيرِي ( عاش في بداية القرن الثاني بعد الميلاد ) فيلسوف أفلاطوني ورياضي وفلكي.



### المكعب والنجم

إذا وصلنا النقاط العشر، ستتشكل تسعة مثلثات؛ وتشارك ستة منها في تشكيل المكعب. تكشف المثلثات نفسها، عندما ترسم الخطوط بينها بشكل صحيح، عن النجم السداسي مع نقطة في المنتصف. استخدمت فقط سبع نقاط في تشكيل المكعب والنجم. حسب القبالا، تمثل نقاط الزاوية الثلاث غير المستخدمة الطبيعة السببية الثلاثة غير المرئية للكون، على حين أن النقاط السبع المشاركة في المكعب والنجم هي إلهيم - أرواح الفترات الإبداعية السبع. السبت، أو اليوم السابع، هو النقطة المركزية.



## الجسم البشري في الرمزية

الرمز الأكبر والأعمق والأكثر شمولية بين جميع الرموز هو جسم الإنسان. اعتبر الإغريق والفرس والمصريون والهندوس أن التحليل الفلسفي لطبيعة الإنسان الثلاثية جزء لا غنى عنه من التدريب الأخلاقي والديني. كما علّمت أسرار كل أمة أن قوانين وعناصر وقوى الكون مجسدة في الدستور البشري؛ وأن كل شيء موجود خارج الإنسان له نظير داخل الإنسان. كما عده الأقدمون كالكون، فحجمه لا يقاس، ولا يمكن تصور عمقه، فكان أبعد من تقدير البشر. حتى الآلهة نفسها لا يمكن أن تفهم إلا جزءاً من المجد الذي لا يمكن الوصول إليه والذي كان الجسد مصدره. عندما يتخلله مؤقتاً حماس إلهي، فقد يتجاوز الإنسان لبرهة وجيزة حدود شخصيته، وينظر جزئياً إلى ذاك السطوع السماوي الغامر لكل الخليقة. ولكن حتى في أعظم فترات تنوره، لا يستطيع الإنسان أن يطبع على جوهر روحه العقلانية صورة مثالية للتعبير عديد الأشكال للنشاط السماوي.

إدراكاً لعقم محاولة التأقلم فكرياً مع ما يتجاوز فهم الكليات العقلانية، نقل الفلاسفة الأوائل انتباههم من الألوهية التي لا يمكن تصورها نحو الإنسان نفسه؛ حيث عثروا في الحدود الضيقة لطبيعته على كل تجليات الأسرار الخارجية للمجالات. وكنمو طبيعي لهذه الممارسة، اصطنع نظام لاهوتي سري اعتبر فيه الإله الرجل العظيم، وعلى العكس من ذلك، اعتبر الرجل الإله الصغير. استمرراً لهذا التشبيه، كان يُنظر إلى الكون على أنه رجل، وعلى العكس من ذلك، نُظر إلى الإنسان ككون مصغر. كان الكون الأكبر يُسمى العالم الكبير - العالم العظيم أو الجسد - وكانت الحياة الإلهية أو الكيان الروحي الذي يتحكم في وظائفه يسمى

ماكروبروسفوس؛ وأطلق على جسد الإنسان، أو الكون البشري الفردي، العالم المصغر، وكانت الحياة الإلهية أو الكيان الروحي الذي يتحكم في وظائفه تسمى مايكروبروسفوس. كانت الأسرار الوثنية معنية في المقام الأول بإرشاد المبتدئين للعلاقة الحقيقية القائمة بين العالم الكبير والعالم الصغير - وبعبارة أخرى، بين الرب والإنسان. وبناءً على ذلك، فإن مفتاح هذه المقارنات بين أجهزة ووظائف الرجل (الكون الأصغر) وتلك التي يمتلكها الكون الأكبر يشكل أهم حيازة للمبتدئين.

تلخص بلافاتسكي في الكشف عن إيزيس، المفهوم الوثني للإنسان على النحو التالي:

" الإنسان هو عالم صغير - صورة مصغرة داخل الكون العظيم. يعلق مثل الجنين بأرواحه الثلاثة، في مصفوفة الكون الكبير، وفي حين يحتفظ جسده الأرضي بتعاطف دائم مع أرضه الأم، فإن روحه النجمية تعيش في انسجام مع أنيما موندي الفلكية. فهو فيها، كما هي فيه، فالعنصر المنتشر في العالم يملأ كل الفضاء، وهو الفضاء نفسه، بلا حد ولا نهاية له. أما بالنسبة لروحه الثالثة، الإلهية، فما هي إلا شعاع لا متناه، وهي واحدة من عدد لا يحصى من الإشعاعات التي تنبع مباشرة من السبب الأعلى - النور الروحي للعالم. هذا هو ثالث الطبيعة العضوية وغير العضوية - الروحية والمادية، التي هي ثلاثة في واحد، والتي يقول برقلس عنها: الموناد الأول هو الإله الأبدي؛ والثاني الأبدية؛ والثالث نموذج الكون أو نمطه؛ الثلاثة يشكلون الثالث العاقل."

قبل زمن طويل من إدخال عبادة الأصنام في الدين، تسبب الكهنة في وقت مبكر في وضع تمثال رجل داخل حرم المعبد. يرمز هذا الشكل البشري إلى القوة الإلهية في جميع مظاهرها المعقدة. وهكذا قبل كهنة العصور القديمة الإنسان ككتاب لهم، ومن خلال دراسته تعلموا فهم الأسرار الأكبر والأكثر تعقيداً للمخطط السماوي الذي كانوا جزءاً منه. وليس من المستبعد أن يكون هذا الشكل الغامض الذي يقف على المذابح البدائية مصنوعاً على شكل الرجل، وبرمزية المدارس السرية، غطي إما بالهيوغليفيه المنحوتة أو المرسومة. وقد يكون التمثال قد فُتح، مما يوضح المواضع النسبية للأعضاء والعظام والعضلات والأعصاب والأجزاء الأخرى. بعد سنين من البحث، أصبح التمثال كتلة من الهيوغليفيه المعقدة



والرمزية. كل جزء له معناه السري؛ حيث شكلت قياساته معياراً أساسياً يمكن من خلاله قياس جميع أجزاء الكون. لقد كان شعاراً مجيداً لكل المعارف التي يمتلكها الحكماء والهيروфан.

ثم جاء عصر الوثنية. فانحطت الأسرار من الداخل؛ وضاعت ولم يعرف أحد هوية الرجل الغامض الذي وقف على المذبح. ذكر فقط أن هذا التمثال كان رمزاً مقدساً مجيداً للقوة العالمية، وأنه - أخيراً نظر إليه على أنه إله - الشخص الذي تم صنع الرجل على صورته. بعد أن فقدوا معرفة الغرض الذي بني منه التمثال، عبد الكهنة هذه الدمي، ولأنهم افتقدوا الفهم الروحي؛ انهار المعبد أنقاضاً على رؤوسهم، وتحطم التمثال مع الحضارة التي نسيت مغزاها.

انطلاقاً من هذا الافتراض؛ لعلماء اللاهوت الأولين، بأن الإنسان قد صُمم في الواقع على صورة الرب، أقامت العقول المبتدئة من العصور الغابرة البنية الهائلة لللاهوتهم على أساس جسم الإنسان. ويكاد العالم الديني اليوم يجهل تماماً، حقيقة أن علم الأحياء هو ينبوع مذاهبه وعقائده. العديد من القوانين والأعراف التي اعتقد علم اللاهوت الحديث، أنها كشفت مباشرة من الرب، هي في الواقع ثمرة عصور من التعمق في دراسة تعقيدات الدستور البشري والعجائب اللاهائية التي كشفت عنها هذه الدراسة.

يمكن تتبع تشبيهه تشريحي في جميع الكتب المقدسة حول العالم تقريباً. وهذا أكثر وضوحاً في أساطير الخلق. لن يجد أي شخص على دراية بعلم الأجنة والتوليد صعوبة في التعرف على أساس المجاز المتعلق بآدم وحواء وحديقة عدن، والدرجات التسع للأسرار الإيلوسية، والأسطورة البراهمانية لتجسّدات فيشنو. قصة بيضة الكون، أسطورة غينونغاغاب<sup>(1)</sup> الاسكندنافية (الشق المظلم في الفضاء الذي تزرع فيه بذرة العالم)، واستخدام الأسماك كرمز لقوى التوالد - حيث تظهر جميعها الأصل الحقيقي للتكهنات اللاهوتية. أدرك فلاسفة

(1) غينونغاغاب أو جنون جاجاب، الغينونغاغاب ويعني الاسم "المتراخي فراغا" في كونيات الميثولوجيا الإسكندنافية، هو الفراغ البدائي الذي يفصل النيفلهم أرض الجليد الأبدي والثلج الدائم، عن الموسبيل أرض الحرارة الأبدية واللهيب الدائم. وهو الهوة الأصلية الأولى - في الأساطير الاسكندنافية - التي ولد فيها العملاق الأول يامير، وهي نفسها الهوة التي ذبحه فيها الآلهة: أودين، وفيلي، وفيه ومن جسد "يامير" تشكلت الأرض.

العصور الغابرة أن الإنسان نفسه كان مفتاح لغز الحياة، لأنه كان الصورة الحية للخطة الإلهية، وفي العصور القادمة ستدرك البشرية أيضاً بشكل كامل الاستخدام الجليل لهذه الحكمة القديمة:

"الدراسة الصحيحة للبشر هي الإنسان".

لكل من الرب والإنسان دستور مزدوج، الجزء العلوي منه غير مرئي والجزء السفلي مرئي. في كلاهما هناك أيضاً مجال وسيط، يشير إلى النقطة التي تلتقي فيها هذه الطبائع المرئية وغير المرئية. وبينما تتحكم الطبيعة الروحية للإله في شكله العالمي الموضوعي - الذي هو في الواقع فكرة متبلورة - كذلك فإن الطبيعة الروحية للإنسان هي السبب غير المرئي وقوة التحكم في شخصيته المادية المرئية. وهكذا يتضح أن روح الإنسان تحمل نفس العلاقة بجسده المادي الذي يحمله الرب للكون الموضوعي. علّمت الأسرار أن الروح، أو الحياة، كانت سابقة للتشكل وأن ما هو سابق يشمل كل ما هو لاحق. وكون الروح مقدمة للشكل، يتم بالتالي تضمين الشكل في عالم الروح. وذلك اعتقاد شائع أن روح الإنسان داخل جسده. لكن وفقاً لاستنتاجات الفلسفة واللاهوت، فإن هذا الاعتقاد خاطئ، لأن الروح تحدد أولاً منطقة ثم تظهر في داخلها. من الناحية الفلسفية، الشكل، كونه جزءاً من الروح، هو داخل الروح؛ لكن الروح هي أكثر من مجموع الشكل، لأن الطبيعة المادية للإنسان هي بالتالي ضمن مجموع الروح، لذا فإن الطبيعة العالمية، بما في ذلك النظام الفلكي بأكمله، تقع في جوهره المنتشر - الروح العالمية.

ووفقاً لمفهوم آخر للحكمة الغابرة، فإن جميع الأجسام - سواء كانت روحية أو مادية - لها ثلاثة مراكز، يطلق عليها اليونان المركز العلوي، المركز الأوسط، والمركز السفلي؛ ويلاحظ هنا غموض واضح. لكن من المستحيل رسم أو ترميز الحقائق العقلية المجردة بشكل كافٍ، لأن التمثيل التخطيطي لجانب واحد من العلاقات الميتافيزيقية قد يجلب تناقضاً فعلياً مع بعض الجوانب الأخرى. ما يكون في الأعلى يعتبر بشكل عام متفوقاً في الكرامة والقوة، لكن في الواقع ما هو في المركز هو أسمى وأقوى مما هو أعلاه وأدناه. لذلك، يجب أن يقال أن الأول - الذي

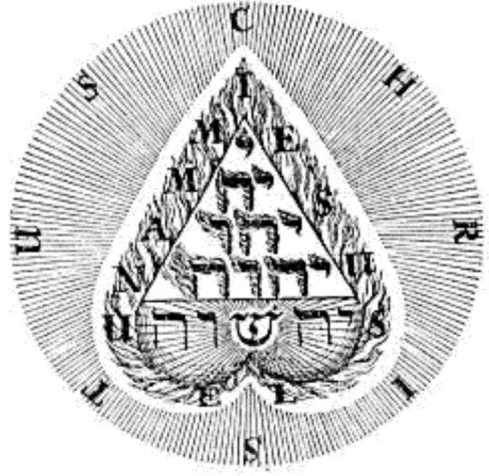
يعتبر أعلى - هو في الواقع في المركز، في حين أن كلاهما (الذي يقال أنهما أعلى أو أسفل) في الواقع في الأسفل. يمكن تبسيط هذه النقطة بشكل أكبر إذا كان القارئ سيأخذ في الاعتبار، أن أعلى تشير إلى درجة القرب من المصدر وأدنى تشير إلى البعد عن المصدر، وأن المصدر يوضع في المركز الفعلي والمسافة النسبية هي النقاط المختلفة على طول نصف القطر من المركز نحو المحيط. في الأمور المتعلقة بالفلسفة واللاهوت، يمكن اعتبار الأعلى باتجاه المركز والأدنى هو نزول نحو المحيط. المركز روح؛ والمحيط مادة. لذلك، فالأعلى هو الواصل نحو الروح على طول مقياس الروحانية الصاعدة؛ والأسفل هو الواصل نحو المادة على طول مقياس الأهمية المادية الصاعدة. يتم التعبير عن المفهوم الأخير جزئياً بقمة المخروط، فعند النظر إليه من الأعلى، يُرى كنقطة في المركز الدقيق للمحيط الذي تشكله قاعدة المخروط.

تمثل هذه المراكز العالمية الثلاثة - المركز العلوي، والمركز السفلي، والرابط الذي يوحدھا - ثلاث شمس أو ثلاثة جوانب لشمس واحدة - مراكز للسطوع. هذه أيضاً لها نظائرها في المراكز الكبرى الثلاثة لجسم الإنسان، والتي مثل الكون المادي هي اصطناع ديمورجوسي. يقول توماس تايلور:

"أول هذه [الشمس] مشابه للضوء عند رؤيته يشع من ينبوع الشمس؛ والثاني للضوء الذي يتدفق على الفور من الشمس؛ والثالث للروعة التي يوصلها هذا الضوء للمخلوقات الأخرى".

بما أن المركز الأعلى (أو الروحي) يقع في الوسط بين الاثنين الآخرين، فإن نظيره في الجسم المادي هو القلب - العضو الأكثر روحانية وغموضاً في جسم الإنسان. يرتفع المركز الثاني (أو الرابط بين العالمين الأعلى والأدنى) إلى موقع أعظم كرامة جسدياً - الدماغ. المركز الثالث (أو الأدنى) يُحال إلى موضع أقل كرامة جسدياً ولكن له أهمية بدنية أكبر - جهاز التكاثف. فهكذا يعد القلب مصدر الحياة رمزياً؛ أما الدماغ فهو الرابط الذي تتحد من خلاله - بالذكاء العقلاني - الحياة والمادة؛ وجهاز التكاثف - أو الخالق الفردي - مصدر تلك القوة التي يتم من خلالها إنتاج الكائنات الحية. تعتمد مُثل الفرد وتطلعاته إلى حد كبير على أيّ من مراكز القوة الثلاثة هذه هي الغالبة في نطاق ونشاط التعبير. عند المادي، يكون المركز السفلي هو الأقوى،

عند المفكر هو الوسط الأعلى؛ ولكن عند المبتدئ يكون المركز الأوسط - من خلال امتزاج الطرفين في طوفان من النفوذ الروحي - هو الذي يتحكم في كل من العقل والجسد.



### يهوه في قلب الرجل

من كتاب يعقوب بوهمه الاعتذار

يتم ترتيب التيتراغراماتون، أو اسم الرب المكون من أربعة أحرف، كنقاط عشر داخل قلب الإنسان المقلوب. في الأسفل يظهر تحول اسم **Jehovah** إلى **Jehoshua** باكتمال الحرف العبري 75، شين. يمثل الرسم ككل عرش الإله وتراتبته داخل قلب الإنسان. في الجزء الأول من كتابه الاعتذار، يصف يعقوب بوهمه معنى الرمز: "لأننا نحن الرجال لدينا كتاب واحد مشترك يشير إلى الرب. كل واحد منا سيجد في نفسه اسم الرب الذي لا يقدر بثمن. حروفه هي لهيب حبه، الذي تكشف من قلبه باسم يسوع الذي لا يقدر بثمن. اقرأوا هذه الحروف في قلوبكم وأرواحكم وسيكون لديكم كتب كافية. جميع كتابات عيال الرب توجهكم إلى ذلك الكتاب الواحد، لأن فيه كل كنوز الحكمة. هذا الكتاب هو المسيح فيكم".

كما يشهد النور على الحياة - وهو مصدرها - كذلك يشهد العقل على الروح، والفعالية في مستوى منخفض لا تزال شاهدة على الذكاء. وهكذا يشهد العقل على القلب، في حين يشهد نظام التكاثر بدوره على العقل. وبناءً على ذلك، يرمز القلب إلى الطبيعة الروحية في الغالب؛ ويرمز للقوى الفكرية بالعين المفتوحة، ممثلة الغدة الصنوبرية أو العين الهائلة، أو جانوس<sup>(1)</sup> ذو الوجهين من الأسرار الوثنية؛ ويرمز لجهاز التكاثر بزهرة، أو عصا، أو كوب، أو يد.

وبينما اعترفت جميع الأسرار بالقلب كمركز للوعي الروحي، فإنها غالباً ما تجاهلت هذا المفهوم عمداً واستخدمت القلب بمعناه الغريب كرمز للطبيعة العاطفية، بهذا الترتيب كان المركز التكاثري يمثل الجسد المادي، القلب الجسم العاطفي، والدماغ الجسم العقلي. لقد كان الدماغ يمثل المجال العلوي، ولكن بعد مرور المبتدئين عبر الدرجات الدنيا، يتم إرشادهم إلى أن الدماغ هو وكيل اللهب الروحي الساكن في أعماق حجرات القلب. يكتشف دارس الباطنية أن القدماء، طالما لجأوا إلى حجب مختلفة، لإخفاء التفسيرات الحقيقية لأسرارهم، وكان استبدال الدماغ بالقلب أحد هذه الحجب. قدمت الدرجات الثلاث للأسرار القديمة، مع استثناءات قليلة، في غرف تمثل المراكز الثلاثة الكبرى للأجسام البشرية والعالمية. وإذا أمكن، كان المعبد نفسه يبني على شكل جسم الإنسان؛ حيث يدخل المرشح بين القدمين ثم يصل إلى أعلى درجة في النقطة المقابلة للدماغ.

وهكذا كانت الدرجة الأولى هي السر المادي ورمزها هو النظام التكاثري؛ وبعد ارتقاء المرشح خلال درجات مختلفة من التفكير الملموس، يُمنح الدرجة الثانية في الغرفة المقابلة للقلب، لكونها تمثل القوة الوسطى التي كانت الرابط العقلي. هنا يبدأ المرشح في اكتشاف أسرار الفكر التجريدي حتى يرتفع عالياً، وصولاً لمكان يستطيع فيه العقل الاختراق. ثم ينتقل إلى الغرفة

(1) جانوس، إله البوابات والمداخل والانتقالات والطرق والممرات والمخارج في الميثولوجيا الرومانية، هذا الإله له وجهين، وجه ينظر للمستقبل ووجه ينظر للماضي، هو الإله التقليدي لشهر يناير ويعتبر أصل اسمه، ويعتبر حسب الميثولوجيا حاسم للنزاعات والحروب والسلام.

الثالثة، التي تشبه الدماغ، والتي احتلت أعلى موضع في المعبد ولكنها، على غرار القلب، كانت أعظم كرامة. في غرفة الدماغ أُعطي سر القلب؛ وهنا استوعب البادئ لأول مرة معنى هذه الكلمات الخالدة: "كما يعتقد الرجل في قلبه، فهو كذلك". ونظراً لوجود سبعة قلوب في الدماغ، فهناك سبعة أدمغة في القلب، ولكن هذه مسألة في الفيزياء الفائقة لا يمكن قول الكثير عنها في الوقت الحاضر.

يكتب برقلس عن هذا الموضوع في الكتاب الأول من كتاب لاهوت أفلاطون:

"في الواقع، يلاحظ سقراط في ألكيبيا<sup>(1)</sup> (الأول) حقاً، أن الروح التي تدخل في نفسها سترها كل الأشياء الأخرى، والإله نفسه. وهي ستجاوز اتحادها نفسه، وقلب كل الحياة، واضعة جانباً كل الحشود، وكل تنوع القوى التي تحويها، متسامية للأعالي وصولاً لأعلى برج مراقبة. وكما يقولون في أقدس الأسرار، يلتقي المنضوون في البداية مع الأشكال المتعددة، والأجناس متعددة الأشكال، التي تركع أمام الآلهة، ولكن عند دخول المعبد، دون تحريك، تحرسهم الطقوس السرية، فإنهم يتلقون بصدق في حضنهم الإلهي [القلب]، من تحت ثيابهم، كما يقولون، تنويراً ذا طبيعة إلهية؛ نفس الوضع كما يبدو لي، يحدث في تكهنات العامة. فالروح عندما تنظر إلى خلفية الأشياء نفسها، ترى الظلال وصور الكائنات، ولكن عندما تحول نفسها إلى نفسها، فهي تطور جوهرها الخاص، والأسباب التي تحتوي عليها. وبالفعل، هي فقط كما كانت ترى نفسها؛ ولكن عندما تخترق بشكل أعمق المعرفة في نفسها، تجد في نفسها كل الفكر وكل نظام الخلق. ومع ذلك، وعندما تغرق في معبدها الداخلي، حتى تصل إلى الحرم المقدس، فإنها ستبصر بعيونها المغلقة [دون مساعدة من العقل السفلي]، عبقرية

(1) ألكيبيا<sup>(1)</sup> (ولد 450 ق.م.؟ - توفي 404 ق.م.) رجل سياسة وخطيب وقائد عسكري إغريقي بارز من أثينا القديمة. ترك أثينا ولجأ إلى إسبرطة بعد أن اتهمه أعداؤه بتدنيس المقدسات، ومن إسبرطة انطلق للعمل كمستشار ومشرف على عدد من الحملات ضد أثينا. لكنه صنع أعداء أقوياء له في إسبرطة أيضاً ما اضطره للرحيل إلى بلاد فارس. وفي وقت لاحق نجح حلفاؤه في أثينا بدعوته للعودة، فعاد إلى أثينا حيث تولى قيادة الأسطول الأثيني فألحق الهزيمة بإسبرطة في معركتين بحريتين 411 - 410 ق.م. إلا أن مؤامرات خصومه في أثينا دفعت به مجدداً إلى المنفى عام 406 ق.م. حيث عاش في منفاه بقية حياته حتى تم اغتياله عام 404 ق.م.

الآلهة، وحدة الكائنات. فكل الأشياء فينا فيزيائياً، ومن خلال هذا نحن قادرون بشكل طبيعي على معرفة كل شيء، من خلال استثارة القوى والصور من الجموع التي نحتوي عليها".

حذر السادة القدامى تلاميذهم من أن الصورة ليست حقيقة، ولكنها مجرد تجسيد لفكرة ذاتية؛ لم تصور الآلهة أو تنحت لتكون أشياء للعبادة، ولكن يجب اعتبارها مجرد شعارات أو تذكير بالقوى والمبادئ غير المرئية. وبالمثل، يجب ألا يعتبر جسد الإنسان فرداً، ولكن فقط بيت للفرد، وبنفس الطريقة التي كان الهيكل بها بيت الرب، ففي حالة الجسد عند الانحراف، يكون هو قبر أو سجن المبدأ الإلهي؛ وفي حالة التفتح والتجديد، يكون بيت الإله أو ملجأه الذي صُنعت فيه قوته الإبداعية. تعلن الأسرار أن " الشخصية معلقة بخيط من طبيعة الكينونة ". الإنسان هو في الأساس مبدأ دائم وخالد؛ فقط جسده يمر عبر دورة الولادة والموت. الخالد هو الواقع؛ الفاني هو اللا واقع. خلال كل فترة يقضها الرجل في حياة على الأرض، يسكن الواقع في اللا واقع، ليتحرر منه مؤقتاً بالموت وبشكل دائم بالتنوير.

وعلى الرغم من اعتبارهم مشركين عموماً، فقد اكتسب الوثنيون هذه السمعة؛ ليس لأنهم يعبدون أكثر من إله واحد؛ بل لأنهم جسدوا صفات هذا الإله، وبالتالي خلقوا مجموعة من الآلهة الخلفية يظهر كل منها جزءاً مما أظهره الرب الواحد ككل. وبالتالي، فإن مختلف بانثيونات الآلهة في الديانات القديمة، تمثل بالفعل سمات الإله المفهرسة والمتجسدة. في هذا الصدد، وهي تتوافق مع التسلسل الهرمي للقبالا العبرانية. وبالتالي فإن جميع الآلهة والإلهات في العصور الغابرة، لها نظائرها في جسم الإنسان، وكذلك سنجد نظائر للعناصر والكواكب والأبراج، والتي عينت مناسبة لهذه الأشياء. فعينت أربعة مراكز في الجسم للعناصر، والأعضاء الحيوية السبعة للكواكب، والأعضاء الاثني عشر الرئيسية لتمثيل البروج السماوية، كما عينت الأجزاء غير المرئية من طبيعة الإنسان الإلهية لمختلف تنوعات الآلهة الهائلة، في حين أعلن عن الإله المخفي بنخاع العظام.





على السلاميات الاثني عشر للأصابع، تظهر صور الرسل، كل منها يحمل رمزه الخاص. في حالة الذين استشهدوا، يشير الرمز إلى أداة الموت. وهكذا، فإن رمز القديس أندرو هو صليب؛ ورمز القديس توما هو الرمح؛ أما القديس جيمس (يَعْقُوبَ الصَّغِيرِ) فالرمز هو المنشار؛ والقديس فيليب الصليب؛ القديس بَرْنُولْيَاوُسُ سكين كبير؛ القديس ماثيو (متى الإنجيلي) سيف أو رمح (أحياناً صرة مال)؛ القديس سيمون (سمعان) السيف؛ القديس ماتيئاس فأس. والقديس يهوذا تداوس، المطرد وهو سلاح قديم. أما الرسل الذين لا تشير رموزهم لوسيلة استشهادهم فهم القديس بطرس، الذي يحمل مفتاحين متقاطعين، أحدهما ذهبي والآخر فضي؛ القديس يعقوب الكبير، الذي يرتدي ثياب الحجيح ويحمل صدفة؛ والقديس يوحنا الذي يحمل كأساً خرج منه السم بأعجوبة على شكل ثعبان. إن صورة المسيح على السلامي الثانية من الإبهام؛ لا تتبع النظام الوثني بتعيين الشخص الأول من الثالوث الخلاق لهذا الموضع. الله الأب يجب أن يشغل السلامي الثانية، الله الابن السلامي الأولى، بينما الروح القدس مخصص له قاعدة الإبهام. أيضاً، ووفقاً للترتيب الفلسفي، يجب أن تحتل العذراء قاعدة الإبهام، المقدسة للقمر.

يصعب على الكثير إدراك حقيقة أنهم أكوان حقاً؛ وأن أجسادهم هي طبيعة مرئية، تتكشف من خلال بنية الموجات التي لا حصر لها من الحياة المتطورة، وإمكاناتها الكامنة. ولا يتطور فقط من خلال جسد الإنسان المادي، المعدن والنبات ومملكة الحيوان، ولكن يتطور أيضاً تصنيفات وتقسيمات غير معروفة للحياة الروحية غير المرئية. فمثلاً أن الخلايا هي وحدات متناهية الصغر في بنية الإنسان، فإن الإنسان هو وحدة متناهية الصغر في بنية الكون؛ وإن اللاهوت القائم على معرفة وتقدير هذه العلاقات هو صحيح تماماً.

بما أن جسد الإنسان المادي له خمسة أطراف متميزة ومهمة - ساقان وذراعان ورأس، يحكم آخرها الأربعة الأولى - فقد تم قبول الرقم 5 كرمز للإنسان. يرمز الهرم بأركانه الأربعة إلى الذراعين والساقين، وبقمته إلى الرأس، مما يشير إلى أن قوة عقلانية واحدة تتحكم في أربعة أركان غير عقلانية. كما تستخدم اليدان والقدمان لتمثيل العناصر الأربعة، فالقدمان هما الأرض والماء، واليدان هما النار والهواء؛ ثم يرمز الدماغ إلى العنصر الخامس المقدس الأثير الذي يتحكم ويوحد العناصر الأربعة الأخرى. إذا تم وضع القدمين معاً وانبسطة الأذرع، فإن الإنسان يرمز إلى الصليب؛ حيث الذكاء العقلائي كالرأس أو الطرف العلوي.

أما أصابع القدم فلها أيضاً أهمية خاصة؛ فهي تمثل الوصايا العشر للقانون الفيزيائي؛ وأصابع اليدين الوصايا العشر للقانون الروحي. وتمثل الأصابع الأربعة لكل يد العناصر الأربعة والسلامى الثلاث لكل إصبع تمثل تقسيمات العنصر، بحيث يوجد في كل يد اثني عشر جزءاً من الأصابع، والتي تشبه علامات البروج، في حين أن السلامى في كل إبهام وقاعدته تدل على إله ثلاثي. تتوافق السلامى الأولى مع جانب الخلق؛ والثانية مع الجانب الحافظ، والقاعدة مع الجانب التوالدي والمدمر. عندما تجمع اليدان، تكون النتيجة أربعة وعشرون شيخاً<sup>(1)</sup> وستة أيام من الخلق.

(1) الرؤيا 4:4 وحول العرش أربعة وعشرون عرشاً. وعلى العروش أربعة وعشرين شيخاً جالسين متسربلين بثياب بيض وعلى رؤوسهم أكاليل من ذهب.

كما ينقسم الجسم في الرمزية عمودياً إلى نصفين؛ النصف الأيمن يعتبر نوراً والنصف الأيسر يعد مظلماً. أما أولئك الجاهلون بالمعاني الحقيقية للنور والظلام، فالنصف المنير هو القوام الروحي، والنصف المظلم الأيسر هو المادي. النور هو رمز الموضوعي؛ والظلام رمز للشخصي؛ النور هو مظهر من مظاهر الحياة وبالتالي فهو تالٍ للحياة؛ أما ما هو أمام النور فهو الظلام، حيث يوجد النور مؤقتاً ولكن الظلام دائم. وبينما تسبق الحياة النور، فرمزها الوحيد هو الظلام، الذي يعتبر الحجاب الخافي للأبد الطبيعة الحقيقية للكون المجرد وغير المتميز.

في غابر العصور، حارب الرجال بيمنهم، ودافعوا عن المراكز الحيوية بأذرعهم اليسرى، والتي حملت الدرع الواقي. لذا اعتبر النصف الأيمن من الجسد هجومياً والنصف الأيسر دفاعياً؛ ولهذا السبب أيضاً اعتبر الجانب الأيمن من الجسم ذكورياً والجانب الأيسر أنثوياً. وترى عدة مراجع أن السيادة الحالية المهيمنة في العرق، هي ثمرة عادة ضبط اليد اليسرى لأغراض دفاعية. علاوة على ذلك، بما أن مصدر الوجود هو الظلمة البدائية التي سبقت النور، فإن الطبيعة الروحية للإنسان هي في الجزء المظلم من كيانه، لأن القلب في الجانب الأيسر.

بين المفاهيم الخاطئة الغربية الناشئة عن الممارسة الكاذبة لربط الظلام بالشر؛ هي التي استخدمت فيها اليد اليمنى لكل الأعمال الحسنة، واليد اليسرى فقط لتلك الأغراض التي وصفت بأنها غير نظيفة وغير مناسبة لتراها الآلهة. وللسبب نفسه، غالباً ما يُشار إلى السحر الأسود على أنه المسار الأيسر، ويقال أن الجنة على اليمين والجحيم على اليسار. كما أعلن بعض الفلاسفة أن هناك طريقتان للكتابة: واحدة من اليسار إلى اليمين، والتي اعتبرت الطريقة (الشعبية) البسيطة؛ والأخرى من اليمين إلى اليسار، والتي اعتبرت (خاصة) باطنية. كانت الكتابة البسيطة هي تمت في الخارج أو بعيداً عن القلب، بينما كانت الكتابة الباطنية - مثل العبرية القديمة - المكتوبة نحو القلب.

تعلن العقيدة السرية أن كل جزء وعضو في الجسم يتجسد في الدماغ، وبالتالي فإن كل ما في الدماغ يتلخص في القلب. في الرمزية، كثيراً ما يستخدم الرأس البشري لتمثيل الذكاء ومعرفة الذات. وبما أن جسم الإنسان في مجمله هو المنتج الأكثر شهرة لتطور الأرض، فقد استخدم لتمثيل اللاهوت - أعلى حالة يمكن تقديرها. غالباً ما يُظهر الفنانون، الذين يحاولون تصوير

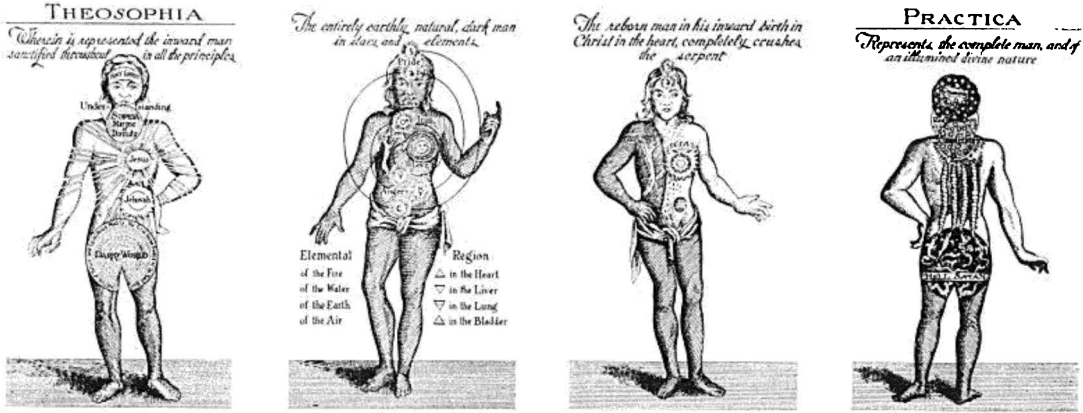
اللاهوت، يداً فقط تظهر من سحابة لا يمكن اختراقها؛ تدل السحابة على اللاهوت غير المعروف الذي أخفي عن الإنسان بسبب القيود البشرية؛ وتشير اليد إلى النشاط الإلهي، الجزء الوحيد من الرب الذي يمكن إدراكه للحواس السفلية.

يتكون الوجه من ثالوث طبيعي: العيون التي تمثل القوة الروحية التي تستوعب؛ الأنف الممثل للقوة الحافظة والحيوية؛ والفم والأذنين يمثلان قوة ديمورجوس المادية للعالم السفلي. المجال الأول موجود إلى الأبد وخلاق؛ المجال الثاني يتعلق بسر الخلق الخلاق؛ والمجال الثالث بالكلمة الخلاقة. بكلمة الرب صنع الكون المادي، وأصبحت القوى الخلاقة السبع - أصوات حروف العلة - التي ظهرت للوجود من خلال حديث الكلمة - اللاهوت السبعة أو الآلهة الذين من خلال قوتهم وخدمتهم انتظم العالم السفلي. في بعض الأحيان يرمز للإله بالعين ( الوعي الإلهي ) أو الأذن ( الاهتمام الإلهي ) أو الأنف ( الحيوية الإلهية ) أو الفم ( الأمر الإلهي ).

لم يعتقد القدماء أن الروحانية جعلت الناس أبراراً أو عقلانيين، ولكن البر والعقلانية بالأحرى جعلاً الرجال روحانيين. علّمت الأسرار أن التنوير الروحي لم يتحقق إلا من خلال جعل الطبيعة الدنيا تصل إلى مستوى معين من الكفاءة والنقاء؛ لذلك تأسست الأسرار لغرض الكشف عن طبيعة الإنسان وفقاً لقواعد ثابتة معينة، عندما تتبع بإخلاص، سترفع الوعي البشري إلى درجة جعله قادراً على معرفة دستوره والغرض الحقيقي من وجوده. وتشكل هذه المعرفة لكيفية إعادة كشف دستور الإنسان المتشعب؛ وصولاً للتنوير الروحية، العقيدة السرية أو الباطنية للعصور القديمة. بعض الأعضاء والمراكز المادية الظاهرة هي في الواقع حجاب أو أعماد المراكز الروحية؛ ولم يتم الكشف عما كانت هذه وكيف أمكن الكشف عنها لغير المبتدئين، لأن الفلاسفة أدركوا أنه وبمجرد أن يفهم العمل الكامل لأي نظام، يمكن للرجل أن يحقق غاية محددة دون أن يكون مؤهلاً للتحكم والسيطرة بالآثار الناتجة. ولهذا السبب فرضت فترات طويلة من الاختبارات، بحيث تبقى معرفة كيفية أن تصبح كالآلهة؛ ملكية حصرية لم تُستحق. ولثلاً تُفقد المعرفة، فقد أخفيت في الرموز والأساطير التي كانت لا معنى لها للبسطاء؛ ولكنها بديهة لأولئك المطلعين على نظرية الفداء الشخصي التي كانت أساس اللاهوت الفلسفي.

يمكن الاستشهاد بالمسيحية نفسها كمثال؛ فالعهد الجديد بأكمله هو في الواقع عرض مخفي بشكل مبدع للعمليات السرية للتجدد البشري. فالشخصيات التي طالما اعتبرت على أنها رجال ونساء وجدوا في التاريخ؛ هي في الواقع تجسيد لعمليات معينة تحدث في جسم الإنسان عندما يبدأ الرجل مهمة تحرير نفسه بوعي من عبودية الجهل والموت. والملابس والزخارف التي من المفترض أن ترتديها الآلهة هي أيضاً مفاتيح، لأن ملابس الأسرار تعتبر مرادفة للشكل؛ فجري تحديد درجة الروحانية أو المادية للكائنات الحية من خلال جودة الملابس التي ترتدي وجمالها وقيمتها. والجسد المادي للإنسان كان ينظر إليه على أنه رداء لطبيعته الروحية؛ وبالتالي، كلما كانت قواه أكثر تطوراً؛ بان ذلك في ملابسه. وبالطبع فالملابس وجدت في الأصل للزينة لا الحماية، ولا تزال هذه الممارسة سائدة بين العديد من الشعوب البدائية. لقد اكتشفت الأسرار أن زينة الإنسان الوحيدة هي فضائله وخصائصه الجديرة بالثناء؛ فهو يرتدي إنجازاته الخاصة وتزينه أفعاله. وهكذا كان الرداء الأبيض رمزاً للنقاء، والأحمر للتضحية والحب، والأزرق للإيثار والنزاهة. وبما أنه قد قيل أن الجسد رداء الروح، فقد صُورت التشوهات الفكرية أو الأخلاقية على أنها تشوهات في الجسد.

بالنظر إلى جسد الإنسان كقاعدة لقياس الكون، أعلن الفلاسفة أن كل الأشياء تشبه في الدستور - إن لم يكن في الشكل - جسم الإنسان. على سبيل المثال، أعلن اليونان أن دلفي سرّة الأرض، لأنه كان يُنظر للكوكب المادي على أنه إنسان عملاق ملتوٍ على شكل كرة. وفي تناقض مع اعتقاد العالم المسيحي بأن الأرض شيء جامد، اعتبر الوثنيون بأنه ليست الأرض فقط؛ ولكن جميع الأجسام الفلكية أيضاً؛ مخلوقات فردية تمتلك ذكاءً فردياً؛ وقد ذهبوا إلى حد النظر إلى ممالك الطبيعة المختلفة ككيانات فردية. فالمملكة الحيوانية، على سبيل المثال، كان ينظر إليها على أنها كائن واحد - مركب من جميع المخلوقات التي تؤلف تلك المملكة؛ وكان هذا الوحش النموذجي تجسيدا فسيفسائياً لجميع الزعزعات الحيوانية؛ وضمن طبيعته كان العالم الحيواني بأكمله موجوداً حيث توجد الأنواع البشرية في دستور آدم النموذجي.



### الحياة الثالثة للرجل الداخلي

قام يوهان جورج جيشتيل، الفيلسوف والمتصوف والأكثر تنوراً بين تلاميذ يعقوب بوهمه؛ بتوزيع الرسوم أعلاه سرّاً بين مجموعة صغيرة من الأصدقاء والطلاب المخلصين. أعاد يوهان نشر كتابات بوهمه، موضحاً لهم العديد من الشخصيات المميزة. وفقاً له؛ فإن الأشكال أعلاه، تمثل تشرح الرجل الإلهي (أو الداخلي)، وتوضح صورتها خلال حالاتها البشرية والوحشية والإلهية. لكنه لا يقدم وصفاً تفصيلياً لتلك الأشكال، والجميل على المخططات هنا؛ مترجمة من الألمانية وهي الدليل الوحيد لتفسير هذه الرسوم.

يمثل الشكلان الأخيران المنظر المواجه ومعاكسه؛ لنفس الصورة ويطلق عليهما الجدول الثالث. وهي " مصممة لإظهار حالة الرجل ككل، بالنسبة لجميع الأجزاء الثلاثة الأساسية، الروح، والجسد، في حالته المتجددة ". الشكل الثالث من اليساري الجدول الثاني، ويحدد " حالة الإنسان في وضعه القديم المهار والفاقد؛ بدون أي احترام أو نظري في تجده ". الشكل الثالث مع ذلك، لا يتوافق مع الجدول الأول لقانون ويليام. من المفترض أن يمثل الجدول الأول حالة الإنسانية قبل السقوط، ولكن لوح جيشتيل يتعلق بحالة البشرية الثالثة أو المتجددة. ذلكم كيف يصف ويليام لو الغرض من الصور ورموزها.

بنفس الطريقة، اعتبرت الأجناس والأمم والقبائل والأديان والدول والمجتمعات والمدن كيانات مركبة، تتكون كل منها من عدد مختلف من الوحدات الفردية؛ فكل مجتمع هو شخصية فردية؛ هي مجموع المواقف الفردية لسكانه. وكل دين هو فرد يتكون جسمه من تسلسل هرمي ومجموعة كبيرة من العابدين الأفراد؛ ويمثل تنظيم أي دين جسده المادي، وأفراده هم خلاياه الحية المشكلة لهذا الكائن الحي. وبالتالي، فإن الأديان والأجناس والمجتمعات - مثل الأفراد - تمر عبر أعمار شكسبير السبع<sup>(1)</sup>، لأن حياة الإنسان هي معيار يتم من خلاله تقدير مدى استمرارية كل الأشياء.

وفقاً للعقيدة السرية، فإن الرجل ومن خلال الإصلاح التدريجي لوسائله؛ والحساسية المتزايدة الناتجة عن ذلك التحسن، يتغلب تدريجياً على قيود المادة ويفصل نفسه عن كنهه البشري؛ لكن عندما تكمل الإنسانية تطورها الجسدي، ستستخدم موجات الحياة الأخرى القشرة الفارغة التي تركتها وراءها كمراكز انطلاق لتحررها؛ فاتجاه النمو التطوري للإنسان هو دائماً نحو الذات الأساسية. إذن وعند نقطة المادة العميقة، يكون الإنسان على مسافة من نفسه. وفقاً للتعاليم السرية، فليست كل الطبيعة الروحية للإنسان تتجسد في المادة؛ حيث تظهر روح الإنسان بشكل رمزي كمثلث متساوي الأضلاع مقلوب قاعدته للأعلى ورأسه للأسفل. هذه النقطة الدنيا، التي تمثل ثلث الطبيعة الروحية ولكن مقارنة مع كرامة النقاط الأخرى، فهي أقل بكثير من الثلث، وتنحدر إلى وهم الوجود المادي لفترة قصيرة من الزمن. فذلكم الذي لا يلبس لبوس المادة هو شبيه الإنسان ( أنثروبوس<sup>(2)</sup> ) الهرمي - فوق

(1) مأخوذ من مسرحية كما تشاء التي كتبها شكسبير، وفي أحد مشاهدتها يعرض المراحل التي يمر بها الرجل خلال حياته؛ وقد استهوت الفكرة الرسامين طويلاً.

(2) الأنثروبوس في التعاليم الباطنية، هو أول رجل وله أسماء أخرى.

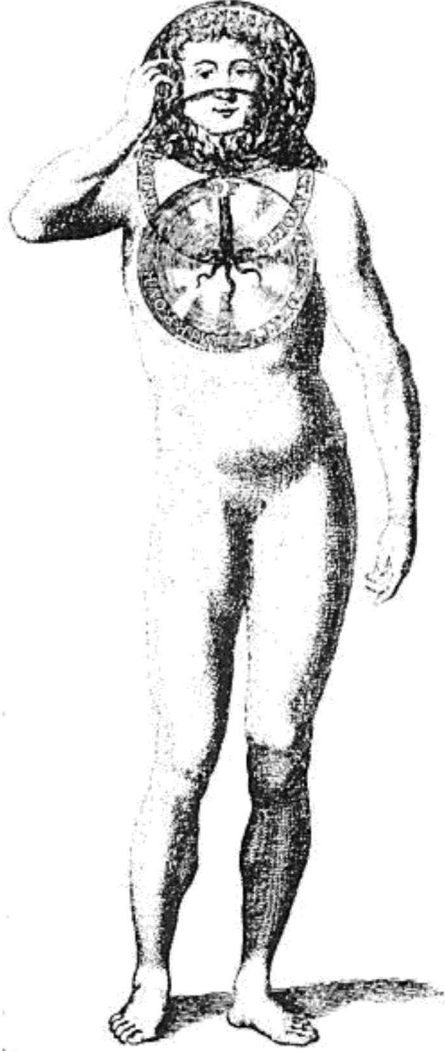


الانسان<sup>(1)</sup> - المماثل للسايبكلوب أو الشيطان الحارس عند اليونان، ملاك يعقوب بهمه، وفوق الروح عند ايمرسون؛ " تلك الوحدة، الروح العليا تلك، التي تحوي كل الرجال، لتجعلهم شيئاً واحداً ".

عند الولادة، فقط جزء ثالث ينفصل مؤقتاً من الطبيعة الإلهية للإنسان؛ عن خلوده الخاص ويأخذ على عاتقه حلم الولادة الجسدية والوجود؛ محرراً بحماسة السماوي الحامل للعناصر المادية، ذلك الجزء من المجال المادي. عند الموت يستيقظ هذا الجزء المتجسد من حلم الوجود المادي؛ ويعيد توحيد نفسه مرة أخرى مع حالته الأبدية؛ ويسمى هذا النزول الدوري للروح إلى المادة؛ عجلة الحياة والموت. وسمى الفلاسفة المبادئ المعنية بهذا الشأن؛ الميتافيزيقيا.

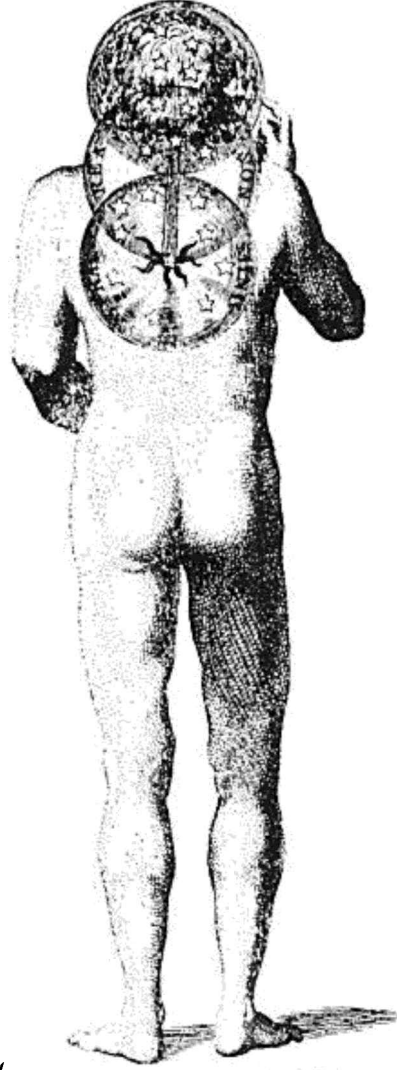
من خلال البدء في الأسرار مع عملية معينة تُعرف باللاهوت المنطقي، يجري تجاوز قانون الولادة والموت هذا، فخلال مسار الوجود المادي يوقظ ذاك الجزء من الروح الذي هو نائم شكلاً؛ دون تدخل الموت - البادئ الذي لا مفر منه - ويتم لم شمله بوعي مع الأثروبوس، أو جوهره الطاعي. هذا هو الهدف الأساسي والإنجاز الكامل للأسرار؛ ففي آن واحد يجب أن يدرك هذا الإنسان؛ ويوحد بوعي نفسه مع المصدر الإلهي؛ دون تذوق الانحلال الجسدي.

(1) الإنسان الأعلى أو الإنسان الخارق أو فوق الإنسان: مفهوم يعود لفلسفة نيتشه في كتابه هكذا تكلم زرادشت؛ حيث طرح نيتشه من خلال شخصية زرادشت مفهوم الإنسان الأعلى كهدف للبشرية نفسها.



الشجرة الإلهية في الرجل مواجهة

شجرة ذات جذور في القلب تشرق من مرآة الإله؛ عبر المجال السفلي لتتفرع في مجال الحواس. تمثل جذور وجذع هذه الشجرة الإلهية طبيعة الإنسان ويمكن أن يطلق عليها روحانيته؛ أما فروع الشجرة فهي أجزاء منفصلة من الدستور الإلهي ويمكن أن تشبه بالفردية، أما الأوراق - وبسبب كونها عابرة - فهي تتوافق مع الشخصية التي لا تشترك بشيء من ديمومته الإلهية.



الشجرة الإلهية في الرجل معكوسة

مثلما يوضح الرسم الممثل للمنظر الأمامي للرجل مبادئه الإلهية في حالتها المتجددة، فإن المنظر الخلفي لنفس الرجل؛ يوضح حالة الشمس الدنيا أو "الليلية". فمن مجال العقل النجمي، يتسامى شعاع من مجال العقل إلى مجال الحواس؛ حيث تمتلئ

كرة العقل النجمي والحواس بالنجوم للدلالة على الحالة الليلية لطبيعتها. في مجال العقل، يتم التوفيق بين الأعلى والأدنى،  
فالعقل عند الرجل يو افق الفهم المنير في الرجل الروحي.



## أسطورة هرمس

عندما اعتلى سليمان - حبيب الرب، باني البيت الأبدي، والسيد الأعلى لمحفل القدس - عرش والده داوود؛ كرّس حياته لإقامة معبد للإله؛ وقصر للملوك إسرائيل. صديق داود المخلص، حيرام ملك صور، وعند سماعه أن ابن داود قد تربّع على عرش إسرائيل، أرسل كتب تهنئة وعرض المساعدة على الحاكم الجديد. في كتابه "عادات اليهود"، يذكر يوسفوس<sup>(1)</sup> أن نسخ الرسائل التي تبادلها الملكان؛ كان يمكن رؤيتها بعد ذلك في القدس وصور. ورغم عدم تقدير حيرام لمدن الجليل العشرين التي قدمها له سليمان عند الانتهاء من المعبد، ظل الملكان أفضل الأصدقاء. فكلاهما كانا مشهورين بحكمتهما وعقلهما الراجح؛ وعندما تبادلوا الرسائل ابتدع كل منهما أسئلة محيرة لاختبار البراعة العقلية للآخر. ثم أبرم سليمان اتفاقاً مع حيرام، واعدأ إياه بكميات هائلة من الشعير والقمح والذرة والنبيد والزيت كأجور للبنانيين والنجارين الذين سيقدمون من صور؛ ليساعدوا اليهود على إقامة المعبد. كما قدم حيرام أرزاً وأشجاراً أخرى ممتازة، والتي حُولت إلى أطواف لتعبر البحر حتى جوبا، حيث التقطها عمال سليمان؛ ونقلوها إلى موقع المعبد.

(1) يوسفوس فلافيوس: أو باسمه العبري الأصلي يوسف؛ كان أديباً ومؤرخاً وعسكرياً يهودياً؛ عاش في القرن الأول للميلاد واشتهر بكتبه عن تاريخ منطقة يهوذا، والتمرد اليهودي على الإمبراطورية الرومانية والتي تلقي الضوء على الأوضاع والأحداث في فلسطين خلال القرن الأول للميلاد حين انهيار مملكة يهوذا، وظهور الديانة المسيحية والتغيرات الكبيرة في اليهودية بعد فشل التمرد على الرومان ودمار هيكل هيرودس. أشهر أعماله عادات اليهود في عشرين مجلد.

بسبب حبه الكبير لسليمان، أرسل حيرام ملك صور أيضاً كبير المهندسين المعماريين لديونيسيوس؛ حيرام أبيف؛ ابن الأرملة، والذي لم يكن له ند بين الحرفيين على ظهر البسيطة. يوصف حيرام أبيف بأنه "صوري المولد؛ إسرائيلي النسب" أو "بصلئيل<sup>(1)</sup> ثاني، كرمه ملكه بلقب الأب". يصف كتاب رفيق الجيب للماسونيين (المنشور عام 1771) حيرام أبيف بأنه "العامل الأكثر براعة ومهارة وفضولاً على الإطلاق، والذي لم تقتصر قدراته على البناء فقط، بل امتدت إلى جميع أنواع العمل، سواء عند العمل على الذهب أو الفضة أو النحاس أو الحديد؛ أو الكتان أو النسيج أو التطريز؛ سواء اعتبر مهندساً معمارياً أو مثلاً، مؤسساً أو مصمماً، كلها معاً أو فرادى؛ فقد أتقنها جميعاً تماماً. بتصاميمه وتحت إدارته، فقد أنشئ كل الأثاث الغني والمهر للمعبد وملحقاته العديدة، كما عينه سليمان، في حالة غيابه، ملء الكرسي الشاغر، كنائب لكبير المعلمين؛ أما بحضوره، فكان كبير الأوصياء؛ سيد العمل، والمشرف العام على جميع الفنانين، وكذلك أولئك الذين حصل عليهم داوود سابقاً من صور وصيدا، وأولئك الذين يجب على حيرام ملك صور أن يرسلهم الآن". (يختلف كتاب الماسونية المعاصرين على دقة الجملة الأخيرة).

على الرغم من القدر الهائل من العمل لبنائه، فإن معبد سليمان - على حد تعبير جورج أوليفر<sup>(2)</sup> - "كان مجرد مبنى صغير وأقل شأنًا بكثير من حيث الحجم من بعض كنائسنا". عدد المباني المتاخمة له والكنوز الهائلة من الذهب والأحجار الكريمة المستخدمة في بنائه، قد ركز كمية كبيرة من الثروة داخل منطقة المعبد. في وسط المعبد انتصب قدس الأقداس، والمسعى أحياناً أوراكل؛ والذي كان مكعباً محكماً، كل ضلع يقيس عشرين ذراعاً، ما يجسد

<sup>(1)</sup> شخصية مذكورة في سفر الخروج من العهد القديم أو الكتاب المقدس العبري، واسمه هو بَصْلَيْل بن أوري بن حُور، من سبط يهوذا، وبَصْلَيْل اسم عبري معناه "في ظل الله". اشتهر بصلئيل بالحنق في الصناعات الدقيقة فصنع الأدوات اللازمة للهيكل الذي أمر ببناؤه موسى للعبادة.

<sup>(2)</sup> جورج أوليفر (1782-1867) رجل دين إنجليزي، ومدير مدرسة، وطبوغرافي، وكاتب عن الماسونية.



تأثير الرمزية المصرية. زينت مجموعة مباني المعبد بـ 1453 عمود من رخام باريان، المنحوت بشكل رائع، و 2906 عمود مزين بالزخارف. كان هناك رواق واسع يواجه الشرق، وكان قدس الأقداس يواجه الغرب. وفقاً لما قيل؛ فإن المباني والساحات المختلفة؛ لها أن تستوعب أشخاصاً يبلغ عددهم 300000. كان كل من الحرم و قدس الأقداس مبطين بالكامل بألواح ذهبية مرصعة بالجواهر.

بدأ الملك سليمان بناء المعبد في السنة الرابعة من حكمه يوم 21 أبريل وفقاً للحسابات الحديثة، وانتهى في السنة الحادية عشرة من حكمه في اليوم 23 من أكتوبر. بدأ بناء المعبد بعد 480 عاماً على اجتياز بنو إسرائيل البحر الأحمر. تضمن جزء من أعمال الانشاء، بناء أساس اصطناعي على قمة جبل موريا. قصت أحجار المعبد من المحاجر مباشرة تحت جبل موريا<sup>(1)</sup> حيث جهزت قبل رفعها إلى القمة. صبت الزخارف النحاسية والذهبية للمعبد في قوالب طينية بين سَكُوتَ وَصَرَّتَانِ<sup>(2)</sup>، كما تم الانتهاء من جميع الأجزاء الخشبية قبل وصولها إلى موقع المعبد. وبناء على ذلك، جرى تجميع المبنى دون صوت أو أدوات، حيث جميع أجزائه متناسبة تماماً؛ "دون مطرقة الخلف، أو فأس الانقسام، أو أي أداة للأذى".

(1) جبل موريا (بالعربية: المروة) هو الاسم الذي يطلق على منطقة جبلية من سفر التكوين حيث جرت حادثة التضحية بإسحاق حسب المفهوم اليهودي.

(2) سفر الملوك 7:45

هكذا تصف دساتير أندرسون<sup>(1)</sup> التي ناقشها الماسونيون كثيراً، والتي نُشرت في لندن عام 1723، وأعاد بنيامين فرانكلين<sup>(2)</sup> طباعتها في فيلادلفيا عام 1734، تقسيم العمال المشاركين في بناء البيت الأبدي:

"ما كان حتى لمعبد داجون<sup>(3)</sup>، وأرقى هياكل صور وصيدا، أن تقارن بمعبد الرب الأبدي في القدس، \* \* \* كان هناك ما لا يقل عن 3600 من الموظفين الأمراء، أو البنائين الخبراء، للقيام بالعمل وفقاً لتوجيهات سليمان، بالإضافة لـ 80000 من قاطعي الحجر في الجبل وزملائهم الحرفيين، و70000 عامل، وجميعهم 153، 600؛ ولا ننسى قاطعي الأشجار

(1) جيمس أندرسون: (1679 – 1739) كاهن في الكنيسة المشيخية الاسكتلندية في لندن، ومؤلف أول دستور في المحفل الكبير الأول لإنكلترا؛ وكتب أول دستور الماسونية.

(2) بنجامين فرانكلين (1706 - 1790) من أهم وأبرز مؤسسي الولايات المتحدة الأمريكية. كان مؤلفاً وصاحب مطبعة ورجل دولة؛ كما أنه عالم ومخترع. كان شخصية رئيسية في تاريخ التنوير والفيزياء، حيث كان صاحب تجارب ونظريات واكتشافات متعلقة بالفيزياء. اخترع مانع الصواعق والنظارة ثنائية البؤرة وعداد المسافة وموقد فرانكلين كما أنه هو أول من ابتكر كلمة Electricity التي تعني كهرباء بالعربية كما أنه أول من درس الكهرباء علمياً. وهو من أثبت أن البرق عبارة عن كهرباء عندما قام بتجربة خطيرة كادت أن تودي بحياته عرض فيها طائرة هوائية للصواعق فانجذبت نحوها فلما اندلعت بها الصاعقة احترقت من فورها. وساهم أيضاً في ابتكار فكرة تقديم الساعة وهي المعروفة بالتوقيت الصيفي واتخذت الفكرة حيز الجدية بعد الحرب العالمية الأولى. وكانت من أوائل الدول في تنفيذها ألمانيا وبريطانيا. في آخر حياته، أصبح أحد أبرز دعاة إلغاء حكم الإعدام وبعد وفاته كرمته أمريكا بطبع صورته على ورقة العملة الوطنية من فئة المئة دولار. عام 1730 أنضم للماسونيين؛ وأصبح خبيراً خلال فترة قصيرة؛ وظل منصوباً للجمعية لنهاية حياته.

(3) دَاجون أو داجان أو دجن أو داجونا إله قديم انتشرت عبادته في آشور القديمة منذ النصف الثاني من الألف الثالث قبل الميلاد.

الذين عملوا تحت أدونيرام<sup>(1)</sup>؛ في جبال لبنان بالتناوب مع الصيدين، وعددهم نحو 30000 فالمجموع الكلي يبلغ 183600."

دانيال سيكلز<sup>(2)</sup> يذكر أن المشرفين كانوا 3300، بدلاً من 3600، ويسرد الخبراء الثلاثة الكبار بشكل منفصل. ويقدر المؤلف نفسه تكلفة المعبد بما يقرب من أربعة آلاف مليون دولار.

لا تمضي الأسطورة الماسونية لبناء معبد سليمان بموازاة سرد الكتاب المقدس؛ خصوصاً تلك الأجزاء المتعلقة بحيرام أبيف. وفقاً لرواية الكتاب المقدس، فقد عاد هذا السيد الرئيس إلى بلده؛ ولكن في رمزية الماسونية فقد قتل على نحوٍ شرير. حول هذه النقطة يتحدث وايت<sup>(3)</sup> في موسوعته الجديدة للماسونية، عن هذا الموضوع:

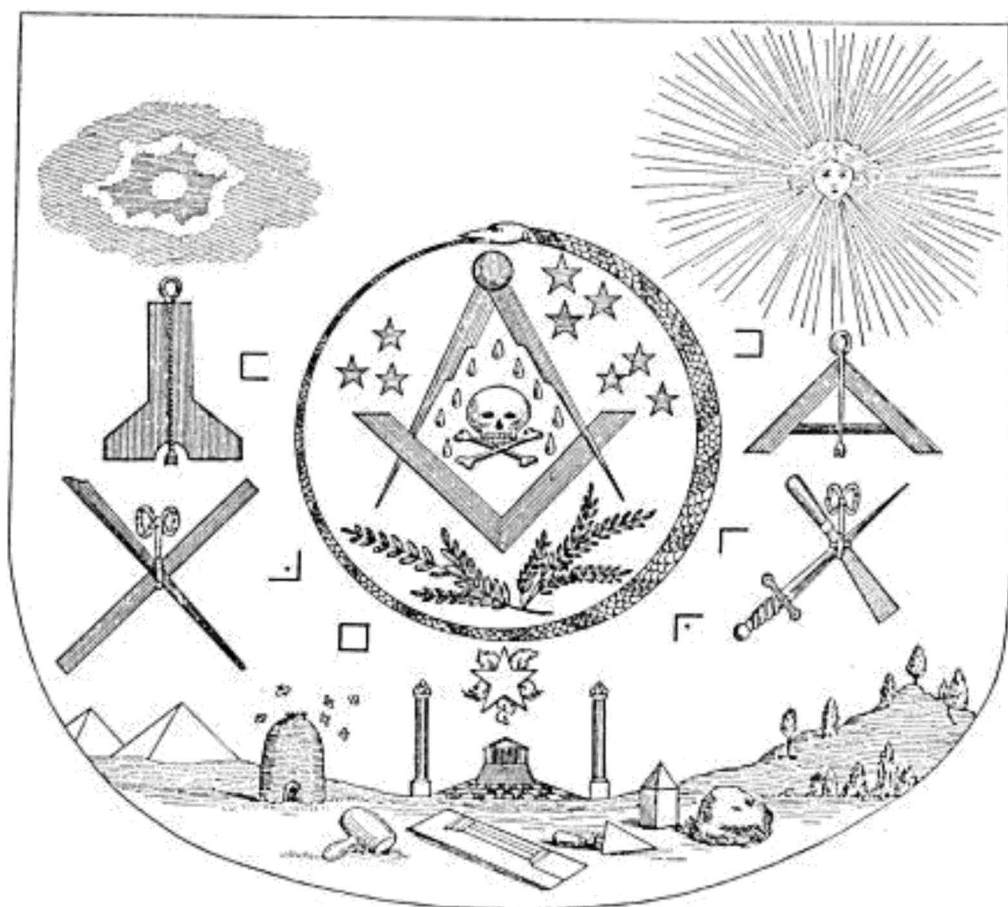
"أسطورة الخبير - البناء هي الرمز الكبير للماسونية. فقصته المصورة؛ تركز على شخصية مذكورة في الكتاب المقدس، لكن هذه الخلفية التاريخية هي في الحوادث وليس في الجوهر. الأهمية هي في الرمز وليس في أي نقطة من التاريخ التي قد تكمن وراءه."

---

(1) أدونيرام: كان جامع الضرائب في المملكة المتحدة لإسرائيل لأكثر من أربعين سنة، من أواخر عهد الملك داود؛ كما كان مسؤولاً عن التجارين أثناء بناء معبد الملك سليمان. وفقاً لرواية الكتاب المقدس، رجمه شعب إسرائيل حتى الموت عندما أرسله رحبعام لجمع الضرائب.

(2) دانيال سيكلز ( 1819 - 1914 ) سياسي، وضابط، ومحامي، ودبلوماسي أمريكي، ولد في نيويورك، كان عضواً في الحزب الديمقراطي الأمريكي، ويحمل رتبة عسكرية فريق أول، توفي في نيويورك، عن عمر يناهز 95 عاماً.

(3) كان آرثر إدوارد وايت ( 1857 - 1942 ) شاعراً أمريكياً من أصل بريطاني وباطنياً أكاديمياً كتب على نطاق واسع في المسائل الباطنية. وانضم للماسونية عام 1901.



### مئزر ماسوني تزيينه الرموز

في حين أن الرمزية الماسونية تقضي بأن المئزر يجب أن يكون مربعاً وبسيطاً مصنوعاً من جلد الخراف الأبيض مع حامل خفيف؛ إلا أنه غالباً ما يتم تزيين المأزر الماسونية بأشكال غريبة ومثيرة للإعجاب. يكتب ألبرت بايك: "عند ارتداء القطن أو الحرير أو الكتان، فإن الرمز يضيع. ولا يجب أبداً لبس المئزر إذا كان ملطخاً؛ أو مزركشاً؛ أو تزيينه أشكال من أي نوع". بالنسبة للمريخ، الكوكب القديم للطاقة الكونية، قام المراقبون للنجوم من أطلنطس وكلدان؛ بتعيين برج الحمل كعرش نهاري والعقرب كعرش ليلي. يوصف أولئك الذين لم يرتقوا إلى الحياة الروحية بالأسرار بأنهم "ميتون بلدغة العقرب"، لأنهم يتجولون في الجانب الليلي من القوة الإلهية. من خلال سرحمل الفصح<sup>(1)</sup>، أو بالحصول على الصوف الذهبي<sup>(2)</sup>، وترتفع هذه الروح إلى قوة يوم المريخ البناء في برج الحمل - رمز الخالق. عندما يلبس في المنطقة المتعلقة بعاطفة الحيوان، فالمئزر يدل على تجدد قوى الإنجاب وتكريسها لخدمة الإله. وحجم المئزر، يجعله رمز الخلاص، لأن الأسرار تتطلب أن تتكون رقعته من 144 بوصة مربعة. يحتوي المئزر الموضح أعلاه على كثر من الرموز: خلية النحل، رمز المحفل الماسوني نفسه، مجرفة، مطرقة، وأداة مسح، وحجر خام، أهرامات لبنان وتلاله؛ أعمدة المعبد وأرضية الشطرنج؛ والنجم المحترق وأدوات البناء. يشغل مركز المئزر البوصلة والمربع، ما يمثل العالم الكبير والعالم الصغير، والثعبان الأسود والأبيض بالتناوب إشارة للنور النجمي. يوجد أدناه فرع أكاسيا ذو سبعة أغصان، الدال على مراكز حياة الرجل العلوية والدنيا؛ إن الجمجمة والعظام المتصالبة هي تذكير مستمر بأن الطبيعة الروحية لا تتحرر إلا بعد الموت الفلسفي لشخصية الرجل الحسية.

(1) أضحية عيد الفصح (قربان بيساخ بالعبرية)، المعروف أيضاً باسم عيد الفصح الحمل أو حمل الفصح، هي التضحية التي تطلبها التوراة من أبناء إسرائيل مساء يوم الفصح أو العبور، وتناول الطعام في الأول ليلة العيد.

(2) الصوف الذهبي هو صوف خيالي لكبش طائر خيالي تناقلته الأساطير اليونانية. كان هذا الصوف موضوع بحث مشهور قام به البطل اليوناني الخرافي جاسون ومجموعة من الرجال يدعون بحارو الأرغو.



قام حيرام، بصفته سيد البنائين، بتقسيم عماله إلى ثلاث مراتب، والتي سميت مرتبة المبتدئ؛ مرتبة أهل الصنعة؛ ومرتبة الخبير. ثم أعطى لأهل كل مرتبة كلمات سر؛ وعلامات معينة؛ يمكن من خلالها تحديد مراتبهم ومزاياهم بسرعة. وفي حين تم تصنيفهم جميعاً وفقاً لمزاياهم، شعر البعض بعدم الرضا؛ لأنهم رغبوا في مرتبة أكثر علواً مما كانوا قادرين على ملئه. ثلاثة من أهل الصنعة والذين كانوا أكثر جرأة من رفاقهم، قرروا إجبار حيرام على أن يكشف لهم كلمة السر لمرتبة الخبير. وبما أنهم عرفوا أن حيرام كان يذهب دوماً إلى قدس الأقداس غير المكتمل؛ عند الظهيرة للصلاة، فقد انتظره هؤلاء الوحوش - الذين كانت أسماؤهم جوبيلو وجوبيلو وجوبيلوم - واحداً عند كل بوابة من بوابات المعبد الرئيسية. واجه حيرام فجأة، والذي كان على وشك مغادرة الحرم عند البوابة الجنوبية، جوبيلو مسلحاً بأداة قياس يبلغ طولها أربعة وعشرين بوصة. عند رفض شيرام الكشف عن كلمة السر، عاجله الشرير بضربة على رقبته بالأداة؛ سارع المعلم الجريح إلى البوابة الغربية، حيث انتظره جوبيلو، مسلحاً بكوس؛ وسأله نفس الشيء؛ ومرة أخرى صمت حيرام؛ فضربه المجرم الثاني على صدره بالكوس. بعد ذلك ترنح حيرام وصولاً للبوابة الشرقية؛ ليقابله هناك جوبيلوم مسلحاً بمطرقة؛ وعندما رفض حيرام إعطائه كلمة السر، ضرب جوبيلوم السيد بين عينيه بالمطرقة؛ ليسقط حيرام ميتاً.

دفن القتلة جسد حيرام على كتف جبل موريا؛ وعلقوا غصن أكاسيا على القبر. ثم سعى القتلة بعد ذلك للهروب من العقاب على جريمتهم بالسفر إلى إثيوبيا، ولكن الميناء أغلق. قبض على الثلاثة أخيراً؛ وبعد اعترافهم بالذنب أعدموا حسب الأصول. ثم أرسل الملك سليمان فرقاً مكونة من ثلاث؛ فاكتشفت إحدى هذه المجموعات القبر المبني حديثاً؛ الذي يميزه غصن دائم الخضرة. بعد أن فشل المبتدئون مع زملائهم من أهل الصنعة في بعث سيدهم من الموت، أقامه سيد ماسوني أخيراً بـ "قبضة قوية لمخلب الأسد".

يشير اسم حيرام أبيف؛ بالنسبة للمبتدئ: "أبي، الروح الكونية، واحد في الجوهر، وثلاثة في الظاهر". وهكذا فإن السيد المقتول هو شهيد كوني - روح الخير المصلوب، الإله المحتضر -

الذي يحتفل به في جميع أنحاء العالم. بين مخطوطات الدكتور سيجيسموند باكستروم عضو طائفة الصليب الوردي نقراً المقتطف التالي لفون ويلينج<sup>(1)</sup> فيما يتعلق بالطبيعة الفلسفية الحقيقية للماسونية لحيرام:

"والكلمة الأصلية חִירָם، **chiram**، هي كلمة جذرية؛ تتكون من ثلاثة أحرف ساكنة ח כ ר و ח أي **Cheth**، **Resh** وم. (1) ח، **Cheth**، يدل على **Chamah**، ضوء الشمس، أي العالمي، غير المرئي، النار الباردة للطبيعة، والذي تجلى في النور المشع علينا، وعلى كل الكواكب التابعة للنظام الشمسي. (2) ר، **Resh**، يدل على חִירָם **Ruach**، أي الروح والهواء والرياح، باعتبارها وسائل تنقل وتجمع النور إلى مواضع متعددة البؤر، حيث تهيئ الأشعة الشمسية، بالحركة الدائرية، لتتجلى في الحرارة واشتعال النار. (3) מ، أو מֶם **Mem**، يدل على **majim** الماء والرطوبة، أو بالأصح الأم من الماء، أي رطوبة الهواء، أو نوع معين من الهواء الكثيف. يشكل هؤلاء الثلاثة العامل العالمي أو نار الطبيعة في كلمة واحدة، חִירָם **CHiram**، وليس **Hiram**."

يورد ألبرت بايك أشكالاً عدة لاسم حيرام: **Khirm** و **Khurm** و **Khur - Om**، وينتهي هذا الأخير بالحروف المقدسة عند الهندوس **Om**، والتي يمكن استخراجها أيضاً من أسماء القتلة الثلاثة. يربط بايك كذلك؛ القتلة الثلاثة؛ بثلاثة من النجوم في كوكبة الميزان؛ كما يلفت الانتباه إلى حقيقة أن الإله الكلداني بعل - الذي تحول إلى شيطان عند اليهود - يظهر ضمن اسم كل القتلة، جوبيلو، وجوبيلو وجوبيلوم. يتطلب تفسير أسطورة هرمس الإلمام بكلٍ من نظامي الأرقام والحروف عند فيثاغورث والقبالا، وكذلك الدورات الفلسفية والفلكية للمصريين والكلدان والبراهمة. على سبيل المثال، لنحلل الرقم 33: كان المعبد الأول لسليمان

(1) جورج فون ويلينج (1655 - 1727) كان كاتباً كيميائياً وثيوصوفياً ألمانياً، معروفاً بعمله Opus Mago - cabalistic



منتصباً لمدة 33 عاماً في بهاء الأول، وفي نهاية تلك الفترة نهبه الملك المصري شيشنق<sup>(1)</sup>، وأخيراً (588 قبل الميلاد) دمره بالكامل نبوخذ نصر، الذي ساق سكان القدس إلى السبي في بابل. (انظر التاريخ العام للماسونية، بقلم روبرت ماكوي). كما حكم الملك داود لمدة 33 سنة في القدس؛ وينقسم النظام الماسوني إلى 33 درجة رمزية؛ وهناك 33 فقرة في العمود الفقري البشري؛ وقد صلب المسيح في السنة 33 الثلاثين من حياته.

تُظهر الجهود المبذولة لاكتشاف أصل أسطورة هرمس؛ أنه ورغم كون هذه الأسطورة في شكلها الحالي حديثة نسبياً، فإن مبادئها الأساسية تعود إلى أقدم العصور الغابرة. ومن المسلم به بشكل عام من قبل علماء الماسونية المعاصرين، أن قصة حيرام الشهيد؛ تستند إلى طقوس أوزوريس المصرية، التي يصور موتها وبعثها مجازياً، الموت الروحي للإنسان وتجده من خلال البدء في الأسرار. كما أن حيرام يحدد أيضاً كهيرمس؛ في نقش على لوح الزمرد. يتضح من خلال هذه التشابهات، أن حيرام يعتبر نموذجاً أولياً للرجل؛ في الواقع هو فكرة أفلاطون (النموذج الأصلي) للرجل. فكما آدم بعد سقوطه يرمز إلى فكرة الانحطاط البشري، فكذلك يرمز حيرام ببعثه إلى فكرة التجدد البشري.

في اليوم التاسع عشر من شهر مارس عام 1314، أحرق جاك دي مولاي<sup>(2)</sup>، آخر السادة الكبار لفرسان الهيكل، في محرقة نصبت عند تلك النقطة من جزيرة السين في باريس، حيث

(1) شيشنق ( 929 . 950 ق.م ) ملك مصري ترجع أصوله إلى أسرة من مدينة إهناسيا قدم مؤسسها بويو واوا الجد الخامس للفرعون شيشنق من إحدى واحات الصحراء الليبية ولذلك عرفت أسرته لدى المهتمين بالتاريخ المصري القديم باسم الأسرة الليبية.

(2) جاك دو مولاي ( 1249 – 1314 ) وهو الزعيم الثاني والعشرين والأخير لفرسان المعبد. بعد أن قاتل في الشرق أي في " الأرض المقدسة "، انتخب على رأس النظام في 1292. في ذلك التاريخ، كان نظام الفرسان يمر بأزمة بعد وفاة العديد من الأعضاء الكبار؛ الذين كانوا يدافعون عن الدولة اللاتينية في الشرق. في عام 1307 اعتقل في باريس بناء على أوامر من الملك فيليب الرابع الذي اتهم الفرسان بالبدعة والممارسات الفاحشة، وبعد بعض التردد، تخلى البابا كليمنت الخامس

أقيم بعد ذلك تمثال الملك هنري الرابع. يكتب جينينغز<sup>(1)</sup> " أن مولاي، وبينما كان يلفظ أنفاسه، استدعى البابا كليمنت - الذي أعلن إلغاء نظام فرسان الهيكل وحكم على السيد الكبير بالموت حرقاً - للمثول في غضون أربعين يوماً، أمام القاضي الأبدى الأعلى. كما استدعى فيليب [الملك] أمام نفس المحكمة المخيفة في غضون عام. وقد تحقق كلاهما ". تسببت العلاقة الوثيقة بين الماسونية وفرسان الهيكل في ربط قصة حيرام باستشهاد جاك دي مولاي. ووفقاً لهذا التفسير، فإن الجناة الثلاثة الذين قتلوا سيدهم بوحشية على أبواب المعبد لأنه رفض الكشف عن الأسرار، هم البابا والملك والجلادين. كما أن دي مولاي مات، رافضاً الإقرار بالذنب، أو الكشف عن الأركان الفلسفية والسحرية للفرسان. أما أولئك الذين سعوا إلى تحديد حيرام بكونه الملك القتل تشارلز الأول<sup>(2)</sup>؛ فيعتقدون أن أسطورة هرمس قد اخترعها

---

عن دعمه. بعد محاكمة غير عادلة، أُحرق جاك دو مولاي على جزيرة اليهود في باريس. النهاية المساوية لجاك دو مولاي، وقصة اللعنة ضد فيليب الرابع والبابا كليمنت أوجت بالكثير من الأساطير والقصص.

<sup>(1)</sup> كان هارجرف جينينغز (1817 - 1890) من الماسون البريطانيين، وعضو نظام الصليب الوردي، ومؤلفاً لعدد من الكتب عن الباطنية، وهاوياً لعلم الأديان المقارن.

<sup>(2)</sup> تشارلز الأول (1600 - 1649) ملك إنكلترا، واسكتلندا، وإيرلندا (1625 - 1649)، دفعه وزراؤه، وزوجته للاستبداد بالحكم، مما جعل المعارضة في البرلمان تنتفض عليه. فقام بحل البرلمان عام 1629 م عندما طالبه بأن يلتزم بتوقيع وثيقة تضمن المزيد من الحريات والحقوق. حاول الملك أن يحكم بمفرده إلا أن انتفاضة الأسكتلنديين أجبرته أن يستدعي البرلمان من جديد (1640). انتهز البرلمانيون الفرصة فأطاحوا بوزرائه الأساسيين، ولم يحرك الملك ساكناً أمام مقتل رجاله المقربين، وكنتم حقه في نفسه، وفي المقابل لاقى انحياز الملك للأطراف الكاثوليكية وكذا محاولته للانفراد بالحكم استهجاناً كبيراً لدى البرلمانين. أدت هذه الطعائن المتبادلة، إلى قطع العلاقة بين الطرفين نهائياً عام 1645. اندلعت الحرب الأهلية بين أنصار الملك من جهة وجيش البرلمانين والأسكتلنديين (حلفائهم الجدد) من جهة أخرى. في نفس السنة 1645 منبت القوات الملكية بهزيمة في نيزبي، فوجد تشارلز نفسه معزولاً فسلم نفسه للأسكتلنديين. والذي سلموه بدورهم إلى البرلمانين. استطاع الفرار سنة 1647 م، لتندلع الحرب الأهلية مرة ثانية، حيث كان الملك قد أقام تحالفاً جديداً مع الأسكتلنديين، في مقابل إعطائهم بعض الحريات الدينية، إلا أن قائد الثوار أوليفر كرومويل استطاع أن يحسم الموقف بصورة نهائية هذه المرة عام 1648. قام الأخير بعقد جلسة خاصة للبرلمان، بعد أن تم انتقاء أعضائه من بين أنصار الثوريين، وصدر الحكم بإعدام الملك، لتضرب عنقه في وايتل، بالقرب من وستمنستر عام 1649 م. وشاهد إعدامه من أبناؤه الأمير هنري وأبنته الأميرة إليزابيث. وخلفه على العرش ابنه تشارلز الثاني.

لهذا الغرض إلياس أشمول<sup>(1)</sup>، الفيلسوف الصوفي، الذي كان على الأرجح عضواً في جماعة الصليب الوردی. خُلع تشارلز في عام 1647 وقتل صبراً عام 1649، تاركاً الحزب الملكي بلا زعيم. جرت محاولة لربط مصطلح "أبناء الأرملة" (وهو تسمية تطلق مراراً على أعضاء النظام الماسوني) بهذا الحدث في التاريخ الإنجليزي، لأنه بقتل ملكها أصبحت إنجلترا أرملة وجميع الرجال الإنجليز أبناء أرملة.

أما بالنسبة للمسيحيين الباطنيين، فيمثل حيرام المسيح الذي قام بعد ثلاثة أيام (الدرجات) برفع هيكل جسده من قبره الأرضي. كان القتلة الثلاثة هم وكيل قيصر (الدولة)، والسهردين<sup>(2)</sup> (الكنيسة)، والجماهير المحرضة (الغوغاء). وبهذا يعتبر حيرام الطبيعة العليا للرجل والقتلة هم الجهل والخرافة والخوف. يمكن للمسيح المقيم أن يعبر عن نفسه في هذا العالم فقط من خلال أفكار الإنسان ومشاعره وأفعاله؛ فالتفكير الصحيح والشعور الصحيح والعمل الصحيح - هذه ثلاث بوابات تمر من خلالها قوة المسيح إلى العالم المادي، للعمل في إقامة معبد الإخوان العالمي. الجهل، والخرافة، والخوف؛ يمثلون ثلاثة أشرار، يقتلون روح الخير ويقيمون مملكة زائفة، يسيطر عليها التفكير الخاطئ، والشعور الخاطئ، والفعل الخاطئ، القائم على أساسها. في الكون المادي يبدو الشر منتصراً دوماً.

---

(1) إلياس أشمول (1617 - 1692) كان أثرياً إنجليزياً وسياسياً وضابطاً ومنجماً ودارساً للكيمياء. دعم الجانب الملكي خلال الحرب الأهلية الإنجليزية، وعند تنصيب تشارلز الثاني كوفي على ذلك.

(2) سنهدريم أو سنهدين هي كلمة عبرية، ومعناها حرفياً "الجالسون معاً" وقد تعني مجمع مشيخة أو مجلس المشيرين. وقد اطلق هذا الاسم من قبل اليهود في فترة وجود السيد المسيح على الأرض باعتباره المحكمة العليا للأمة اليهودية، وكانت المتحدث الرسمي باسم الشعب اليهودي امام الرومان ويتكون من واحد وسبعين عضواً، سبعين منهم يمثل عدد الشيوخ الذين عاونوا موسى، والحادي والسبعون هو رئيس الكهنة أو الكاهن الاعظم وعلى وجه العموم كان له حق التشريع في الاحكام الدينية والسياسية والاجتماعية. ولكن توقف العمل به بعد عام 70 م وذلك بعد خراب اورشليم والشتات اليهودي.

يكتب دانيال سيكلز<sup>(1)</sup>: " بهذا المعنى، تتكرر أسطورة صور دوماً في التاريخ البشري؛ لقد قُتل أورفيوس وأُلقي بجسده في الهبروس<sup>(2)</sup>؛ وأرغم سقراط على تناول الشوكران. وعلى مدى الزمن؛ رأينا الأشرار ينتصرون مؤقتاً، وحوكمت الفضيلة والحقيقة واضطهدت وصلبت وقتلت، لكن العدالة الأبدية تتقدم بسرعة في العالم؛ فالأشرار؛ وأبناء الظلام، والمتآمرون المجرمون؛ وكل تنوع لا نهائي لأشكال الشر، سينجرف إلى النسيان؛ أما الحقيقة والفضيلة وبعد دنو مراتبها لفترة من الزمن تسمو بجلال الربوبية، وتتوج بمجد أبدي!"

ولا مجال للشك، بأن النظام الماسوني الحديث قد تأثر بعمق بمجتمع فرانسيس بيكون السري، إن لم يكن ثمرة فعلية له، فالرمزية الماسونية تتخللها بلا شك المثل العظيمة لبيكون: التعليم الشامل والديمقراطية العالمية. إن أعداء التعليم الشامل القتل هم الجهل والخرافة والخوف، التي ترغب النفس البشرية على عبودية الجزء السفلي من دستورها. كما كان الأعداء للديمقراطية العالمية التاج والإكليل والشعلة. وهكذا يرمز حيرام إلى الحالة المثالية للتحرر الروحي والفكري والجسدي التي ضُحي بها على مذبح الأنانية البشرية. حيرام هو تجميل البيت الخالد. ومع ذلك، فإن النفعية الحديثة تضحي بالجمال في سبيل التطبيق العملي؛ وفي نفس الوقت تمجد الكذبة الواضحة بأن الأنانية والكراهية والخلاف هي شيء عملي.

(2) الاسم القديم لنهر ماريتسا في اليونان



### اليد التعبيرية في الأسرار

مُدت يد مغطاة برموز كثيرة إلى المبتدئين إبان ولوجهم معبد الحكمة. فهم ما هو منقوش على ظاهر اليد يحمل معه القوة الإلهية والتجدد؛ لذلك ومن خلال هذه الأياد الرمزية قيل: أن المرشح قام من بين الأموات.

وجد الدكتور أورفيل وارد<sup>(1)</sup> أوين جزءاً كبيراً من طقوس الماسونية المخفية للدرجة الثانية والثلاثين، في المطوية الأولى<sup>(2)</sup> لشكسبير. كما يجب أيضاً ملاحظة الرموز الماسونية على صفحات عناوين كل كتاب نشره ليكون تقريباً. لقد اعتبر السير فرانسيس بيكون نفسه القربان الحي على مذهب الحاجة الإنسانية. ومن الواضح أنه قد رحل وهو في خضم أعماله، ولا يمكن لأي دارس لأطلنطس الجديدة<sup>(3)</sup> أن يفضل في التعرف على الرموز الماسونية الموجودة فيه.

وفقاً لملاحظات جوزيف فورت نيوتن<sup>(4)</sup>، فإن معبد سليمان الذي وصفه بيكون في تلك الرومانسية الطوباوية لم يكن منزلاً على الإطلاق بل كان اسم دولة مثالية. أوليس صحيحاً أن معبد الماسونية هو أيضاً رمز لحالة المجتمع؟ بينما وكما ذكرنا سابقاً، فإن مبادئ أسطورة حيرام هي من أعظم ما تركته العصور الغابرة، فإنه ليس من المستحيل أن يعتمد شكلها الحالي على حوادث وقعت إبان حياة اللورد بيكون، الذي اختبر الموت الفلسفي وُبعث في ألمانيا.

---

(1) الدكتور أورفيل وارد (1854 – 1924) طبيب أمريكي، من دعاة نظرية بيكون في التأليف الشكسبيري. ادعى أوين أنه اكتشف الرسائل المخفية الواردة في أعمال شكسبير.

(2) تراجيديات وكوميديات وتاريخيات السيد ويليام شكسبير هي مجموعة مسرحيات لوليام شكسبير نشرت عام 1623. يشار إليها من قبل الباحثين الحديثين بالمطوية الأولى. المطوية الأولى تعتبر واحدة من أكثر الكتب التي تم نشرها تأثيراً في اللغة الإنجليزية. تمت طباعة الكتاب على هيئة مطوية تحتوي على 36 مسرحية، والتي أعدت من قبل زملاء شكسبير جون هيمنغر وهنري كوندل.

(3) أطلنطس الجديدة؛ رواية غير مكتملة عن المدينة الفاضلة للمؤلف فرانسيس بيكون نُشرت بعد وفاته عام 1626. صور بيكون في روايته رؤيته لمستقبل يحفل بالاكشاف والمعارف معرباً عن تطلعاته ومثله العليا للبشرية.

(4) كان جوزيف فورت نيوتن (1880 - 1950) قسيساً معمدانياً أمريكياً؛ والذي قام بتأليف عددٍ من الكتب الماسونية، بما في ذلك أعماله الأكثر شهرة، البنائين المنشور عام 1914، وبيت الرجال المنشور عام 1923. تلقى الدرجة الثالثة من الماسونية في 28 مايو 1902.

في مخطوطة قديمة يظهر بيان بأن النظام الماسوني قد تم تشكيله بواسطة الخيميائيين والفلاسفة الهرمسيين؛ الذين توحدوا معاً لحماية أسرارهم في وجه الأساليب الشائنة التي يستخدمها الأشخاص الجشعين؛ لانتزاع سر صناعة الذهب منهم. كما أن حقيقة احتواء أسطورة هيرمس على صيغة خيميائية، تعطي مصداقية لهذه القصة. وهكذا، فإن بناء هيكل سليمان يمثل **magnum opus** أو أعظم ما أبدع<sup>(1)</sup>، والذي لا يمكن تحقيقه دون مساعدة حيرام، الوكيل العالمي. نُعلم الأسرار الماسونية البادئ تحضير مسحوق التغيير<sup>(2)</sup> في روحه؛ ما يمكنه على تحويل الكتلة الأساسية للجهل البشري، والانحراف، والخلاف إلى سبيكة من الذهب الروحي والفلسفي.

يوجد تشابه كافٍ بين ماسونية حيرام وكونداليني<sup>(3)</sup> الهندوس؛ لتبرير الافتراض بأن حيرام يمكن اعتباره أيضاً رمزاً لنار الروح التي تتحرك عبر القسم السادس للعمود الفقري. العلم الدقيق للتجدد البشري هو مفتاح الماسونية المفقود، لأنه عندما ترتفع نار الروح عبر ثلاث وثلاثين درجة، أو فقرات العمود الفقري، لتدخل في الغرفة المقببة للجمجمة البشرية، فإنها تمر في الغدة النخامية (إيزيس)، حيث تستدعي رع (الغدة الصنوبرية) مطالبة بالاسم

(1) تشير في الاستخدام الحديث إلى عمل مبدع حظي بالكثير من النقد المادح، وخصوصاً تلك التي تعدّ أعظم عمل قام به شخص في مسيرته المهنية، أو تعبر عن عمل يتميز بمهارة أو إبداع أو صنعة بارزة. وقد أطلقت التسمية في الأصل على قطعة من العمل التي ينتجها متدرب أو عامل بارع يطمح أن يصبح حرفياً منتسباً لنظام النقابة الأوروبية القديم. حيث كان الحكم على ملائمته للتأهل لعضوية النقابة يصدر معتمداً جزئياً على هذا العمل، وإن كان ناجحاً، تقوم النقابة بالاحتفاظ بها. ولهذا كان إنتاج قطعة ممتازة ذو أهمية كبرى، مهما كانت الحرفة.

(2) مسحوق يقال أنه يساعد الخيميائيين على تحويل المعادن الرخيصة إلى ذهب خالص.

(3) كونداليني (السنسكريتية: "ثعبان ملتف")، في الهندوسية هي شكل من أشكال الطاقة الأنثوية الإلهية (أو شاكتي) يعتقد أنها تقع في قاعدة العمود الفقري، في مولادارا. وهذا مفهوم مهم في تانترا شيفا، ويعتقد أن هذه الطاقة، عندما تُزرع وتستيقظ من خلال ممارسة التانترا، تؤدي إلى التحرر الروحي. تم اعتماد هذا المصطلح، جنباً إلى جنب مع الممارسات المرتبطة به، في الروحانية الحديثة وفكر العصر الجديد.

المقدس. الماسونية العملية، بالمعنى الكامل لهذا المصطلح، تشير إلى العملية التي يتم من خلالها فتح عين حورس. لاحظ واليس بودج أنه في بعض البرديات التي توضح دخول أرواح الموتى إلى قاعة الدينونة لأوزوريس، فإن الشخص المتوفى يكون لديه مخروط صنوبر بقمة رأسه. كما حمل كهنة الأسرار اليونان أيضاً صولجاناً رمزياً، كان طرفه العلوي على شكل مخروط صنوبر، والذي كان يسمى صولجان باخوس. ويوجد في دماغ الإنسان غدة صغيرة تسمى الجسم الصنوبري، وهي العين المقدسة لدى القدماء، وتتوافق مع العين الثالثة للسايكوب. لا يُعرف الكثير عن وظيفة الجسم الصنوبري، وما اقترحه ديكارت (بحكمة أكثر مما كان يعرف) بأنه قد يكون مسكناً لروح الإنسان؛ وكما يدل الاسم، فإن الغدة الصنوبرية هي مخروط الصنوبر المقدس في الإنسان - العين الوحيدة، التي لا يمكن فتحها حتى يتم رفع حيرام (نار الروح) من خلال الأختام المقدسة التي تسمى الكنائس السبع في آسيا<sup>(1)</sup>.

توجد لوحة شرقية تظهر ثلاث إشراقات شمسية. الأولى تغطي الرأس، وفي وسطها براهما بأربعة رؤوس، وقد لُون جسده بلون غامق غامض. تظهر الثانية - التي تغطي القلب، والصفيرة الحشوية، ومنطقة البطن العلوية - فيشنو جالساً في زهرة اللوتس على أريكة مكونة من ثعبان ملتف كحركة الكون، ورأسه ذو السبعة أعطية يشكل مظلة للإله. أما الثالثة فتغطي جهاز التكاث، وفي وسطه يجلس شيفا، بجسد أبيض رمادي ونهر الغانج يتدفق من تاج رأسه. لقد كانت هذه اللوحة من عمل الكهنة الهندوس الذين قضوا سنوات عديدة؛ محاولين إخفاء المبادئ الفلسفية العظيمة داخل هذه الرسوم.

(1) كنائس الرؤيا السبع، المعروفة أيضاً بكنائس القيامة السبع وكنائس آسيا السبع (في إشارة إلى إقليم آسيا الروماني، وليس القارة بأكملها)، هي الكنائس السبعة الرئيسية من العهد المبكر للمسيحية، وكما هو مذكور في العهد الجديد وسفر الرؤيا الذي كتبه يوحنا المبشر. وكل المواقع السبعة هي واقعة في تركيا المعاصرة وعلى خلفية الرؤيا التي وقعت على الجزيرة اليونانية بطمس، أمر يسوع المسيح خادمه يوحنا أن: " اكتب على اللقافة ما ترى وأرسل به إلى الكنائس السبع: إلى أفسوس وإلى سميرنا وإلى برماغون وإلى ثياتيرا وإلى سارد وإلى فيلادلفيا وإلى لاوديسيا. " و " الكنائس " في هذا السياق كانت ترجع إلى الجماعات المسيحية التي كانت تعيش في كل مدينة، ولم يقصد بها مجرد المبني أو المباني التي كان يجتمع فيها ويتعبد فيها.



ويمكن أن ترتبط الأساطير المسيحية أيضاً بجسم الإنسان بنفس الطريقة الشرقية، لأن المعاني الغامضة المخفية في تعاليم كلتا المدرستين متطابقة. فكما هو مطبق على الماسونية، تمثل إشراقات الشمس الثلاث بوابات المعبد الذي قُتل فيه حيرام، ولا توجد بوابة في الشمال لأن الشمس لا تشرق أبداً من الجهة الشمالية للسماء. الشمال هو رمز فيزيائي لعلاقته بالجليد (الماء المتبلور) والجسد (الروح المتبلورة). في الإنسان، ينطلق النور تجاه الشمال ولكن لا يأتي منه أبداً، لأن الجسد ليس له نور خاص به ولكنه يُنار بالمجد المنعكس لجسيمات الحياة الإلهية المخفية داخل المادة الفيزيائية. لهذا السبب يُقبل القمر كرمز للطبيعة الجسدية للإنسان. حيرام هو المياه النارية الغامضة والمتجددة التي يجب رفعها من خلال المراكز الثلاثة الكبرى التي يرمز لها السلم ثلاثي الدرجات؛ والإشراقات الشمسية المذكورة في وصف اللوحة الهندوسية. كما يجب أن يمر أيضاً لأعلى عن طريق سلم من سبع درجات - الضفائر السبعة القريبة من العمود الفقري. أما الفقرات التسع (العجز والعصعص) المثقوبة بعشرة ثقب، فتمر خلالها جذور شجرة الحياة. التسعة هو العدد المقدس للرجل، وفي رمزية العجز والعصعص أخفي سر كبير. هذا الجزء من الجسد: من الكليتين إلى الأسفل أطلق عليه القبالا الأولون؛ أرض مصر التي نُقل بني إسرائيل إليها في السبي. خروجاً من مصر، فقد قاد موسى (العقل المضيء، كما يوحي اسمه) قبائل إسرائيل (الكليات الاثني عشر) برفع الثعبان النحاسي في القفر على صليب تاو<sup>(1)</sup>. ليس فقط حيرام؛ ولكن الإله في كل طقوس الأسرار الوثنية تقريباً؛ ليس إلا تجسداً لنار الروح في الحبل الشوكي البشري.

لا يجب تجاهل الجانب الفلكي لأسطورة هرمس. فتمثل تراجيديا حيرام سنوياً عن طريق الشمس أثناء مرورها عبر البروج. يكتب ألبرت بايك:

(1) صليب على شكل حرف T، مع توسيع الأطراف الثلاثة للصليب. يطلق عليه صليب تاو لأنه يشبه شكل الحرف اليوناني تاو؛ والذي في شكله العلوي له نفس مظهر الحرف اللاتيني والإنجليزي T.

"من رحلة الشمس عبر العلامات الاثنتي عشرة، تأتي أسطورة أعمال هرقل الاثني عشر<sup>(1)</sup>، وتجسّدات فيشنو وبوذا. ومن هنا جاءت أسطورة مقتل خوروم، ممثّل الشمس، من قبل أهل الصنعة الثلاث، أبراج الشتاء الجدي والدلو والحوث، الذين هاجموه عند بوابات السماء الثلاث وقتلوه بالانقلاب الشتوي. ومن هنا جاء البحث عنه من قبل أهل الصنعة التسع، أبراج السماء التسعة الأخرى، واكتشافه، ودفنه، وقيامته". (انظر الأخلاق والعقيدة).

يعتبر مؤلفون آخرون أن أبراج الميزان، العقرب، القوس مثل قتلة الشمس الثلاثة، حيث قُتل أوزوريس على يد تيفون، الذي عُيّن في الدرجة الثلاثين من كوكبة العقرب. في الأسرار المسيحية، يشير يهوذا أيضاً إلى العقرب، وتمثّل الثلاثين قطعة الفضية التي خان ربه لأجلها؛ عدد الدرجات في تلك العلامة. وبعد أن هوجمت من قبل برج الميزان (الدولة)، العقرب (الكنيسة)، القوس (الغوغاء)، فقد نُقلت الشمس (حيرام) سراً عبر الظلام؛ من قبل أبراج الجدي، الدلو، والحوث لتدفن على قمة تل (الاعتدال الربيعي). الجدي يرمز له برجل عجوز مع منجل في يده؛ هذا هو الأب الزمن - عابر سبيل - الذي يرمز إليه في الماسونية بالذي يضفر جدائل جارية شابة. إذا اعتبرت العذراء الباكية رمزاً للعذراء، وزمن الأب مع منجله رمزاً للجدي، فإن الفاصل المساوي لتسعين درجة بين هذان البرجان؛ سيعادل ذلك الذي يشغله القتلة الثلاثة. من الناحية الباطنية، تمثّل الجرة التي تحتوي على رماد حيرام قلب الإنسان. زحل، العجوز الذي يعيش في القطب الشمالي، والذي يجلب معه إلى بني البشر غصناً دائماً الخضرة (شجرة عيد الميلاد)، يعد مألوفاً للأطفال الصغار باسم سانتا كلوز، لأنه يجلب كل شتاء هدية العام الجديد.

تُكتشف الشمس الشهيدة من قبل برج الحمل، زميل من أهل الصنعة، وفي الاعتدال الربيعي تبدأ عملية البعث؛ التي تكتمل أخيراً بواسطة أسد يهوذا، الذي احتل في العصور القديمة موقع حجر الأساس لقوس السماء الملكي. تؤدي حركة الاعتدال إلى ظهور إشارات مختلفة

(1) أعمال هرقل (باليونانية: دوديكاثلون) هي سلسلة أعمال تتعلق بالتوبة يقوم بها هرقل أقوى الأبطال اليونانيين، وهي اثنا عشر عملاً.

للعب دور قتلة الشمس خلال العصور المختلفة من العالم، لكن المبدأ الفعلي لا يزال دون تغيير.

هذه هي القصة الكونية لحيرام، المُحسن العالمي، المهندس الناري للبيت الإلهي، الذي يحمل معه إلى القبر الكلمة المفقودة؛ والتي عند النطق بها، ترفع كل الحياة إلى السلطة والمجد. وفقاً للغنوص المسيحي، عند العثور على الكلمة المفقودة؛ ستكون مخبأة في اسطبل، محاطة بالهائم؛ وتميزها نجمة. يكتب روبرت براون:

"بعد أن تغادر الشمس برج الأسد، تصبح الأيام أقصر بشكل لا لبس فيه؛ بينما تمضي الشمس نحو الاعتدال الخريفي، لتقتل مرة أخرى بحلول الأشهر الخريفية الثلاثة، وتموت خلال أشهر فصل الشتاء الثلاثة، وتُبعث مرة أخرى من قبل أشهر الربيع الثلاثة. تتكرر المأساة العظيمة كل عام، وتحدث القيامة المجيدة".

يُطلق على حيرام " ميتاً " لأنه عند الفرد العادي تتحدد مظاهر القوى الإبداعية الكونية بالتعبير المادي. ومهووساً بإيمانه بواقع الوجود المادي ودوامه، لا يربط الإنسان الكون المادي بالجدار الشمالي الفارغ للمعبد. وكما يقال أن نور الشمس يموت رمزاً؛ مع اقترابه من الانقلاب الشتوي، لذلك يمكن تسمية العالم المادي بالفصل الشتوي للروح.



ديانا أفسس.

توجت ديانا، بما يشبه البرج الثلاثي؛ وزُين تمثالها بمخلوقات رمزية تمثل قوتها الروحية، كمصدر لتلك العقيدة غير القابلة للفساد، والتي تتدفق من صدرها عديد الأنداء الهائل، وتعد الغذاء الروحي للرجال الطموحين والنساء الذين كرسوا حياتهم للتأمل في الواقع. بينما يتلقى جسد الإنسان المادي غذائه من الأرض الأم العظيمة، كذلك تتغذى الطبيعة الروحية للإنسان من ينابيع الحقيقة التي تتدفق من العوالم غير المرئية.

عقب الوصول للانقلاب الشتوي، يظهر أن الشمس تبقى ثابتة لثلاثة أيام، ثم يتدحرج حجر الشتاء وتبدأ مسيرتها المظفرة شمالاً نحو الانقلاب الصيفي. يمكن تشبيه حالة الجهل بالانقلاب الشتوي للفلسفة؛ والفهم الروحي بالانقلاب الصيفي. حسب وجهة النظر هذه، فإن البدء في الألغاز يصبح هو الاعتدال الربيعي للروح، وفي ذلك الوقت يمر الرجل بجلال؛ من عالم الموت إلى عالم الحياة الأبدية. يتشابه الاعتدال الخريفي مع السقوط الأسطوري للإنسان، حيث انحدرت الروح البشرية إلى عوالم هاديس بالانغماس في وهم الوجود الأرضي.

في مقال عن الجمال، يصف أفلوطين التأثير المَهْدِب للجمال على الوعي المتكشف للإنسان. وكمكلفٍ بتزيين البيت الأبدى، فإن حيرام أبيف هو تجسد لمبدأ الجمال؛ فالجمال أمر أساسي للكشف عن طبيعة الروح البشرية. واعتبرت الأسرار بأن الرجل، جزئياً على الأقل، كان نتاج بيئته؛ لذلك فمن الضروري أن يحاط كل فرد بأشياء تثير المشاعر العليا والنبيلة. كما أثبتت أنه من الممكن إنتاج الجمال في الحياة من خلال إحاطة الحياة بالجمال. واكتشفت الأسرار أن الأجساد المتناظرة تبنيها الأرواح باستمرار عند وجود أجسام متناظرة. كما أن الأفكار النبيلة أنتجتها عقول محاطة بأمثلة عن النبل العقلي. وعلى العكس من ذلك، إذا أجبر الرجل على النظر إلى هيكل حقير أو غير متناسق، فإنه سيثير بداخله إحساساً بالجهل؛ والذي قد يدفعه إلى ارتكاب أفعال شريرة. إذا شيد مبنى غير متناسب في وسط المدينة، فسيولد أطفال غير متناسبين في هذا المجتمع؛ وسيعيش الرجال والنساء، وهم يتأملون البنية غير المتناسبة، حياة غير متناغمة. أدرك الرجال المفكرون في العصور الغابرة أن الفلاسفة العظماء؛ كانوا المنتجات الطبيعية للمثل الجمالية للهندسة المعمارية والموسيقى والفن التي تأسست كمعايير للأنظمة الثقافية في ذلك الوقت.

إن استبدال تناغم الجمال بخلاف الغرابة؛ يشكل إحدى المآسي الكبرى لكل حضارة. حيث لم يكن الإله المخلص في العالم القديم جميلاً فحسب، ولكن هذا الإله كان يؤدي خدمة للجمال، بتحقيق تجدد الإنسان من خلال إثارة محبة الجميل فيه. ولا يمكن تحقيق نهضة العصر الذهبي للأسطورة، إلا من خلال السمو بالجمال إلى كرامته الشرعية باعتباره المثال الواجب الانتشار في كل الأقسام الدينية والأخلاقية والاجتماعية والعلمية والسياسية للحياة.

كرس المهندسون في أسرار ديونيسوس جهدهم، للسمو بروح سيدهم - الجمال الكوني - من قبر الجهل المادي والأنانية؛ عبر تشييد المباني التي كانت نموذجاً مثالياً للتناظر والعظمة؛ وكانت في الواقع صيغة سحرية ارتقت بها ومنها روح الشهيد الجميل المدفون في عالم مادي.

في الأسرار الماسونية، يرمز لروح الرجل الثلاثية (دلنا النور) بالسادة الثلاثة الكبار لمحفل القدس. وبما أن الرب هو المبدأ السائد لثلاثة عوالم، يتجلى في كل منها كمبدأ نشط، فإن روح الإنسان، التي تشارك في طبيعة اللاهوت، تسكن ثلاثة مستويات فيثاغورية من الوجود: الأعلى والأدنى. عند بوابة المجال السفلي (العالم السفلي، أو مكان سكن المخلوقات البشرية) يقف حارس هاديس - الكلب ذو الثلاث رؤوس سيربيروس، الذي يشبه القتلثة الثلاثة من أسطورة هيرمس. وحسب هذا التفسير الرمزي للروح الثلاثية، فإن حيرام هو الجزء الثالث، أو المتجسد، وهو الباني الرئيسي الذي أقام على مر العصور معابد حية من اللحم والدم كمزارات للأعلى. ينمو حيرام كزهرة ثم يقطع ويموت عند أبواب المادة؛ إنه مدفون في عناصر الخلق، ولكن - مثل ثور - يأرجح مطرقة القوة في حقول الفضاء، ويحرك الذرات البدائية، ليؤسس النظام من الفوضى. ومثل القوة الكونية داخل كل روح بشرية، يكمن حيرام في انتظار الرجل؛ وبطقوس الحياة المعقدة سيقوم بتحويل القدرة البشرية إلى قوة إلهية. ومع زيادة تصورات الإحساس عند الفرد، يكتسب الإنسان سيطرة أكبر من أي وقت مضى على أعضائه المختلفة، لتحصل روح الحياة فيه على الحرية تدريجياً. يمثل القتلثة الثلاثة قوانين العالم المادي - الولادة والنمو والانحلال - التي تحبط خطة البناء. بالنسبة للفرد العادي، تشير الولادة المادية في الواقع إلى وفاة حيرام، والموت المادي هو قيامة حيرام. ولكن، بالنسبة للمبتدئين، تحصل قيامة الطبيعة الروحية دون تدخل من الموت الجسدي.

فسر زولا، 33° السيد الأكبر لمحفل مصر، الرموز الغربية الموجودة على قاعدة إبرة كليوباترا<sup>(1)</sup> الموجودة الآن في سنترال بارك نيويورك، على أنها ذات أهمية ماسونية. كما يمكن

(1) مسلات كليوباترا هي ثلاث مسلات أو أعمدة ذات قمم هرمية مديبة من الصخر الطويل المنحوت، صنعها قدماء المصريين. أطلق بعض الرومان على المسلات تسمية (إبر كليوباترا) ولعل ذلك لشبهها بالإبر العملاقة. توجد في باريس ولندن ونيويورك. مسلة نيويورك موجودة في حديقة سنترال بارك أكبر حدائق مانهاتن في مدينة نيويورك الأمريكية يبلغ

العثور على علامات ورموز الماسونيين على حجارة العديد من المباني العامة ليس فقط في إنجلترا والقارة الأوروبية ولكن في آسيا أيضاً. يصف جورهام في كتابه، الرموز الماسونية للأسرة المغولية الهندية، عشرات العلامات التي تظهر على جدران المباني مثل تاج محل، المسجد الجامع، وذلك الهيكل الماسوني الشهير، قطب منار<sup>(1)</sup>. وفقاً لأولئك الذين يعتبرون الماسونية ثمرة المجتمع السري للمهندسين والبنائين الذين شكّلوا لآلاف السنين طبقة من الحرفيين، كان حيرام أبيف المعلم الكبير الصوري لمنظمة عالمية من الحرفيين، ومقرها الرئيسي في صور. تقول فلسفتهم بتضمين معرفتهم بالقوانين التي تتحكم في الكون؛ في قياسات وزخارف المعابد والقصور والأضرحة والحصون والمباني العامة الأخرى. وقد مُنح كل بناء ملتحق، بصحيفة هيروغليفية قام من خلالها بوضع علامات على الأحجار؛ محاولاً إظهارها لجميع الأجيال القادمة؛ حيث كرس للمهندس الأعلى للكون كل منتج مثالي قام ببنائه. فيما يتعلق بعلامات الماسونيين، كتب روبرت فريك جولد<sup>(2)</sup>:

---

وزنها 244 طن من الحجر الجرانيتي. وقد منحت رسمياً بخطاب موقع عام 1879 من الخديوي توفيق، تحتوي مسلي لندن ونيويورك على نقوش باسم تحتمس الثالث فرعون مصر في القرن الرابع عشر قبل الميلاد، وعلامات أضيفت من قبل رمسيس الثاني في القرن 12 ق.م. وأثناء فترة حكم الرومان لمصر قاموا بنقل المسلتين في القرن العاشر قبل الميلاد من معبد رع في هليوبوليس إلى الإسكندرية لتزين قصر هناك.

<sup>(1)</sup> قطب منار هو معلم تاريخي هندي يقع بالقرب من دلهي. تعتبر منارته الأطول من نوعها في الهند وثاني أطول المنارات في تاريخ العالم الإسلامي بعد منارة الجيرالدا في أشبيلية. وقد بناه قطب الدين أيبك التركي الأصل، وممن ساهموا في نشر الإسلام في شمال الهند، وهو أول حاكم من سلسلة من المماليك الأتراك الذين أسسوا سلطنة دلهي، والذي أراد أن يخلد عهده، فقام ببدء أعمال بناء قطب منار عام 1193 م، لم تسعفه الظروف في إكمال العمل (انتهى عند المستوى الأول) فقام خليفته إلتمش بإضافة ثلاث مستويات أخرى، ثم قام فيروز شاه عام 1368 م بإضافة المستوى الخامس وهو آخرها. يعتقد بعض المؤرخين أنه وعكس ما يقال أن تسميته تعود إلى السلطان قطب الدين أيبك، فإن السبب الحقيقي في تسميته بقطب منار يعود إلى الخواجة قطب الدين، أحد المتصوفين والذي قدم من بغداد ثم عاش في الهند، وحظي أثناءها بمكانة كبرى لدى السلطان إلتمش.

<sup>(2)</sup> كان روبرت فريك جولد (1836 - 1915) جندياً ومحامياً وماسونياً بارزاً ومؤرخاً للماسونية. كتب تاريخ الماسونية (3 مجلدات) والذي لا يزال عملاً مرجعياً قياسياً حول هذا الموضوع.

"من اللافت للنظر أن هذه العلامات موجودة في جميع البلدان - في حجرات الهرم الأكبر في الجيزة، وعلى الجدران تحت الأرض في القدس، في هركولانيوم<sup>(1)</sup> وبومبي، على الجدران الرومانية والمعابد اليونانية، في هندوستان والمكسيك وبيرو وآسيا الصغرى - وكذلك على الانقراض الهائلة لإنجلترا وفرنسا وألمانيا واسكتلندا وإيطاليا والبرتغال وإسبانيا ". (انظر التاريخ الموجز للماسونية).

تبعاً لوجهة النظر هذه، تمثل قصة حيرام بشكل جيد؛ دمج الأسرار الإلهية للهندسة المعمارية في الأجزاء والأبعاد الفعلية للمباني الأرضية. المراتب الثلاث للحرفة تدفن السيد العظيم (السر العظيم) في الهيكل الفعلي الذي أقامه، بعد أن قتل أول مرة بأدوات البنائين، بتحويل روح الجمال الكوني الذي لا حد له؛ إلى حدود الشكل الملموس. كما يمكن إعادة إحياء هذه الأمثلة المجردة للهندسة المعمارية، من خلال الخبر الماسوني الذي ومن خلال التأمل في الهيكل، تنطلق منه المبادئ الإلهية للفلسفة المعمارية المدمجة أو المدفونة فيها. وبالتالي، فإن المبنى المادي هو في الواقع قبر أو تجسيد للمثال الإبداعي الذي لا تكون أبعاده المادية سوى الظل.

علاوة على ذلك، يمكن اعتبار أسطورة حيرام تجسداً لتقلبات الفلسفة نفسها؛ فكمؤسسات لنشر الثقافة الأخلاقية، كانت الأسرار الوثنية مهندسة للحضارة نفسها. وقد جسدت قوتها وكرامتها في حيرام أبيف - المهندس الرئيسي - لكنها سقطت في النهاية ضحية لهجمات الثلاثي المتكرر؛ الدولة والكنيسة والغوغاء. لقد دنسهم الدولة، غيرة من ثروتهم وقوتهم؛ الكنيسة الأولى، خافت حكمهم؛ والرعايا أو الجنود حرصتهم الدولة والكنيسة. عندما يرتفع حيرام من قبره، يهمس كلمة السيد الماسوني التي فُقدت بموته المفاجئ، لذلك ووفقاً لمبادئ الفلسفة، سيؤدي إعادة تأسيس أو بعث الأسرار الغابرة إلى إعادة اكتشاف هذه الكلمة السرية، التي دونها ستستمر الحضارة في حالة من الارتباك وعدم اليقين الروحي. عندما يحكم الغوغاء

(1) مدينة رومانية قديمة، تقع في جنوب إيطاليا بالقرب من مدينة بومبي الأثرية على مشارف خليج نابلس، تعرضت المدينة إلى الدمار إثر ثوران بركان فيزوف الهائل عام 79م والذي أدى إلى تدميرها مع بومبي.



يُحكم الإنسان بالجهل؛ وعندما تحكم الكنيسة يُحكم بالخرافة؛ وعندما تحكم الدولة، يحكمه الخوف.

قبل أن يستطيع الرجال الحياة معاً في ود وتفاهم، يجب أن يصبح الجهل حكمة، والخرافة إيماناً منيراً، والخوف حباً. وعلى الرغم أنه يقال عكس ذلك، فإن الماسونية هي دين يسعى لتوحيد الرب والإنسان من خلال السمو بالرجال إلى مستوى من الوعي؛ حيث يمكنهم أن يروا ببصيرة واضحة أعمال المهندس العظيم للكون. وعبر العصور يُحافظ على رؤية الحضارة المثالية كموضوع مثالي للبشرية. في خضم تلك الحضارة، ستقوم جامعة قوية حيث تُدرس العلوم المقدسة والعلمانية المتعلقة بأسرار الحياة بحرية لجميع الذين يتحملون الحياة الفلسفية.

هنا لن يكون مكان للملل والعقائد، حيث تُزال السطحية ويُحافظ فقط على الأساسيات. سيحكم العالم أكثر العقول استنارةً، وسيشغل كل منهم المنصب الأكثر ملاءمة له.

وستنقسم الجامعة العظيمة إلى مراتب، يقبل فيها الأعضاء بعد اجتيازهم اختبارات أولية. هنا سيتم تعليم الرجال أكثر الأسرار قدسية، وأكثرها سريةً، والأكثر ديمومة - الرموز. هنا سيتعلم المبتدئ أن كل شيء مرئي، وكل فكر مجرد، وكل رد فعل عاطفي ما هو إلا رمز لمبدأ أبدي. هنا سيتعلم البشر أن حيرام (الحقيقة) توجد في كل ذرة من الكون؛ وأن كل شكل هو رمز وكل رمز هو قبر الحقيقة الأبدية. من خلال التعليم - الروحاني، والعقلي، والأخلاقي، والجسدي - سيتعلم الرجل تحرير الحقائق الحية من غلفها التي لا حياة فيها. يجب أن تتشكل الحكومة المثالية للأرض في نهاية المطاف بعد تلك الحكومة الإلهية التي رُتب الكون من خلالها.

في ذلك اليوم عندما يعاد تأسيس النظام المثالي، واستتباب السلام العالمي وبعد انتصار الأصلح، سيتوقف الرجال عن مطاردة السعادة، لأنهم سيجدونها داخل أنفسهم. كما ستُبعث الآمال الميتة، والتطلعات الميتة، والفضائل الميتة من قبورها، وستكون روح الجمال والخير التي قتلها الجهلة مراراً وتكراراً هي سيد العمل. عندها سيجلس الحكماء على مقاعد القدرة وستسير الآلهة بجوار الرجال.

- تمت -